

رؤى

مجلة العلوم الإنسانية والتربوية
دورية علمية محكمة

تصدر عن جامعة طبرق
TOBRUK UNIVERSITY - LIBYA



العدد الثاني عشر - نوفمبر 2024 م
السنة الرابعة

رلانات

مجلة العلوم الإنسانية والتربوية
دورية علمية محكمة

تصدر عن

جامعة طبرق - ليبيا

Tobruk University - Libya

رئيس التحرير

د. فوزي عمر الحداد

Fawzi.hadad@tu.edu.ly

السنة الرابعة

العدد الثاني عشر - نوفمبر 2024 م

دلالات

مجلة دورية علمية محكمة متخصصة

تصدر عن جامعة طبرق - ليبيا

تصدر ثلاث مرات في العام (مارس - يوليو - نوفمبر)

موقع الجامعة: www.tu.edu.ly

موقع المجلة: d.journal.tu.edu.ly

صفحة المجلة على الفيس بوك: www.facebook.com/dalalatt

رقم الايداع بدار الكتب الوطنية بنغازي: 2021 / 52

رقم الايداع الدولي: ISSN: 2788 - 6956

حاصلة على معامل التأثير العربي [1.55]

”

تستند المجلة إلى ميثاق أخلاقي يحكم عملية النشر في أعدادها،
والى لائحة داخلية تنظم عملية النشر من خلال لجنة علمية
استشارية متميزة من ليبيا وخارجها. المجلة غير مسؤولة عن الأفكار
والآراء الواردة في البحوث المنشورة في أعدادها.

“

تنشر المجلة إلكترونياً على المنصات الآتية:

AskZad

دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH

هيئة التحرير

المشرف العام
رئيس التحرير
مدير التحرير
منسق التحرير

د. حسن على حسن
د. فوزي عمر الحداد
د. علاء جابر الضراط
د. أحمد محمد الميداني

لجنة المراجعة والتدقيق اللغوي

كلية التربية جامعة طبرق
كلية التربية المرج / جامعة بنغازي
كلية الآداب جامعة سبها

د. على ماضي العبودي
د. فيصل عبدالله حيدر
د. فتحي حسن خطاب

الايخراج الفني

محمد أحمد الحبوني

اللجنة الاستشارية العلمية

1. أ.د. أحمد الهادي رشراش
 2. أ.د. أحمد عمران بن سليم
 3. أ.د. أحمد عيسى فرج
 4. أ.د. إسماعيل فتحي حسين الباجور
 5. أ.د. أنور فتح الله عبدالقادر
 6. أ.د. خليفة صالح حواس
 7. أ.د. سعديّة حسين البرغثي
 8. أ.د. سميرة محمد العياطي
 9. أ.د. عادل عبدالعزيز غيث
 10. أ.د. عبدالرحيم محمد البدري
 11. أ.د. عبدالسلام عبدالجليل سالم
 12. أ.د. عبدالقادر لشقر
 13. أ.د. عبدالله سالم مليطان
 14. أ.د. عمر عبدالله عمر أمبارك
 15. أ.د. عياد أبوبكر هاشم
 16. أ.د. فريدة الأمين المصري
 17. أ.د. محمد أحمد الوليد
 18. أ.د. محمد زعيمة
 19. أ.د. مرفت صدقي عبدالوهاب
 20. أ.د. محمد سليمان محمد اكريم
 21. أ.د. مسعود حسين التائب
 22. أ.د. مهند سامي العلواني
 23. أ.د. هدى عطية عبدالفضار
 24. أ.د. وليد شعيب آدم
 25. أ.د. ماجدة حامد عبدالله عزو
 26. د. أحمد مزهار
 27. د. الشريف امراجع حامد
 28. د. جمعة ارحومة الجالي
 29. د. خديجة زيدي
 30. د. زهرة عبدالعزيز الثابت
 31. د. سالم عبدالرسول المهدي
 32. د. سليمان عمر التائب
 33. د. شعبان محمود الهواري
 34. د. شوكت نبيل المصري
 35. د. صفاء امحمد فنيخرة
 36. د. عادل إبراهيم المحروق
 37. د. عاصم زاهي العطروز
 38. د. علي عبدالأمير عباس
 39. د. فرحة مفتاح عبدالله
 40. د. كريمية المبروك الرقيعي
 41. د. محمد إدريس عبدالعزيز
 42. د. محمد شحاتة واصل
 43. د. نورالدين نصر صالح شلوف
 44. د. هاشم منصور مفتاح
 45. د. هنّيء محليّة الصحة
 46. د. وريدة علي المنقوش
 47. د. يحيى عمر القويضي
- كلية اللغات - جامعة طرابلس
كلية الآداب - جامعة بنغازي
كلية السياحة والآثار - جامعة عمر المختار
كلية الآداب - جامعة الموصل
كلية الآداب جامعة درنة
عميد كلية القانون - جامعة سرت
كلية التربية - جامعة بنغازي
كلية الآداب - جامعة طرابلس
كلية الآداب المرج جامعة بنغازي
كلية الآداب - جامعة بنغازي
كلية القانون جامعة سرت
جامعة سيدي محمد بن عبدالله المغرب
كلية الآداب - جامعة طرابلس
كلية القانون جامعة سرت
عميد كلية الفنون الجميلة والإعلام سابقاً - طرابلس
كلية اللغات - جامعة طرابلس
كلية الآداب - جامعة بنغازي
أكاديمية القانون - القاهرة
خبير دولي للتمكين والنوع الاجتماعي ببرنامج الغذاء العالمي
كلية الاقتصاد جامعة عمر المختار البيضاء
كلية الآداب - جامعة الزاوية
كلية التربية - جامعة الزاوية
كلية الآداب - جامعة عين شمس - القاهرة / مصر
كلية الآداب - جامعة طبرق
كلية الآداب جامعة طرابلس
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين - فاس مكناس - المغرب
كلية الآداب - جامعة عمر المختار
كلية الآداب - جامعة طبرق
كلية الآداب - جامعة سيدي محمد بن عبدالله - المغرب
كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان - تونس
كلية الآداب - جامعة طبرق
كلية الآداب - جامعة مصراتة
كلية القانون - جامعة خليج السدرة
أكاديمية الفنون - القاهرة / مصر
كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية - الجامعة الأسمرية
كلية الآداب - جامعة غريان
الجامعة الإسلامية - مینسوتا - أمريكا
كلية الفنون الجميلة - جامعة بابل - العراق
عميد كلية الآداب - جامعة سرت
كلية الآداب والعلوم - جامعة درنة
كلية الاقتصاد - جامعة طبرق
كلية التربية - جامعة طبرق
عميد كلية الآداب جامعة طرابلس
كلية الآداب - جامعة درنة
كلية الآداب - جامعة مالانج الحكومية / إندونيسيا
كلية التربية - جامعة مصراتة
كلية التربية - جامعة مصراتة

مجلة دلالات للعلوم الإنسانية والتربوية

في سياق الحرص على مواكبة التطور في مجال النشر العلمي ورغبة في توفير نافذة رصينة للنشر الأكاديمي، تسعى نحو العالمية، نعلن إطلاق المجلة العلمية المحكمة: دلالات (DELALAT) المخصصة لنشر الأبحاث الأكاديمية في مجال العلوم الإنسانية والتربوية، وفقاً للضوابط والمعايير المعتمدة عربياً ودولياً.

تهدف المجلة إلى:

- السعي نحو إدراج المجلة ضمن قواعد البيانات العالمية للمجلات ذات معامل التأثير/Impact Factor، وذلك عبر ضوابط التحكيم والنشر الدقيقة التي تتبعها المجلة.
- توفير نافذة نشر رصينة للباحثين الأكاديميين، وإتاحة الفرصة أمامهم لنشر بحوثهم حسب جودة محتواها العلمي، مع مراعاة الالتزام بقواعد التفكير العلمي منهجاً ولغة في عرض الأفكار وتقديمها أو تحليلها.
- تغطية التظاهرات الثقافية ذات العلاقة باختصاص المجلة، مثل الندوات والمؤتمرات ومعارض الكتاب وعرض لأهم المؤلفات الصادرة حديثاً في كل فروع العلوم الإنسانية.

رؤيتنا:

مجلة علمية عربية ليبية المنطلق، تسعى للتميز لتكون خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم ودراساتهم في مجالات اهتمام المجلة.

رسالتنا:

نسعى لنقدم محتوى يجعل المجلة مرجعاً علمياً أصيلاً للباحثين وفق المعايير العالمية من حيث الأصالة والمنهجية والتميز العلمي.

أهدافنا:

- المشاركة في بناء مجتمع المعرفة من خلال نشر الأبحاث العلمية المحكمة من متخصصين ذوي مستوى رفيع.
- تقديم بحوث مميزة وإنتاج المعرفة التي تخدم المجتمع، ودعم الإبداع الفكري والتوظيف الأمثل للتقنية والشراكة المحلية والعالمية الفاعلة.
- استقطاب الباحثين المتميزين في عضوية هيئة التحكيم الاستشارية سعياً لتجويد البحوث المقدمة للنشر في المجلة، ولإنشاء بيوت خبرة علمية ذات كفاءة عالية وتميز رفيع.
- تلبية حاجات الباحثين على المستويات المحلية والعربية في مجال بحوث العلوم الإنسانية والتربوية.
- إنشاء محتوى الكتروني فارق للنشر العلمي المتخصص لخدمة الباحثين والدارسين ومؤسسات المجتمع كافة.

شروط النشر في مجلة دلالات

- تنشر المجلة البحوث باللغتين العربية، والإنجليزية.
- يقبل للنشر في المجلة البحوث، والنصوص المحققة والمترجمة وعروض الكتب الحديثة الصادرة في مجال اختصاص المجلة.
- يشترط في البحث المقدم للمجلة أن يكون أصيلاً وغير منشور أو مقدّم للنشر لدى جهة أخرى. ويوقع الباحث بذلك تعهداً خطياً مرفقاً بالبحث، حسب النموذج الموجود المرفق بهذه الشروط، ويمكن سحب النموذج من موقع المجلة الإلكتروني.
- أن يكون البحث المقدم خاضعاً لأسس البحث العلمي، مدققاً لغوياً وخالياً من الأخطاء اللغوية والإملائية والطباعية، مستوفياً شروط البحث العلمي المتعارف عليها.
- أن يكون البحث المقدم للمجلة مطبوعاً بوساطة برنامج (Word) وهوامش (2.5سم) وحجم الورقة (A4) ولا يتجاوز البحث (25) صفحة، بما في ذلك الملخصين العربي والإنجليزي وقائمة المراجع والمصادر، ولا يقل عن (15) صفحة، ونوع الخط لبحوث اللغة العربية هو (Simplified Arabic) بنط (14) في المتن وبنط (16) في العناوين، وبنط (12) في الهوامش، ويكون نوع الخط في بحوث اللغة الإنجليزية Times New Roman بنط (14)، والهوامش بنط (12).
- يكتب عنوان البحث واسم الباحث ودرجته العلمية والمؤسسة التي ينتمي إليها وعنوان بريده الإلكتروني وهاتفه الشخصي على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث، ثم تتبع صفحات البحث.
- يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث في متن البحث أو في مراجعه صراحة، أو بأية طريقة تكشف هويته.
- يرفق البحث بملخصين (عربي وإنجليزي) لا تزيد كلمات كل منهما عن 150 كلمة، يليهما كلمات مفتاحية (key words) لا تزيد عن خمس كلمات غير موجودة في عنوان البحث تعبر عن مجالات البحث لتستخدم في التكشيف.
- تدرج الهوامش أسفل الصفحات، وتكون أرقامها متسلسلة حتى نهاية البحث. مع مراعاة ذكر المعلومات كاملة عند ذكر المرجع لأول مرة، وإذا ذكر مرة أخرى فيكتفى باسم الكتاب والصفحة، ويتم وضع قائمة بالمصادر والمراجع نهاية البحث وترتيبها أبجدياً، ويراعى في كتابة أسماء المؤلفين ذكر الاسم أولاً ثم الكنية، أو بالطريقة المكتوب بها على غلاف الكتاب.
- في حالة قبول البحث للنشر تؤوّل كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز للباحث نشر بحثه أو تقديمه بأية طريقة لأي جهة نشر أخرى دون إذن كتابي من رئيس التحرير.

- لا يمكن للمجلة قبول أي بحث بدون مراعاة ضوابط النشر السابقة.
- البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء مؤلفيها، ولا تعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو جهة الإصدار.
- ترسل الأبحاث كاملة مستوفية للشروط المعلنة على البريد الإلكتروني للمجلة:

Delalat@tu.edu.ly

الصفحة	المحتويات	ت
13	جدل النوع والوعي المصطلحي «دراسة في بنية الخطاب الثقافي لألف ليلة وليلة» د. حمدي النورج	1
41	المصطلح الصوتي بين القدامى والمحدثين أ. فريحة جاب الله بشير بيدالله	2
65	علاقة الأوزان بالمعاني في شعر الشريف الرضي أمينة عبدالسلام ربوه رجب	3
82	مسائل صرفية في آيات قرآنية د. علي ماضي ثيل العبودي	4
106	العاطفة الإنسانية «عاطفة الأبوة» في سورة سيدنا يوسف «أنموذجاً» دراسة نحوية تطبيقية دلالية فاطمة أحمد سيف النصر بن حمد	5
119	التحليل السيميائي للنص الشعري: تجربة محمود درويش ونزار قباني أنموذجين د. إبراهيم البوعبدلوي	6
134	تجديد النظر في منهجية تدريس علم أصول الفقه: سؤال الحاجة والجدوى ومرجعية التنزيل د. الحسن سعداني	7
151	تطوير نظام إعداد معلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في كليات التربية الليبية استناداً إلى التجربة الفنلندية (دراسة مقارنة) أ. عائشة صالح آدم حمد	8
169	العملية التعليمية والتحصيل الدراسي لدى التلاميذ «دور المعلم أنموذجاً» رؤية اجتماعية في مجال علم الاجتماع التربوي د. نبيل عيسى جبريل موسى	9
182	حرية اختيار تصميم المنهاج في مساقات اللغة العربية في جامعة زايد (التأثيرات والتحديات) د. سناء زكريا المجايذة	10
208	دلالات البعد المكاني وتأثيره على العلاقات في المسرح الأوروبي (نماذج مختارة من النصف الثاني للقرن العشرين) د. نورة العتال	11
232	عمارة الزوايا الدينية بمدينة طرابلس القديمة (النشأة - الأدوار - التكوين المعماري) د. عادل المبروك المختار الفار	12
250	دور منظمات المجتمع المدني في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة: دراسة حالة نادي الصقور الرياضي في مدينة طبرق د. محمد شحاتة واصل	13

الصفحة	المحتويات	ت
279	اشكالات يثيرها القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن شركة الشخص الواحد د. محمود عبد المحسن سلامة أ. فاتح حمارشة	14
301	الانقلابات العسكرية في الساحل الأفريقي النيجر نموذجًا 2020 - 2024 د. محمد إدريس عبد العزيز إدريس	15
324	الالتزام بنشر قواعد القانون الدولي الإنساني د. منصور حمدي مصطفى	16

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله
المنتجبين وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذا هو العدد الثاني عشر (نوفمبر 2024) نصدره اليوم على بركة الله
وتوفيقه، وبه نختم العام الرابع من رحلة دلالات للعلوم الإنسانية والتربوية.
إصدار علمي محكم لنشر الأبحاث العلمية الرصينة والدراسات الأصيلة
المنضوية تحت العلوم التربوية وما يتداخل معها من العلوم الإنسانية كافة.
وتسعى هيئة التحرير لمواصلة جهودها في المساهمة بتطوير المعرفة
الإنسانية، من خلال نشر البحوث القيمة، وتوجيه النصح للباحثين ومراجعة
بحوثهم وتطويرها عن طريق لجنة استشارية من خيرة المحكمين الذين
تم اختيارهم من مختلف مؤسسات البحث العلمي ومن كل أنحاء العالم العربي.
وإذ نضع هذا العدد بين يدي باحثينا الكرام والقراء الأعزاء، نعد بمواصلة
العمل وبذل الجهد لتواصل دلالات مسيرتها في خدمة البحث العلمي.

وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير

هيئة التحرير

جدل النوع والوعي المصطلحي دراسة في بنية الخطاب الثقافي لألف ليلة وليلة

د حمدي النورج

أستاذ مساعد النقد الأدبي وتحليل الخطاب
المعهد العالي للنقد الفني- أكاديمية الفنون بالقاهرة

القبول: 1.11.2024

الاستلام: 2.10.2024

المستخلص:

اهتم البحث بدراسة حركة النوع داخل بنية سردية كبرى وهي " ألف ليلة وليلة" وذلك عبر الوقوف على مدخلين مهمين. يختص الأول بدراسة فعل التلقي، وقياس القصدية في بنية الليالي حال تكونها الشفاهي في مرحلة ما قبل التدوين، ثم كيف وقع التلقي العربي لها، قياساً بهذا الاحتفاء المبالغ فيه من الثقافة الغربية، التي فعلت حضورها بقوة داخل حركتها الثقافية والإبداعية حتى الآن. أما المدخل الثاني فيهتم ببحث فعل الإطار وبنية الحكى، وليس القصد هنا إعادة دراسة فن الإطار والبنية الدائرية، التي تمتعت بها الليالي، قدر البحث في صور هذا التكون وكيف وقع؟ وفي سبيل تجلية ما سبق يشترك البحث مع العديد من المصطلحات النقدية واللسانية التي تتقاطع مع فعل الإطار والبناء داخل الليالي في حالة اتفاق أو رفض. فقد وقف البحث على جملة مصطلحات قدمها بعض الباحثين في محضر تعليقاتهم على دراسات أخرى. يفترض البحث أيضاً سؤالاً سائراً وهو ما الذي يمكن أن يفيده قارئ الليالي الآن؟ ويبدو السؤال بسيطاً وغير معقول عن حالة سردية عبقرية، لكن كل المدونات السردية قابلة للإفادة، إذ أنها تحوي تراكمات فكرية، وإنتاجاً معرفياً ليس وليد لحظته، بقدر الإفادة من ماضيه، والأخذ من حاضره، والتطلع إلى مستقبله. كتبت الليالي لأنها تحمل ثقافات السابقين، ووعي حاضر المنشئ، وتطلع القادم للتغيير أو الإرشاد أو الرغبة، أو حتى رسم طريق جيد لدور الفن عندما يأخذ من حرفة الحكى وعياً للتغيير والعمل. إن هناك العديد من الأنساق، وربما الصور الذهنية والنمطية القابلة للبحث والدراسة في الليالي. **الكلمات المفتاحية:** الإكراهات النوعية- فكر الاستيعاب- التخيل الكوني- الشفاهية المقيدة.

Research Summary:

This research focuses on studying the movement of genre within the narrative structure of the famous work "One Thousand and One Nights." It approaches this through two main perspectives. The first examines the act of reception and measures intentionality in the structure of the Nights during its oral phase before being written down, then explores how it was received by the Arab world compared to the excessive admiration it received from Western culture, which has significantly influenced its cultural and creative movements to this day.

The second perspective explores the act of framing and the structure of narration. The goal here is not to re-study the art of the frame or the circular structure, which "One Thousand and One Nights" is known for, but rather to examine how this for-

mation occurred. To clarify the above, the research engages with various critical and linguistic terms that intersect with the acts of framing and structure within the Nights, either in agreement or disagreement. The study also explores a set of terms offered by some researchers in their commentary on other studies.

The research also raises a common question: What can a reader of "One Thousand and One Nights" benefit from today? While this question may seem simple or unreasonable given the brilliance of the narrative, all narrative texts are valuable as they contain intellectual accumulations and knowledge production that are not merely products of their time but also valuable for the past, present, and future. The Nights were written because they carry the cultures of past generations, the consciousness of the present creator, and the aspirations for change, guidance, or even a desire to chart a better path for the role of art, especially when it uses the craft of storytelling to inspire change and action.

Keywords: Gender Constraints - Comprehension Thinking - Cosmic Imagining - Restricted Orality.

مقدمة حول حركة النوع⁽¹⁾؛

لا خلاف حول ريادة عمل مثل ألف ليلة وليلة كنوع أدبي خلاق، حقق من الشهرة والريادة الحد الكبير، هذا الذبوع قابله عدد هائل من التأثير والبحث، والدرس النقدي والأكاديمي، بحيث يمكن اعتبار هذه الليالي حقلاً معرفياً قائماً بذاته، يصح أن يطلق عليه "دراسات وبحوث الليالي" بلون من الافتراض والتوجيه. وبحوث الليالي مصطلح قصدت به مجمل الأعمال المتعلقة بألف ليلة وليلة، باعتبارها بنية سردية عجائبية ذات بناء خاص، ولا يقف هذا الحقل المعرفي على الدرس النقدي، بقدر الرغبة في تأسيس مساق معرفي، يختص ببحوث الليالي عامة في حقول المعارف المختلفة. ولا يقف هذا البحث على استجلاء رحلات بعض المصطلحات واختلافها بين باحث وآخر، بل يهتم بعرض جملة من المصطلحات التي يراها ألتصق بباب تخصصها، مع جودة السبك ووضوح المفهوم، مع انطلاقها من جوهر تراثيتها وثقافتها العربية، مما يعني خروجها من رحم ثقافتها لتعبر عن حالات إبداعية وثقافية خاصة بثقافتها، ولم تتشفع بالمصطلح الأجنبي عبر محاولة تقديم ترجمة له أو تفسيراً لتعريفاته ومفاهيمه. وسنقوم في هذه البحث باختيار عدد من المصطلحات عند بعض الباحثين والتي ترتبط بمفهوم السير الشعبية وحكايات الليالي، ثم نعقب على ذلك بالتحليل والبحث، وهذا لون من باب الاختصاص المصطلحي كما جاءت الليالي والسير الشعبية مختصة بأهلها وحضارتها. وتشترك العديد من المصطلحات في خصائصها البنائية، وإن تميزت المفاهيم أو التعريفات المرتبطة بكل مصطلح، حيث يهدف علم المصطلح إلى التخطيط اللغوي المنضبط الذي يؤمن بالتقييس والتنميط، غير أن الصعوبات ماثلة في محاولة إيجاد مصطلحات كافية شافية تضم المفاهيم كافة.

وتدور حركة الاصطلاح أو المصطلح دائماً في دائرة التطور الآخذ في العلوم والمعارف على اتساعها، باعتباره مواضعة على مواضعة، وذلك بعده نقلًا لمواضعات اللغة من مجال استعمالها

(1) للوقوف على حركة النوع تاريخياً انظر. دراسات الدكتورة سهير القلماوي: ألف ليلة وليلة. القاهرة، دار المعارف، د. ت. وفيه حديث عن الكتاب وطبعاته المتتالية. لكن أشهر النسخ هي طبعة بولاق سنة 1835 م، فضلاً عن عدد من المخطوطات الأخرى غير المشورة. وانظر أيضاً دراسة الدكتور محسن مهدي: ألف ليلة وليلة من أصوله العربية الأولى. 1984م. وانظر أيضاً أحمد حسن الزيات: في أصول الأدب. 1935. وانظر أيضاً الدكتور هشام عبد العزيز: ألف ليلة وليلة. القاهرة، دار إضاءات، 2023.

العام إلى مجال أضيق، يكون خاصاً بفرع من فروع المعرفة، غير أن هذا الدوران لا يحقق مطلقاً حجم هذا الاتساع اليومي والنمو اللحظي لعالم المفاهيم، حتى تسبب هذا الاتساع في محاولة الوضع والضبط والتقيد الجماعي والفردي لعالم المفاهيم، وفهم المصطلح هو نصف العلم، عندما يعبر هذا المصطلح عن المفاهيم التي تمثل المعرفة عامة. والمصطلح عمومًا ثمرة من ثمار العلم نفسه، إذ تتركز فيه حصيلة مقولاته، مما يجعله نقطة تركيز ذات توتر دلالي عال، فيمكن عده بحق إفرارًا للمعرفة وأداة لها.⁽²⁾

والمدخل السابق يعد توضيحًا مهمًا حول ضوابط وضع المصطلح، في مقابل طغيان المادة الوصفية لبعض المفاهيم على حساب المادة المصطلحية، وبخاصة في حقل الدراسات النقدية والمهتمة بدراسات الأدب. إن انتهاج علم المصطلح منهج وصفي حال الوضع، سمح لاستراتيجية الوصف بالكثر المعتادة في الكثير من العلوم، وعلى أهمية الأوصاف المقدمة لبعض الظواهر، ومحاولة تعييدها وضبطها يبقى عامل الفردية أو الذاتية المرتبطة بكل باحث هو الضابط الأساس، وليس فقه الاتفاق المصطلحي، حيث إن اضطراب المصطلح يفرغ الدراسات النقدية من جدواها؛ إذ يشوّش المعرفة بدلًا من أن يجليها، وربما يكون مرده التساهل في ضبط تفاصيل المفهوم، واستيعاب آليات تحققه، مما يجعله عرضة للاشتراك مع مفاهيم أخرى مجاورة، فتميع المصطلحات التي تستقل بكل مفهوم.⁽³⁾

ولأن المصطلح يحمل وجهة نظر صاحبه، ومن ثم الوقوع في إسار استلابه، والانتهزام أمام سطوة الحضارة التي نقل عنها، فإن التحري في صك أو تقديم مصطلح عربي أصيل ومؤسس أولى من فتح باب التعريب على مصراعيه. لقد كانت هذه هي وظيفة المجامع العربية ولا تزال، باعتبار أن الوقوف الجد على بنية المصطلحات ومفاهيمها هو في حد ذاته ضبط لكليات المعرفة، وبالرغم من جهود المجامع العربية في تقديم العديد من المصطلحات الخاصة بالعلوم عامة، إلا أن جهود الباحثين الموجودين خارج هيكله المجامع جديرة بالدرس اللغوي والمجمعي الجيد. وأول هذه المساقات المعرفية هي محاولة البحث عن نص معتبر، والذي يقصد به النص الأصلي الخاص بألف ليلة وليلة، والذي يؤرخ مع أول نسخة طبعت بمطبعة بولاق بالقاهرة سنة 1835م، ويمكن تسميته بالنص الأعلى أو النص المسافر، ولا يصف هذا المصطلح نصًا بعينه، ولكن يقصد به مجموعة النصوص التي اكتسبت رسوخًا عالميًا وعربيًا بامتياز، ومن ثم جرى نقلها عبر ثقافات متعددة، وفي أزمنة متتالية. ومن أمثلة النص المعتبر القرآن الكريم والحديث الشريف والكتاب المقدس، ونصوص مثل الطواسين، والرباعيات، والمقابس، والفصوص، وكتب الأصول وكتب التاريخ، وكتاب الأغاني والعقد الفريد، وألف ليلة وليلة وكليدة ودمنة.. وغيرها. لكن هذا التحديد ينطلق في فرضه الأول من موقع زمني، يقيم للإيغال التاريخي دورًا في التحديد. وهذا الأمر على وجاهته يفتح الباب باتساع ملحوظ على العديد من الخطابات، دون النص على أي الفترات الزمانية التي يمكن اعتبار نصوصها نصوصًا معتبرة، وهل يعتبر حقًا المدى التاريخي معيارًا ثابتًا في الحكم على مثل هذه النصوص أو الخطابات، وما الذي يضمن لنا رقي بعض هذه النصوص لو شابت عصورها ألوان الضعف والتدهور والاضطهاد وحكم الفرد؟ والواقع أن بعض هذه الخطابات يجب أن يكون بعيدًا عن جملة الفروض السابقة، مثل القرآن الكريم والحديث الشريف، والتي لم تكتسب رسوخها من الإيغال التاريخي بقدر عامل

(2) عز الدين إسماعيل: جدلية المصطلح الأدبي. القاهرة، علامات. مج 2، ج 8، ص 113.
(3) لؤي على خليل: العجائبي والسرد العربي. بيروت، الدار العربية للعلوم. ناشرون، 2014، ص 29.

القداسة ومشتملاته حول فروض التنزيل والتلقي والمناسبات والأسباب.

لكن هذا الفرض الذي يدعوننا لفعل الانحياز للقرآن الكريم، هو الفعل نفسه الذي يسمح لنا بزيارة العديد من المصنفات التراثية التي اهتمت بالخطاب القرآني، لا في ظروف التكوين كما يسرف البعض، ولكن في ظروف التنزيل، والفرق بعيد بين الاثنين عند حمل كل إجراء على جهة، فالتنزيل مصدر من نزل الشيء ينزله إذا نقله من أعلى إلى أسفل، ومنه تنزيل القرآن، لإنزال جبريل له من رب العالمين العلي الأعلى الكبير المتعال، إلى النبي صلى الله عليه وسلم . قال تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ) (النحل: 102) وقال تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (الشعراء 192-195). وقد يكون التنزيل لغير ذلك من المعاني حسب السياق الذي يرد فيه. لقد عالج صاحب الإلتقان أبواباً مهمة تتعلق بالتنزيل تحت مداخل مختلفة، وربما يحوجنا استدعاء هذه الأبواب والمداخل، للتأكيد على كيفية دوران الخطاب القرآني، ونوعية الدراسات الأولى التي اهتمت به وعلاقته بالواقع الاجتماعي، في تأكيد على التفرّد، بل والاتساق في البحث في نمط فريد لم يسعف العرب ولا غيرهم، التعامل مع نصوص أخرى يمثل هذا التناول، حيث الوقوف على الدقائق والحقائق الخاصة بالتنزيل المبين. وجملة المعارف السابقة، يمكن حملها على أقسام محددة، تتعلق كلها بعالم الخطاب، وحملها أيضاً كقانون ثابت للحكم على درجة الخطابات عامة، لا بافتراض الإيغال التاريخي فقط، ولكن بتحقيق جملة الشروط مثل مكان التنزيل وتوقيته اليومي، سياقية التنزيل، وحركة التنزيل اجتماعياً وعلمياً. أما اختيارنا لفظ النصّ المعّتب فهو يرجع إلى الوصف الذي قدمه علماء الأصول على- الدليل أو النص- بأنه "سائغ"، "معتبر"، أو خلاف ذلك؛ ومرجعه إلى النظر إلى دليبه في أكثر تعريفات الفقهاء والأصوليين، فما بُني على "حجة" معتبرة من حيث الثبوت، أو الدلالة، أو القياس، أو المصلحة، أو الإجماع والآثار، أو العقل والعرف والعادة، فهو قول معتبر، والخلاف الذي أحدثه معترف به. فالخطاب المعّتب تعميماً لهذا الضبط الأصولي، هو الخطاب الذي يملك نوعاً من التأثير، مع تحقيق درجات عليا من الوثوق والاتساق المجتمعي.

المبحث الأول: فعل التلقي وقصديته في ألف ليلة وليلة

(ألف ليلة وليلة)، من النصوص الشائعة والمعتبرة، لكن ليس بنسبة التفصيل السابق في درجات الاعتبار والوثوق، وعندما نقول: (الليالي العربية)، (حكايات شهرزاد)، (حكايات الشرق)، (الليالي)، (ألف ليلة)، (أسمار الليالي)، (الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة) نفهم أنها تنسحب على الليالي، مع التأكيد على أنها الأعمال الأدبية، أما الالتفات النقدي لألف ليلة وليلة، فيمكن اعتبار دراسة بطرس البستاني (1819-1883) والتي نشرها ضمن كتاب (دائرة المعارف" سنة 1881) من أولى الدراسات التي التفتت إلى الليالي في نهاية القرن التاسع عشر، وقد نظر إليها باعتبارها قصصاً وحكايات غريبة، يجب أن يمنع الناشئة من مطالعتها. كانت وجهة نظر البستاني مبنية على فعل التحقيق التاريخي ومدى وقوع الأخبار من عدمها، والفرق بعيد بين الدرس التاريخي والدرس التحليلي، فضلاً عن رفضه لبعض القصص والحكايات التي أغرقت في وصف ليالي السمر والجنس واللهو والشراب، وهو وقت لم يظهر فيه بعد مصطلح العجيب أو فعل التخيل الإبداعي. لقد اعتبر يعقوب صروف (الليالي) كتاباً مضرراً بالفتيان والفتيات، ومن الواجب منع إدخاله إلى المكتبات. ولم يذهب محمد عبده (1849-1905م) بعيداً عن

هذا التوجه الذي بدأه بطرس البستاني، ثم كتب حكمت شريف (1870-1948م) ملخصاً آراء بطرس البستاني مهتماً بفكرة الوقوف على معلومات وافية بشأن مؤلفها الحقيقي، ليجيب العالم الهندي شلبي النعماني: (1857-1914م) في كونها فارسية الأصل محتجاً في ذلك بأقوال المسعودي وابن النديم. وفي عام (1902م) يقسم روجي الخالدي (1864-1913م) جمهور الأدب تقسيماً يقترب مما قدمه محمد عبده (العوام وأهل السوق) (الخواص من علماء الرجال وأدبائهم وأصحاب الذوق منهم في الكلام وفي معانيه) وتحت القسم الأول يدرج المقامات، وإلى الثاني ينسب ألف ليلة وليلة. أما جرجي زيدان (1861-1914م) فانشغل بفكرة الأصل والتبع التاريخي لها، ويرى أنها وصلت إلينا بعد القرن العاشر للهجرة، وأن أكثر زيادتها تمت بمصر. أما مقالة محمد تيمور (1892-1921م) فكانت استعراضاً لجهود السابقين. (مجلة الحقيقة- 1926، ص 202-204). ومن جملة الذين قدموا دراسات ومقالات وإسهامات نقدية عن الليالي (كرم ملحم كرم) (1903-1959م) (أحمد حسن الزيات) (1858-1968م) ووصولاً لدراسة الدكتور سهير القلماوي (1911-1997م). وأول ما يلفت النظر حول هذا المؤلف تعدد نسخته، وتعدد طبعاته، وعدم استحواذ ثقافة ما على أحقية هذا النوع، وإن كانت بيئة الليالي متنوعة بين البيئة العربية والهندية والفارسية، كما يحكم بذلك عالم دينامية النصوص. ولعل السابق بإيجاز هو ما يؤكد على انحياض هذا النوع من الحكايات بالمعنى الرسمي إلى حكايات شعبية، والفرق واضح جلي بين النوعين. وكما لكل منا تاريخه البشري الواقعي، تبدو الحكايات منسوبة لأصحابها، إلا ألف ليلة وليلة، التي تعدد انتسابها، وخفي الوجه الحقيقي لصاحبها. والسؤال الأهم الذي يتبادر إلى الذهن هنا، ليس انتساب الليالي بقدر ما هو من أول صاحب نسخة؟ وكيف جمعها؟ وما المنطق المتبع في ذلك؟ وحتى الآن لم يثبت تاريخ توثيق لهذه الليالي التي صيغت على ألسنة المهمشين والحكاكين، وأبناء الليالي في السمر والترويح، وهو أمر يمكن دراسته تحت ما يسمى بمصطلح التكوين السيري، ويقصد به الزمان الذي استغرقت سيرة شعبية ما لتتكون وفق الظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ساعدت وأثرت في تكوين هذه السيرة.⁽⁴⁾

ولا تستوي غالبية النصوص في ذلك، وإنما مدار ذلك أن تحمل هذه النصوص في داخلها سلوكاً تنموياً يبدأ من فكرة النواة ثم تنطلق في حالة من الاتساع والتطور مثل ما نلاحظه في حكايات ألف ليلة وليلة، وبعض السير الشعبية. وعلى مدار سنوات نصف قرن فاصلة بين أولى المقاربات العربية الحديثة لكتاب (ألف ليلة وليلة) أي إشارات بطرس البستاني، والشيخ محمد عبده (1881م)، وظهور أول دراسة نقدية قائمة بذاتها و متمحورة كلياً حول هذا الكتاب- أي محاضرة أحمد حسن الزيات عام (1932م)، فإن المواكبة النقدية لليالي لا تكاد تناهز العشر مقالات. على الرغم من أن الفترة ذاتها، وتلك التي سبقتها قد شهدتا ظهور أهم وأبرز طبعات الكتاب. بيد أن هذه الحال لن تلبث أن تتبدل مع ظهور أول دراسة أكاديمية عربية لليالي؛ ألا وهي أطروحة الدكتوراه التي ناقشتها سهير القلماوي عام 1941م، بإشراف الدكتور طه حسين، وصدرت طبعاتها الأولى بعد ذلك بعامين. تقسم (ألف ليلة وليلة) مستوى التلقي إلى فريقين، وهو تقسيم حيادي بامتياز، لو اعتبرنا سنوات تشكله قديماً. ولما ناله التدوين والتوثيق، انتقل من مستوى التهميش إلى المستوى الرسمي، ومعنى ذلك أن التدوين يرفع من قيمة النصوص عند أصحاب التلقي الرسمي، ولو عدنا للوراء لقلنا إن النص (ألف ليلة وليلة) استمر هامشياً،

(4) هشام عبد العزيز: ألف ليلة وليلة. القاهرة، دار إضاءات، 2023، ص 84.

بعيداً عن سلوك الرقابة، وبعيداً عن المحاذير المجتمعية (الدين - السياسة - الجنس) ومن ثم تنضح الليالي بالبعد المعتزلي في النصوص والحكم والانتصار أحياناً للعقل، حتى ولو بلسان العامة على حساب البعد المؤمن بحدود النقل وقدسيتها، ومثله تماماً تنضح بالنقد السياسي الخفي والظاهر، الذي ناله بعض من الترميز الملغز في (كليلة ودمنة)، ومثله أيضاً عدم التحرج من سوق خطاب الجنس أو الغزل الصريح المادي، ما دام أنه للتخفيف والسمر، وجلسات الشراب، ويقع في مثل هذه الأوقات والمناسبات أكثر مما حكي في الليالي.

السابق بالتأكيد يفتح البحث العلمي الجاد، على إعادة قراءة الليالي من منظور الأبعاد الثلاثة على صراحتها، مع قياس زمن تحركها وصياغتها، وإذا كنا نبحت عن تاريخ للفكر، فمن المهم أن نرصد تردد أصداء هذا الفكر في متوننا السردية الكبرى. إن صياغة الأفكار الكبرى تبدأ من أذهان الفلاسفة والمفكرين والكتاب، لكنها لا تتشكل مطلقاً بعيداً عن جوهر بعثها، وهي الحالة المجتمعية والظرف السياسي والتاريخ الذي خرج من رحمها مثل هذا الفكر. ولا اعتراض في كون (ألف ليلة وليلة) حافلة بمنطق التهميش، فإن جل الأفكار لم تخرج إلا من رحم هؤلاء الذين اشتبكوا مع غيرهم في مرجل الحياة، ومن ثم تشكلت رؤاهم الفكرية والفلسفية، فالفكر ابن مجتمعه. إن تحديد ثنائية المتن والهامش في الخطاب الأدبي عموماً تأتي وفق النسق الثقافي ومحدداته الاجتماعية الثابتة، ومرتكزاته التي يصيغها في صورة أعراف وقوانين؛ بحيث يمثل المتن الخطاب الرسمي للأغلبية والسائد مجتمعياً، ويكون الهامش هو خطاب الأقلية المجابهة له والمنحرف عنه، لكن ألف ليلة وليلة لم تقع في فعل المجابهة الحاد بين تنازع خطابين سائرين، أقصد الخطاب الرسمي للأغلبية في مقابل خطاب الأقلية.

الراوي / (المؤدي-السارد- الشاعر- ابن الساحة- الصيبت- المنشد) كلها مصطلحات يقصد بها راوي السير الشعبية والليالي قبل التدوين. لكن لماذا كان هذا الراوي العليم هو السيد الأول في بنية هذه الليالي؟ في قياس عوامل التشابه في هذه الليالي كلها، يمكن القول إنها تتشابه في تقسيم القصص إلى ليال. وإن اختلف هذا التقسيم اختلافاً ظاهرياً، ففي حين تبدو إلياذة هوميروس موضوعاً واحداً، له وحدته التي تعين على نقده وتحليله، ومؤلف واحد هو هوميروس، وزمان واحد وبيئة واحدة، تأتي (ألف ليلة وليلة) لتناقض ذلك تماماً، فليس لها مؤلف، وليس لها ترانبات زمني محدد، وليس لها مستوى لغوي واحد، وليس لها موطن واحد، ولا اسم قاص واحد مما ألفوا قصصها. إن الإطار هو البطل. والراوي- أي راو- هو الذي يمسك بخيط الحكى. يقال إن ثقافة الراوي العليم في النصوص قد ناسبت فترة زمنية معينة، وإن كانت مستمرة حتى الآن- الراوي العليم هو العالم بكل شيء، وهو المسيطر على معظم القصص التقليدية في الوطن العربي حتى الآن، ويمكن تفسير ذلك بكون القصة العربية لا تزال تحتفظ بقايا الشفوية، فالراوي في الأدب الشعبي الشفاهي يستخدم الراوي العليم للإيهام بصدق الأحداث وواقعيتها، لأنه يمتلك القدرة على إقناع القارئ أو إيهامه، بأنه صادق عن طريق كثرة المعلومات التي يعرفها، وهذه حيلة خطابية قديمة أشار إليها الفارابي في معرض حديثه عن الوسائل التي يستخدمها الخطيب، لإقناع المستمعين بصدق ما يقول⁽⁵⁾. ولأن الحاكم يعرف كل شيء، فإن الراوي يعرف أيضاً كل شيء، ومن ثم تأثر وجود الراوي العليم بوجود نوعية الحكام، لكن هذا التبرير يبدو غير منطقي، فقد ظهر الراوي العليم في أوروبا ولا

(5) الفارابي: تلخيص كتاب الخطابة، ص25 وما بعدها. وانظر عبد الرحيم الكردي، ص 102.

يزال، كما أنه لا يزال سائراً في الإبداع العربي حتى تاريخه. وربما القياس على عامل التأثير والتأثر بمنطق الفن، أولى من قياسه بمنطق الأيديولوجيا، وإنما هي تقنيات بنائية يلجأ إليها المبدع عنوة بلا استعداد.

وإذا كان الانطلاق من الحكاية الشفاهية، فإن النمط الأدائي هو الذي سمح بذلك، فالمؤدي أو السارد أو الشاعر أو الفنان أو ابن الساحة أو الشيخ أو قصاص المسجد، أو حكي صبيان الكتاب، أو حكي الطريقة، هو الذي يملك الخطاب بكل تفاصيله، أقصد الحكاية وأصلها، ومن ثم له أن يستحضر الأنا، وفي ذلك إحالة إلى نفسه، ومن ثم تتم محاكمته بمنطق الاختلاق أو الكذب، أو صدقية ما يقول، والانطلاق من فن الحكي إلى فن التوثيق الدقيق شفاهياً، وهو لم يحدث قديماً.

يستعيب الفنان إذا عن توريث الأنا بفن ابتكار الراوي العليم الذي سيتبدل مكانه قطعاً بين حضور الشخصيات، ومروياتها المتعددة داخل الأعمال، وبخاصة (ألف ليلة وليلة). إنه الهروب الواهي من جوهر المسألة، ومثله الفن البليغ في كيفية كسب اهتمام المتلقي. وأن تحكي عن نفسك مدعاة للنفور، وأن تحكي عن الآخرين باباً للوصول قطعاً، لا تنطلق شهرزاد من بنية اليقين الإخباري بالفعل القولي الثابت (حدث كذا يوم كذا) لكنها تنطلق من بنية الزعم والتشكيك، والإسناد الواهي عبر جمل من الصيغ السردية الثابتة والمتنوعة: (بلغني- زعموا- يحكى.. إلخ).

التدوين المهميت؛ يورد عبد العزيز هذا المصطلح في سياق تفريقه بين النص والخطاب، والذي ذهب إلى التفريق بينهما اعتماداً على استقراء مفهوم السير تاريخياً ودينياً وثقافياً، وأقصد بثقافة هنا موقع السير بين حركة النوع الأدبي (الرسمي حيث السير الذاتية والغيرية- والشعبي حيث السير الشعبية). أما التدوين المهميت عنده فيقصد به التدوين الذي تم منذ مطلع القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين والتي يراها خطوة شديدة الأهمية في تنصيب السير الشعبية ومثلها ما وقع لليالي⁽⁶⁾. وصل إلينا الكتاب شفاهة عن طريق الرواة، ويفعل التدوين تلقينا الكتاب مترجماً من نسخة فارسية أو أي نسخة أخرى، ولم يجلس إليه راو عربي ليقصه شفاهة أو حكياً بل تمت قراءة الكتاب، ثم جلس القصاص يحكون الليالي واحدة تلو الأخرى، ومعنى ذلك أن الليالي خضعت لبلاغة الراوي أو القاص عندما كان يقدم أو يوجد في كل حكاية. وهذا الكتاب ناله النمو القصصي، وهو معنى أراه يحمل ميزة لا تتحقق للعديد من النصوص، وهي مسألة النمو القصصي في المتن، في مقابل هذا النمو الذي نراه في الهامش، والمعنى أن هناك فرقاً مهماً في (ليالي ألف ليلة) التي ضمت إلى متونها متوناً أخرى تمثل كتباً بعينها مثل قصة السندباد وقصة شماس، فقد نص المسعودي (283هـ- 346هـ) في الإشارة التي أشارها إلى الليالي على وجود مثل هذه القصص في كتب مستقلة⁽⁷⁾. أما الشفاهية المقيدة فهو مصطلح أطلقته بلانش بنفيسست وأورده لطيف زيتوني، وتقصد به الشفاهية ذات الطابع الرسمي التي تطفئ فيها العلاقة بالمخاطب على كلام المتكلم وظروفه وسياقه. ويقصد به مراعاة ظروف المتلقي ورتبته الاجتماعية. وقد أوردت هذا المصطلح لأنه يصلح مدخلاً للتفريق بين أنماط أداء رواية السير الشعبية. أما الشفاهية المنطلقة: فتقصد

(6) السابق، ص 83.

(7) سهير القلماوي، ص 76.

به الشفاهية المنطلقة الحرة التي تظهر في الكلام، والتي تتم في أنماط الحوار غير الرسمي.⁽⁸⁾ وما دام أن الشفاهية كانت البداية في المتون السردية الأولى للحضارات كافة، فهذا معناه أن هناك متوناً سردية سمحت بالإضافة إلى المتن الأصلي مثل (ألف ليلة وليلة) ومتوناً كبرى رفضت مثل هذه الإضافات، لكنها سمحت بالفعل نفسه، لينمو الهامش على حساب المتن، وليخضع هذا الهامش لفضل النمو والتطور على حساب المتن الثابت، الذي تحول نفسه إلى قواعد كلية صارمة، لا ينبغي العبث بها مطلقاً مثل الحديث الشريف. والمعنى السابق يفتح الباب حول بحث أنماط الذين أضافوا للمتن الذي تكور وتحجم، على حساب هذا الإيجاز في المتن الذي يعد بوابة راشدة، وملهمة للكثير من القضايا. لقد مارسنا انحيازاً للهامش على حساب المتن في بعض السرد، ومارسنا الانحياز نفسه للمتون دون هوامش في سرديات أخرى، وهذا الدور نفسه يحدد النوعية السردية التي تقبل ذلك وترفض هذا. هل يسمح النوع نفسه بالإضافة أقصد (ألف ليلة وليلة)؟ كانت بالإضافة في المتن لأن النوع نفسه ابتعد عن فعل الرقابة الدينية والسياسية أو الاجتماعية عامة، ولم تخضع الإضافات لفعل الانتخاب أو الترميم، وأصبح هذا النوع مثلما هو وعاء للقصص والحكايات والنصائح، أصبح وعاء للشعر والتاريخ والنوادر، لكن في إطارها غير الرسمي، حتى أن بعض الحكايات جاءت مكررة، وقصصاً ناقصة، وقصصاً حكيت في غير مقصدها.

لقد كان العلماء العرب يملكون وعياً عندما جعلوا لكل كتاب سيرة حياة من المتن حتى الهامش، حتى أنهم أضافوا لبعض المصنفات هوامش، وأضافوا على الهوامش حواشي وشروحات، وسمحوا بانتخاب البعض، وعدم السماح مطلقاً بالتعامل مع غيرها بحرية وانطلاق، ولو وقع ما وجدنا بين أيدينا الآن ما نوثق به صحة قولنا وحضورنا الرائع القديم. وكما لكل كتاب سيرة حياة، فلكل كتاب جمهور وعلماء يقومون على خدمته وحفظه، وإن تنوعت الوسائل، عرفوا أن (ألف ليلة وليلة) تقوم على فعل التخيل، فتركوا لكل راو أو قاص أن يتخيل ما يشاء، ويضيف ما يحب، مادام أن فعله هذا لن يؤدي إلى تأثير على متون أخرى في حالة من التوثيق الأعلى، لأنها بعيدة عن فعل الخيال، إنها متون جاءت موثقة من مصدر أساس واضح.

هذه المتون الكبرى تتوزع درجاتها استعلاء ورقياً مثل القرآن الكريم، والحديث الشريف ثم الشعر، وألف ليلة وليلة، وأيام العرب، والملاحم والقصص المنثورة في السرديات العربية كلها، إننا نبحت هنا عن عنصر اتحاد أوجد هذه السرديات، وله التأثير البالغ في نموها وازدهارها، وإذا كان القرآن الكريم قد امتلك القدسية والتنزيه، فهذا معناه أيضاً أنه أثر تأثيراً كبيراً عندما علم هذه الثقافات العربية بنية الإطار الحاكم، أي بنية الحكيم، أي كيف تحكي داخل إطار، حكي يراعي الواقع ويتشكل معه، كان القص والإخبار والبنيات النوعية السردية حاضرة ولا تزال، ومن ثم ظهر الحضور في تشكل نص (ألف ليلة وليلة) الذي ابتكر لابن الواقع إطاراً عاماً يسمح فيه بالحكي والإخبار، لكننا فقدنا شغفاً مهماً عندما قيد بالتدوين، وكسبنا فناً رائعاً عندما احتفى بواقعه، لم يكن تأثير القرآن الكريم فقط على مستوى حرفة القص وابتكار الإطار المتوالي لبلاغة القص، لكنه أيضاً عزز فكرة احتواء المتن ورسوخه وثباته، في مقابل مطلق الحرية السائد في التعامل مع الهامش، كأنه احتفظ بما نزل من اللوح المحفوظ ثابتاً راسخاً بكل حضوره في حدود تعزيز المتن واستوائه، وفرض كلياته الكبرى المتنوعة بين ضوابط

(8) لطيف زيتوني: شعرية الحوار. مجلة فصول. ع 98. ص 79. سنة 2017.

الإحكام والاحتكام، وترك للمتلقين مساحة التأويل والتفسير. لقد مثل القرآن على حضوره إطاراً مرجعياً ثابتاً لبنية الثقافة العربية، ولا عجب أن نجد هذا الإطار متجلياً في الليالي بصورة أكثر وضوحاً عندما نمارس نوعاً من نقد خطاب الشر أو الخوف أو حتى الغيبيات جميعها.

إن أجل ما يمكن أن يمتدح به تراثنا العربي هو فكرة التدوين التي واكبت هذه النقلة العقلية العربية، وبالرغم من فعل الابتكار الخاص بجوهر القبول والرفض حول المرويات والأحاديث، ومدى اعتبار معيار صحة القبول والرفض مرتبطاً بأذهان وقواعد بعض الثقات، إلا أنه عمل وضع حدّاً لطغيان فعل الهامش على المتن الرسمي، ومن ثم ضياع الكليات الثابتة ومنظومة الأخلاق، والقيم والقواعد التي وضعت للإنسانية كلها، لا لأبناء الحضارة الإسلامية فقط، لاسيما وقد أوضحننا لماذا يعد هذا العمل مقبولاً في هذا ويرفض في ذلك؟

ينتخب البعض أحد المرويات التي يراها ناظمة لحركة التدوين العربي، ومن ثم ينطلق لمناقشتها موضعاً كيف كانت فكرة التدوين، وما مدى تأثيرها على بنية العقل العربي معها: (وفي سنة مائة وثلاثة وأربعين شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقهِ والتفسير، فصنّف ابن جريج بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة، وحماد بن سلمة وغيرهما في البصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنّف ابن إسحاق المغازي، وصنّف أبو حنيفة الفقهِ والرأي. إلى أن قال: وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة.⁽⁹⁾

ويفرض تأخر عصر التدوين إلى عام 143هـ من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو لا يعد طعنًا في سلامة عملية التدوين، إذ أن باعثها الأساسي الحفاظ على المرويات الصحيحة التي صحت عن رسول لله صلى الله عليه وسلم، فالتدوين غير الجمع، ولا يمنع قيام التدوين عدم وجود صحف دونت فيها بعض الأحاديث، لكن التدوين لا يقصد به مطلق الكتابة بقدر إعمال الضوابط العلمية في كل المرويات على نحو من شروط العلم الصحيح. وهذه الليالي بالرغم من شهرتها الآن، وانتشارها على نحو واسع طباعة ودراسة ومطالعة، قابلها جمهور من المعترضين يملكون حيثية دينية راسخة في بنية الثقافة العربية من هؤلاء بطرس البستاني (1819-1883م): (وألف ليلة وليلة ويسميه الإفرنج الليالي العربية أيضاً هو تأليف محتو على قصص كثيرة غريبة وحوادث عجيبة وروايات مبهجة، وهو منشور بين أمم الأرض ومشهور عندها شهرة ليست لتأليف آخر من تأليف البشر، وكما أن العرب في آسيا وإفريقية يسرون بتلاوته واستماعه في بيوتهم والقهوات، كذلك يسر أهل أوروبا وأميركا في كل الجهات وأهل الهند وغيرها في مطالعة غرائب، والوقوف على أخباره المكتوبة، كتابة تلذ للطح البشري الذي يميل إلى الغرام والحب إلى مطالعة الصدق والاتفاقات المدهشة، والإجراءات الدالة على الشجاعة والبطش، واختلاف أوصافه، ومع أنه محتو على فوائد كثيرة من جهة أوصاف البلدان والأفراد فيه من السفاهة والفساد ما يجعله كتاباً مضرراً جداً بالفتيان والفتيات، بل بجميع البشر ولذلك من الواجب منع إدخاله إلى المكاتب، ولئن كان فيه من الحكمة والحيل وغير ذلك ما يفيد المطالع ويقوي تصوراتهِ، ويبين له من أحوال البشر ما ربما كان لا يقدر أن يقف عليه، ولو صرف عشر سنوات في اختباره، وما دام في العالم من يحب يكون ذلك الكتاب محبوباً فيه.

(9) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص 261. وانظر عبد الجباري: تكوين العقل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009 ص. 63.

وقد ترجمه الأوروبيون كما ترجمه غيرهم من الأمم الشرقية، غير أنهم نسخوا منه السفاهة في بعض الترجمات، ومترجمه إلى لغة أوروبية هو رجل فرنساوي اسمه أنطوان كالان ولد في رولد من بيكاردي سنة 1646 للميلاد.⁽¹⁰⁾

والشيخ محمد عبده (1805 - 1849م) الذي كتب في جريدة الوقائع المصرية مقالاً يصنف فيه الكتب التي كان يقرؤها المصريون موزعاً إياها على خمسة أصناف (الكتب النقلية الدينية)، (الكتب العقلية الحكمية)، (الكتب الأدبية)، (كتب الأكاذيب الصرفة)، و(كتب الخرافات). أما ألف ليلة وليلة، فبردها إلى الصنف الرابع دون تصريح على النحو التالي: "ومنها كتب الأكاذيب الصرفة، وهي ما يذكر فيها تاريخ أقوام على غير الواقع، وتارة تكون بعبارة سخيفة مخللة بقوانين اللغة، ومن هذا القبيل كتب أبو زيد وعنتر عبس وإبراهيم بن حسن والظاهر بيبرس، والمشتغلون بهذا القسم أكثر من الكثير، وقد طبعت كتبه عندنا مئات مرات، ونفق سوقها ولم يكن بين الطبعة والثانية إلا زمن قليل".⁽¹¹⁾

لقد كان محمد عبده متأثراً في وجهة نظره هذه بابن تيمية (1263-1238هـ) في فتاواه حول كتاب "تنقلاات الأنوار" لأحمد بن عبد الله البكري.⁽¹²⁾ "كثر طبع الكتب في هذين القسمين (الخرافات- الأكاذيب الصرفة) حتى انتشرت في سائر جهات القطر، واشتغل بمطالعتها كثير من الأهلين، فإذا شب الولد، ومالت نفسه إلى المطالعة في الكتب، لم يجد أمامه إلا أصناف هذه الكتب الكاذبة أو الخرافية، فيجهد نفسه في قراءتها فيشيب، وهي بين يديه ويموت، وهو معتقد لما فيها من الأضاليل، ونجم عن ذلك انغماس الغالب في ظلم الجهالات، وانحطاطهم عن درجات الكمالات، وهذا من أضر المؤثرات في تأخر البلاد، وبقائها في حضرة الهمجية والاختوشان، ولهذا فإن الحكومة السنية قد وجهت عنايتها إلى تطهير البلاد من هذه الأمراض المعدية السريعة الانتقال، فصدرت أوامر نظارة الداخلية الجليلة بالحجر على طبع الكتب المضرة بالعقول المخلة بالأداب، وهي كتب القسمين الأخيرين فمن الآن وصاعداً لا يرخص لأية مطبعة أن تطبع من هذا الكتب المضرة شياً، ومن يتعد ذلك يجاز بأشد الجزاء، وستؤخذ الاحتياطات اللازمة لمنع الاختلاس في هذا الشأن، فعلى الذين يميلون إلى مطالعة مثل هذه الكتب لتسليية النفس، وترويح خاطر أن يستعوضوها بغيرها من الكتب المفيدة الصحيحة، فمن كانت رغبته متجهة إلى كتب أبو زيد، وما معها من الكتب كعنتر عبس وغيرها أن يستبدلها بكتب التاريخ الصحيحة كتاريخ المسعودي، وتاريخ إظهار أنوار الجليل لحضرة رفاعة بيك، وتاريخ الكامل لابن الأثير، وتاريخ الدولة العلية، وكتب القصص الأدبية المترجمة إلى اللغة العربية كقصة التاليماك، والقصة المترجمة في أعداد الأهرام والقصة التي طبعت في مطبعة العصر الجديد، وهي المعنونة بالانتقام وغيرها من بقية الرومانيات العربية الأصل ككتاب كليلة ودمنة وما مثلها من الكتب".⁽¹³⁾

كذلك ينطلق كل من يعقوب صروف (1852-1927م) وجرجي زيدان (1861-1914م) من حالة الرفض المجتمعي مثل هذه اللبالي على مستوى الثقافة الرسمية، ولم يزل هذا الرفض آخذاً في التنامي، واعتبار ألف ليلة وليلة من قبيل حكي الحكواتية حتى دراسة أحمد حسن

(10) بطرس البستاني: ألف ليلة وليلة. ضمن كتاب دائرة المعارف. بيروت 1881.

(11) جريدة الوقائع المصرية. 1881/5/11. ص207-208.

(12) مجموع فتاوى ابن تيمية: تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن القاسم. ج18، 351-354.

(13) جريدة الوقائع المصرية. 1881/5/11. ص207-208.

الزيات (1885-1968م) (ألف ليلة وليلة: تاريخ حياتها) والتي نشرت بمجلة المجمع العلمي العربي (سوريا) سنة 1932. مجلد 12. ع 3-4. حيث يرى أنه: " كتاب شعبي تمثلت فيه طوائف الشعب وطبقاته، وتراءت من خلاله ميوله ونزعاته، وتكلمت فيه أساليبه ولهجاته؛ فهو كالشعب، وكل شيء للشعب قد لقي من جفوة الخاصة وترفع العلية أذىً طويلاً. أغفله الأدب فلم يتحدث عنه، واحتقره الأدباء فلم يبحثوا فيه".⁽¹⁴⁾ وأجل ما في عبارة الزيات هو العبارة الأخيرة التي تختزل الوصف الصريح لمفهوم الأدب الشعبي، بالإضافة إلى سلوك التلقي الذي كان سائداً، ولم يزل الأمر كذلك حتى دراسة سهير القلماوي التي سبقت الإشارة إليها، وبخاصة المقدمة التي كتبها طه حسين واصفاً دراستها بأنها تقع ضمن ما يطلق عليه مصطلح الأدب الشعبي: (الحق أنها لم تكذب بواجازة اليسانس من كلية الآداب حتى أظهرت ميلاً شديداً إلى الفراغ لدراسة الأدب الشعبي، وحتى اضطرت أنا إلى أن أردّها عن هذا الموضوع في تلك الأيام حتى تستكمل ما يحتاج إليه من أداة البحث، ومن الصبر على ما يقتضيه من جهد، وما يستتبعه من مشقة وعناء.. ومنذ ذلك الوقت اختارت من الأدب الشعبي جزءاً من أدق أجزائه، وأشقتها وأشدها عسراً على الباحث والتواء على الدارس، وهو كتاب ألف ليلة وليلة، وقد أرادت سهير القلماوي أن يرتفع الأدب الشعبي إلى حيث يشغل العلماء والباحثين، وحاولت أن ترفع ألف ليلة وليلة أول ما ترفع من ذلك.. وكل ما أتمناه هو أن تكون هذه الخطوة هي الخطوة الأولى لسهير في درس الأدب الشعبي وألا تكون خطوتها الأخيرة).⁽¹⁵⁾

لقد قطع العقل العربي عمراً ممتداً في بحث آثار التأثير والتأثر، وبنى متوناً لإظهار كيف يكون القرآن الكريم حاضراً في السرديات كافة، من إحصاء عدد الآيات، وتأثير القصص القرآني، فيما يعرف أولاً بـفن الاقتباس، ثم تمت معالجته بالتناص لاحقاً، لنكتشف دور القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي في ذلك، لكننا دوماً لم نبحث عن صور ثابتة لشفرة القرآن داخل بناء السرديات الكبرى. وإذا كنا نرى أن الفعل القصدي لم يكن موجوداً في هذا النمو والتغير، الذي واكب الليالي، فإن هذا الأمر لا يمنع كونه عملية إعادة متواصلة ومتكررة، وبكيفية خاصة للتاريخ، فلم تكن مجالس المناظرات والمسامرات سواء في قصور الخلفاء والأمراء، أو في الدور الخاصة والمساجد والمجالس من أجل الترفيه والإمتاع والمؤانسة، إنها وإن كانت كذلك في الظاهر، فلقد كانت في واقع الأمر إعادة متواصلة ومتكررة لكتابة التاريخ، بل إنه نوع من كتابة التاريخ القومي الذي كانت تلتقط عناصره من ذاكرة الآباء وخيال الأبناء.⁽¹⁶⁾

المبحث الثاني: فعل الإطار وبنية الحكى:

من أين تولد فعل الإطار في ألف ليلة وليلة؟ يصف البعض الأدب الرسمي بأنه أدب يكتب بشروط معينة، هذه الشروط جاءت من اتفاق الجماعة الأدبية على ذلك، وهذا ما يمكن أن يسمى بسمات النوع أو قواعد الفن، ومثل هذا الاتفاق لا يقع بين أبناء الأدب الشعبي، لأن القاص يبحث عن الحس الإمتاعى، والأداء المتأثر بتفاعل الجمهور والمشاهدين، ومن ثم يرتفع فعل القاص بكل المقويات الأسلوبية الشفاهية التي تبحث عن تنمية هذا الفعل، وعقد حالات اتصال ناجحة ومؤثرة بين الطرفين، وهنا يأتي فعل اختراق القواعد بمنطق الفن اللحظي لا

(14) أحمد حسن الزيات: في أصول الأدب، محاضرات ومقالات في الأدب العربي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1935، ص 53.

(15) سهير القلماوي: ألف ليلة وليلة القاهرة، دار المعارف، 1998. من مقدمة الطبعة بقلم طه حسين.

(16) محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009، ص 60.

بمنطق الفن المترث، (لكن هذا الفعل على حضوره لا يبتعد مطلقاً عن فن تشييد النصوص للتعبير عن لحظة صيرورة زمنية متصلة بالخطاب والسلطة والتاريخ، ومن ثم فهي مفتوحة على التعديل والتشكيل رغبة في تشكيل الذات والوعي فردياً أو جماعياً⁽¹⁷⁾). كانوا يؤدون فناً غير معترف به على حدود الإطار الرسمي، وكان الفقهاء والمحافظون والرسميون يسردون هذه الأقوال بمنطق الرفض، أو ينكرون على هؤلاء القصاص أو الحكواتية أقوالهم، لكنهم آمنوا بأن المتن السردي الرسمي في مأمون مادام أن فعل التدوين قد وقع له. واتفقوا أيضاً أنه نوع من الجذب والترويج والحكي غير المثمر، أو نوعاً من المكاء والتصديّة، حوله يتحلّق العامة، ويتبادلّه الكبار فكاهة.

تبدأ الليالي بمقدمة بمنطق الفن، لا تعتبر ضمن بنية الكتاب إذ كثيراً ما كان النساخ أو المحققون الذين تولوا الطباعة يضيفون مقدمات من عندهم – القصد هنا المقدمة التي توضع في مفتتح الليالي كلها، مقدمات كتبت على عجلة، تتشعب بمنطق الفائدة، لتكون مقبولة لدى المتلقي، كانت المقدمات مع التدوين أو مع الطباعة، وحتى تاريخه لم تقف على الحدود الفارقة بين بنية المقدمات في النسخ المتناثرة لألف ليلة وليلة. وتحوي المقدمة على التصريح بنص الغرائبية المستملحة، والتي منها تؤخذ العبر، وأن فعل التصديق لأحداثها غير واقع البتة في هذه الليالي إلا على سبيل التسلية، لكن هذه الغرائبية غدت حقيقية الآن، وكانت سبباً في هذا الانطلاق العلمي، فالخيال مطية المعرفة، ومنه يبدأ فعل البحث حتى تاريخه، بالرغم من هذا الرأي الذي يطرحه جاسم الموسوي، والذي يقلل فيه من جدوى حضور الليالي الآن: "ورغم الرواج الذي حظيت به، وبرغم من أن الحكايات ما زالت تقرأ في أوروبا.. إلا أن ذبوعها القديم لم يعد القديم، لم يعد ممكناً في هذا العصر الجحود، حيث نضجت خدمات واتصالات جديدة كان لها شأنها في تحجيم القراءة والاستجابة، ولم تعد شهر زاد مطربة للكبار، وساحرة تفتن الكتاب⁽¹⁸⁾". والحديث هنا عن استحواذ الدرس التاريخي والتوثيقي للحكايات على دراسة البعد الفني والغرائبي داخل الليالي، ولعل أقرب مثال لجودتها قدرتها على صياغة خيال رائع جعلها سبباً في ذهاب العقل إلى مناطق رائعة في الخيال والابتكار. وهنا ينبغي أن نجزأ الأحداث الغرائبية التي وردت بالليالي، فالنزول تحت الأرض، والتغلب على الأمواج، والصعود للسماء، والانتقال من مكان لآخر في غمضة عين، ولعبة اختزال الزمن، وتعدد الأمكنة في مكان واحد، ورؤية الشخص الواحد في أكثر من مكان، وكيف كان الجن يخدم سليمان، والمصباح السحري، وخاتم سليمان. وكلها عجائب ليست محكومة بمنطق العقل، لكن النظر إليها بمنطق العلم يدلنا على أن بعضها في عامل التحقيق لم يعد غريباً، فحالة البث المباشر للعديد من أفعالنا الآن تمثل صدى لهذا الواقع الخيالي الذي حفلت به الليالي، مع ملاحظة الفرق الدقيق بين بنية المجاز اللغوي والخيال الذي يجنح لفرض أساس واقعي على بعضها. فالمجاز مناطه اللغة، ثم الخيال الذي يأخذ من بلاغة هذا المجاز بطرف.

يعتبر الفن بديلاً للحياة عند شهريار، وهو أيضاً سلاح الخلاص عند شهرزاد التي تقبل قوانين اللعبة، فاتحة قصة الإطار عندما تقول لأبيها: "بالله يا أبت زوجني هذا الملك، فإما أن أعيش، وإما أن أكون فداء لبنات المدينة" (فاتحة قصة الإطار) ثم مقوياتها التواصلية داخل بنية القصص (وأين هذا مما سأحدثكم به الليلة المقبلة، إن عشت وأبقاني الملك؟) وإنه – على

(17) شعيب حليفي: الرحلة العربية وصيرورة النوع. مجلة فصول. الهيئة العامة للكتاب. ع98، 2017، ص29.

(18) جاسم الموسوي: ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي. مركز الإنماء القومي. بيروت، ص7.

حد تعبير - نيتشه من الأهمية بمكان بالنسبة إلى مصير شعب، ولمصير الإنسانية أن نبدأ التربية الثقافية من الموقع الصحيح لا من الروح، كما كان يفعل المعتقد المشؤوم للقساوسة وأشباب القساوسة، الموقع الصحيح هو الجسد، والحركات الجسدية، والنظام الغذائي، والحالة الفيزيولوجية. أما البقية، فتتبع.. لذلك سيظل الإغريق الحدث الثقافي الأول في تاريخ الإنسانية؛ كانوا يعرفون، وكانوا يفعلون ما هو ضروري. أما المسيحية، التي كانت تبخس الجسد، فقد كانت أكبر نكبة حلت بالإنسانية إلى حد الآن.⁽¹⁹⁾

الحكايات إذا عند شهرزاد حكاية في مقابل حياة، والحكاية رسوخ فني ناضج وخلاب، فلا ضير أن تكون في مقابل الحياة، حيث يبدو فعل شهرزاد هنا ترديداً استباقياً لما قدمه نيتشه لاحقاً، فورا حرفة الحكيم رؤية ثقافية ناضجة للحياة كما يجلبها نيتشه في نصه السابق. وهكذا ستزداد أهمية الحكاية في أذهان المتلقين، حكاية تنفذ فتاة. كيف ستكون هذه الحكاية؟ وما هي وكيف ستكون سبباً في تعطيل حد السيف؟ إن الملك أيضاً متورط في تفعيل حالة القص، عندما يشارك بهذا القول الذي ينطوي على سلوك الرغبة والوعيد في آن واحد: "والله لأقتلها حتى أسمع حديثها لأنه عجيب"⁽²⁰⁾.

ويستمر فعل السماع والحكي ينمو ليلة بعد ليلة، حتى تكونت الليالي، وتنتهي قصة الإطار بخاتمة عظيمة عندما يتزوج الملك شهرزاد من شهرزاد زوجاً حقيقياً، وتعد الأفراس والليالي الملاح: "فزينوا المدينة زينة عظيمة لم يسبق مثلها، ودقت الطبول.. وأقام الملك هو ودولته في نعمة وسرور، ولذة وحبور حتى آتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات"⁽²¹⁾. لقد كانت هذه هي النهاية السعيدة لشهرزاد التي أضلت الكثير، فقد شغلت أذهاننا عمراً، ولا نزال بحكيها الخلاب الرائع. وهنا يمكن أن نعقد لونا من المقارنة بين موقع الحكايات الدائرية المتولدة داخل النص، وبين الإطار نفسه، وإذا كان هذا هو نوع التلقي الذي يتفاعل به جمهور الرسميين مع حكايات ألف ليلة وليلة، أي بنية الترفع ومن ثم النظر لهذا الفن بلون من الانتقاص، وعدم السماح بدخوله إلى المنتديات الرسمية، وأروقة الحكام، هل معنى ذلك أن العامة كانوا يعتقدون هذا الاعتقاد؟ وأن هذا الأدب ما كتب إلا لأجل التسلية والإمتاع، وأن شهر زاد ما فعلت ذلك إلا بهذا القصد، الحق أن كل الحكايات تحمل بنية عميقة وبنية سطحية، ومعنى ذلك افتتاح دلالاتها سياقياً على الكثير من التفسيرات والتأويلات، وأن هناك العديد من المقاصد من السهل اكتشافها داخل بنية الحكيم الملهمة، وليس هنا القصد نحو الإسقاط على روح عصره، بقدر البحث في الطبائع التي كونت هذا الحكيم وأنتجته. والطرح السابق يقودنا إلى وجوب الالتفات لعمل ثقافتين، الشعبية والرسمية، فالأولى حيوية دائمة التجدد، ولا مركز لها، ولا تعنى بتنظيم نتاجها وتصنيفه وترتيبه وتنظيمه، فالإنتاجات المتنوعة تتجاوز جنباً إلى جنب من دون هيمنة أو تراتب وتكاد تكون متساوية في القيمة بينما تعمل الثانية على العكس من هذا، فهي ذات مركز صلب وتجعل من أولوياتها تصنيف المنتجات وترتيبها وتنظيمها، وإخضاعها لحكم القيمة.⁽²²⁾

وبافتراض حضور الليالي كمثل للأدب الشعبي على حد تعبير طه حسين فما هو موقع

(19) نيتشه: عسق الأوثان، ترجمة علي مصباح، منشورات الجمل، بغداد - بيروت، سنة 2010، ص 162.

(20) ألف ليلة وليلة، مكتبة الحياة، بيروت، ص 15-18.

(21) السابق، ج. 4، ص 447.

(22) عبد الرحيم جبران: الجنس الأدبي: الاصطلاح والنشأة والممارسة. فصول. ع 98، سنة 2017، ص 29.

نصوص أخرى يمكن أن يطلق عليها النصوص المشوشة، وهي تلك النصوص التي تنحاز للجانب الرسمي بناء في مقابل النقد الاجتماعي الشعبي مضموناً مثل فن المقامة، ونصوص البخلاء، والنصوص الساخرة التي تصادفها في كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) للنويري، وأخبار الحمقى، والمغفلين والنساء، والقضاة، هل هذه النصوص كافية لخلق حالة من النقاش حول طبيعتها الإجناسية، ومدى اتصالها بالثقافة الشعبية، وكيف جرى لها هذا التطوير في فقه البناء والترميز والوعي الدلالي، بل لماذا ظلت هذه النصوص منظوراً إليها بعين الريبة، أو بوصفها غير صالحة لأن تمثل الهوية الأسلوبية للذات العربية التي كان الشعر محمداً أساسياً لها، ولذلك يتحصل فهم لماذا كانت بعض النصوص مرتبطة بالأفراد، ولم تتحول إلى خطابات تتصل بالبنى الاجتماعية، ولم لم يحدث التراكم المطلوب الذي يحولها إلى أنواع قارة تفضي إلى طرح إشكالاتها الأجناسية بفهم علاقتها بغيرها من الفنون القولية التخيلية المكرسة.⁽²³⁾

لكن الذين امتلكوا هذا الوعي وعلى رأسهم الجاحظ (159-255هـ) والنويري (ت733هـ) وبديع الزمان الهمداني (358-398هـ)، والذين ينطلقون من رحم الثقافة الرسمية، قادوا عملية تحويل هذا المنتج الثقافي الشعبي، الذي يهدم المقدس، ويتلاعب به إلى منتج فصيح مشبع بالمعيارية، وبالمعجم الذي يفصل بين الحدود ويمنع من تداخلها، لقد حولوا الرؤية التي كانت كامنة خلف هذه الشفاهية إلى رؤية ماثوية ثنائية، تحرص على بقاء الأضداد، فالبخيل مقابل الكريم، والحكمة مقابل الغفلة، ومن ثم ظهرت المصنفات التي اتجهت لفعل التوصيف لجملة من أصحاب الوظائف والحرف، بالإضافة لتقصي صفات البخلاء والحمقى مثل كتاب: (أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي) (510-597هـ) (كتاب البخلاء للجاحظ) (159-255هـ) وكذلك (كتاب اللصوص للجاحظ) وغيرها، ويمكن اعتبار هذا النص الذي يقدمه الجاحظ دليلاً على صدق هذا التصور السابق عندما يصرح بوصف خطابه النادر في كتابه الحيوان: (إن هذا الكلام ليس فيه جد إلا وفيه خلط من هزل، وليس فيه كلام صحيح إلا وإلى جنبه خرافة.. لأن هذا الباب، هكذا يقع).⁽²⁴⁾

وظائف الراوي والإكراهات النوعية:

يقصد بالسابق الشروط الملزمة لدخول أي نص تحت بنية إطار ما، وأقصد بالإطار هنا البناء العام لألف ليلة وليلة، وقدرة هذا النص على قبول الإكراهات النوعية الخاصة بهذا البناء. ويعني بوضوح قدرة النص الكبير أو المسافر أو المؤسس على استيعاب نصوص أخرى ضمن إطاره. أما الشروط فهي الملامح الأساسية المرتبطة بشكل أدبي معين، والتي من دونها لا يمكننا أن نسمي هذا النوع الأدبي باسمه.⁽²⁵⁾ ومثل هذه الشروط تدرس ضمن نظرية الأجناس الأدبية الرسمية مثل المسرحية والرواية والقصة القصيرة وغيرها، وقد حدث ارتحال للمصطلح من حقل نظرية الأدب، وصولاً إلى حقل تحليل الخطاب ثم الدراسات الشعبية. وأول ما يلفت النظر حول وظائف الراوي داخل أي نوع أدبي هو تعدد هذه الوظائف، لأنه لا نستطيع أن نحدد سمات معينة لكل الرواة، ذلك أن رغبة الرواة داخل النصوص تتعدد وتتشكل، فليس الراوي في ألف ليلة وليلة سابقاً يشبه الراوي في كليلة ودمنة، وليس الراوي في القصة القصيرة الفلسفية مثل قصة حي بن يقظان لابن طفيل (ت581هـ) يشبه الراوي في السراب

(23) السابق، ص 30.

(24) الجاحظ: الحيوان، ج2، ص 53.

(25) السابق، ص 47.

عند نجيب محفوظ (1911-2006م). ووظائف الراوي وفق هذا الأساس تبدو متنوعة وامتسعة بلا حوائط. ونظراً لهذا الاتساع، حاول بعض النقاد وضع معايير عامة لهذه الوظائف. يأتي الناقد الروسي فلاديمير بروب (1895-1972م) في طليعة النقاد الذين اهتموا بذلك، وقد حاول وصولاً لتحديد وظائف الراوي محاولة الدمج بين الاتجاه الأسلوبى والاتجاه البنىوي، وقد درس بروب الأجزاء المكونة للحكاية الخرافية، وعلاقة كل جزء بالجزء الآخر دراسة وصفية منهجية، مما يعني اشتغاله بنويماً على سلوك البنية الواحدة في مقابل البنى الأخرى، عندما تتشكل جزئياً ثم تتشكل كلياً، وكما أن اللغة تحمل بنيات أربع هي (البناء الصرفي- البناء الصوتي- البناء النحوي أو التركيبي- البناء الدلالي) ثم هي تتجمع كلها في أشكال تعالقية، كذلك يجب دراسة الحكاية الواحدة عندما تتضافر كل مكوناتها معاً، وهذه البنيات ثابتة، وإن نبت بنية عن أخرى في سلوك القوة والإبانة. ويذكر بروب أن للحكاية الشعبية إحدى وثلاثين وظيفة، وهذه الوظائف لها ترتيب دائم وثابت، ومن ثم فإنه يعد: (كافة الحكايات الخرافية الشعبية طرازاً واحداً من ناحية بنيتها).⁽²⁶⁾ وعلى هذا الأساس يمكن النظر إلى هذه الوظائف من خلال موقعها على أنها ثابتة ثبوت بنية اللغة، في حين تتعدد الطرق التي يأتي من خلالها، ويتم تمثيل الكثير من الأشياء في صورة تنوع أو طرق تتحقق بها هذه البنية، بحيث تبدو الوظائف والبنيات ثابتة، والدلالات والأغراض مختلفة ومتنوعة.

يضع بروب الوظائف للحكاية الخرافية منطلقاً من سلوك الشخصيات داخل الحكاية نفسها، ومن ثم تنوعت الوظائف وتعددت، أما باختين فقد اتجه لدراسة البنية اللغوية للقصة متجهاً من المستوى اللغوي للقصة، وعلى ذلك لا ينبغي النظر لشخصيات القصة على أنها شخصيات حقيقية، هي ذوات متكلمة مادتها الأصوات والكلمات والجمل، إن أهم النتائج التي قدمها باختين عن القصة كونها صراعاً بين أصوات ولهجات، ووفق ذلك فإن باختين يحدد خطاب الراوي داخل الأعمال كونه يؤلف بين الخطابات المتنافرة والأصوات واللهجات، وأنه ينقل كلام الآخرين نقلًا متميزاً، وأنه أحياناً يناقش كلام الشخصيات. الحكايات تقاليد شخصية، كما أن اللغة تقاليد ثقافية تنبى على كثير من التداخلات والمساهمات التي ترتبط زمانياً ومكانياً، هذه التقاليد هي التي تعطي إجابات واضحة حول وظائف الراوي في كل الحكايات. كان جيرار جينت (1930-2018م) أكثر تحديداً عندما فرق بين موقعين، موقع الراوي متمثلاً في القول السردي، وهو العمل الوحيد الذي يقوم به الراوي باعتباره راوياً، وموقع الشخصيات ودورها في الأفعال والأقوال والأفكار الصادرة من الشخصيات، في اللبالي كان الراوي حاضراً حيث وظيفته السردية التي يقوم فيها بفعل الإخبار عن الحكاية، ستظهر أيضاً الإشارات التي قدمها الراوي خلال السرد، كالإشارة إلى انتماء الشخصية وموقعها ومستواها، الراوي في اللبالي ليس واحداً، كما أن وظيفته ليست ثابتة، فهناك الوظيفة السردية، والوظيفة المباشرة، والوظيفة التواصلية، والوظيفة التعبيرية، والوظيفة الأيديولوجية. الراوي إذا وسيلة مصطنعة من قبل كاتب يبث من خلاله رؤاه في صورة اختفاء أو إضواء، هذه الوظيفة لحقها التطور حديثاً، ولا يزال عامل التطور يفعل من آلياتها، وتملك من التأثير جانباً حقيقياً بامتياز. ليس هناك حصر لعدد وظائف الراوي أو أغراضه، كما أنه ليس هناك تبرير ثابت لوجوده داخل النصوص، لكنها آلة قديمة وحديثة.⁽²⁷⁾ تتعقد وظائف الراوي ارتباطاً بالفاعلين داخل

(26) بروب: مورفولوجيا الحكاية الشعبية. ترجمة أبو بكر أحمد. جدة، النادي الأدبي، 1989، ص77.

(27) الكردي: ص59-70.

الحدث الاتصالي أو الروائي، وإجمالاً كل خطاب تتوزع داخله العديد من الوظائف طبقاً لتعدد الفاعلين، فالراوي يمتلك وظائف خاصة داخل الخطاب، والشخصيات أيضاً لها وظائف، حتى الزمان والمكان واللغة التي تقبع في كامنها الأبعاد الأيديولوجية والعوامل التفسيرية الأخرى. يحدد بروب الوظيفة بكونها " فعل شخصية قد حدد من وجهة نظر دلالة في سيرورة الحكاية"⁽²⁸⁾. وهذه الوظيفة تتحدد بوحدات وظيفية يمكن أن تعتبر أصغر وحدة قصصية في الحكاية أو القصة، تفيد معنى يدل على وقوع فعل مسند لفاعل، وهو لا يزال في مرحلة النية أو القصد أو في أثناء تحقيقه أي تنفيذه، أو عدم تنفيذه أو عدم الانتهاء منه.⁽²⁹⁾ يبدو الراوي في الحكاية الخرافية مجهول الهوية، حتى وإن أسند الفعل إلى مؤلف حقيقي، فإن هذا المؤلف أو الكاتب يتخفى وراءه أو افتراضي، فهو أيضاً لا يستطيع فعل المجابهة والحكي، وهذه النقطة بالتحديد تصلح منطلقاً فارقاً وحاداً في بنية الخبر والإخبار التي عني بها الجاحظ قديماً، والذي يبلور المعرفة العلمية عبر ثلاث، الخبر القاهر، والعيان الظاهر، والعقل المستدل، أما عن الخبر القاهر فهي الرواية التي لا شك في صحتها من نوع ما يرويه الرواة الثقة. أما العيان الظاهر فهو المعاينة والتجربة، أما المعاينة فهي تتركز أساساً على ملاحظة الحيوان في طرق عيشه وطباعه. أما العقل المستدل: فهو الحجة النهائية والمرجع الأخير في تصحيح الأخبار وتصويب المعاينة، لأن الحواس تخطئ، فبالعقل يكون اليقين، ويبقى العقل المستدل السلطة الخيرة القادرة على تأسيس المعرفة. إن الكلام عن الراوي لا ينقضي، وسوف يتعدد. الراوي هو الحياة لأنه هو الذي يبني فعل الحكي، والعديد من الخطابات مشحونة بالراوي على تعدده: (أبو قير وأبو صير) رجلان يعيشان في مدينة الإسكندرية، التي تعتبر مدينة قديمة بنيت منذ زمن الإسكندر المقدوني (323-356 ق. م) وهي المدينة التي اكتسبت لونا حضارياً داخل الحكاية، فهي مدينة يسكنها الصناع وأصحاب الحرف، والتجار، وبها العديد من الدكاكين والمراسي والشوارع، وحركة البيع والشراء مستمرة. وبدلنا مفتتح الحكي أيضاً على أصباغ وأقمشة ومأكولات وعلاقات اجتماعية، فضلاً عن الأوصاف الحضارية والمأخوذة من روح البيئة. تقدم شهرزاد وصفاً لشخصية الصباغ، بقولها: " كأنما صدغه منحوت من الجلود، أو مشتق من عتبة كنيسة اليهود لا يستحي من عيبة يفعلها بين الناس" وهذا الوصف يقترن من الصورة الذهنية المترسبة لليهودي في أذهان الجماعة الشعبية في الشرق، وهو قول يحدد أطراف التلقي، ويقطع بعربية بعض هذه الليالي كما سبق إلى ذلك جمهور من الباحثين. إن شهرزاد تقف متصدرة فعل الحكي، لكن هذه الحكاية على طولها تمتلك حيزاً خاصاً عن بقية حكايات (ألف ليلة وليلة) فهي متداخلة في إطار تصاعدي مركب من حكايات مختلفة، ويعيداً عن جوهر بنائها الذي استهلك من دراسات الباحثين الكثير، يبدو هذا الزخم الثقافي والاجتماعي والاقتصادي حاضراً في بنية هذه الحكاية، فواقعية أشخاصها وحضورهم الاجتماعي مهنيًا، يؤكد انطلاقها من الواقع، وأنها تتغير وتتشكل مع حركة الواقع الذي أنتجها، وربما أصابها فعل التغيير الذي يؤدي إلى تعدد طبقات الحكي.

هذا التغيير الذي ينتج أدواراً تعتبر الأحجار الأساسية التي يبني منها الحديث، فالكلمات أو الجمل لا تبني حديثاً بقدر الأدوار والانتقالات، وأن الأدوار التي يلعبها المتكلم أو المستمع ينظر إليها باعتبار أنها "شريكان" يكمل أحدهما الآخر، وأن النشاط نفسه لا يحدده ما أنتج في

(28) مورفولوجيا الخرافة، ص 105.

(29) عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة. الجزائر، 1986، ص 137-138.

النهاية (أي محتوى الكلام) بل تصور المشاركين لما يحدث.⁽³⁰⁾ المتحدث هنا هو الراوي أو المؤدي أو حتى المنشد الشعبي أو شهرزاد على وجه التحقيق في ألف ليلة وليلة، أما المستمع فهو جمهور التلقي الذي ساعد في فعل الانتقالات عبر آليتين، ما يقع داخل البنية في حضورها الآني داخل متن الليالي، ثم جمهور التلقي الذي أوجد ليالي متعددة وأحداثاً مختلفة، تظهر عند مطابقة النسخ بعضها ببعض. لكن الملمح الأخطر عند دراسة ذلك يكمن في كيفية الوصول إلى الصيغ الشفاهية داخل الصيغ الكتابية، ومن ثم دراسة حدود هذه الصيغ ومستواها، وصولاً إلى دراسة المنطق الحضاري الذي كان يقف خلف إنتاج الليالي. وهناك ملمح آخر يجب لفت الأنظار إليه، كانت الليالي ضعيفة التنقل، لكنها كانت حرة غير مقيدة بفعل رقابي، وستظهر ليال جرى فيها التعامل بمنطق الرقابة الأبوية عند النشر لا عن التفاعل الشفاهي، اكتست الليالي أيضاً بالذاتية أو الفعل اللهجي عند الحكيم، لكنها افتقدت للعدد الكبير من الناس مثلما هو الحال الآن، كذلك كان نطاقها المكاني أقل مما هو الآن، إننا عندما نقارن بين (ألف ليلة وليلة) قديماً والآن، نقارن في الآن نفسه بين فعل الشفاهية، ودور الكتابية، ومن ثم سيظهر أن دور الراوي قد أخذ في التقلص، ومن ثم انتفت الذاتية، ولن يكون فعل النصح والإرشاد الذي كان يقوم به الراوي في حالة ثقافية، ونشاط ثقافي بدائي لكنه واضح وموجود الآن. لم تكن ألف ليلة وليلة فعلاً مؤسسياً يتم الاتفاق على إنتاجه، ومن ثم احتوى خطابها على بنية نقد لبعض الظواهر الاجتماعية أو السياسية التي كانت موجودة في عصور إنتاجها.

العجائبي يقابله المصطلح الإنجليزي fantastic انتشر هذا المصطلح في حقل الدراسات الأدبية والشعبية العربية، انتشاراً أدى إلى تقديم ما يقرب من ستة عشر مصطلحاً مترادفاً له (العجائبي- الغرائبية- الفانتاستيك- العجيب - الخارق - الوهمي- الاستهامي- الخوارقي - الخيالي- الغرابة - الفانتازيا- الخرافة- الغريب - المدهش- كتابة العجيب والغريب- اللامعقول..⁽³¹⁾). والعجائبي عند تودوروف يقصد به التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية، فيما يواجه حدثاً فوق طبيعي حسب الظاهر.⁽³²⁾ ويقوم فعل العجيب في السرد، من خلال استدعاء المعقول من طرف السارد أو في أطراف الحكاية، ثم يتصرف فيه بمنطق تفعيل بنية الإدهاش، وإشاعة اللبس عن طريق المخلوقات الطبيعية أو التصرفات الواقعية والكونية، أما غرض التخيل الخفي فهو محاولة استعادة التوازن المفقود في الواقع من خلال فعل التخيل. ويضع تودوروف لتحقيق العجائبي ثلاثة أركان: الأول هو ضرورة اعتبار عالم شخصيات النص عالم أشخاص أحياء، والتردد بين تفسير طبيعي، وتفسير فوق طبيعي للأحداث. والثاني أنه قد يكون التردد محسوساً من قبل شخصية داخل النص، كما هو محسوس من قبل المتلقي. والأخير هو إلحاح تودوروف على ضرورة استبعاد القراءة الرمزية أو الشعرية للنص العجائبي مع ضرورة التنبيه إلى أن الركنين الأول والأخير ضروريان وملزمان، أما الركن الثاني فهو ركن احتمال.⁽³³⁾ لكن القزويني كان أسبق في التعريف بنمط العجائبي في الحكيم، فقد أورد في كتابه (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) أن الغريب كل أمر عجيب، قليل الوقوف عن مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة، وذلك إما من تأثير نفوس قوية

(30) أيرين كلكا نديز: المتحدثون (الأدب وانفجار الحديث) ترجمة خيري دومة. القاهرة، المركز القومي للترجمة. 2016، ص44.

(31) لؤي علي خليل: العجائبي والسرد العربي. بيروت، دار العربية للعلوم. ناشرون، 2014، ص25-26.

(32) تودوروف: مدخل إلى الأدب العجائبي. ص44.

(33) السابق، ص57.

أو تأثير أمور فلكية أو أجرام عنصرية، كل ذلك بقدرة الله تعالى وإرادته".⁽³⁴⁾

ويحيل هذا التعريف للمصطلح على الأحداث بلون من الضرورة، حيث توصف الأحداث بلونها العجائبي، مع استبعاد آلية الترميز التي يمكن تفعيلها في نصوص أخرى. والظن أن الضابط الأولى في اعتبار نص ما عجائبي أو غريب هو مدى تحقق اللامعقول حال التفسير، ففي النص العجائبي يتمثل الجنوح إلى اللامعقول ضابطاً رئيسياً في الحكم مع الحدث، في حين يأتي الغريب من جوف المعقول، وإن اتسم بالندرة في الفعل، فكل ما كان غريباً فهو معقول، وكل ما كان عجائبياً فهو غير معقول، ونستطيع أن نمثل هنا بلونين من الحكى السائر والمشهور، فأغلب حكايات جحا يمكن عدها نصوصاً غرائبية بامتياز، لا ينتهي فيها فعل الواقعية عن المادة السردية، في حين تأتي حكايات مثل حكايات كتاب العظمة عجائبية السرد ذات تجذير متخيل.⁽³⁵⁾ وربما يلتقي ما أقصده بالتخييل الكوني مع ما يطلق عليه العجيب بكل صوره (العجيب المبالغ فيه - العجيب الغريب- العجيب الوسيلى) فالعجيب المبالغ فيه هو توكيد المعطيات الواقعية بالتقزيم أو التضخيم (فالمراد يصل للسماء طولا، والإنسي يعبر البحر ماشيا على الماء) والعجيب الغريب هو كل ظهور يحدث نادرا ويقطع مع المألوف والعادي (مثل الحية نراها على صورتها الواقعية، لكنها تأتي برأس قرد، أو سمكة تطير في الهواء والصواب أن تعوم في الماء) والعجيب الوسيلى ويقصد به توظيف الوسائل للتفعيل مثل توظيف السحر والتمائم بقصد التأثير. (مثل خاتم سليمان في الليالي) لكن الفارق هو قيام كل أجزاء الحكى بالتفعيل التخيلي أو الغرائبي في جوهر الحكاية، فيجب أن تكون المدينة غريبة وغير موجودة مثل مدينة النحاس، ويجب أن يكون سكانها من المردة والشياطين والسلطنين بحضورهم الغرائبي في مدينة متخيلة، كذلك يبني الفعل نفسه على منطق التخيل الذي يسمح بالمراد بفعل ما يقوم به الإنسي مع المبالغة، ويمكن الإنسي من القيام بما يقوم به المراد مع المبالغة أيضاً، أما الاستناد على طرف الواقع ليكون التخيل سليماً، فيحكمه منطق الحكى، وأنماط الاستخدامات اللغوية والأسلوبية، واستراتيجية التداخل بين الأنواع أو مستويات الاستخدام على اتساعها. وفي دراسات التخيل هناك التخيل الواقعي والتاريخي والعلمي، بيد أنني أستطيع أن أضيف هنا مبدأ تخيلياً جديداً، انضردت به الليالي، وهو فعل التخيل الكوني الذي يتعامل مع حالة القص الواحدة بكامل تجلياتها وحالاتها الاتصالية، ففعل التخيل عندما ينطلق لن يستند على رؤية واقع أو ظرف تاريخي، الليالي تبحث في كيفية صناعة تاريخ جديد، وحالة كونية خاصة بقوانينها الثابتة والجديدة، في صورة ليال تماثل تماماً دوائر الفن الواقعي الحقيقي، إن أبلغ ما نراه في ألف ليلة وليلة، عند اعتمادها الفعل العجائبي القدرة على الانفتاح على المسجلات الشعبية، والتاريخية، والثقافية وبخاصة الدينية، وتضمن ذلك كله في إطار حضاري شامل. وفق العديد من البنى الحكائية مثل الحكاية الإطار، الحكاية الخرافية، الرحلة، السيرة الشعبية، الحكاية الشطارية، الحكاية على أسنة الحيوانات، الحكاية الدينية حيث تمتلك كل حكاية سمات بنائية خاصة. وحول ذلك يقدم أيضاً كمال أبو ديب جملة من المصطلحات التي ترقى لمستوى الوصف، لا حالة الضبط المصطلحي الشائع، ذلك أن حالة التتابع لأكثر البنيات التي قدمها لم تنل ذيوماً أو حتى اتفاقاً لغوياً على مفاهيمها، وهي توصيفات تنطلق كلها

(34) القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. ت فاروق أسعد. بيروت. دار الأفاق، 1977، ص38.

(35) كتاب العظمة من الكتب التي وقع الخلاف حول صاحبها. فهناك من ينسبه إلى الأصفهاني (ت396) وهناك من ينسبه إلى أبي حامد الغزالي وهناك من ينسبه إلى ابن أبي الدنيا (ت282هـ) ينظر في تحرير هذه القضية كتاب العظمة: تحقيق رضاء الله المباركفوري. الرياض، دار العاصمة، 1998.

من حقل الدراسات الشعبية، مفعمة بمنطق الذاتية الوصفية الحاضرة، لكنني أراها جديرة بالانتماءات المصطلحي، والنظرة الاعتبارية المهمة عبر جهود الجامع العربية.

الأدب العجائبي أو الأدب الخوارقي، ويقصد به جموح الخيال الذي يخترق حدود المعقول والمنطقي والتاريخي والواقعي، ومخضعاً كل ما في الوجود من الطبيعي إلى الماورائي لقوة واحدة فقط، هي قوة الخيال المبدع المبتكر، الذي يجوب الوجود بإحساس مطلق بالحرية المطلقة.⁽³⁶⁾

أما التعليل التخيلي فهو مصطلح يسنده أبو ديب لعبد القاهر الجرجاني، ويقصد به سرد الخارق المتخيل بوصفه توثيقاً تاريخياً عادياً، عندما يمزج التاريخي بالمتخيل، أو السحري بالواقعي، ولا يكتفي بتفسير الخيال للتاريخ أو الواقع تفسيراً جديداً بل يبتكر التاريخ والواقع، ابتكاراً من أصله وجذره، ثم يدرجه في سياق التاريخي الواقعي ويمزجه بالسحري المتخيل.⁽³⁷⁾ **أما مصطلح تعليق اللاتصديق**، فينسبه أبو ديب للشاعر الإنجليزي كولريج، ويعني رفض الخيال المتجاوز تسليم نفسه لمقاييس المعقولة والتناسق والإمكانية التي يخضع لها الكتاب، ويعني أيضاً ضرورة قبول المقدمات المنطقية التي يدعيها أي كاتب لنفسه والتسليم بنتائجها.⁽³⁸⁾ **أما بنية الدوائر المتعاقبة** فهي البنية السردية المولدة والجوهرية، وعنده أن هذه البنية لا تتألف فقط من حكاية الإطار، كما هو شائع عن بنية ألف ليلة وليلة، أو من حكايات لبابية حصرها الإطار، ففي البناء السردية الذي يتبع نمط بنية الدوائر المتعاقبة، تبرز الدوائر السردية متعاقبة ومتشابكة، متداخلة ومتفاعلة، وفي هذه الدوائر يبرز التعالق بين المسرودات، وتنتقل بعفوية ساخرة من راو إلى راو، ومن قطاع سردي إلى آخر بشكل يؤدي إلى خلق الحس الاحتمالي (الدرامي) من جهة، ويرفع مستوى التأثير والفعل من جهة أخرى عندما يشترك المتلقي نفسه في الدوائر داخل آلية السرد وشبكات المسرود. **أما المفتريات** فينسبه أبو ديب إلى بديع الزمان الهمداني، ويعده رائد المفترين في السرد العربي لبلاغة بنائه السردية العجائبي، ويقصد بهذا المصطلح السرد المخلوق العربي. **والذروة الاحتمالية** عنده هو الحد الفاصل بين التشوق والإملال في البنية السردية عبر تكثيف المكونات العجائبية، وإدخال المخلوقات الغرائبية في نقاط، يبدو بعدها أن عملية السرد ستصل إلى ذروة ما، ويمكن تحملها دون فقدان للتشويق. ويقدم أبو ديب اختصاراً لهذا المصطلح عندما يقترح تسميته بـ"حفنًا" وهو الأحرف الأولى من المفهوم السابق للذروة الاحتمالية، ويبدو أن محاولة تقديم هذا المصطلح تقترب من النموذج الأوربي في صوغ المصطلح. **أما المتلقي التجريدي** عنده، فهو المتلق السلبى لا يشرك حضورياً في المتن الحكائي إلا بالمتلقي والاستماع فقط دون تدخل، ويمثل هذا اللون شهريار في الليالي حيث يمكن أن يستبدل به أي مستمع آخر دون أن يترك ذلك أثراً من أي نوع على النص.⁽³⁹⁾

وجملة المصطلحات السابقة قابلة للاعتبار أو الرفض، نتيجة صدورها من وجهة نظر ذاتية حركها فعل القراءة لليالي، وهي داخلة في مطلق الشرح والتفسير لحالة المتن السردية، مع قبول أو رفض بعضها، مثل المصطلح الأخير الذي يطلقه أبو ديب حول المتلقي التجريدي في النص أو الخطاب، وهو الذي يشار إليه في حالة البناء السردية متناً دون الخوض فيه حكياً، ويمثل على ذلك حضور شخصية شهريار التي لا أراه مطلقاً متلقياً تجريبياً، بل إن

(36) كمال أبو ديب: الأدب العجائبي والعالم الغرائبي. بيروت، دار الساقي، 43.

(37) السابق، ص 8.

(38) السابق، ص 18.

(39) السابق، ص 33-45. بتصرف.

حالة حضوره في مساحة الاستماع الرسمي المحفوف بقوة السلطة، هي التي سمحت بقبول العديد من الحكايات التخيلية، لكن الخوف هو الذي أطلق فعل القول وتأليفه، وهو نفسه الذي أوجد مساحة القول على إطلاقها. فكيف يكون متلقيا تجريديا؟ وهناك حكي الطرقية، حيث يورد عبد العزيز هذا المصطلح، مرجعا أصله إلى أبي العباس بن تيمية الحراني (728هـ) ويقصد بهذا المصطلح الأخبار الكاذبة التي وردت في باب المغازي في السيرة النبوية. والطرقية " من يحكون الأكاذيب الكثيرة من سيرة عنتره والبطال، وإن كان عنتره له سيرة مختصرة، والبطال له سيرة يسيرة، ومثلها حكاية الشطار كأحمد الدنف والزيق المصري. فهذه الغزاة من جنس الحكايات، لم يعرف في شيء من كتب المغازي والسير المعروفة عند أهل العلم ذكر هذه الغزاة.. " وحمل ابن تيمية على الطرقية، يرجع إلى الميدان المعرفي الذي انطلق منه ابن تيمية، للنظر إلى هذه الحكايات التي نظر إليها بمنطق التاريخ والأخبار الصادقة، ولذا نراه يحيل في التدليل على كذب الطرقية إلى كتب المغازي: " لم يعرف في شيء من كتب المغازي، والسير المعروفة عند أهل العلم ذكر هذه الغزاة، ولم يذكرها أئمة هذا الفن فيه، كموسى بن عقبة، وعروة بن الزبير، والزهرى، وابن إسحاق وشيوخه، والواقدي، ويحيى بن سعد الأموي، والوليد بن مسلم⁽⁴⁰⁾."

والمصطلح أو الوصف السابق يفتح الباب لدخول مصطلحات أخرى خاصة بعملية النقل الشفاهي الذي تم للسير الشعبية وحكايات الليالي مثل: (صبيان الكتاب) يقصد بهم صبيان الكتاب الذين يتعلمون علوم القرآن والسنة، لكنهم في مراحلهم الأولى من التعلم، كانت تعرض عليهم نصوص خاصة، ليتمرنوا في القراءة. ووصف صبيان الكتاب هنا لا يعني انتقاصاً ولكنه يعني التأكيد على نوعية النصوص التي توجه لهم. ويقال على الرجل (صاحب سمر) أي قصاص. وهناك (أسمار القصاصين).

يخلق الكلام: يورد عبد العزيز هذا المصطلح اقتباساً أو استعارة من علوم الحديث والرواية أو الجرح والتعديل، ويكسب المصطلح دلالة جديدة غير المعنى الذي وضع له، حيث يحمل المصطلح دلالة سلبية انتقاصية لبعض الرواة الذين يخلقون الكلام، أي يؤلفون ويكذبون ولا يتحرون الدقة في رواية الحديث: "وهذه التعبيرات بقدر ما تقدح في صدقية الرجل، طبقاً لمعايير علوم الحديث، فإنها تقره أكثر لفضاء الإبداع والسرد الأدبي والروائي خاصة.⁽⁴¹⁾

رجل قصصي: أي رجل يمتحن خلق القصص، وكانت السير الشعبية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تنشر وعليها اسم أحد المؤلفين، الذين اشتغلوا برواية السير، مثل اسم الشيخ أحمد بن عبد الله. وما أقصده بعرض مثل هذه المصطلحات، لا الغض من حضورها وأهميتها، لكن حالة الكثرة البائنة في عمليات صنع المصطلح التي ترهق أي مطلق، وتصعب من عملية الفهم والاستمتاع، وبخاصة في حقل الدراسات الشعبية الذي يحتاج إلى تفعيل الدرس النقدي، بالإضافة إلى الدرس العلمي والتحقيقي المهم. وهذه ظاهرة لا تتعلق بألف ليلة وليلة وحدها، لكن تتعلق بالعديد من السرود العربية، لكن ألف ليلة وليلة بما لها من بنيات حكي محكومة جرى النظر إليها، كأنها لا تزيد عن الليلة التي فوق الألف. ومن ثم عولج الأمر بشيء من النهم من قبل المبدعين حول استكمال الليالي أو البناء عليها، أو استلهام أحداثها في بناء عوالم تخيلية أخرى، وهذا الفعل يقع تحت مسمى الإبداع، لكن عالم البحوث الذي

(40) هشام عبد العزيز: مفهوم السيرة الشعبية. القاهرة، حروف للنشر والتوزيع، 2021، ص 19.

(41) السابق، ص 37.

تعلق بهذه الليالي قد تنوع بغية الاستيعاب، ومن ثم عالجت بعض البحوث الأصول التاريخية لليالي من نسخ المخطوطات وغيرها، وهناك البحوث التي اختصت بترجمات الليالي وأثرها على الأدب الغربي، ومنها البحوث التي وقفت عند تأثير الليالي على ظهور الرواية العربية المعاصرة، وهناك البحوث التي اختصت بتحليل الحكايات وطرق البناء.

لكن حرفة الحكى الخادعة ضمنت عالمًا من التلقي الفضفاض، ومن ثم انحازت هذه الليالي لفكر البسطاء وعالمهم وسمرهم المستمر، وربما تكمن خطورة هذا الفعل لو نجحت البحوث اللاحقة، في إيجاد أثر للتوظيف السياسي لهذه الليالي على فكر العامة من قبل الحكام، مثلما وظفت تمامًا سينما الشعب من قبل بعض الحكام. إذا كنا لن نستطيع أن نصل إلى وعي مهم بهذا التوظيف، فمن المهم أن نتجه إلى فهم الواقع من خلال التحليل الاجتماعي والأنثروبولوجي للحكايات، باعتبار أنها وسيلة لفهم العالم الذي أنتجها، ووسيلة مهمة أيضًا لفهم العالم الذي يعيد قراءتها، أم أنها مرجعًا مهمًا من مراجع النهضة العربية المعاصرة.

لقد كان التركيز على الشخصيتين الأساسيتين في الحكايات (شهرزاد- شهريار) مرجعًا لكثير من البحوث العربية والغربية، حيث موقع الحكى، وقضية تحرير المرأة، والنقد النسوي، ليس هذا فحسب، بل حملت هذه القراءات بالعديد من التأويلات المسرفة، لكن وجه الإمتاع في الحكى- أي المعنى الجمالي- أظنه هو الضابط الأهم في هذه الليالي، الذي يمكن قبول هذا الوصف عليها، في كونها حكايات لست موجهة نحو غاية معينة. كما أنها لست غوغائية.

الليالي نوع من الاستعارة الكونية، فالقوة ليست للشخصيات أو الأحداث، بل القوة في جملة هذه العناصر الثانوية، التي تضمها الحكايات، قصص الأشياء والذوات غير البشرية عندما تتحرك في دائرة حكى يشكلها الإنسان وينفعل بها، فالذهب، والخاتم، الفانوس، القمقم، البحار، الطيور، الحب، الحسد، الجمال، العفاريت، الجان، وغيرها من العناصر المكونة للحكاية فواعل نشطة في الحكايات، ولها القدرة على الحضور مرات عديدة في حكايات الليالي لتشارك في أحداث معينة. مثال ذلك الفتاة الطائر.. اليهودي أو المجوس المخادع، جبل (قاف) مجمع البحرين، الأفعى، آثار النبي سليمان..⁽⁴²⁾ إن مجمل هذه الذوات يرجى تفريغها، ومن ثم دراسة منطلق تجليها داخل هذه الليالي. الذوات الفاعلة وأثرها في النمو الحضاري، وكيف تنطلق التصورات عنها من جيل إلى جيل، وهل تخضع لمنطق التطور مثل خضوع اللغة التي حملتها وعبرت عنها؟ ما موقع الخطاب الغيبي والعجائبي الآن؟ وهل فعلاً استطاعت البشرية أن تنتقل من مكان إلى آخر فوق بساط سحري يطير في الهواء، أم أن الواقع لا يزال يحبو وصولاً لمنطق التخيل الذي ألهمت به الليالي عقولنا؟ هل استطاع الإنسان فعلاً أن يبني آلية حجاجية مع كائنات غيبية أخرى؟ كيف استطاعت البشرية الوصول إلى هذا الخيال الرحب والثراء العجائبي؟

ففي الأساطير الإغريقية القديمة - أساطير الآلهة الصغرى⁽⁴³⁾ أخذت قضية الخلق العديد من الافتراضات الأسطورية، ذلك أن معرفة الإله الخالق لم تكن موجودة، ومن ثم اتسع جو الأسطورة وفعل الافتراض التخيلي. خلق الإنسان فرأى الأرض تحته والسماء فوقه، والجبال والمحيطات حوله، والحيوانات والنباتات والبشر، والبرق والرعد والرياح والأمطار. كيف بدأت

(42) جمال الدين بن الشيخ: ألف ليلة وليلة أو القول الأسير. ترجمة محمد برادة وأخرون. القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة. المشروع القومي للترجمة. 1998، ص17.

(43) عبد المعطي شعراوي: أساطير إغريقية. أساطير الآلهة الصغرى. ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1995.

الحياة؟ كيف ولدت المخلوقات؟ من أين جاءت وإلى أين تسير؟ من هنا نشأت القصص حول خلق الكون، قصص لا حصر لها، كل جيل يروي قصة تكشف عن خياله، كل جيل يردد رواية تنم عن فلسفته، كل جيل يتبنى أسطورة تتفق مع عاداته، حتى تعددت الأساطير حول ظهور الكون والعالم. يقال إن الأسطورة البلاسجية أقدم أسطورة إغريقية، وكان تأثيرها واضحاً على ما جاء عند الإغريق فيما بعد.. في بداية الخلق كانت يورونيوم ربة كل شيء. ولدت يورونيوم عاربية، من رحم الخواء خاءوس. لم تجد يورونيوم شيئاً تقف بقدميها عليه. لم تجد شيئاً تتعلق بيديها به، لم تجد من حولها شيئاً، لم تجد سوى الخواء، لم تستطع يورونيوم أن تعيش سابحة في الخواء، بضربة قاسمة من يديها القاطعة، فصلت الماء عن السماء. طفقت ترقص وحيدة. عاربية، فوق سطح الماء تلعو وتهبط مع حركة الأمواج. نشأ خلفها فراغ، كلما تحركت للأمام نشأ خلفها فراغ. حجم الفراغ يزداد، كلما زادت سرعتها زادت سرعة الهواء، أصبح الهواء ريحاً نشطاً عاتياً، طفق الهواء يعدو خلفها. هكذا وجدت يورونيوم مخلوقاً يؤنس وحدتها. ريح الشمال لازمها من حولها. حكمت بجسدها العاري. سرى الدفء في جسد الشمال.. إلخ.⁽⁴⁴⁾ لقد كان هذا تبريراً لمنطق الغرائبية السائد، وكان الجنوح نحو رؤية القدرات المختلفة للأشياء التي نصبت آلهة حاكمة، مثل إله الريح والحب والمطر والغضب والماء، هذا التنصيب يعد تفسيراً مقنعاً في وقته، إذ كيف تفعل النيران هذا الفعل، لو لم تكن آلهة، ومثله الريح بهذه القوة الجبارة الحاضرة. تظن الليالي كلها إلى قدرة الله المسيطرة، والإيمان بوجوده وحضوره الغيبي المطلق، وأنه يقف وراء الأفعال الطيبة، وأما الأشياء الشريرة فمن صنع الأشياء الأخرى. كانت الآلهة الإغريقية واليونانية على حد سواء، لا تقيم لفكرة الإله عدداً عندما وزعوا الأفعال ثم قسموها، كل فعل على إله منفرد، يعبت بالبشر ويذيقهم الهوان، ويتخاصم مع الآلهة الأخرى. لكن هذا الفهم الذي نلمسه في رؤية الله الواحد، في الليالي لا يعطل مطلقاً حرفة الحكي كمنشأ إنساني لا يسمح - طلباً للضن - بالتدخل القدري في أزمة الحل. لكنه في الوقت نفسه يبني الليالي كلها انطلاقاً من فعل الخير في مقابل الشر، وأن استمرار الليالي حتى نهايتها، لا يسمح مطلقاً لفعل الشر أن يظل مسيطراً ومهيمناً، إنها الحياة التي تمنح كل الخيرية للذين يحبون الخير ويحيون به. والظن أن هذا الطرح السابق يصلح مدخلاً للقراءة الجديدة حول تجلي خطاب الشر والخير داخل الليالي، ومن ثم الثنائيات الضدية التي تحكم هذا العالم، ومثله تحكم الحكايات: (الرجل - المرأة) (الملك - الرعية) (العابد - الفاسق) (الشرير - الخير) (أبو صير - أبو قير) (الإنسان - الكائنات الأخرى) (الماء - النار) (الإنسان - الجن).. إلخ. وفكر الاستيعاب الذي بدأت به يعني عدم انتفاء القراءات حول ألف ليلة وليلة، التي أصبحت من النصوص العالمية المسافرة، والتي تسمح بالاقتراب البحثي، ومثله الاقتراب الإبداعي تمثلاً وبناء. وإذا كانت العقلية الغربية قد تجاوزت في منطقتها الغرائبية حدود الليالي عبر إنتاجها الضخم من أفلام الخيال العجائبي، وملاعب السحرة، فإن العقلية العربية الآن لا تزال في مراحلها المبكر نحو كسر هذا التابوه، الذي فرضته التعاليم الدينية على خطاب السحر والسحرة. والحكم بحد القتل على من يقوم بهذا الأفعال. والسابق بالتأكيد ليس دعوة للمشروعية، بل إنني أعتبره إطاراً رحباً لصب العديد من الحكايات العجيبة داخله، ليس بقصد الإلهاء لكنه الخطوة نحو توسيع الملكة التخيلية للمبدعين. ويجب أن نحدد جيداً الفرق بين النهي والقيام بالفعل على حدود النوع،

(44) السابق، ص 17.

من أجل خلق الفن الذي يسمح للقوى الغيبية بالحضور والقيام بالفعل، فاعل تخييلي يحفز حرفة الحكيم ليس إلا. لقد التفت العرب قديماً لهذا الصنعة التي أزلت العديد من الحكايات بالإلهاء والجذب، ومن ثم التعليم والتحفيز، فظهرت حكايات الجن والعفاريت، والمردة، بل إن الفعل نفسه جاء متضمناً في وصف هذه القوة الغيبية التي يمتلكها الجن: (قال عذريت من الجن أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك) (سورة النمل، 39) وليس القصد هنا منطلق القوة، لكن الاحتفاء بالفعل الغرائبي. وإذا كان حد الدين لم يقم مانعاً لتوظيف القوى الغيبية (وهي في الليالي الجن والعفاريت فقط) هل يعني ذلك أن التعامل مع وجود الدين داخل الفن سواء بمنطق التحريم أو الإباحة كان أكثر انفتاحاً قديماً عن هذه الدعوات، التي تشهدها الآن في وضع المحاذير أو التابوهات الثلاثة التي تحجم حرية الإبداع (الدين- السياسة- الجنس)؟ تنطق بنية الليالي بالإجابة في بلاغة الرقي في التعامل مع التابوهات الثلاثة السابقة، بل إن الدين بحضوره الرسمي داخل الليالي يمتلك خطاباً قيمياً ثابتاً بلا إغزاز أو تشويه.

أما السياسة وموقع حركات الساسة فليس موجوداً إلا في حدود تعامل السلاطين والملوك مع الرعية، ومن هم في سدة الحكم، كالوزير، وقائد الجيش، والحاجب، وشيخ التجار، حتى مثلت السياسة كنظام سياسي عام وسائد داخل بنية الليالي، لا تختلف فيه منطقة على أخرى، يقال عن الملك إنه عادل أو ظالم أو لا يظلم عنده أحد، حتى تقوم الأوصاف بالكشف عن سلوك الملوك. أما إذا اختص الحكيم بوزير أو خليفة معروف، فالظن أن الحكم على أدائه السياسي يأتي مجهلاً، وربما يأتي خالياً من فعل النقد أو الانتقاص. ومهما تكن الحكاية في أول أمرها فردية، فهي بفعل الانتقال الشفاهي، ستغدو إنتاجاً جماعياً يحمل العديد من الطبقات والتلويحات طبقاً لسياقية المجتمعات وظروفها.

إن أفضل ما قدمه العقل العربي في عصرنا الحاضر، هي قدرته البليغة على تجميع هذه الليالي وجعلها كلها في (ألف ليلة وليلة). لكن ما الذي يمكن أن يفيد قارئ الليالي الآن؟ يبدو السؤال بسيطاً وغير معقول عن حالة سردية عبقرية، كل المدونات السردية قابلة للإفادة، إذ أنها تحوي تراكمات فكرية، وإنتاجاً معرفياً ليس وليد لحظته، بقدر الإفادة من ماضيه، والأخذ من حاضره، والتطلع إلى مستقبله. كتبت الليالي لأنها تحمل ثقافات السابقين، ووعي حاضر المنشئ، وتطلع القادم للتغيير أو الإرشاد أو الرغبة، أو حتى رسم طريق جيد لدور الفن عندما يأخذ من حرفة الحكيم وعياً للتغيير والعمل.

الخاتمة والنتائج:

باعتبار أن أغلب البحوث التي وقفت على ألف ليلة وليلة تمحورت - كما سبقت الإشارة - حول رغبات تتعلق بحرفة البناء، وغرائبية الحدث، والفاعلات الاجتماعية ودورها في المجتمع، وأبعاد مصطلحية جديدة، فإن أول ما يجب لفت النظر إليه، أن هناك العديد من الأنساق، وربما الصور الذهنية والنمطية القابلة للبحث والدراسة في الليالي. ومثلها هناك من الحرف والصناعات وأنماط الحضارة القابلة أيضاً لفعل الدراسة، بل وهناك من الأشعار والحكايات وآليات الإرسال والتلقي الواقعة في بنيات الحوار داخل الليالي قابلة للفعل البحثي السليم. ومن ثم الوصول لنتائج سليمة وثابتة، بل إن هناك من الإجراءات التي يدلنا اتباعها داخل بنية الليالي على أحوال وظروف المجتمعات، وموقع خطاب السلطة، والمهمش بعيداً عن هذا الإغزاز المتعمد من بنية الإطار المعتمدة، أي أن تحكي شهر زاد ويستمتع إليها شهر يار. إن إطلالة

واحدة على الليالي ستقيم في أذهان المتلقين عالمًا من الصور الذهنية التي تتسرب إلى اللاوعي، وعليه تشكلت الصورة الذهنية الخاصة بالخليفة، والملك، والحاكم، والسلطان، والوزير، والوالي، والتاجر، تلك الصور التي نمت في أذهان الجماعة الشعبية والرسمية، ومن ثم تحركت حدنا إلى حالة غزو ذهني مسلم به دون دخول في التحقق من موقع هذه الصور الذهنية تاريخياً وتوثيقاً أو حتى دينياً. فقد ظهر الخليفة هارون الرشيد مثلاً في حالة ثراء فاحش، وحوله الجوّاري والمعازف والقانيات والحفلات والصخب والشعراء والقادة والفاتحون. ما الذي يمكن أن يكون عليه الحاكم؟ إن صورة الحكام والخلفاء ضربت بها مثلاً للتدليل على صناعة الصور، وتحركها داخل المدونات السرديّة، ومنها (ألف ليلة وليلة) والتي على أساسها تشكلت كتابات الآخرين. هناك العديد من المتخيلات الوهمية والمفاهيم غير السليمة، ومنها منظومة القيم غير الإنسانية الموجودة بالليالي، والتي ستكون منطلقاً للنظر للعقلية العربية من طرف الآخرين حيث سيطرة الهيمنة الأسطورية والفكر الخرافي البدائي على العقل.⁽⁴⁵⁾

وهذا القول لا يعطل من جرعة الاحتفاء والاهتمام، التي نتعامل بها مع الليالي، لكنه يلفت النظر إلى وجوب الحذر عند التناول والتداول، ومن ثم الوعي بحدود الصور الذهنية والنمطية، التي حفلت بها الليالي للعديد من الذوات والأشياء. لقد سبق القول حول أهمية البعد الغرائبي أو العجائبي في الليالي، لكن هذا البعد نفسه لا يجب أن يكون معززاً لهذه الصورة الذهنية، التي تكونت عن العرب قديماً وحديثاً في الفكر الغربي حيث عالم السحر والعجائب، والخوارق، والمعجزات، والاتكاء على التدخل الوهمي، وحله للعديد من المشكلات.

لا يجب التعاطي مع الليالي لا بمنطقها الإيجابي وعالم الاحتفاء السائر لها، لكن النظر إليها باعتبارها مروية كبرى، كانت منبعاً للنهل منها، والأخذ من معطياتها تعزيزاً لرسم صورة ذهنية عن العربي وكيفية التعامل معه. ومثل هذه الرؤى والمعتقدات المركزية شكلت حاجزاً أمام التواصل الحضاري، وإقامة المناقضة الندية، وبناء ركائز حوار الحضارات والأديان، وعرقلة كل دعوات منطق الاستعلاء السائد، هناك العديد من الصور الذهنية والأفكار النمطية، والأحكام الجاهزة على الكثير من منجزات هذا العقل العربي الذي صاغ هذه الليالي. ما المنهج الذي يجب أن نحققه عند التعامل مع الليالي؟

التناول التشريحي القائم على فكر تصنيفي وهو مبدأ أو مهارة مهمة في البحث العلمي، مثل تشريح طبقات الحكام، وتصنيفهم داخل الليالي، وكذلك الوزراء، والسلاطين، والفقهاء والعلماء، وكل ما يدل على ذوات حاضرة لها وجود حقيقي تاريخي وغير تاريخي. وكل ما يقع تحت مسمى الشخصيات في الدراسات النقدية بكل صور حضورها. التناول المكاني اعتماداً على معطيات مناهج الجغرافيا الثقافية، ومن ثم دراسة الحواضر والمدن والبيئات والعواصم والبحار والأنهار، وكل ما يقع داخل بنية الليالي مكانيًا، ومن ثم البحث في تمكن حضورها عربياً أو هندياً.

تحديد الفترات الزمنية التي وقعت فيها أحداث الحكايات، وذلك أن ظهور تاريخ الحدث أو زمنه يعطي كسفاً واضحاً عن مظاهر التطور الحضاري الذي وقع لمثل هذه الحواضر أو البلاد، بالإضافة إلى أفعال المرواحنة التاريخية التي تتم عن حالة الاستيثاق باستفتاء الهوامش في

(45) مكي سعد الله: تمثيلات صورة النبي محمد في كتاب "عظمة رجال الشرق" للامرتين، مقارنة في تصورات التنوير الغربي للغربية. دراسات استشرافية. ع 32، خريف 2022.

الدراسات التاريخية. الأشياء بكامل حضورها، وأقصد بها الموجودات التي وردت داخل الليالي، حيث يمكن تقسيم هذه الموجودات إلى (آلات- أزياء- ألوان- وجبات وأطعمة- حبوب ومزروعات- صناعات وأدوات- الطقوس والعادات). ديوان الأسماء والألقاب وكنية كل اسم، وتمكنها من العربية والأعجمية. والسرود والأجناس والأنواع الأدبية المتداخلة، ويمكن تقسيمها إلى (القرآن الكريم - الأحاديث الشريفة- الشعر العربي- القصص والحكايات المتداخلة- بنية التعبيرات والأمثلة السائرة). وكل مدخل من المداخل السابقة يتطلب وظائف بحثية متعددة، بالإضافة إلى قياس موقع هذه المدونة من المدونات السردية الأخرى، التي تقاطعت معها تاريخياً أو زمانياً، إن تصورنا السابق لا يبتعد عن حركة الأشكال والتقاليد، والمؤسسات التي صوغ من خلالها ويليك ووران مجموعة من البروتوكولات المنهجية النموذجية والإشكالية لدراسة الأنواع الأدبية المعاصرة، حيث يجري في البدء النظر إلى النوع الأدبي على أنه مجموعة من الأعمال الأدبية القائمة نظرياً على الشكل الخارجي (مقياس أو هيكل محدد) والداخل أيضاً (النهج والأسلوب والغرض).. الخ.⁽⁴⁶⁾

ولعله من فضل القول أن ألفت النظر إلى الكشاف المهم الذي وضعه الدكتور هشام عبد العزيز في دراسته: (ألف ليلة وليلة- حكايات أخرى) حيث وضع ما يقرب من تسعة عشر كشافاً أعتقد أنها تصلح كمقدمات لدراسات مسحية متكاملة لليالي، ومن ثم البناء عليها على نحو: (كشاف الآيات القرآنية- كشاف الأحاديث الشريفة- كشاف قوافي الأشعار- كشاف الأمثال والتعبيرات- كشاف الصيغ السردية- ألفاظ السباب- كشاف الأعلام والشخصيات التاريخية- الأماكن والبلدان- العادات والمعتقدات وألفاظ القسم والدعاء- الحيوانات والطيور- الحرف والمهن والأعلام والترتب والوظائف- ألفاظ الحكم- النباتات والأعشاب والأدوية- الأطعمة والمشروبات- المعادن والعملات والسلاح والعدد والأدوات والحلي والزينة- كشاف الأمراض والأوبئة- كشاف الأقمشة، والملابس- الأجناس والأعراق والقبائل- الألوان- الأوزان والمكاييل والمناسبات والأيام- وغيرها.⁽⁴⁷⁾ وفي هذا السياق ألفت النظر أيضاً إلى النتائج الإحصائية التي قدمها سلمان زين الدين حول المدن التاريخية والتخيلية التي وردت بألف ليلة وليلة⁽⁴⁸⁾، مثل: (بغداد/ 10 حكايات- البصرة/ 15 حكاية- القاهرة/ 14 حكاية- دمشق/ 12 حكاية). ولا عبرة بدرس إحصائي دون الوصول لنتائج، لكن يكفي أنها تمثل المدن الحاضرة للمدينة العربية في العصور الوسطى، وكانت العقلية العربية في أوج إشعاعها المعرفي والحضاري حيث تمثل المدن وحضورها أصدق معبر عن الوعي الحضاري، أو أن دراستها تعتبر صورة لحالة النسيج الاجتماعي والثقافي والمعرفي والسياسي والاقتصادي داخل شبكة من العلاقات التي ظهرت ونمت داخل المدن العربية الإسلامية وغير الإسلامية. والسؤال عن جدوى الكشاف التي أعتبرها من أهم النقاط البحثية التي يجب أن يعنى بها محققو التراث بنوعيه الرسمي والشعبي، ذلك أن فائدته لا تكمن فقط في منطلق الاستدلال والاستكشاف عن أماكن التكرارات وعددها، وتنوعها في سياقاتها داخل أي عمل، لكن الأهمية قد نجدها عندما تكشف هذه الكشافات بالبحث المنهجي السليم، على نحو هذا التمثيل في أهمية كشاف الآيات القرآنية داخل الأعمال المحققة، وهي الآلية التي ابتدعها كبار محققو التراث العربي تقديساً للقرآن

(46) فنست ب. لينش: النقد الثقافي. ترجمة هشام زغول. القاهرة. المركز القومي للترجمة، ع3397. 2022، ص104.

(47) هشام عبد العزيز: ألف ليلة وليلة - حكايات أخرى. القاهرة- دار إضاءات. 2023، ص 18-19.

(48) سلمان زين الدين: ألف ليلة وليلة. كتاب الليالي. بيروت، دار الانتشار العربي، 2021.

وخدمة للضراء، لكن جوهر البحث قد يفيدنا لو تم تناول هذه الآيات (الكشاف الدال على الآيات) في ضوء مناهج التفسير المختلفة على نحو الإجابة على السؤال الذي يبدو بسيطاً حول فعل القصصية من اختيار آيات قرآنية معينة، وسياق دورانها داخل بنية الليالي.

ومثل ما قيل عن الآيات القرآنية وموقعها، ودورانها داخل المدونات السردية، يمكن القول أيضاً عن الأحاديث الشريفة، وغيرها الأمثال والحكم والشعر، والمأثورات العربية حيث تنفتح هنا آفاق البحث اعتماداً على رحابة المناهج النقدية الحديثة، عندما نطالع بنية كشاف أحد الأعمال التي تعرضت لبعض نصوص "ألف ليلة وليلة" بالتحقيق⁽⁴⁹⁾. نجد هذه الحرف والآلات التي تدل على نوع الأنشطة التي كانت سائدة في البيئة العربية، أو أن أهل العربية كانوا على علم بها، وسواء الأولى فهي تدل على نوع النشاط، أو الثانية فهي تدل على نوع العلاقات والتبادل والتجارة من ذلك: (آلاتية- اصطكا كار- جراحين- جمال أو جمالة السلطان- جواهرجي- حلاق- خباز- خزندار- خواص- دباح - داية- دق الآلات أي يدق على الآلات الموسيقية - الدلال- كبخانه (مكان تحفظ فيه عدة الخيل)- سردار العسكر- صايغ- الصيد والقنص- الطواشية- صاحب الشرطة- عرض الملك /صوانه- الغواصون- الفلاحون- القارئ- القاصد/الرسول- القاضي- القبطان- القهرمانات/ مديرة البيت- القهوجي- الكشاف- الكمخ (من يقوم بتلميع وتنظيف المعادن)- كيماوي- الملاحون- المواشط (من يتخذن المشط حرفة)- النقيب - الوالي - الوزير . .). إلخ. حيث يمكن إرجاع كل هذه الآلات والمهن استدللاً على حركة المجتمع ونموه وموقعها في السلم الاجتماعي، وكيف تغيرت النظرة أو استقرت لبعض الحرف، والبحث في الأسباب والمعوقات، ولماذا على سبيل المثال اكتسبت مهنة الجراحين هذه الصورة الذهنية في المجتمعات العربية، في حين أن بعض المهن لا تقل أهمية عنها اكتسبت صورة ذهنية أقل، ولماذا اكتسبت مهنة الآلاتية (عارف الموسيقى) هذه الصورة السلبية في بعض العصور دون غيرها. ومحاولاتنا السابقة نحو تجلية منطق الاستيعاب الذي تضمه الليالي أو بنيت من أجله، لابد أن يواجه بقول واحد، وهو أن هذا النص ليس له مركز ثابت، كما أنه بلا نهاية، فكل حكاياته قابلة للتطوير بالمنطق المفهومي لا البنائي، إنه بلا مركز لأنه بلا مؤلف معروف أو محدد، إنه بلا مكان فهو في كل الأماكن، إن السيد الأول في هذه الليالي هي المعرفة، عندما تقع في حرفة حكي، ومن ثم يجب علينا البحث في موقع المعرفة من هذه الليالي. إن ألف ليلة وليلة، عمل طور آلياته ببراعة فائقة، ودراسته ستؤدي بنا إلى زيادة الاستمتاع به، والإفادة منه، فما إن نفهم العناصر المكونة للعمل وعلاقاته المتبادلة حتى نكون أكثر حساسية، لكل ما هو متضمن بوفرة في العمل، ومن الجائز أن نناقش هنا على سبيل المنهج جملة من الأوصاف المصطلحية التي نتجت عن قراءة الليالي، بحسب تنوع المدارس والاختصاصات، من جملة المصطلحات التي أرى أن الوقوف عليها يقربنا أكثر من بنية الليالي ودرستها، مصطلح النصوص المشوشة، وهو مصطلح صكه الناقد المغربي عبد الرحيم جيران ليصف به بعض النصوص التي اشتغلت على هامش أنواع أدبية، ولم تخضع للتصنيف كونها رسمية أو شعبية مثل فن المقامة، وكتب الفكاهة والملح، وكتاب الحيوان والبخلاء، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، بالإضافة إلى ألف ليلة وليلة، والسير الشعبية، وكتاب مثل الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وحياة الحيوان للدميري وغيرها. والظن أيضاً أن أفكار مهمة، مثل الحرية والهوية والانتماء والديمقراطية والديكتاتورية، قابلة للبحث داخل بنية الليالي. ومن اليسير أن نقدم تصوراً راسخاً حول فعل

(49) سبقت الإشارة إلى العمل المقصود وهو ألف ليلة وليلة حكايات أخرى. كشاف المهن والحرف والأعمال (260-268).

التحرك والتغيير والتأثير، الذي يقع مثل هذه الأفكار، وبخاصة عندما نجرب تناوب مثل هذه الأفكار على عقول وطبقات مختلفة مترسبة داخل بنية الليالي، من قبيل مفهوم الحرية في أذهان السلاطين داخل الليالي، وعلى النقيض ماذا يعني المفهوم نفسه في أذهان المهمشين، وما قدر الحرية الممنوح لسدنة الحكم في مقابل القدر الممنوح للرعية، وما الذي يمكن أن يثمره ذلك في تطور المجتمع ورقبه؟ في الإمكان بناء هذا الافتراض، الذي سنأخذ دلائله من حرفة الحكي الموجودة، وبخاصة المفردات التي تحيل على جانب مصطلحي مثل المهن والأشغال والمؤسسات إن وجدت. فمن خلال الليالي يمكن دراسة صورة الحاكم، ودراسة صور العدل والظلم، لماذا اختص الكائن الغيبي في الليالي بهذه القدرة الخلافة على الفعل والقول، عندما يقرأ ويكتب ويأمر وينهي ويصبح متصرفاً بإرادة مطلقة؟ أين هو خطاب الدين من حالة الابتعاث الغيبي المتصاعد بقوة حتى يومنا هذا؟ الإجابة على هذه التساؤلات تكمن في جوهر الحكي الذي وصفه ابن النديم في الفهرست بالغث، لأنه نظر إليه من منطلق الاستعلاء، وأنه لا يخطئ، ولا ينزل إلى خطاب السوق.

المراجع العربية:

1. أحمد حسن الزيات: في أصول الأدب، محاضرات ومقالات، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، 1935.
2. أحمد مطلوب: في المصطلح النقدي. بغداد، المجمع العلمي، 2002.
3. السعيد بدوي: مستويات العربية المعاصرة في مصر. القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، 2012.
4. بطرس البستاني: ألف ليلة وليلة. ضمن كتاب دائرة المعارف. بيروت 1881.
5. جاسم الموسوي: ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي. مركز الإنماء القومي. بيروت. د.ت.
6. جمال الدين بن الشيخ: ألف ليلة وليلة أو القول الأسير. ترجمة محمد برادة وآخرون. المجلس الأعلى للثقافة. 1998.
7. حسين محمد فهميم: أدب الرحلات. الكويت. عالم المعرفة. 1989.
8. زكي نجيب محمود: من زاوية فلسفية. ط3 القاهرة، دار الشروق، 1982.
9. سلمان زين الدين: ألف ليلة وليلة. كتاب الليالي. بيروت، دار الانتشار العربي، 2021.
10. سهير القلماوي: ألف ليلة وليلة. القاهرة، دار المعارف، 1998.
11. شوقي ضيف: أدب الرحلات. القاهرة، دار المعارف، 1956.
12. عابد الجابري: تكوين العقل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009.
13. عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة. الجزائر، 1986.
14. عبد الفتاح كيليطو: بحبر خفي. الدار البيضاء، دار توبقال. سلسلة نصوص أدبية، 2005.
15. عبد المعطي شعراوي: أساطير إغريقية- أساطير الآلهة الصغرى. ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1995.
16. كمال أبو ديب: الأدب العجائبي والعالم الغرائبي. بيروت، دار الساقي، 2007.
17. لؤي علي خليل: العجائبي والسرد العربي. بيروت، الدار العربية للعلوم، ناشرون، 2014.
18. محمد رشيد رضا: كتاب مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، مطبعة المنار، 1344هـ.
19. محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009.

20. محمود الحلواني: خيال الضرورة ومرجعياته. قراءات في شعر العامية. القاهرة، الهيئة العامة للكتاب. 2019.
21. نبيل سليمان: أسرار التخيل الروائي. دمشق، 2005.
22. هشام عبد العزيز: مفهوم السيرة الشعبية. القاهرة، حروف للنشر و التوزيع، 2021.
23. هشام عبد العزيز: ألف ليلة وليلة - حكايات أخرى. القاهرة. دار إضاءات. 2023.

المراجع المترجمة:

1. آيرين كاكا ندي: المتحدثون (الأدب وانفجار الحديث) ترجمة خيرى دومة. القاهرة، المركز القومي للترجمة. 2016.
2. ألسندرو دورانتي: الأنثروبولوجيا الألسنية. ترجمة فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة. سنة 2013.
3. أندريه ميكيل: سبع حكايات من ألف ليلة وليلة. ت هيام أبو الحسن، سامية أسعد، مركز الكتاب التونسي. 1986.
4. بروب: مورفولوجيا الحكاية الشعبية. ت أبو بكر باقادر، أحمد عبد الرحيم. جدة، النادي الأدبي، 1989.
5. تريسي بويل. جاري كمب: التفكير النقدي. دليل مختصر، ترجمة عصام زكريا. المركز القومي للترجمة. 2015
6. تودوروف: مفهوم الأدب. ترجمة منذر عياشي. سوريا، دار الذاكرة، 1991.
7. زيجمونت باومان: الحياة السائلة. ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2016.
8. فنسنت ب. ليتش: النقد الثقافي. ترجمة هشام زغلول. القاهرة. المركز القومي للترجمة، 2022
9. مايك كرانج: الجغرافيا الثقافية. أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر الإنسانية، ت سعيد منناق. عالم المعرفة. 2005.
10. نيتشه: غسق الأوثان، ترجمة علي مصباح، منشورات الجمل، بغداد. بيروت، سنة 2010.

الدوريات والبحوث:

1. عز الدين إسماعيل: جدلية المصطلح الأدبي. القاهرة، علامات. مج 2، ج 8، ص 113.
2. محمد برادة: بحث بعنوان الرواية العربية: الكونية أفقا . مهرجان القرين الثقافي الحادي عشر- الكويت. 2004. وانظر بحثه التعددية والكونية وانعكاساتها على ثقافة المتوسط. سياقات ثقافية، وزارة الثقافة، الرباط ٢٠٠٣.
3. حنا عبود: الصحراء العربية والعجائب غير المرئية. (أفق) مؤسسة الفكر العربي. مقال . يوليو. 2013.
4. شعيب حليفي: الرحلة العربية وصيرورة النوع. مجلة فصول . الهيئة العامة للكتاب. ع98، 2017.
5. مكي سعد الله: تمثلات صورة النبي محمد في كتاب " عظماء رجال الشرق" للامرتين، مقاربة في تصورات التنوير الغربي للغربية. دراسات استشرافية. ع 32، خريف 2022.

المصطلح الصوتي بين القدامى والمحدثين

أ. فريحة جاب الله بشير بيب الله

محاضر بقسم اللغة العربية بكلية التربية- جامعة طبرق

القبول: 2.9.2024

الاستلام: 8.8.2024

المستخلص:

يتميز التراث العربي اللغوي بثروة من المصطلحات الصوتية التي أقر بدقتها كثيرا من الباحثين، غير أن الدراسات الحديثة في علم الأصوات تهمل أو تكاد المصطلحات الصوتية عند العرب، وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة لبيان المصطلح الصوتي بين العلماء القدامى والمحدثين مع تفصيل استخداماته لكل منهما. من قبيل استخدام المصطلحات المترجمة والمعربة رغم غناء التراث اللغوي العربي وكثرة المصطلحات الصوتية، وبيان تأثير المصطلح الصوتي العربي بالمصطلح الصوتي الغربي، كما سيأتي الحديث عن الدرس الصوتي المعاصر وما له من أصول قديمة، ثم إمكانية إرساء علم صوتي عربي أصيل بمعزل أو بالتوازي مع الثقافات الأجنبية.

كلمات مفتاحية: المصطلح الصوتي - التراث اللغوي - الدرس الصوتي - المصطلح المترجم.

Abstract:

The Arab linguistic heritage abounds with a wealth of phonetic terms, whose accuracy has been recognized by many researchers, but recent studies in phonology neglect or almost neglect phonetic terms among the Arabs. Such as the use of translated and Arabized terms despite the richness of the Arabic linguistic heritage and the abundance of phonetic terms, and the statement of the influence of the Arabic phonetic term on the Western phonetic term, as will be discussed later on the contemporary phonetic lesson and its ancient origins, then the possibility of establishing an authentic Arabic phonetic science in isolation or in parallel with foreign cultures.

Keywords: phonetic term - Linguistic heritage - phonetic lesson - translated term.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على خير الأناس سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يزخر التراث العربي اللغوي بالمصطلحات الصوتية التي أقر بدقتها كثير من الباحثين، غير أن الدراسات الحديثة في علم الأصوات تهمل أو تكاد المصطلحات الصوتية عند العرب إيهاماً بالمعاصرة وادعاءً للحداثة، وتستعمل مصطلحات مترجمة أو معربة من اللغات الأخرى، ولذلك تتعدد المصطلحات بتعدد الباحثين وبالتالي ينشأ خلاف في المصطلح لا يخدم الدرس

الصوتي. ومن هنا جاءت هذه الدراسة بغية التعرف على المصطلح الصوتي بين القدامى والمحدثين، وما له من دور كبير في نجاح الدراسات الصوتية، فتشكلت هذه الدراسة في ثلاثة مطالب تسبقها مقدمة ومدخل عام عرفت فيه بماهية المصطلح والمصطلح الصوتي خاصة، ففي المطلب الأول درست المخارج والصفات من خلال أمثلة للمصطلحات الخاصة بهما، بينما خصصت المطلب الثاني لأهم الظواهر الصوتية التي تعددت فيها المصطلحات الصوتية مثل ظاهرة الإمالة بأنواعها، وإدغام وما له من أثر صوتي، ثم ظاهرة الإبدال مستعرضة أثره مع التمثيل لعدد من الآراء والاختلاف حولها بين علماء اللغة القدامى والمحدثين، ثم أفردت المطلب الثالث للمصطلحات المترجمة وتلك المعربة، فتحدثت عن ترجمة المصطلح والأخذ من اللغات الأخرى رغم غناء التراث اللغوي العربي، واستعمال المصطلحات المترجمة بكثرة أدت إلى تعدد المصطلحات وكثرتها، وهذا لا يخدم الدرس الصوتي خاصة، ثم أنهت الدراسة بخاتمة وثقت فيها أهم ما توصلت إليه إجمالاً، ثم بقائمة من المصادر والمراجع التي استعنت بها وأفدت منها. والله الميسر فهو نعم المولى ونعم النصير.

مدخل عام:

مفهوم المصطلح:

المصطلح لغة: مادة صلح في اللغة العربية مدارها على معنيين، الأول: الصلح الثاني: الصلاح، ورد في تهذيب: الصلح تصالح القوم بينهم والصلاح نقيض الفساد الإصلاح نقيض الإفساد... والصلاح بمعنى المصالحة... وتصلح القوم واصالحوا، واصطلحوا بمعنى واحد. وبين المعنيين تقارب في دلالة كل منهما فمن المعلوم أن إصلاح الفساد بين القوم لا يتم إلا باتفاقهم⁽¹⁾.

الاصطلاح والمصطلح:

كلمة اصطلاح من حيث الصيغة مصدر من اصطح الناس على كذا... بمعنى اتفقوا عليه اتفاقاً، أما كلمة مصطلح فهي من حيث الصيغة اسم مفعول من اصطح اصطلاحاً، على تقدير متعلق محذوف، مثل (عليه). فهو من حيث المعنى الشيء المتفق عليه.

بهذه النظرة يتبين الفرق بين الاتفاق في حد ذاته، والشيء المتفق عليه، كما أن بينهما فرقا في الصيغة، فهناك فرق بينهما في المعنى أيضاً، فالاصطلاح يكون بين طائفة من الناس، والمصطلح هو نتيجة هذا الاصطلاح⁽²⁾. ومن تعريفات المصطلح كذلك، تعريف بطرس البستاني الذي يعرفه بقوله: هو العرف الخاص، وهو عبارة عن اتفاق القوم على وضع الشيء، وقيل هو إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد منه، وذلك لمناسبة بينهما كالمعوم والخصوص، أو لمشاركتها في أمر، أو مشابھتهما في وصف إلى غير ذلك⁽³⁾.

أما مصطفى الشهابي فيقول: «إنه لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية»⁽⁴⁾. أما عبد الصبور شاهين فيعرفه بأنه: «اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم

(1) تهذيب اللغة للأزهري .

(2) العربية لغة العلوم والتقنية، عبدالصبور شاهين، دار الاعتصام ط2، 1986، ص 119.

(3) محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، 1870 بيروت، ص 1199.

(4) المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، معهد الدراسات العربية العالمية، 1955، ص 6.

للدلالة على مفهوم علمي أو فني أو أي موضوع ذي طبيعة خاصة»⁽⁵⁾ وهناك تعريف جيد قاله علي القاسمي: «إن المصطلح هو كل وحدة لغوية دالة مؤلفة من كلمة (مصطلح بسيط) أو من كلمات متعددة (مصطلح مركب) وتسمى مفهوما محددًا بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما»⁽⁶⁾.

إشكالية المصطلح:

تعد معضلة المصطلح العلمي من بين أكبر المعضلات التي تواجهها كثير من العلوم، فهناك إشكاليات عديدة تحيط بالمصطلح من بينها ازدواجية مدلول المصطلح التي قد ينشأ عنها ضرب من الالتباس في عرض المفاهيم. ومنها كذلك إشكالية تعدد المصطلح الدال على المفهوم الواحد، وليس ذلك وقفًا على اللغة العربية وحدها، بل هو ظاهرة موجودة في أغلب اللغات الإنسانية، ومن بينها اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية وغيرها من اللغات.

ومن بين أكثر العلوم العربية إشكالاً في تعدد المصطلح الصوتي وتأثر المصطلح الصوتي العربي بالمصطلح الصوتي الغربي رغم وجود جذور له في التراث اللغوي العربي، وهذا الأمر أحدث إرباكاً لدى المتخصصين فيه من حيث نقل المفاهيم ووضع المصطلحات.

شروط المصطلح:

سن العلماء المحدثون قواعد ومبادئ عامة للاهتداء بها في أساليب وضع المصطلحات واختيارها يمكن إجمالها فيما يأتي:

الأول: أن يكون مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله العلمي متقاربين أو متشابهين، أو وثيقي الصلة، ولا يعد ذلك شرطاً لصوغ المصطلح لأنه لا يطرد مع كل مصطلح فمنها تلك الرموز الاصطلاحية التي نستعملها كثيراً منها علامات الترقيم في الكتابة مثل التنصيص وعلامة الحذف والزايد والناقص والضرب والتقسيم في الرياضيات وغير ذلك من مصطلحات علمية لا معنى أصلياً أو معجمياً لها.

الثاني: لا يجوز وضع أكثر من مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد، وذلك مراعاة للتضخم المربك والتشويش. **والثالث:** لا يجوز تعدد الدلالات للمصطلح الواحد، لأن ذلك يؤدي إلى الالتباس العلمي والغموض. **والرابع:** لا يجوز اتخاذ المصطلح من ألفاظ شائعة الدلالة والاستعمال. **والخامس:** يفضل اتخاذ مصطلح عربي على المصطلح المعرب، أو الأجنبي لأن المصطلح العربي أدمى للفهم والاستيعاب من المصطلح المعرب أو الأجنبي. أما السادس فيجب مسايرة النهج العالمي في اختيار المصطلحات العلمية. **والسابع:** يقول بتفضيل تجنب النافر والغريب من الألفاظ، والثامن من الشروط يتعلق باستخدام الوسائل اللغوية في وضع المصطلحات العلمية الجديدة. بينما يشير الشرط التاسع لتجنب استخدام الكلمات العامية إلا عند الضرورة، والشرط العاشر يتعلق بتفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به، وهذا يعني تفضيل الكلمة المفردة على الكلمة المركبة أو العبارة.

أما الشرط الحادي عشر فيفضل الكلمة الدقيقة على المبهمة، ومراعاة اتفاق المصطلح العربي مع المدلول العلمي للمصطلح، لأن الدقة والوضوح هما أهم مميزات لغة العلم. وفي

(5) العربية لغة العلوم والتقنية، ص 118. مرجع سابق.

(6) مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1987، ص 215.

الشرط الثاني عشر يجب تجنب النحت إلا إذا دعت إليه ضرورة ملزمة، فالنحت كثيرا ما يؤدي إلى مصطلح معقد غير مأنوس لا تألفه الأذن العربية، فضلا عن كونه في أكثر الأحيان مدعاة للغموض⁽⁷⁾.

المصطلح الصوتي:

يختص المصطلح الصوتي، بالتحديد والتعيين إما لموضع من مواضع حدوث الصوت كالنطق أو صفة من صفاته كالجهر أو كمية من كمياته كالتضخيم والترقيق أو ظاهرة صوتية كالمدة والإدغام. ويعود المصطلح الصوتي العربي في ظهوره إلى المنتصف من القرن الأول الهجري مع أبي الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) وذلك لما عزم على ضبط المصحف الشريف.

إذن فالمصطلح الصوتي هو الذي يعنى بدراسة وتحديد جوانب عديدة للصوت، فإما لموضع حدوثه أو لصفته أو لكميته أو لظاهرة من ظواهره. ويعد هذا النص أول حديث عن المصطلح الصوتي في تاريخ الدرس اللساني كما يعد منطلق الدرس اللساني، ومن هذا الحديث اشتق الدارسون أسماء العلامات الإعرابية، فكانت الفتحة من افتتاح الشفتين والضممة من انضمامهما، والكسرة من انكسارها للواء في شكل ابتسامه، وكان التنوين ما يزال غنة في التجويف الأنفي ملونا للصوت، وجميع ما وضعه أبو الأسود الدؤلي يسمى نقاط الإعراب، ثم جاءت عملية من بعده قام بها يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي تمثلت في وضع نقط على الحروف من تحتها أو من فوقها أو مثلثة، وسميت هذه العملية بنقط الإعجام⁽⁸⁾.

وبناء على هذا الأساس، ترجع أهمية المصطلح إلى أنه أساس الدراسة والبحث والتأليف، وهو دعامة لغة العلماء، فالمصطلح الصوتي تميز بغيره من المصطلحات المتخصصة بالتعبير عن مفهوم محدود وفصله عن مفاهيم أخرى، كما يتصف بأنه مشحون بالدلالة، أي بالإيجاز الذي يغني عن الكثير وعليه فإنه من الضروري التحديد الدقيق للمصطلحات، وتثبيت دلالتها وذلك في إطار دراسة المفهوم الذي يعبر عنه وعلاقتها بالمفاهيم الأخرى المتقاربة في حقل الصوتيات.

المطلب الأول: مخارج وصفات:

المخرج:

في المعنى اللغوي: جاء في اللسان: الخروج نقيض الدخول، خرج يخرج خروجا مخرجا، فهو خارج، وخروج وخراج وقد أخرجه وخرجه به⁽⁹⁾.

وفي المعنى الاصطلاحي: هو النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء والتي يتصدر الصوت فيها⁽¹⁰⁾.

أما مصطلح المخرج فهو من مصطلحات الخليل، فقد استعمله محمدا مواضع لخروج

(7) هذه الشروط أو القواعد جميعها موجودة عند كل الذين كتبوا عن المصطلح العلمي، ولمزيد من التفصيل ينظر: شظايا في لغة العرب، المصطلح ومفهومه، د محمد أبو بكر لياس، الفضيل للنشر والتوزيع، بنغازي ط1، 2012، ص 100-104.

(8) المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب، عادل إبراهيم عبدالله، مركز تفسير للدراسات القرآنية، إصدار رقم 30، 2015، ص 28.

(9) اللسان 2/249.

(10) مدخل إلى علم اللغة، ص 42.

الأصوات، فالأصوات الذلقية تخرج من ذلق اللسان، والشفوية مخرجها ما بين الشفتين والهمزة سميت حرفا هوائيا لأنها تخرج من الجوف إلا أن مصطلح المخرج لم يكن مستقرا عنده استقرارا تاما فقد استعمل لفظا آخر أدى به معنى المخرج هو (المبدأ) ومع اختلاف معنى اللفظتين إلا أن كلمة المبدأ في حديثه حملت معنى المخرج في حديثه فالعين والحاء والحاء والخين حلقيه لأن مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم وهكذا.⁽¹¹⁾

وقد اعترض على التسمية في العصر الحديث المستشرق الألماني شادة، ورأى أن التسمية لا تؤدي المعنى المراد منها، فالمخرج هو الطريق الذي يتسرب منه النفس إلى الخارج.

صوت الراء: ومخرج الراء « من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام، وهي العبارة نفسها التي وردت على لسان ابن جني في وصفه لهذا المخرج وكذلك الزمخشري وابن الجزري، والراء صوت له ميزة لا توجد في الأصوات الأخرى وهي التكرير.⁽¹²⁾ وقد سمى بعض المحدثين هذا المخرج بقوله: « مخرج طرف اللسان المنحرف » وهي تسمية غير دقيقة ولا سيما أن صفة الانحراف كما وردت عند سيبويه ومن تلاه لصوت « اللام»، والأصوب أن يقال مخرج طرف اللسان المكرر إذا أريد تسمية المخرج بطرف اللسان. وقد ذكر بعض المحدثين تسمية لهذا المخرج مشتقة من موضوع خروج هذه الأصوات ومن صفاتها وهي «المخرج الأسناني الشديد» وهي تسمية غير دقيقة، فالأسناني هي صفة الذال والثاء والظاء، وإن كان الأصح بين أسناني، كما أن صفة الشدة لا تحدد المخرج، وإلا لكان أسهل أن يوصف بالمخرج النطعي.

مخرج طرف اللسان وبين الثنايا:

وهو لأصوات ثلاثة وهي الصاد والزاي والسين، وقد حدد المبرد المخرج بقوله: « من طرف اللسان وملتقى حروف الثنايا»، ووصفه ابن جني بقوله: مما بين الثنايا وطرف اللسان، أما وصف المخرج كما ورد في كتاب سيبويه فهو مما بين طرف اللسان وفوق الثنايا⁽¹³⁾. ويبدو أن دقة الوصف تقتضي تحديد الثنايا بأنها السفلى، لا سيما أن الثنايا في المخارج المتقدمة تعني العليا، ومما يؤكد ذلك قول مكي في وصف هذا المخرج وهو: مما بين طرف اللسان وفوق الثنايا السفلى. وهو ما يذكره القرطبي⁽¹⁴⁾ وابن الأنباري⁽¹⁵⁾ وابن الجزري⁽¹⁶⁾، أما ابن عصفور⁽¹⁷⁾ والرازي⁽¹⁸⁾ فقد ذكرا المخرج بالوصف نفسه دون لفظ السفلى، أما أكثر العلماء فيذكرون المخرج دون ذكر كلمة فوق، يتبعون في ذلك ابن جني والمبرد ومنهم الداني⁽¹⁹⁾، والخفاجي⁽²⁰⁾، والزمخشري⁽²¹⁾،

(11) العييض 65.

(12) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز سعيد الصيغ، دار الفكر، دمشق، ص 52.

(13) الكتاب 433/4

(14) الموضح في التجويد، ص 79.

(15) أسرار العربية، ص 321.

(16) النشر 201/1

(17) الممتع في التصريف 670/2

(18) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص 119.

(19) التحديد في الاتقان والتجويد ص 105.

(20) سر الفصاحة ص 19.

(21) المفصل ص 394.

والرضي الاسترابادي⁽²²⁾.

وهذه الأصوات اطلق عليها الخليل وصف « الأسلية» نسبة إلى أسلة اللسان.

أما المحدثون فيختلفون في وصف هذه الأصوات، يسميها بعضهم ثنوية، ويطلق عليها بعضهم لفظ أسناني لثوي، ضاماً إليها أصوات أخرى هي النطعية وهي التسمية التي يطلقها بعضهم على الأصوات النطعية والذلقية ولا يضع الأسلية معها. وهذا الاختلاف في تحديد المصطلح يعود إلى صعوبة وجود المصطلح الذي يحمل تحديدا صارماً للمخرج، فالمخرج يتكون عادة من عضوين اثنين يتقاربان أو يتلامسان، والتسمية يجب أن تشمل هذين العضوين حتى لا يكون هناك لبس.⁽²³⁾

الإطباق:

في المعنى اللغوي: جاء في اللسان « الطبق: غطاء كل شيء، والجمع أطباق، وقد أطبقه وطبقه فانطبق وتطبق: غطاه جعله مطبقاً، والمطابقة الموافقة والتطابق الاتفاق.

وفي المعنى الاصطلاحي: هو اتخاذ اللسان عند النطق بالصوت شكلاً مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى، ويرجع إلى الوراء قليلاً.

الأصوات المطبقة:

هي: الصاد والضاد والطاء والظاء. ومصطلح الإطباق من مصطلحات سيبويه، وكان الخليل يسمي الميم مطبقة، لأنها تطبق الفم إذا نطق بها، وقد ذكر سيبويه الأصوات المطبقة معرفاً إياها بقوله: « إذا وضعت لسانك في موضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك الأعلى فإذا أوضعت لسانك فالتصوت محصور فيها بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف.»⁽²⁴⁾

وقد ذكر المبرد⁽²⁵⁾ المصطلح دون أن يذكر الأصوات، أما ابن دريد فقد ذكرها معرفاً للإطباق بقوله: «لأنك إذا لفظت بها أطبقت عليها حتى تمنع النفس أن يجري معها»⁽²⁶⁾. وهو تعريف غير دقيق، فصوت الصاد لا يمنع النفس المجري معه.

وكانت مصطلح اللهوية وهو من مصطلحات الخليل ذكره قائلنا: « والقاف والكاف لهويتان، لأن مبدأهما من اللهاة» ولم يخالفه سيبويه في ذلك، وقد ذكر الأزهرى ذلك: والقاف والكاف لهويان بالتذكير كما ذكر مكي الصوتين قائلنا: وسماها الخليل بذلك لأنه نسبهما إلى الموضع الذي يخرج منه وهو اللهاة.⁽²⁷⁾

مصطلح الحلق:

من مصطلحات الخليل ذكره للأصوات خمسة فقط وهي « العين والحاء والهاء والخاء والغين»⁽²⁸⁾ فهي حلقية لأن مبدأها من الحلق، وقد استثنى الهمزة جاعلاً مخرجها من الجوف

(22) شرح شافية ابن الحاجب 250/3.

(23) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص 81.

(24) الكتاب 426/4.

(25) المقضب 194/1.

(26) جمهرة اللغة 8/1.

(27) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص 136.

(28) العين ص 65.

لا من مدارج الحلق، أما سيبويه فقد جعلها سبعة مضيافاً الألف إلى الستة المذكورة، وقد تبع سيبويه في الأصوات الحلقية أكثر الذين أتوا بعد، فهي لديهم سبعة أصوات، نجد ذلك عند الزجاجي⁽²⁹⁾، وابن جنبي⁽³⁰⁾، والداني⁽³¹⁾ والقرطبي⁽³²⁾ والخفاجي⁽³³⁾ والزمخشري⁽³⁴⁾ وابن الطحان⁽³⁵⁾ وابن الأنباري⁽³⁶⁾ والرازي⁽³⁷⁾ والسكاكي⁽³⁸⁾ وابن عصفور⁽³⁹⁾ والرضي⁽⁴⁰⁾ وابن عقييل⁽⁴¹⁾ والسيوطي⁽⁴²⁾، إلا أن ابن دريد ذكر في جمهرته أصوات الحلق الستة مخالفاً بذلك الخليل وسيبويه وهو الصحيح، قائلاً: «حروف الحلق، وهي الهمزة والهاء والحاء والعين والحاء والغين» وهو ما نجده عند مكي في الرعاية، وابن جزري في النشر، وكتب التجويد المتأخرة.⁽⁴³⁾ فعمل الخليل بحذف الهمزة من أصوات الحلق، يشبه عمل سيبويه بإضافته الألف إلى أصوات الحلق، كلاهما لم يجانب الصواب. فالهمزة: من الوترين الصوتيين وهو مخرج الهاء أيضاً أما الألف فهو حركة طويلة لا شأن للحلق بإخراجها، وإنما يشترك في إخراجها اللسان والحنك، حيث يهبط اللسان إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه في الفم، بحيث يستوي في قاع الفم، لذا فإن الأصوات الحلقية الصحيحة هي الستة التي ذكرها ابن دريد، إلا أن المحثين مع تسليمهم بأن هذه الأصوات مخرجة من منطقة الوترين حتى مؤخرة الحنك الرخو، فهم لا ينسبون إلى الحلق منها إلا صوتين اثنين هما العين والحاء، فيسمونهما حلقين وبذلك يكون مفهوم الحلق لدى القدماء يختلف عنه لدى المحدثين.

الحلق بين القدماء والمحدثين:

لم تتغير الأصوات الستة «الهمزة والهاء والعين والحاء والحاء» في صفاتها بين القدماء والمحدثين عدا صوت الهمزة، التي عدها القدماء مجهورة⁽⁴⁴⁾، وهي عند المحدثين على خلاف، عدها بعضهم صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس⁽⁴⁵⁾، كما عدها آخرون مهموسة مستدلين أن الجهر هو تذبذب الوترين، ولما كان مفهوم الجهر عند المحدثين هو تذبذب الوترين فإن الأصح هو عد الهمزة مهموسة، إلا أنها في الحالين تختلف عما وصفها به القدماء من الجهر، أما بقية الأصوات فليس هناك خلاف.

هذا الاتفاق في الأصوات يمكن أن يتخذ أساساً لمعرفة منطقة الحلق عند الفريقين، فالمحدثون لديهم للحلق صوتان فقط وهما العين والحاء، وهذا يفيد أن منطقة الحلق هي ما

(29) شرح جمل الزجاجي ص 445.

(30) سر صناعة الإعراب 46/1

(31) التحديد في الأتقان والتجويد ص 104.

(32) الموضح في التجويد ص 78.

(33) سر الفصاحة ص 19.

(34) المفصل ص 393.

(35) مخارج الحروف ص 80.

(36) أسرار العربية ص 420.

(37) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص 118.

(38) مفتاح العلوم ص 110.

(39) الممتع في التصريف 668/2.

(40) شرح الشافية 250/3.

(41) المساعد 240/4.

(42) همع الهوامع وجمع الجوامع 227/2.

(43) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص 78.

(44) الكتاب 434/4.

(45) الأصوات اللغوية ص 10.

بعد الحنجرة وما قبل اللهاة، وهي المنطقة التي يطلق عليها أيضا البلعوم، بينما الحلق عند القدماء يشمل الحنجرة والبلعوم ومؤخرة الحنك الرخو.

هذا الاتساع لمنطقة الحلق عند القدماء امتد الى منطقة اللهاة مما أحدث مشكلا، وقف عنده المحدثون محاولين حله، حيث أن صوتي الغين والحاء من منطقة الحنك الرخو وهي تقع بعد اللهاة.

المطلب الثاني: ظواهر صوتية:

ظاهرة الإمالة:

مفهوم الإمالة في اللغة:

الإمالة في اللغة مصدر الأميل قال: يميل ميلاً فهي إمالة وقد جاء في لسان العرب مادة (ميل). قوله: المِيلُ العدولُ إلى الشيء والإقبالُ عليه، وكذلك الميلاق. ومال الشيء يميلُ ميلاً ومَمَلاً ومَمِلاً ومَمِلاً ومَمِياً. والميلُ: مصدر الأميل - يقال: مال الشيء يميلُ مَمَلاً ومَمِياً مثل مَعَابٍ ومَعِيبٍ في الاسم والمصدر. ومال عن الحق ومال عليه في الظلم، وأمال الشيء كَمَلاً، ورجل مائل من قوم مُيِّلٍ ومالة، يقال إنهم مالة إلى الحق.⁽⁴⁶⁾

وأما ابن فارس في مقاييسه فيقول: « الميم والياء واللام كلمة صحيحة تدل على انحراف في الشيء إلى جانب منه: مال يميل ميلاً. فإن كان خلقة في الشيء فميل يقال: مال يميل ميلاً... والأميل من الرجال، يقال إنه الذي لا يثبت على الفرس وإن كان كذا فإنه يميل عن سرجه⁽⁴⁷⁾. ومن معانيها ما ورد في تاج العروس قوله « يقال رجل أميل العانق أي في عنقه ميل، والأميل من يميل على السرج ». ⁽⁴⁸⁾ وترد الإمالة بمعنى ميول الشمس إذا غربت وذهبت فقد جاء في القاموس المحيط « ومالت الشمس ميولاً ضيفت للغروب أو زالت عن كبد السماء ⁽⁴⁹⁾ وفي أساس البلاغة للزمخشري: « م. ي. ل - مال كل ميل وفرس ميال العذر، ورجل أميل العنق وأميل المنكب. ورجال ميل الطلى من النعاس وفيه ميل... وسار ميلاً: قدر مد البصر ⁽⁵⁰⁾. ومن هذا كله، يتضح أن الإمالة لغة: العدول إلى الشيء والإقبال عليه.

مفهوم الإمالة عند القدماء:

وبعد استعراض مفهوم الإمالة لغة، نعرض لها عند اصطلاح القدماء، فقد اتجه النحاة في تعريفاتهم للإمالة إلى اتجاهات مختلفة:

ف فريق يعرف الإمالة بأن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، وفريق آخر بأن تنحو بالألف نحو الكسرة، وفريق آخر بأن تنحو بالألف نحو الياء فقط وفريق آخر بالفتحة نحو الكسرة فقط. ولو نظرنا بداية إلى سيبويه في الكتاب نجده لا يذكر تعريفاً محدداً للإمالة، بل يُفهم من كلامه معنى الإمالة وذلك عندما يقول: « فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك قولك: عابِدٌ وعالمٌ ومساجِدٌ ⁽⁵¹⁾ ونضمهم من تعريف سيبويه أنه عَرَفَ الإمالة بتقريب

(46) ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة: ميل . 4310-4309/6.

(47) ابن فارس، مقاييس اللغة "ميل"، 290/5.

(48) الزبيدي، تاج العروس، مادة ميل، 122/8-123.

(49) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، "مال" ج4/ص53.

(50) الزمخشري، أساس البلاغة، (م) 4، 1.

(51) سيبويه، الكتاب 117/4.

الألف نحو الكسرة لأنه قال في البداية، فالألف تمال « ثم قال » إنما أمالوها للكسرة التي بعدها . وهذا هو السر في إمالة الألف، تحقيقاً للانسجام الصوتي بين الحرفين. أما ابن الأنباري

فيتحدث عن معنى الإمالة فيقول: « أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء».⁽⁵²⁾

أما ابن عقيل فيشرح لنا معنى الإمالة مع ذكر الغرض منها فيقول: «الإمالة عبارة عن أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء، والغرض من الإمالة أحد أمرين: أولهما تناسب الأصوات وتقاربيها، وبيان ذلك أن النطق بالياء والكسرة مستقلة منحدر⁽⁵³⁾، والنطق بالفتحة والألف مستعمل متصعد⁽⁵⁴⁾، وبالإمالة تصير الألف من نمط الياء في الانحدار والتسفل. ثانيهما: التنبيه على أصل أو غيره»⁽⁵⁵⁾

وفي التوضيح والتكميل يربط مفهوم الإمالة في اللغة مع الاصطلاح فيقول: «الإمالة عبارة عن أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء، والإمالة في اللغة مصدر أملت الشيء إذا عدلت به إلى غير الجهة التي هو فيها».⁽⁵⁶⁾

بالانتقال إلى تعريف ابن جني للإمالة والغرض منها، فيقول: «هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف نحو الياء لضرب من تجانس الصوت»⁽⁵⁷⁾. أما أبو علي الفارسي فيشرح معنى الإمالة قائلاً: «الإمالة قصد بها أن يتناسب الصوت بمكانها فيتشابه ولا يتباين وهو أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف نحو الياء فتقاربيها وذلك نحو عماد وعابد ونظير الإمالة في تقريبيهم الحرف من الحرف للتقارب قولهم: صَدَرَ فأشربوا الصاد صوت الزاي لتقارب الدال في الجهر ومثله قولهم أشدق، فأشربوا الشين صوت الزاي لتوافق الدال أيضاً في الجهر، فكما قرَّبوا بعض هذه الحروف من بعض لما يقصدون من التلاؤم بين الحرفين كذلك أميلت الألف نحو الياء في مواضع مخصوصة لتقارب صوتيهما»⁽⁵⁸⁾

ونلاحظ اتجاهها آخر في تعريف الخضري والأشموني للإمالة حيث إنهما أوردا لنا مسميات عدة تدل على الإمالة. فيقول الخضري في حاشيته: «الإمالة تسمى الكسر والبطح والإضجاع لأنها اصطلاحاً تميل الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء فكانك بطحتها أي رميتها وأضجعها إليها».⁽⁵⁹⁾ أما الأشموني فيوردها بشيء من التفصيل فيقول: «وتسمى الكسر أي لما فيه من الإمالة إلى الكسر والبطح إلى ما فيه من بطح الفتحة إلى الكسر أي إمالتها، وأصل بطح الشيء إلقاؤه ورميه، ويلزمه إمالته».⁽⁶⁰⁾

أما ابن هشام فقد فرق بين إمالة الفتحة وإمالة الألف فيقول: « أن تذهب بالفتحة إلى جهة الكسرة، فإن كان بعدها ألف ذهبت إلى جهة الياء كالفنتى وإلا فالممال الفتحة وحدها كنعمة وبسحر».⁽⁶¹⁾ وهناك رأي آخر لابن جني أورده في الخصائص حيث إنه يعد الإمالة فرعاً من الإدغام ويسمياها الإدغام الأصغر ولذلك يقول: «وأما الإدغام الأصغر، فهو تقريب الحرف

(52) نقل عن ابن مالك، شرح الشافية الكافية 1970/4

(53) ومعنى الاستقلال عند علماء الأصوات والتجويد هو عدم ارتفاع اللسان إلى أعلى الحنك.

(54) الاستعلاء هو ارتفاع اللسان إلى أعلى الحنك

(55) شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار التراث، القاهرة 1998، الجزء الرابع ص 182 .

(56) التوضيح والتكميل، 455/2

(57) ابن جني، اللع، 311.

(58) أبو علي الفارسي، التكملة، 527-528.

(59) 179/2.

(60) الأشموني، 220/4 .

(61) أوضح المسالك 354/4 .

من الحرف وإدناؤه منه من غير ادغام يكون هناك. فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت، وذلك نحو عالم وكتاب وسعى وقضى واستقضى، ألا تراك قريت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فأملت الألف نحو الياء وكذلك سعى وقضى: نحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها»⁽⁶²⁾

وهذا هو الاتجاه الأول من النحاة القدامى في تعريف الإمالة وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء. أما الاتجاه الثاني وهو الذي يعرف الإمالة بأن تنحو بالألف نحو الياء وهذا ما نجده جلياً عند السيوطي، فيقول: «الإمالة أن ينحى جوازاً بالألف نحو الياء، والغرض من الإمالة تناسب الصوت»⁽⁶³⁾. وكذلك المبرد يقول: «الإمالة وهي أن تنحو بالألف نحو الياء»⁽⁶⁴⁾. أما الاتجاه الثالث عند النحاة: فيعرف الإمالة بأنها: «أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ومن ذلك قول الرضي: «الإمالة أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة، وسببها قصد المناسبة لكسرة أو ياء»⁽⁶⁵⁾. ثم يشرح في أنواعها فيقول: «وإنما لم يقل: وينحى بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء لأن الإمالة على ثلاثة أنواع:

1. إمالة فتحة قبل الألف إلى كسرة، فيميل الألف نحو الياء.
2. وإمالة فتحة قبل الهاء إلى الكسرة، كما في رحمه.
3. وإمالة فتحة قبل الراء إليها نحو الكبر، فإمالة الفتحة نحو الكسرة شاملة للأنواع الثلاثة.⁽⁶⁶⁾

أما الاتجاه الرابع عند القدامى هو الذي يقول الإمالة أن تنحو بالألف نحو الكسرة ومن ذلك ما ذكره ابن يعيش، فيقول: «وهي أن تنحو بالألف نحو الكسرة ليتجانس الصوت كما أشربت الصاد صوت الزاي لذلك»⁽⁶⁷⁾. أما الإمالة عند أبي حيان فقد خصص لها باباً سماه: باب الإمالة، حيث يقول فيه: «الإمالة أن ينحى بالألف نحو الياء، فيلزم من ذلك، أن ينحى بالفتحة قبلها نحو الكسرة. وأصحاب الإمالة تميم، وقيس، وأسد وعامة أهل نجد، وأصحاب الفتح الحجازيون إلا في مواضع قليلة، ومحل الإمالة غالباً الأسماء المتمكنة والأفعال»⁽⁶⁸⁾. ثم يورد الأسباب التي دعت إلى الإمالة بشيء من التفصيل، ويذكر بعض القراءات التي فيها إمالة، ومن يذهب إليها من القراء والنحاة فيقول: «وأسبابها الكسرة، والياء وانقلاب الألف عن الياء، أو مألها إليها في حال ما، وتشبيهه بالألف المنقلبة عن الياء، وشبهه بالألف المشبهة بالألف المنقلبة، وفرق بين الاسم والحرف، وكثرة الاستعمال، وإمالة لإمالة»⁽⁶⁹⁾.

وستحدث عن هذه الأسباب:

السبب الأول: الكسرة، ذهب الأكثرون إلى أنها في باب الإمالة أقوى من الياء، وهو ظاهر كلام سيويوه، وذهب ابن السراج إلى أن الياء أقوى من الكسرة، فالكسرة إن تقدمت الإلف، ووليتها

(62) الخصائص 141/2

(63) جمع الهوامع 200/2

(64) المقتضب، 42/3 .

(65) شرح الرضي على الشافية، 3 / 4-5

(66) المصدر نفسه، 3 / 5-4

(67) شرح المفصل، 9 / 54-55

(68) ارتشاف الضرب، 2 / 518 .

(69) نفسه.

الكسرة نحو مساجد، وبابك، فالإمالة وإن تأخرت الألف بحرف نحو عماد، أو حرفين أولهما ساكن نحو شَمَلال أميل، أو متحرك نحو أكلت عنباً، أو ثلاثة نحو فتلت قنباً فلا إمالة، وشذ له درهمان بالإمالة، فإن كان بين الكسرة، والألف حرفان ثانيهما الهاء، وما قبلها مفتوح أميل نحو: لن ينزعها، ولا يمال نحو: لن يضربنا، ولا هو يضربها⁽⁷⁰⁾.

وقد بين سيبويه أن الساكن هنا ليس بحاجز قوي فقال: وكذلك إن كان بينه وبين الألف حرفان الأول ساكن، لأن الساكن ليس بحاجز قوي، وإنما يرفع لسانه عن الحرف المتحرك رفعة واحدة⁽⁷¹⁾. وقد ذكر ابن يعيش بسبب إمالة (درهمان) شذوذاً فقال: «فأما قولهم له درهمان فأمالوا ههنا أيضاً وهو قليل والذي حسنه كون الراء ساكنة فلم يكن حاجزاً حصيناً والهاء خفية فهي كالمعدومة لخفائها»⁽⁷²⁾. وقد ذكر سيبويه ذلك في إمالة: لن ينزعها، وعدم إمالة لن يضربنا، ولا هو يضربها فقال: «هذا باب من إمالة الألف يُميلها فيه ناسٌ من العرب كثير وذلك قولك: يريد أن يضربها، ويريد أن ينزعها، لأن الهاء خفية، والحرف الذي قبل الحرف الذي يليه مكسور فكانه قال أن يضربها، كما أنهم إذا قالوا رُدّها كأنهم قالوا رداً.. وقالوا يريد أن يكيلها ولم يكلها وليس شيء من هذا تمال أفضه في الرفع إذا قال هو يكيلها وذلك أنه دفع بين الألف وبين الكسرة الضمة، فصارت حاجزاً فمنعت الإمالة. لأن الباء في قولك: يضربها فيها إمالة، فلا تكون في المضموم إمالة إذا ارتفعت الباء كما لا يكون في الواو الساكنة إمالة، وإنما كان في الفتح لشبه الياء بالألف»⁽⁷³⁾. ويبين أبوحيان حكم الكسرة، وكأنه يريد أن يقول بأن لها درجات ففي بعض المواضع تكون أقوى من غيرها فيقول: «وحكم الكسرة في وسط الاسم حكمها في أوله، فالأسوداد مثل عماد، وكلما كانت الكسرة أقرب إلى الألف كانت الإمالة أولى، فكتاب أولى من جلباب، وكلما كثرت الكسرات كانت الإمالة أولى، فجلباب أولى من جلباب»⁽⁷⁴⁾.

ثم بعد ذلك يبين تأثير حروف الاستعلاء علي الإمالة عندما يتأخر عن الألف حرف استعلاء أو تقدم فيقول: «وإذا تأخر عن الألف حرف استعلاء متصل نحو: ناقد، وعاطس، وعاصب، وعاضد، وناخل، وواغل، وعاظل، أو بينهما حرف نحو: نافخ، وناغب، وناقق، وسامط، وناهض، وواعظ، وداحص، غلب المستعلي الكسرة فلا يميلها أحد إلا من لا يؤخذ بلغته فإن كان الفصل بحرفين نحو مناشيط ومعاليق ومعاريض ومواعيظ ومباليغ ومنافيخ ومساليخ فالنصب هو الكثير، وحكى سيبويه: أن قوماً أمالوا حين تراخت هذه الحروف عن الألف وهي قليلة، وذهب المبرد إلى منع الإمالة في مناشيط وأخواتها»⁽⁷⁵⁾. ويذكر: عندما يتقدم حرف الاستعلاء ويليه الألف تغلب الكسرة.

وتمنع الإمالة فيقول «وإن تقدم حرف الاستعلاء، ووليته الألف غلبت الكسرة، ومنعت الإمالة نحو: قاعد، غائب، وخامل، وصاعد، وطائف، وضامن، وظالم. فإن تقدم حرف الاستعلاء مكسوراً نحو صعب وغلابل وخبث وقفاف وضباب وطعان وظلام مصدر ظالم للمبالغة أو ساكناً نحو: مضباح، ومطعان، ومضرب، ومقلات جازت الإمالة».

ومن العرب من يغلب حرف الاستعلاء، وقد لا يعتد به إذا ولي الألف من كلمة غير كلمة

(70) نفسه، 518، 519/2.

(71) ينظر الكتاب، 117/4.

(72) المفصل، ابن يعيش، 57/9، التكملة، 228/2، شرح ابن عقيل، 523/2.

(73) ينظر الكتاب، 124-123/4، أوضح المسالك، 355/4، النشر، 32/2.

(74) ارتشاف الضرب، 520/2.

(75) المصدر نفسه، 520/2 - 521.

الألف نحو: يريد أن يضربها قبل، وكذلك صاحب مال ملق، لبعده القاف عن الألف، وانفصال الكلمة فرق هؤلاء بين المتصل والمنفصل، ومن أجرى المنفصل مجرى المتصل فأمال والإمالة في المتصل أقوى، وشذ عدم الاعتداد بحرف الاستعلاء في: رأيت عرقاً فأميل، وقياسه أن لا يُمال، لأنه مثل قاسم، وعدم الاعتداد بالحركة في رأيت عنباً فأميل، وقياسه أن لا يُمال.⁽⁷⁶⁾

أما مفهوم الإمالة عند المحدثين فيذكر الدكتور عبد الصبور شاهين ذلك، في دراسته عن أبي عمرو بن العلاء فيقول: «يتضح مما تقدم أن هناك تلازماً ما بين الإمالة لدى أبي عمرو وبين صوت الراء في غالب اختياره».⁽⁷⁷⁾ ولهذا التلازم بين الراء والإمالة لدى أبي عمرو ما يسوغه من الناحية الصوتية مستشهداً على ذلك بكلام سيبويه فيقول: «لهذا التلازم بين الراء والإمالة لدى أبي عمرو ما يسوغه من الناحية الصوتية ذلك أن الراء صوت متوسط يشترك في هذه الصفة مع الياء. ويذكر سيبويه قريباً آخر بين الصوتين، ويستدل على هذا القرب «بأن الألتغ يجعلها ياء» فهذا الاشتراك في الصفة يجعل من السهل على الناطق أن يؤدي الراء الممالة أكثر من غيرها من الراءات المفتوحة أو المضمومة، لأنه حينئذ سوف يحاول أن يجعل فتحة الضم عند النطق بالراء ضيقة تكفي لأدائها مرققة. وضيق المخرج في حالة الراء المرققة كاف تقريباً لأداء الكسرة الممالة دون غيرها من الحركات، ومن هنا كان الانسجام الصوتي عند أداء الإمالة على شرط أبي عمرو في أتم أشكاله، يساعد عليه اشتراط وجود كسرة تالية للحركة الممالة في أغلب الحالات. ومما يساعد على فهم طريقة أبي عمرو في هذا الباب أنه لم يكن يرقق شيئاً من الراءات المتحركات سوى المكسورة فهذا الترفيق مرحلة أولى في سلم الإمالة، يليه أن تُمال الفتحة إلى الكسرة فيحدث انسجام بين الصامت وحركته».⁽⁷⁸⁾

ويقول الداني: «وكل ما أميل في الوصل لعله لعدم في الوقف أو قرئ بين بين نحو (بمقدار) و (دينار) و (الأبرار) و (من الناس) و (برب الناس) وشبهه مما تقع فيه الراء والجرة فيه طرفاً فهو مُمالٍ أيضاً وبين بين في الوقف لكون الوقف عارضاً».⁽⁷⁹⁾ فالإمالة للكسرة أقوى، وهي في الراء أقوى من غيرها لأن الراء مع الكسر يحدث انسجاماً صوتياً، وهذا ما ورد في قراءة أبي عمرو، وقد أكد أبو حيان ذلك بعد استشهاده بهذه القراءة ووضع للكسرة درجات فقال: «فالإمالة لكسرة بناء نحو: نزال أقوى منها لكسرة إعراب نحو: بابك مجروراً. والمتصلة كائنة ما كانت أقوى منها المنفصلة نحو: ثلثا درهم، والظاهرة أقوى منها المقدره نحو: حاد، والاعتداد بالكسرة في الراء أقوى من الاعتداد بها في غير الراء».⁽⁸⁰⁾ ويبين الفارسي ذلك معللاً لمنزلة الراء في الكسرة، وما ينتج عن هذا من أثر صوتي، وأن كثيراً من العرب تميل الألف إن كان بعدها راء مكسورة، دون غيرها فقال: «ووجه حسن إمالة الألف إذا كان بعدها راء مكسورة، أن الراء حرف فيه تكبير، وذلك يتبين فيما إذا وقف عليها، فكأن الكسر متكرر، وإذا تكرر الكسر ازدادت الإمالة حسناً لتجانس الصوت، فكما أنها إذا انضمت أو انفتحت منعت الإمالة لأن كل واحد من الحرفين المضموم والمفتوح كأنه تكرر والفتح والضم يمنعان الإمالة، كذلك إذا تكرر الكسر جلبها، وهذا ما ورد في القراءة التي استشهد بها أبو حيان نحو: (الأبرار) و (والنهار) فقد وقعت الراء المكسورة بعد الألف فاستحقت الإمالة ليحدث هذا التجانس الصوتي بين حرف «الراء»

(76) ينظر ارتشاف الضرب، 523-521/2.

(77) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1987، ص 173.

(78) عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء، ص 174-175.

(79) التيسير في القراءات السبع، للداني، ص 39.

(80) ارتشاف الضرب، 523/2.

التكراري والكسرة التي تناسبت معه فأُمِيت الألف تبعاً لهذا الانسجام الصوتي بين الحركة والحرف⁽⁸¹⁾ أما في قول أبي حيان في الوقف فقد ذكر سيبويه ذلك فقال: «والراء إذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة، والوقف يزيد بها إيضاحاً، فلما كانت الراء كذلك قالوا: هذا راشد، وهذا فراش، فلم يميلوا، لأنهم كأنهم قد تكلموا براءين مفتوحتين، فلما كانت كذلك قويت على نَصْب الألفات»⁽⁸²⁾. ويؤكد قول سيبويه بأنه قد أمال قوم ترتضى عربيّتهم ومن ذلك قولهم قارب أما قول الفارسي الذي ذكره أبو حيان فهو فاعل إن سلم من حرف استعلاء وراء أميل نحو: عابد، أو فيه الراء وحدها فاء نحو راشد لم تمل⁽⁸³⁾. ويذكر حكم الإمالة إذا كان مع الراء حرف استعلاء فيقول: «إذا كان مع الراء حرفاً استعلاء والراء أول نحو: راقط، أو ثانية نحو: قارط، وطارق، أو ثالثة نحو: قاطر فالإمالة ممتعة وإن كان مع المستعلى راءً إن نحو: قار، طار امتنعت رفعا ونصباً، وأماله قومٌ جراً كما أمالوا: صغار، وقوارير لانكسار الراء، وفيه المستعلى»⁽⁸⁴⁾.

وبعد أن انتهى أبو حيان من توضيح السبب الأول للإمالة، وهو الكسرة وبيان ارتباطها بالراء، وكيف أن العرب كانت تميل الألف التي بعدها بالراء، وبيان أثر ذلك مع استشهاده بقراءة أبي عمرو على ذلك، تنبه إلى حروف الاستعلاء ذاكراً رأي سيبويه والفرسي في ذلك وبيان الإمالة في ذلك وبعدهما انتهى من ذكر السبب الأول للإمالة وهو الكسرة، وبيان منزلة الراء في ذلك يختم هذا السبب وذلك باستشهاده برأي ابن الدهان في غرته ذاكراً أحكام الراء في ذلك فقال: «وفي الغرة: للراء في هذا الباب مواضع خمسة: منع الإمالة إذا كانت مفتوحة بعد ألف أو قبلها أو مضمومة نحو: راشد، ودار، ورفاع، وجابر، وجالبة الإمالة مكسورة كالكرباب والشارب، وغالبة إذا تقدمها حرف استعلاء مفتوح، وتأخرت مكسورة نحو: غارب، ومغلوبة كأن يتقدم ويتأخر نحو فارق، وغالبة أختها إذا اجتمعتا والراء مفتوحة، والثانية مكسورة نحو: الأبرار، ومن قرارك، فإن بعدت عن الألف متأخرة مكسورة ومعها المستعلى نحو: قادر فأقوى القولين منع الإمالة»⁽⁸⁵⁾ والسبب الثاني من أسباب الإمالة عند أبي حيان هو الياء فالياء عنده تأتي بعد الكسرة، وقد بدأ بكلام سيبويه في ذلك فقال: «الياء، ذكر سيبويه أن أهل الحجاز، وكثيراً من العرب لا يميلون للياء، وأن أهل الحجاز يميلون الكسرة، والياء تمال الألف لأجلها إذا اتصلت متقدمة نحو: سيال، ضيأح، وبيأح وهي في المشددة أقوى منها في المخففة، أو انفصلت عن الألف بحرف نحو: شيبان والحيوان، ورأيت يدا في الوقف، والإمالة مع الساكنة أقوى منها في المتحركة، أو حرفين ثانيهما هاء، بشرط فتح ما قبلها نحو: بينها، ورأيت يدها، أمالوا بينها كما أمالوا: لن ينزعها»⁽⁸⁶⁾ ثم يذكر أنهم حكموا للياء بما حكموا به للكسرة في من أمال علماء في الوقف، فإن اتصلت الياء متأخرة بالألف، فإن سيبويه لم يذكر ذلك في كتابه، وذكره بعض أصحابه وابن الدهان، ومثل لذلك بأية ويتعجب من القراء في عدم الأخذ بالياء مع أنها أقوى أسباب الإمالة، إلا في قراءة ورش، وقتيبة فيقول: «ومع كون الياء من أقوى أسباب الإمالة، لم يأخذ بها القراء فيما علمناه إلا في قراءة ورش: {الخيرات}⁽⁸⁷⁾، {حيران}⁽⁸⁸⁾ بالإمالة وإلا في قراءة

(81) ينظر الفارسي، الحجة، 301-303/1.

(82) سيبويه، الكتاب، 136/4.

(83) ينظر: نفسه، 525/2.

(84) نفسه 526/2.

(85) نفسه، 528/2.

(86) نفسه، 529-528/2.

(87) سورة البقرة الآية 148.

(88) سورة الأنعام الآية 71.

(89). قتيبة (المال).

أما السبب الثالث عنده هو: انقلاب الألف عن الياء وهو سبب تقديري ضعيف ليس في قوة الكسرة والياء، وذلك نحو: فتى، ورمى، ومرمى، وملهى، سواء في ذلك الاسم والفعل. والسبب الرابع هو: تشبيه الألف المنقلبة عن الياء ومن ذلك فعلى. والسبب الخامس هو: شبه الألف المشبهة بالألف المنقلبة، وذلك هاء التأنيث قال سيبويه: سمعنا العرب تقول: ضربت ضربة وأخذت أخذة، شبه الهاء بالألف، فأمال ما قبلها كما يُميل ما قبل الألف. ثم يذكر أبو حيان أن سيبويه لم يبين بأي ألف شبهت، والظاهر أنها شبهت بألف التأنيث وكل هاء تأنيث فالإمالة جائزة في الفتحة التي تليها ولا تُمال الألف قبلها نحو: الحياة، سواء أكانت الهاء للمبالغة نحو: علامة أم لغيرها، فإن كانت هاء سكت نحو: كتابه، فذهب ثعلب وابن الأنباري إلى جواز الإمالة فيما قبلها، وقد قرأ به أبو مزاحم الخاقاني في قراءة الكسائي، والصحيح المنع.⁽⁹⁰⁾ أما السبب السادس فهو: الفرق بين الاسم والحرف، قال أبو حيان: « وهذا من الأسباب الشاذة قال سيبويه: وقالوا با و تا يعني بالإمالة، لأنها أسماء ما يلفظ به. فليست كإلى و لا و ما، وغيرها من الحروف المبنية على السكون إنما جاءت كسائر الأسماء، وحروف التهجي التي في أوائل السور إن كان في آخرها ألف. فمنهم من يفتح ومنهم من يميل، فإن كان في وسطها ألف نحو: كاف و صاد فلا خلاف في الفتح ».⁽⁹¹⁾

والسبب السابع: « كثرة الاستعمال، وذلك إمالتهم » الحجاج « علماً في الرفع والنصب، وكذلك » العجاج « في الرفع والنصب، نص عليه المهابادي⁽⁹²⁾ وصاحب البديع⁽⁹³⁾، وإمالتهم » الناس « في الرفع والنصب، ورويت الإمالة فيه مطلقاً عن أبي عمرو والكسائي ».⁽⁹⁴⁾ أما السبب الثامن: فهو السبب الأخير عند أبي حيان وقد فصل فيه القول وسماه: الإمالة للإمالة، فقال: « الإمالة للإمالة، ويسميه بعضهم مجاورة الممال، وقد عدّه أبو جعفر بن البادش في أسباب الإمالة. قال سيبويه: رأيت عماداً، فأمالوا للإمالة، كما أمالوا الكسرة. قال: وقالوا: معرنا في قول من قال: « عماداً » فأمالهما جميعاً، وذا قياس ».⁽⁹⁵⁾

ويذكر بعد ذلك بأن الإمالة تتأخر أو تتقدم على الذي أميل لأجلها فيقول: « وقد تتقدم الإمالة على الذي أميل لأجلها، وقد تتأخر، كما إمالة تاء اليتامى، وسين أسارى وكسالى وكاف سكارى، وصاد النصرارى، لإمالة ما بعدها، وقرأ بذلك بعض القرّاء ».⁽⁹⁶⁾ كما أمالوا « والضحي لإمالة » وما قلى « ويذكر أن تمال الفتحة للإمالة في ألف بعدها، إذا كانت الإمالة في حرف حلق نحو: رأى، نأى، ونعى فإن ذهبت الإمالة لالتقاء الساكنين نحو: « رأى القمر » لم تُمل، ومنهم من يميل الفتحة. أما إذا كان ما قبل الألف غير حرف حلق نحو: رمى فإمالة فتحة الراء قبيلة، وقد حكيت الإمالة لغية. وأيضاً تمال الفتحة لأجل الكسرة التي تليها، ويُنحى بالضمّة إذا كان

(89) ارتشاف الضرب 529/2 - 530.

(90) المصدر نفسه/ 533.

(91) ارتشاف الضرب، 534/2.

(92) هو أحمد بن عبدالله المهابادي الضرير، قال ياقوت الحموي: من تلاميذ عبد القاهر الجرجاني له شرح اللع. أنظر ترجمته في بغية الوعاة 320/1.

(93) صاحب البديع هو محمد بن مسعود الغزني وذكر كتابه هذا في بغية الوعاة 245/1.

(94) ارتشاف الضرب، 534، 535/2.

(95) المصدر نفسه، 535/2.

(96) المصدر نفسه، 535/2.

ما بعدها راء مكسورة منحة الفتحه فُتْمَالٌ⁽⁹⁷⁾ وقد ذكر أبو حيان نوعاً آخر في البحر المحيط عندما تحدث عن إمالة (مالك) وسماها الإمالة البليغة، وبين بين فقال: «وقرأ مالك بالإمالة البليغة يحيى بن يعمر وأيوب السختياني وبين بين قتيبة ابن مهران عن الكسائي⁽⁹⁸⁾». ويتبين أن أبا حيان أطلق على الإمالة الكبرى الإمالة البليغة.

والقرءاء كانوا أشد دقة في ضبط درجات الإمالة ومصطلحاتها، فقد ذكر ابن الجزري في كتابه تعريفاً للإمالة وتسمياتها لدى القرءاء فقال: «الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء «كثيراً» وهو المحض. ويقال له الإضجاع، ويقال له البطح وربما قيل له الكسر أيضاً. و«قليلاً»، وهو بين اللفظين، ويقال له أيضاً التقليل، والتلطيف، وبين بين⁽⁹⁹⁾». ثم يقول ابن الجزري: «فهي لهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين: إمالة شديدة وإمالة متوسطة⁽¹⁰⁰⁾».

أما مكي ابن أبي طالب فقد وضع معنى الإمالة فقال: «واعلم أن معنى الإمالة هو تقريب الألف نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة⁽¹⁰¹⁾». وقد تنبّه مكي بن أبي طالب إلى درجات الإمالة، وذلك خلال حديثه عن علل الإمالة⁽¹⁰²⁾ والإمالة الشديدة يجتنب معها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه⁽¹⁰³⁾.

وقد وضع الداني الإمالة وشرحها شرحاً وافياً، وحدد درجات الإمالة فقال: «الإمالة: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف التي بعدها نحو الياء ولابد من الألف المائلة في هذا، وذلك أنها صوت لا معتمد لها في الفم، فلا تكون أبداً إلا تابعا للحركة التي قبلها إذا أريد تقريبها من الياء بالإمالة تخفيفاً وتسهيلاً، لزم أن تقرب الفتحة التي قبلها من الكسرة إذ الكسرة من الياء، فتقوى بذلك على إمالة الألف بعدها⁽¹⁰⁴⁾». ويشرح الداني درجات الإمالة فيقول بأن الإمالة على ضربين: إمالة متوسطة، وإمالة شديدة ويذكر بأن المصنفين من القرءاء المتقدمين وغيرهم قد يعبرون عن هذين الضربين من المائل بالكسر مجازاً وإشباعاً، وينقل الفرء عن الداني حديثه عن الإمالة ودرجاتها، منهم ابن الجزري في طبيته، والسيوطي في الإتقان، وكذلك مكي في التبصرة⁽¹⁰⁵⁾. وقد ذكر أبو زرعة بشرحه الإمالة وتفسيرها تفسيراً صوتياً وكيفية وضع اللسان عند النطق بها فيقول: «قرأ أبو عمرو والكسائي وورش على أبصارهم، وقنطار، ودينار بإمالة الألف وحجتهم في ذلك انتقال اللسان من الألف إلى الكسرة بمنزلة النازل من علو إلى هبوط، فقرأوا الألف بإمالتهم إياها من الكسر ليكون عمل اللسان من جهة واحدة⁽¹⁰⁶⁾». والإمالة المتوسطة التي اشترط لها القرءاء شرطاً أساسياً: «أن يؤدي بالحرف بين الفتح المتوسط وبين الإمالة الشديدة⁽¹⁰⁷⁾».

إذن، كان القرءاء أشد دقة وضبطاً لتعريف الإمالة وتوضيحها، كما حددوا لها درجات وذكر أبو

(97) ينظر ارتشاف الضرب، 535/2

(98) أبو حيان، البحر المحيط، 20/1

(99) ابن الجزري، النشر، 30/2

(100) المصدر نفسه 33/2

(101) الكشف عن وجوه القراءات، 168/1

(102) ينظر المصدر نفسه، 169/1

(103) ينظر الوافي في شرح الشاطبية 139

(104) الداني، الموضح، وهو مخطوط ورقة رقم 3، نقل عن: رجب عثمان محمد، الإمالة في اللهجات العربية القديمة، ص 48-49

(105) ينظر المصدر السابق والمخطوط، ورقة 2، 3، 4

(106) ابن زرع، الحجة ص 78

(107) ابن الجزري، النشر، 30-29

حيان أن الإمالة لكسرة تكون أقوى أنواع الإمالة، وأنها مع الرأ أقوى من غيرها. واستنتج من هذا، أن الرأ حرف تكراري قوي، والكسرة أقوى الحركات، فالتوافق بين صوتي الرأ والكسرة كبير جداً، مما جعلها تتضح عند النطق بها، وهذا دليل على الانسجام بين الحروف والحركات، والحركة تتضح مع قوة الحرف، فصفاة القوة في حرف الرأ قوية جداً، وتتناسب مع الكسر الذي يأتي في مقدمة الحركات من حيث القوة، مما أدى إلى التوافق والانسجام الصوتي بينهما.

ظاهرة الإدغام والإدغام:

الإدغام لغة الإدخال. قال الجوهري: أدغمت الفرس للجم إذا أدخلته في فيه.⁽¹⁰⁸⁾ واصطلاحاً: رفع اللسان بالحرفين دفعة واحدة، والوضع بهما موضعاً واحداً.⁽¹⁰⁹⁾ وإدغام الحرف في الحرف مأخوذ من هذا، ويقال: أدغمت الحرف، وأدغمته على (افتعلته) والمصدر من هذا الإدغام والإدغام بالتخفيف على وزن الإفعال من ألفاظ الكوفيين، والإدغام بالتشديد على وزن الافتعال من ألفاظ البصريين.⁽¹¹⁰⁾

ويدل المصطلح الكوفي على فعل المتكلم، ويدل المصطلح البصري على حدوث الظاهرة في اللغة⁽¹¹¹⁾ والإدغام باب مهم في علم القراءات، وحكم من أحكام تجويد القرآن. وهو ظاهرة صوتية تحدث نتيجة لتأثر أصوات ذوات مخرج واحد، أو متجاور بعضها ببعض، فهو عند ابن جني: تقريب صوت من صوت⁽¹¹²⁾.

وقد تنبّه القدماء إلى أن الإدغام، يمثل مظهراً من مظاهر التخفيف الصوتي عند العرب، والانسجام بين حروف الكلمة الواحدة، أو الكلمات المتجاورة، أي وقع التكافؤ بين الحاء والعين فأدغمت الحاء في العين كقراءة أبي عمرو {فَمَنْ رُحِزَ عَنِ النَّارِ}⁽¹¹³⁾، {فَلَمَّا جُنَّاحَ عَلَيْهِمَا}⁽¹¹⁴⁾، {المسيح عيسى}⁽¹¹⁵⁾. ولقد منع سيبويه إدغام الحاء في العين، وتأول بعضهم أن المراد به الإخفاء، ويجوز أن تقلب العين إلى الحاء، فتقول في: امدح عرفة: امدح حرفة، وأدغمت العين في الحاء نحو (اقطع حبلك). قال سيبويه: الإدغام والبيان حسنان. وأما إدغام العين والحاء في الغين والحاء فمذهب سيبويه والجمهور أنه لا يجوز فيكون الإظهار⁽¹¹⁶⁾.

ويتبين لنا أن التناسب الصوتي بين الحاء والعين أكثر من التناسب بين الحاء والغين أو بين العين والغين، لذلك وجب الإدغام في الأولى لوجود تناسب صوتي يتمثل في الخفة والسهولة وجد الإدغام فهو يهدف إلى التخفيف والسرعة في النطق وبذل جهد أقل، أما الحروف التي لا تناسب بين أصواتها فإن الإظهار لها أولى وذلك لوجود الثقل وعدم الخفة.

ويأتي الإدغام: «فضلاً عن ثقل النطق، لسبب آخر وهو توالي مثلين متحركين، قال ابن

(108) الصحاح في اللغة، 1/207.

(109) ينظر ارتشاف الضرب، 1/337.

(110) لسان العرب مادة دغم 12/202.

(111) الإدغام مفهومه وأنواعه وأحكامه، إبراهيم الشمسان، مجلة جامعة الإمام، العدد 25، محرم 1420 هـ، ص 12.

(112) طه صالح، أمين آغا: التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في معاني الكلمات، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 72.

(113) آل عمران الآية 185.

(114) البقرة الآية 229.

(115) ينظر: ارتشاف الضرب، 2/708.

(116) ينظر سيبويه، الكتاب، 4/451.

جني في ذلك: «إنما فعلوا ذلك كراهة اجتماع مثلين متحركين» (117).

ويقول أبو حيان: «فإن تصدّر المثان أول كلفة، ففي الاسم نحو: «دَدَن» لا في الفعل، أو الثاني زائد نحو تتذكر فلا إدغام، ويجوز حذف الثانية على مذهب البصريين والأولى على مذهب الكوفيين، أو أصل، وأدى إلى اجتلاب همزة الوصل في المضارع نحو: تتابع، فلا يجوز الإدغام والمحذوف الثانية أي تتتابع ولا الحذف في تتابع وتتبع، جاز الإظهار وجاز الإدغام باجتلاب همزة الوصل فتقول: اتابع، واتبع» (118).

ويسترسل في حديثه قائلاً: «أو كان مضارعاً لا يحتاج إلى همزة الوصل جازاً الإدغام كقراءة {وَلَا تَنَاجُوا} قال سيبويه: إن شئت أسكنت الأولى للمد، وإن شئت أخفيت... ويعني بالإخفاء اختلاس الحركة، وقال غيره بعد مدة نحو {وَلَا تَيَمَّمُوا} أو حركة نحو {تَكَادُ تَمَيَّرُ}» (119).

أما إدغام المتقاربين أنهما: إن اجتمعا في كلمة وألبس الإدغام، فالإظهار نحو «أتملة»، أو لم يلبس جاز الإدغام والإظهار نحو: «انمحي»، فعدم اللبس يقتضي الإدغام لاسيما إذا كان الإدغام في كلمة واحدة، لأن الإدغام في كلمة واحدة لازم.

ومهما يكن من أمر، فسواء أكان الإدغام في كلمة واحدة أم في كلمتين، فقد اشترط اللغويون لتحقيق ظاهرة الإدغام أن يكونا متقاربين والتقارب أمّا أن يكون من مخرج واحد أو مخرجين متلاصقين (120) فالحرف يؤثر ويتأثر، وهذا التقارب ينتج عنه تجانس بين صوتين، فإن أحدهما يؤثر في الآخر ويمنحه شيئاً من خصائصه أو جميعها، فمجاورة الحرف لحرف آخر يماثله أو يقاربه في المخرج ينتج عنه هذه الظاهرة، وكلما اتصف الحرف بصفات القوة أثر في الحرف الآخر وأكسبه صفاته من جهر وهمس، وشدة ورخاوة وغيرها.

ومنه أيضاً مقاربة تاء تفعل الدال والطاء، والذال والهاء، والصاد والسين، والزاي والجيم، والشين والضاد. نحو قوله تعالى: {فَادَارَأْتُمْ} (121) {فَاطْهَرُوا} (122)، {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (123)، {ثَأَقَلْتُم} (124)، {يَظْهَرُونَ} (125)، {أَنْ يُصَلِّحَا} (126)، {لَا يَسْمَعُونَ} (127)، {وَأَزَيَّنَّتْ} (128).

«و اجمعوا»، «اشايعوا»، «اضارباوا» الأصل: تدارأتم، فطهروا، يتذكرون، ثأاقتهم، يظهرون، يتصالحا، يتسمعون، تزينت، تجمعوا، تشايعوا، تضارباوا (129).

ويكون التأثير مقبلاً، أي يحول الثاني إلى مثل الأول، ففي تاء الافتعال في الآية السابقة (لعلهم يتذكرون) أصلها يتذكرون، فالتاء مهموسة جهرت بتأثير الذال فأصبحت دالاً، ثم قلبت

(117) طه صالح، التوجيه اللغوي، ص 73، وينظر كذلك: ابن جني، المنصف، 90/1.

(118) أبو حيان، ارتشاف الضرب، 339/1، وينظر رأي البصريين والكوفيين في الإنصاف في مسائل الخلاف للأبنباري، 2/ 650- 648.

(119) الآيات بحسب ترتيبها في السياق: المجادلة 9، البقرة 267، الملك 8.

(120) ينظر عبدالصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت، 1980. ص 125

(121) البقرة الآية 72.

(122) المائدة الآية 6.

(123) الأعراف الآية 130.

(124) التوبة الآية 38.

(125) الزخرف الآية 33.

(126) النساء 128.

(127) الصافات الآية 8.

(128) يونس الآية 24.

(129) أبو حيان، ارتشاف الضرب، 349/1.

ذالاً وذلك لتحقيق الإدغام. والتأثر المدبر هو الشائع في العربية لأنه كما قال سيبويه: «أصل الإدغام أن يدغم الأول في الآخر»⁽¹³⁰⁾ وإدغام التاء في الشاء في قوله تعالى {ثاقلمت} قال الفراء في ذلك: «فأدغمت الذال أيضاً عند التاء . وذلك أنهما متناسبتان في قرب المخرج، والشاء والذال مخرجهما ثقيل، فأنزل الإدغام بهما لثقلهما؛ ألا ترى أن مخرجهما من طرف اللسان»⁽¹³¹⁾. ويذكر بأن ترك الإدغام ليس بخطأ، وإنما هو استئصال. وذهب مكي إلى أن الإدغام حسن لأعتدال الصوتين في المخرج والصفة⁽¹³²⁾. فكلما تقاربت الأصوات في المخارج والصفات، حدث الإدغام، فهو رغبة في الجنوح نحو الخفة والسهولة، وترك الثقل الذي يستقبحه الناطق، والسامع.

وفي قراءة قول الحق تبارك وتعالى: {تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ}⁽¹³³⁾ قرأ بالإدغام (تَشَابَهَتْ) كل من أبي إسحاق وأبي حيوثة تشابهت بتشديد الشين، في حين أن توجيه أبي عمرو الداني في ذلك: غير جائز لأنه فعل ماضٍ يعني أن اجتماع التاءين المزيديتين لا يكون في الماضي وإنما يكون في المضارع نحو: تتشابه وحينئذ يجوز فيه الإدغام⁽¹³⁴⁾.

وأنكر الفراء الإدغام في ذلك معللاً عدم جوازه فقال: «ولا يجوز تشابهت بالثقل، لأنه لا يستقيم دخول تاءين زائدتين في تفاعلت. ولا في أشباهها، وإنما يجوز الإدغام إذا قلت في الاستقبال: تتشابه» عن قليل «فتدغم التاء الثانية عند الشين»⁽¹³⁵⁾. فالتاء صوت انفجاري مهموس، مخرجه من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، أما الشين فصوت احتكاكي مهموس، مخرجه من أول اللسان، وجزء من الحنك الأعلى⁽¹³⁶⁾. وقد أبدلت التاء الثانية شيناً ثم أدغمتا بعد التماثل وأسكن الأول. وفسر ذلك بأن مخرج التاء انتقل إلى وسط الحنك مع السماح للهواء بالمرور لتصير رخوة كالشين؛ وبهذا اتحد الصوتان همساً ورخاوة ومخرجاً، فتم الإدغام⁽¹³⁷⁾.

ويبدو أن صفة التفشي قوة للشين، وهي التي مكنت الشين من التأثير في التاء، لأن منطقة الهواء في الفم عند النطق بالشين أوسع منها عند النطق بالتاء، لأن التاء صوت انفجاري ينحبس الهواء عند نطقه بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا⁽¹³⁸⁾.

فالإدغام ظاهرة تقارب وتجانس، ينتج عنها اتحاد حرفين في كلمة أو كلمتين، بحيث يكتسب واحد من هذه الحروف صفات الآخر، أو يكتسب الحرف الأضعف صفات الأقوى، فكلما كان الحرف قوياً، غلبت عليه صفات القوة، وكان تأثيره أكبر، فالجهر أقوى في الحروف من الهمس، وذلك يتضح في ظاهرة الإدغام بكل صورها.

(130) الكتاب، 467/4.

(131) الفراء، المعاني، 172/1.

(132) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، تحقيق د. محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1974 م.

(133) سورة البقرة الآية 118.

(134) ارتشاف الضرب، 378/1.

(135) الفراء، المعاني، 75/1 وقوله عن قليل كأنه يريد أن يقول: قليل من العرب أو من القراء، ينظر التوجيه اللغوي للقراءات في معاني القرآن عند الفراء، ص 84.

(136) ينظر د. السعران، علم اللغة، مقدمة للقرائ العربية، دار المعارف، مصر، 1962م، ص: 168، 193.

(137) ينظر طه صالح، التوجيه اللغوي، ص 84. وينظر أيضاً: د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2007، ص 139.

(138) ينظر التوجيه اللغوي، 85.

ظاهرة الإبدال:

المعنى اللغوي في اللسان: «أبدل الشيء من الشيء وبدله: اتخذ منه بدلاً. وأبدلت الشيء بغيره، وبدله الله من الخوف أمناً، وتبديل الشيء تغييره»⁽¹³⁹⁾.

والمعنى الاصطلاحي هو جعل مكان صوت غيره في بعض الكلمات مع بقاء الأصوات الأخرى⁽¹⁴⁰⁾. وأصوات الإبدال اثنا عشر صوتاً يجمعها هجاء قولك: طال يوم أنجذته، على رأي مكّي، تنقص قليلاً عند جماعة وتزيد عند أخرى وتبلغ اثنين وعشرين عند ابن مالك⁽¹⁴¹⁾. ومصطلح الإبدال من مصطلحات الخليل، فهو أول من أشار إليه، ومثل له كما ذكره سيبويه أثناء حديثه عن الأصوات التي يبدل منها غيرها كحديثه عن الهمزة قائلاً: «اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء، التحقيق والتخفيف والبدل»⁽¹⁴²⁾.

وقد رأى علماء العربية في الإبدال ظاهرة لغوية شائعة وعنوا بها وألفوا عنها مؤلفات ولعل أكثر المؤلفات شهرة كتاب (الإبدال) لابن السكيت الذي يعرف أيضاً بالقلب والإبدال، وكتاب «الإبدال» لأبي الطيب اللغوي.

والإبدال ظاهرة لغوية، لم يتفق علماء العربية القدامى على عدها ظاهرة صوتية كما هو الحال لدى المحدثين، إذ يروا اشتراط ان يكون الصوتان المبدلان على قرب من المخرج. والإبدال عند علماء العربية هو أن تتفق الكلمتان في المعنى وفي جميع الأصوات عدا صوت واحد له موضع الترتيب نفسه في الكلمتين مثل: (أجم وأجن) اللتين تختلفان في صوت الميم والنون وكذلك أصلان وأصيلان، وهما يختلفان في النون واللام، والملاحظ أن صوتي النون والميم يشتركان في الصفة وكذلك اللام والنون يشتركان في المخرج، والغالب على الإبدال أن يكون بين صوتين مشتركين في المخرج أو الصفة. أما تعليل الظاهرة فقد ورد عن الخليل قوله «الذعاق كالزقاق سمعنا ذلك من بعضهم وما ندري ألغة أم لثغة»⁽¹⁴³⁾.

أما قوله لغة فهو تفسير لا يستشف منه اشتراط قرب المخرج، فلربما جاءت الكلمتان متفتحتين في جميع الأصوات عدا صوت واحد دون أن يكون بينهما إبدالاً.

وقد ذكر ابن جني أن معنى لغة هو عدم وجود إبدال بين الصوتين، وهذا ما يستنتج من عبارة الخليل، أما قوله لثغة، فاللثغة كما ذكر صاحب اللسان هي «أن تعدل الحرف إلى حرف غيره» فهي إذن تغيير صوتي، والإبدال الذي وجد في العربية: إما بين أصوات متقاربة في المخرج وهي تدل على تفسير الخليل بأنها لثغة أو متباعدة في المخرج وهي «اللغة». وهذا القول الذي اعتمده ابن جني وأستاذه أبو علي الفارسي حين اشترط تقارب المخرج أو اتفاق الصفة بين الصوتين المبدلين والخليل بدا أنه يرى الإبدال قد يكون سببه لثغة أو انحرافاً بالنطق من صوت إلى صوت آخر، أما ابن فارس فقال: «ما أحسب الخليل قال هذا، وما أحققه عنه» وقول ابن فارس يدل على أنه يؤيد الرأي القائل بقرب المخرج في الإبدال، إلا أن الأصمعي لم يجد قرب المخرج شرطاً وكذلك الكسائي وابن السكيت وابن الأعرابي⁽¹⁴⁴⁾.

(139) لسان العرب 48/11

(140) شرح الشافية 197/2

(141) ينظر الرعاية ص 122.

(142) الكتاب 541/3

(143) المزهر في علوم اللغة، 1/556

(144) ينظر الصحابي في فقه اللغة ص 204

والإبدال مصطلح صوتي، أدخل في مباحث التطور الصوتي منه في مباحث التعامل الصوتي، ولعل الأسباب الداعية إلى انحراف نطق المتكلمين بصوت ما إلى صوت آخر هو تأثير هذا الصوت بالأصوات الأخرى التي تليه أو تسبقه فيتحول إلى الصوت النظير المجهور أو النظير القريب من المخرج وهكذا.

وقد درس الدكتور إبراهيم أنيس الإبدال ورأى أن الإبدال نتيجة التطور الصوتي، كما أنه رأى الكلمة الشائعة في الاستعمال هي الأصل والأخرى هي التي حدث فيها التغيير، ورأى بأن الاختلاف الطفيف في المعنى مع صعوبة الربط الصوتي يدل على أن الكلمتين تنتميان إلى أصلين مختلفين كما رأى أن الإبدال تصحيف.⁽¹⁴⁵⁾

المطلب الثالث: مصطلحات مترجمة ومعربة:

1. النطقيات - الفونولوجيا:

هو علم حديث يدرس العلاقة التأثيرية بين الأصوات، وتاريخه يعود إلى مطلع هذا القرن، إلا أن كثيراً من موضوعات هذا العلم درسها علماء العربية قديماً، في مؤلفاتهم ضمن مواد نحوية أو لغوية أو في كتب التجويد مثل الإدغام والإعلال والإبدال والقلب، وغيرها. وهذا العلم من العلوم التي لم يتفق الباحثون في العربية اليوم على مصطلح له، فهو ينتقل مرة كما هو في اللغة الإنجليزية فيسمى «الفونولوجيا» ويترجم مرة أخرى إلى تسميات عدة منها: التشكيل الصوتي، علم وظائف الأصوات، علم الأصوات التنظيمي، علم الأصوات، دراسة اللفظ الوظيفي، علم النظم الصوتية، وترجمات أخرى علم الأصوات التشكيلي الذي هو تحويل لترجمة السابقة التشكيل الصوتي وكذلك علم الأصوات الوظيفي الذي هو تحويل لترجمة علم وظائف الأصوات، وقد ترجمه مجمع اللغة العربية بالقاهرة بـ (النطقيات)، ومن الغريب ألا تشيع هذه اللفظة على الرغم من دقتها وارتباطها الوثيق بهذا العلم، وبالنظر إلى بقية الترجمات فإنها تبدو أكثر الترجمات دلالة على المعنى المراد بالمصطلح.⁽¹⁴⁶⁾

2. مصطلح الشدة:

وهذا المصطلح يمكن تناوله من حيث الإهمال والاستعمال، فهذا المصطلح من مصطلحات سيبويه وهو شائع في كتب القدماء، إلا أن عدداً من القدماء استخدم لفظاً آخر للدلالة على المصطلح نفسه، فقد استعمل الفراء مصطلحاً لم يكتب له الشيوع وهو مصطلح «الأخرس»، واستعمل مؤلف دقائق التصريف لفظ «الصلبة» بدلاً عن الشديدة وهي لفظة وردت في كتاب العين، كما استعمل ابن سينا لفظ آخر هو «مفردة» قائلًا: «والحروف بعضها في الحقيقة مفردة وحدوثها عن حركات تامة للصوت- للهواء الفاعل للصوت- تتبعها اطلاقات دفعة، وبعضها مركبة عن حركات غير تامة لكن تتبعها اطلاقات» وهو يقصد بالمركبة الأصوات الرخوة، وقد ذكر المرعشي لفظاً آخر وهو «أني» للدلالة على الشديد قائلًا: «إن الحروف الشديدة آنية لا توجد إلا في إن حبس النفس، وعداها زمانية يجري فيها الصوت زماناً.

أما المحدثون فقد انصرفوا عن استخدام مصطلح الشدة انصرافاً شبه تام، واستبدلوا مصطلحاً شائعاً الآن في كتب المحدثين وهو مصطلح «الانفجارية» وهي ترجمة للفظ الأجنبي

(145) من أسرار اللغة ص 84

(146) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص 226.

«plosive» إلا أن هناك ألفاظا أخرى استعملت على المصطلح نفسه، منها لفظ الوقفية، والاحتباسية، والانسدادية، والأثنية، واللحظية». وهذا المصطلح «آني» استخدمه علماء التجويد كما في نص المرعشي أنفا، ويرجع تعدد الألفاظ لهذا المصطلح إلى اختلاف الترجمات من لغات متعددة، وإذا كان مصطلح الانفجارية ترجمة للفظ plosive فإن كلمات، وقفي واحتباسي وانسدادي وآني ترجمة للكلمة Stop، وواضح أن التسمية الأولى تعود إلى عملية التصويت التي تكون بغلق ممر الهواء ثم انفتاحه فجأة، بينما التسميات الأخرى تعود إلى احتباس الهواء عند المخرج أو انسداد مجراه أو وقفه، وكلمة آني تعود إلى المدى الزمني القصير الذي يأخذه الصوت للنطق به، وهي لحظة قصيرة يعكس المدى الزمني الأطول الذي يأخذه الصوت الرخو. فهذه التسميات أطلقت إما مراعاة لانطلاق الهواء فجأة، وإما مراعاة لاحتجاز الهواء، وإما مراعاة للمدى الزمني، وهذه التسميات هي ترجمة لكلمات أجنبية التي ذكرت سابقا، والشائع هو مصطلح الانفجاري، أما مصطلح الشديدي فاستخدامه في كتب المحدثين قليل وهي ظاهرة تثير الاستغراب، لا سيما أن المصطلح موجود في كتب الأقدمين، شائع في دراساتهم الصوتية، وهو قد تأصل عبر قرون وفي مئات المؤلفات، وعدم استعماله يدل على قصور وإهمال وتجاهل أو جهل بجهود العلماء الذين أسسوا هذا العلم قبل ما يزيد عن ألف عام، واعترف بجهودهم فيه الأوربيون الذين يؤخذ الآن بمصطلحاتهم وترجم إلى العربية وهي موجودة في العربية قبل أن يعرفوا هم هذا العلم، بل إنهم قد استفادوا من بداياته في كتب العلماء العرب.

3. الوحدة الصوتية - الفونيم:

هو مصطلح حديث، يطلق على أصغر وحدة صوتية لها وظيفة في بناء الكلمة، وقد شهدت الاختلافات الكثيرة التي نشأت بصدد هذا المصطلح تعريفا واستعمالا على بقائه متصدرا أكثر القضايا اللغوية في العصر الحديث، حتى أن علم النطقيات يحبذ بعض علماء الغرب وضع اسم له هو علم الفونيمات.

والاختلافات الكثيرة جدا بصدد هذا المصطلح جاءت من النظرة الموحدة إلى جميع الأصوات في كل اللغات، ولذلك فقد جاءت تعريفاته غامضة ومتناقضة أيضا، مثل تعريف تروبتسكوي للفونيم بقوله الصورة العقلية للصوت، وتعريف دانيال جونز: أسرة من الأصوات في لغة معينة متشابهة الخصائص مستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه.

ولعل انطب التعريفات للغة العربية هو تعريف ترنكا بأنه كل صوت قادر على إيجاد تغيير دلالي، وكذلك التعريف القائل أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني.

هذا المصطلح، مصطلح غربي انتقل من اللغات الأخرى، فالوحدة الصوتية «الفونيم» غير الصوت، فالأصوات في العربية الفصحى أكثر من الوحدات الصوتية، بمعنى أن الحروف التسعة والعشرين صوتا التي ذكرها سيبويه كلها وحدات صوتية وكذلك الحركات، فالوحدة الصوتية هي أساس في بناء الكلمة، ينجم عن تغيير إحداها تغيير في المعنى، ولذلك فإن الأصوات الستة التي أضافها سيبويه وهي الأصوات المستحسنة، وكذلك السبعة غير المستحسنة ليست وحدات صوتية أو فونيمات، وقد سماها بالفروع التي تقابل التسمية الأوربية «أفونات» أو صوتيات حيث أن الألفون يترجم «صويتي» وهي ترجمة الدكتور النعيمي، فالنون وهو وحدة صوتية له نطق آخر فرع له أو تنوع أو «صويتي» وهو النون الخفيفة، وكذلك الهمزة لها صوتي وهو

الهمزة التي بين بين، وكذلك الألف والشين والصاد، لها فروع من الأصوات الستة المستحسنة. فالوحدات الصوتية التسعة والعشرون صوتا مضافا إليها الحركات القصيرة الثلاث «الفتة والضمة والكسرة» والحركتان الطويلتان الواو والياء، اللتان تشتركان مع صوتي اللين في الرمز الكتابي ويكون عددها أربعاً وثلاثين وحدة صوتية أو «فونيماً» فقط.

فإذا تأثر صوت ما بسبب من وضعه في الكلمة فاكسب صفة غير صفته، كأن تتحول الباء المجهورة إلى باء مهموسة في الكلمة دون أن يتأثر المعنى فإن الصوت لا يكون وحدة صوتية وإنما تنوعا صوتيا أو «ألفونا» مثل كلمة «كبت» فالباء هنا مهموسة بسبب من موضعها بين صوتين مهموسين، وهي تنوع للباء أما كلمتا «كتب وكتب» فإن الحركة هي الفارق بين الكلمتين، وهي السبب في تغيير المعنى بين الكلمتين، ولذلك فإن الحركة هنا وحدة صوتية أو فونيم⁽¹⁴⁷⁾ أما التفتيح فيكون وحدة صوتية في العربية الفصحى في أصوات أربعة فقط، وهي أصوات الإطباق الأربعة، أما الراء واللام فالتفتيح فيهما تنوع وليس وحدة صوتية.

تعريب الفونيم:

عني علماء العربية المحدثون بإيجاد لفظ عربي لمصطلح الفونيم، ولما كان هذا المصطلح من أكثر المصطلحات استعمالا في الدرس الصوتي عامة فإن الحاجة إلى توحيد تعريبه أكبر من الحاجة إلى تعريب غيره من المصطلحات، إلا أن كثيرا من الباحثين المحدثين آثروا إبقاء المصطلح على حاله من اللفظ الأجنبي «فونيم».

وقد عُرب المصطلح إلى صيغ كثيرة لم يكتب لواحدة منها الشيوخ والانتشار وهو ما شجع بقاء اللفظ الأجنبي، فقد عربه مجمع اللغة العربية بالقاهرة بقوله: (الصوت اللغوي) وعربه مترجمو كتاب دي سوسير (الصوت) وعربه النعمي (الصوتية) وعربه كمال أبو ديب (المصوت) وعربه الحناش (صوتة) وعربه آخر ب (الوحدة الصوتية).

هذه المعربات المتعددة لم يستقر واحدا منها مصطلحا مقابلا للفونيم، ولعل السبب غموض معنى الفونيم، وشيوع اللفظ في اللغات الأخرى، وهو ما يجعل استعماله في العربية سائرا⁽¹⁴⁸⁾.

الخاتمة:

يمكن أن نجمل أهم ما توصلنا إليه عبر هذه الاستنتاجات:

- الكشف عن لغة الصوتيين الأوائل من العرب، وإظهار ما لهم من معارف ومصطلحات صوتية من القرن الأول حتر عصرنا هذا.
- امكانية إرساء علم صوتي عربي أصيل بعيد عن الثقافة الأجنبية.
- الدرس الصوتي المعاصر له أصول قديمة وهي تشكل حلقة من حلقات العلم الصوتي على امتداده.
- ملاحظة الحروف ومخارجها وصفاتها التأثيرية والعلاقات التي تربط بينها، وما لهذه العلاقات من أثر في حدوث الظواهر الصوتية.
- الحاجة إلى استقرار المصطلح الصوتي لاسيما المصطلحات المترجمة منها.

(147) علم اللغة ص: 215

(148) ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د عبدالعزيز الصيغ، ص: 225

- تأثر المصطلح الصوتي العربي بالمصطلح الصوتي الغربي رغم وجود أصول وجذور له في الدرس الصوتي العربي.
- غناء التراث العربي اللغوي بثروة من المصطلحات الصوتية التي أقر بدقتها كثير من الباحثين طيلة قرون، غير أن الدراسات المعاصرة في علم الأصوات تهمل المصطلحات الصوتية عند العرب.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية 1975.
- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية بيروت.
- ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الهدى بيروت.
- ابن جني، سر الصناعة، تح حسن هنداوي، دار القلم، دمشق 1985.
- ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تح محب الدين الخطيب، مطبعة المؤيد، القاهرة 1322هـ.
- ابن عصفور، الممتع في التصريف، تح فخر الدين قباوة، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1983.
- ابن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد، تح محمد كامل بركات، دار المدني جدة 1984.
- ابن منظور، اللسان، دار صادر، بيروت 1956.
- ابن هشام، شرح جمل الزجاجي، تح علي محسن عيسى مال الله، عالم الكتب بيروت 1985.
- أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة 1989.
- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة 1976.
- الأزهرى، تهذيب اللغة، تح محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت 2001.
- الأستريادي، شرح شافية ابن الحاجب، تح محمد الزفزاف، دار الكتب العلمية بيروت.
- الأنباري، أسرار العربية، تح محمد البيطار، مطبعة الترقى بدمشق.
- الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين، المكتبة العصرية 2003.
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- الخفاجي، سر الفصاحة، تح عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة 1969.
- الخليل الفراهيدي، معجم العين، تح عبد الله درويش، مطبعة العاني بغداد، 1967.
- الداني، التحديد في الاتقان والتجويد، تح غانم قدوري، دار عمار الأردن، 2000.
- الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح بكرى الشيخ أمين، بيروت 1985.
- السكاكي، مفتاح العلوم تح أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة بغداد 1982.
- سيبويه، الكتاب، تح عبد السلام هارون، عالم الكتب بيروت 1983.
- السيوطي، المزهري في علوم اللغة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت 1998.
- السيوطي، همع الهوامع، دار المعرفة بيروت لبنان.

- طه صالح، التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الضراء في معاني القرآن، دار المعرفة، 2007.
- عبدالصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت، 1980.
- عبدالعزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د دار الفكر دمشق.
- غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مطبعة الخلود، بغداد 1986.
- المبرد، المقتضب، تح محمد عبدالخالق، عالم الكتب بيروت بلا ت.
- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف مصر 1962.
- مكي بن أبي طالب، التبصرة في القراءات، تح محي الدين رمضان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت 1985.
- مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع، تحقيق د. محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1974 م.

علاقة الأوزان بالمعاني في شعر الشريف الرضي

أمينة عبد السلام ربوه رجب

عضو هيئة تدريس بكلية التربية/ الغريفة

القبول: 21.9.2024

الاستلام: 13.8.2024

المستخلص:

ترمي هذه الدراسة إلى بيان العلاقة بين الأوزان العروضية والأغراض الشعرية، وهل لكل بحر عروضي غرض شعري ينظم فيه ويناسبه؟ وبيان ذلك في شعر الشريف الرضي. وقد افتتحت هذه الدراسة بتمهيد تناولت فيه أهمية الموسيقى، ومكان القضية بين القضايا النقدية الأخرى، ثم تناولت علاقة الأوزان بالمعاني عند العلماء القدماء والفلاسفة العرب، ثم علاقة الأوزان بالمعاني عند المحدثين، ثم علاقة أوزان شعر الشريف الرضي بالمعاني، لتصل الدراسة في الختام ومن خلال استقراء أوزان شعر الشريف الرضي أن أغراضه الشعرية لم يتخذ أي منها إطاره الإيقاعي من بحر بعينه، فكل غرض يحتضنه أكثر من بحر. الكلمات المفتاحية: الأوزان- المعاني- أغراض الشعر.

Abstract:

This study shed some light to clarify the relationship between the rhyme and the poetry topic and is each poetic meter has a poetry topic suit it? And that state at Al-Shreef Al Reda poetry.

This study started with an introduction of the importance of poetry tones and the place of the issue among other monetary issues.

Then it deals with the relation of the rhymes and the meaning for the ancient scientists and Arabic philosophers. In addition to, the relation of the rhymes and the meaning for the narrators. After that, the relation of rhythm for Al-Shreef Al-Reda poetry with the meanings.

Finally, through the exploration of the rhythm of Al-Shreef Al Reda poetry, the study come up with that of his poetry topics did not take any of them for its frame rhythm from a specific meter, thus, each topic has more than one theme.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فتعد قضية العلاقة بين الأوزان والمعاني من أعقد القضايا النقدية التي لم يستقر الدرس العروضي فيها ولا الدرس النقدي على رأي أو قرار، وذلك لعدة أسباب، منها: الاحتكام إلى الذوق والذاتية، وسرعة التأثر، وتحكيم الطبع، وإهمال الاستقراء والمقايسة، مما أدى إلى تعميم الأحكام.

لهذا أرادت هذه الدراسة الموسومة بـ «علاقة الأوزان بالمعاني شعر الشريف الرضي أنموذجاً»

بيان العلاقة بينهما؛ مستشهداً بأراء العلماء فيها. واقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى تمهيد وثلاثة مباحث. أما التمهيد فتناولت فيه أهمية الموسيقى ومكان القضية بين القضايا النقدية الأخرى. المبحث الأول: تناولت فيه علاقة الأوزان بالمعاني عند العلماء القدماء والفلاسفة العرب. والمبحث الثاني: علاقة الأوزان بالمعاني عند المحدثين. أما عن المنهج الذي اتبعته الدراسة هو المنهج الوصفي الاستنتاجي، مستفيدة من المصادر والمراجع الغنية بالمادة العلمية منها: كتاب حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، وكتاب ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ويوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، وعبد الله الطيب المجذوب، المرشد إلى فهم أشعار العرب، وغيرها.

توطئة:

لا شك في أن النص الشعري، ينضم بعضها إلى بعض، حيث يصعب تحديد المسافة بين جزئيات كل كتلة، فليست المسألة ارتباطاً بين شكل ومحتوى، أو بين لفظ ومعنى، كم يبدو لكثير منا.

وإن موسيقى الشعر لهي إحدى العناصر الجوهرية التي تشكل النص الشعري، إذ تقوم بوظيفة جمالية⁽¹⁾ مع بقية العناصر في تآزر بديع، ومن ثم فإن وشائج الإيقاع والصورة والتشكيل اللغوي والمستويات الدلالية، تختلف اختلافاً بيناً في النص الشعري عن بقية الأشكال التعبيرية والبلاغية الأخرى.

وإذا كانت العلاقة بين الأدب والنفس لا تحتاج إلى دليل أو إثبات فإن بيان هذه العلاقة ليس أمراً يسيراً، ذلك أن النفس تصنع الأدب وكذلك يصنع الأدب النفس⁽²⁾، ولذلك نجد العلاقة - مثلاً - بين الصوت واللون، تقوم على ارتباطات وجدانية نفسية ومدلولات فسيولوجية، إذ أنها علاقة تزامن بين الصوت واللون، وتنسيق بين نوعين مختلفين من الأحاسيس، أو ليس العقل هو جهاز الاستقبال والتحكم والربط؟ أليس هو المصّب الذي تتجمع فيه كل الحواس، والربط الذي يؤلف بين السمع والبصر والشم والذوق والإحساس؟⁽³⁾

ولذلك فإن الجمال في التشكيل الشعري يأخذ منحى آخر؛ لأن شرط تحقق هذا الجمال يكون بتطابق اللفظ مع المعنى من دون زيادة أو نقصان، ويتوافق الفكرة مع الشكل، ويمكن وسم الانسجام بالتناسب التام، وهذا التناسب هو الجمال في الشعر.

وإذا كان بعضهم يرى أن جوهر التشكيل الشعري كامن في الصياغة الموزونة، مستخف في التعبير الموسيقي، ويعد ذلك الأداة الشعرية والتعبير الطبيعي عن حالة من حالات الإحساس، فإن الحقيقة المعرفية لا تقر بذلك، على الرغم من أن أرسطو - قديماً - وأبا العلاء المعري يؤكدان أن الموسيقى من أهم عناصر الشعر، غير أن الأول لاذ بالمنطق، فحدد وقاس، والآخر استفتى الملكة وأذاقها حلوى الإيقاع ومره، قبل أن يرى رأيه في الشعر، فلم يستحسن ما حسن في القياس، بل استحسن ما حسن في الحسن، وكأنه بذلك يشير إلى أن دراسة العروض لا تقف المرء على

(1) انظر: موسيقى الشعر العربي، قضايا ومشكلات، مدحت الجيار، ص 72.

(2) انظر: التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، دار العودة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 13.

(3) انظر: موسيقى الشعر بين الثبات والتطور، صابر عبد الدائم، ص 14.

موسيقى الشعر الداخلية، ولهذا مضى الدارسون يبحثون في موسيقى الشعر بأساليب جديدة ليظفروا بما أشار إليه أبو العلاء⁽⁴⁾.

ولعل القضية التي جلبت اهتمام بعض من القدامى وكثير من المحدثين المعاصرين -بعد مسألة اللفظ والمعنى- هي قضية تلازم الوزن والمعنى، حيث اتخذ البحث عن العلاقة بين المعنى والإيقاع مسالك متشعبة من خلال دراسات تحاول الربط بين أنماط إيقاعية معينة، وبين ما يسمى أغراض الشعر أو العواطف الإنسانية.

والواضح أن العلاقة بين المعنى والإيقاع علاقة متشابكة معقدة، إذ إن الإيقاع غالباً ما يقود الشاعر سواء أعلق الأمر بمرحلة ما قبل النظم، أو خلاله⁽⁵⁾.

فلقد نظمت العرب أشعارها، وأبانت عن معانٍ في أشكال شعرية محددة المعالم، وعلى أوزان وقواف معلومة، وكانت قرائح الشعراء -في أغلبها- نقادة خبيرة، إذا طرقت باباً انفتح لها ملء رغبتهما، فتقع على البحر والقافية، وهي لا تعلم من أين تأتي لها أن تقع عليهما؛ وإنما هي الشعرية تدفعها إلى حيث يجب أن تندفع.

فالشاعر الماهر المجيد إذا تصوّر أمراً فإنما يتصور الأمر على كماله، فتتهيء له السليقة جمال الشكل، كما هيأت له جمال المعنى، فيجتمع له - حينذاك - إحكام التناسب بين اللفظ والمعنى، والوزن والقافية، وليس يخرج عن هذه القاعدة إلا الشعر المنظوم المتكلف، إذ إن الناظم مقيد في ذلك بنمط لا يتيسر له العدول عنه إلى غيره، وفي ما عدا ذلك فالشاعر متحرر يتصرف كيفما شاء، فله أن يرتضي ما تيسر له من الأوزان والقوافي التي تبرز له - غالباً - من نفسها بشكلها المستفرد، وقوامها المحكم⁽⁶⁾.

وهنا يبدو لنا أن قضية البحث في علاقة الوزن والمعنى من أعقد القضايا النقدية التي لم يستقرّ الدرس العروضي فيها ولا الدرس النقدي على رأي أو قرار⁽⁷⁾.

فمن الدارسين من حاول ربط الغرض بالوزن، معتقداً أن لكل بحر إيقاعاً يصلح لغرض من الأغراض، ولا يصلح لغيره، وآخرون نضوا العلاقة نضياً كلياً، وفريق ثالث ظل متردداً بين النفي والإثبات، ونتج عن ذلك اختلاف جلي، ووقع بعضهم - في ظننا - في انتقاص صراح، وأسباب ذلك كثيرة منها؛ الاحتكام إلى الذوق والذاتية، وسرعة التأثر، وتحكيم الطبع، وإهمال الاستقراء والمقايسة، مما أدى إلى تعميم الأحكام.

المبحث الأول: علاقة الأوزان بالمعاني عند العلماء القدماء والفلاسفة العرب؛

إذا نظرنا تراثنا الأدبي النقدي القديم، مستبصرين أمر الوزن والمعنى، فإننا لا نجد تفصيلاً ولا إيضاحاً، إذ لم يقتحم المتقدمون غمرات هذه المسألة، اقتحامهم قضية اللفظ والمعنى.

فالخليل الذي شغلته أوزان الشعر العربي؛ لم يُرو عنه إيماء إلى تلازم الوزن والمعنى، وكل ما ذكر عنه لا يعدو كونه مسوغات وجوابات عن أسباب تسمية بحور الشعر⁽⁸⁾.

(4) عروض الشعر العربي، من العلقات إلى شعر التفعيلة، غازي مختار ظليمات، دار طلاس، دمشق، سوريا، ط 1، 1994م، ص 177.

(5) انظر: موسيقى الشعر عند شعراء أبولو، سيد البحراوي ص 23-25.

(6) انظر: مقدمة الإلياذة، دار المشرق، سليمان البيستاني، بيروت، لبنان، ط 5، 1983م، ص 66.

(7) انظر: بناء القصيدة في النقد العربي القديم، في ضوء النقد الحديث، يوسف حسين بكار، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 1، 1982م، ص 160-161.

(8) انظر: المصدر نفسه، ص 161.

وأما الجاحظ (ت 255هـ) فقد اكتفى بذكر معايير الجودة في الشعر، فقال: «وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فيعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً جيداً وسبكسبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان... وكذلك حروف الكلام وأجزاء الشعر من البيت تراها متفقة لمسا، ولينة المعاطف، سهلة، وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشق على اللسان وتكدُّه، والأخرى تراها سهلة لينة، ورطبة مواتية، سلسلة النظام، خفيفة على اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد»⁽⁹⁾.

وإذا علمنا من أمر هذه المسألة في التراث النقدي القديم ما علمنا، سألنا - كما سأل أحد الدارسين نفسه - لماذا لم يتناول أكثر القدامى هذه القضية؟ ولم يعرضوا لها؟

والحقيقة أن الجواب الشافي يصعب تحديده، بيد أن هناك عللاً لا مانع من افتراضها: ومن ذلك أن المسألة لم تكن من أساسها لافتة، وبخاصة أن بعض القدامى لم يقل بإعداد الوزن، وبضرورة معرفة الأوزان، والذي يدعم هذا أن القصيدة تختمر في ذهن الشاعر وتولد بأفكارها وألفاظها، ووزنها وقافيتها، كالقصائد القديمة (في الجاهلية وفي صدر الإسلام) التي لم يكن أصحابها يعرفون العروض أو الأوزان - كما وضع فيما بعد - أو لأن الصراع بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى غطى على قضية الأوزان والأغراض.

وقبالة هذا، لا ننسى أن القصيدة القديمة الواحدة تقال في أغراض شتى، ولكنها تأتي على وزن واحد لا تعدوه، وهذا يدركه العامة فضلاً عن الخاصة.

ويظهر إن بداية الاهتمام بالقضية، كانت مع الناقد أبي الحسن ابن طباطبا (322هـ) في القرن الرابع الهجري، حيث إنه يقف عند قضية الوزن والمعنى، ويكشف بوضوح تلك العلاقة، وإن كان الإجمال والعموم هما الغالبين؛ وهو يتحدث عن أدوات الشعر، التي يجب إعدادها قبل مرامه، وتكلف نظمه، مشترطاً في ذلك شروطاً «حتى لا يكون ملفقاً مرفوعاً، بل يكون كالسبيكة المرغوة، والوشى المنمّم، والعقد المنظم، والرياض الزاهرة، فتسابق معانيه ألفاظه فيلتذ الفهم بحسن معانيه كالتناذ السمع بمونق لفظه، وتكون قوافيه كالقوالب لمعانيه، وتكون قواعده للبناء يتركب عليها ويعلو فوقها، ويكون ما قبلها مسبقاً إليها ولما تكون مسبوقاً إليه فتتلق في مواضعها، ولما توافق ما يتصل بها، وتكون الألفاظ منقاداً لما تراد له، غير مستكرهة ولما متعبة، مختصرة الطرق، لطيفة الموارج، سهلة المخارج»⁽¹⁰⁾.

إن هذه الشروط المذكورة تصدر عن خبير بالعملية الإبداعية، فابن طباطبا إنما يريد من الشاعر نبذ التكلف في اختيار اللفظ والوزن والقافية، كي لا يكون هناك نشاز أو ما يشوب التشكيل الشعري، ولذلك وجدناه - مرة أخرى - يصرح بوجود انتلاف المبنى والمعنى فيقول: «فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقها، والوزن الذي سلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه على تفاوت ما بينه وبين ما قبله، فإذا كملت له المعاني، وكثرت الأبيات، وفق بينها بأبيات تكون نظاماً

(9) البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1418-1988م، 67/1.

(10) عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المناع، مطبعة المدني، توزيع: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، د، ص 7.

لَهَا، وَسَلَكَا جَامِعًا لِمَا تَشَبَّهَتْ مِنْهَا. ثُمَّ يَتَأَمَّلُ مَا قَدْ آدَاهُ إِلَيْهِ طَبَعُهُ، وَتَنَجَّتْهُ فَكَّرَتْهُ فَيَسْتَقْصِي
انتقاده، وَيُرْمِي مَا وَهَى مِنْهُ، وَيَبْدِلُ بِكُلِّ لَفْظَةٍ مُسْتَكْرَهَةٍ لَفْظَةً سَهْلَةً نَفِيَّةً⁽¹¹⁾.

وكان ابن طباطبا -هنا- يرى أن هناك أوزاناً تشاكل معاني معينة، لا تشاكلها أخرى، ولا
تصلح إلا لها.

والظاهر أن ابن طباطبا لم يفصل ولم يتوسع في بيان علاقة الوزن بالمعنى، ولكنه كان يومئ
إلى ذلك، ولاسيما من خلال نظريته إلى اتفاق القافية والمعنى، ولننظر إلى قوله: «ويكون
كالنساج الحاذق الذي يصفو وشبهه بأحسن التفويف ويسديه وينيره، ولا يهلل شيئاً منه
فيشبهه»⁽¹²⁾ لنتبين وجهة ابن طباطبا نحو قول الشعر ونظمه.

وهي النظرة التي تقارب نظرة قدامة بن جعفر (337هـ) الذي لم يفصل، وإنما أجمل وهو
يتحدث عن نعت ائتلاف اللفظ والوزن، ونعت ائتلاف المعنى والوزن، فأما نعت ائتلاف اللفظ
والوزن فمضاده «أن تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت، لم يضطر
الأمر في الوزن إلى نقصها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها، وأن تكون أوضاع الأسماء
والأفعال والمؤلفة منها، وهي الأقوال، على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب
تقديمه، ولا إلى تقديم ما يجب تأخيره منها، ولا اضطر أيضاً إلى إضافة لفظة أخرى يلتبس
المعنى بها»⁽¹³⁾، وهو بهذا إنما يريد من الشاعر أن يلبس الألفاظ الأوزان التي تناسبها، كي لا
نشعر بالصنعة والتكلف، ثم يؤكد قدامة ذلك في نعت ائتلاف المعنى والوزن قائلاً، موجباً: «أن
تكون المعاني تامة مستوفاة، لم يضطر الوزن إلى نقصها عن الواجب، ولا إلى الزيادة فيها عليه،
وأن تكون المعاني أيضاً مواجهة للغرض لم تمتنع من ذلك ولم تعدل عنه من أجل إقامة الوزن
والطلب لصحته»⁽¹⁴⁾.

فقوله هذا يثبت أن قدامة فطن بالمسألة ولم يغفلها، كم يذهب إلى ذلك يوسف بكار⁽¹⁵⁾،
وإنما هي عادة القدماء الذين كانوا يجمعون فلا يفصلون، ويشيرون ولا يتوسعون، فاهتمامهم
بعضائهم المسائل هو الذي عدل بهم عن صغائرها وجزئياتها، إذ إن مسألة: الوزن والمعنى جزء
من كل، ونعني بذلك أن قضية اللفظ والمعنى أشمل عندهم وأعم.

ويبدو لنا أن بداية الحديث عن العلاقة بين الوزن والمعنى - صراحة - كانت مع صاحب
بن عباد (385 هـ) فهو في كشفه عن مساوئ المتنبي إنما يريد من الشاعر أن يستوثق من تجربته
الشعرية، فيختار لها من الأوزان وزناً يناسبها، وقافية تحسن أداءها، حتى لا يجف عطاؤه
الشعري⁽¹⁶⁾، وينبغي الإشارة بعد هذا إلى أن القضية الشاغلة - في ذلك العصر - هي قضية
مشاكلة الألفاظ والمعاني، فابن جني (ت392هـ) وهو من شراح ديوان المتنبي لم يشر إلى مسألة
الأوزان والمعاني، وإنما عمد إلى بيان تقارب الحروف والألفاظ لتقارب المعاني، وذكر مصطلحاً
آخر وهو: (التصاقب)، الذي يعني - في سياقه - التقارب والدنو، كما جعل في كتابه باباً أسماه:
«باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني»، ومما جاء فيه: «اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد

(11) المصدر نفسه، ص 8.

(12) المصدر نفسه، ص 8.

(13) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1927م، ص 166.

(14) المصدر نفسه، ص 166.

(15) انظر: بناء القصيدة في النقد الأدبي القديم (في ضوء النقد الحديث)، يوسف بكار، دار الأندلس، بيروت- لبنان، د ط، 1982م، ص 164.

(16) انظر: العروض وإيقاع الشعر العربي، محمد علي سلطاني، دار العصماء، دمشق، د ط، 1996م، ص 10.

نَبَه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته⁽¹⁷⁾.

ثم يذكر مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فيقول: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج مُتَلَبَّبٌ عند عارفيه، مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سَمَتِ الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلون بها ويحتدون عليها، وذلك أكثر مما نصدّره، وأضعاف ما نستشعره»⁽¹⁸⁾.

فابن جني لم يشر إلى مسألة ارتباط الأوزان بالمعاني في كتاب (العروض)، ولا في كتاب (الخصائص)، الذي وقف حديثه فيه عن حدو مسموع الأصوات بمحسوس الأحداث.

بيد أن أبا هلال العسكري (395هـ) كان أوضح بياناً في عرضه مسألة الصناعة في النظم والنثر، إذ أورد مصطلح (التأتي) للدلالة على مسألة التلازم أو الائتلاف بين الوزن والمعنى، يقول أبو هلال مبيناً مراحل الكتابة الشعرية ومعاييرها: «وإذا أردت أن تعمل شعراً فأحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك، وأخطرها على قلبك، واطلب لها وزناً يتأتى فيه إيرادها وقافية يحتملها؛ فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ولا تتمكن منه في أخرى، أو تكون في هذه أقرب طريقاً وأيسر كلفة منه في تلك؛ ولأن تعلق الكلام فتأخذه من فوق فيجىء سلساً سهلاً ذا طلاوة ورونق خير من أن يعلوك فيجىء كزاً فجاً ومتجعداً جلفاً»⁽¹⁹⁾.

فالعسكري يؤمن بالعلاقة بين الوزن والمعنى، وإن لم يفصل، فهو يرى أن على الشاعر أن يطلب للمعاني الأوزان التي توأمتها وتتأتى فيها، والقوالب التي تناسبها، غير أن حكمه لم يكن مطلقاً، بل كان الرجل حريصاً دقيقاً فاستدرك بقوله: «أو تكون في هذه أقرب طريقاً وأيسر كلفة منه في تلك...» كما أنه عمد إلى البيان والتلميح لا إلى الإلزام في إشارة لطيفة إذ يقول: «ولأن تعلق الكلام فتأخذه... خير من أن يعلوك»، وهو بذلك يتوخى الجودة في الشعر والقوة والتأثير.

والنتيجة التي يجمع عليها كثير من الباحثين والدارسين أن جلاء مسألة الوزن والمعنى إنما كان بجهود الفلاسفة المسلمين وإشاراتهم، ونقلهم آداب الأمم الأخرى وفلسفاتها، ومن هؤلاء الفلاسفة الكندي (260هـ)، والفارابي (339هـ)، وابن سينا (428هـ)، وابن رشد (590هـ). فلقد أدركوا من خلال نقلهم مؤلف أرسطو، وشروحهم له، أن الربط بين الوزن والموضوع لم يكن عند أمة أخرى غير اليونانيين⁽²⁰⁾.

ولقد أفاض الفلاسفة في الحديث عن التوافق بين الموسيقى والشعر، فأروا أن التوافق بينهما ليس في تماثل الإيقاع فقط، بل إنه يتحقق في مهمة الشعر والموسيقى أيضاً؛ فكلاهما يحدث تخيلاً أو انفعالاً أو إنداداً، ولذا قالوا: «إن الشعر الملحن لا يفقد قدرته الوظيفية على تخييل انفعال أو إحداث فعل، أو تأثير»⁽²¹⁾.

فالإيقاعات الثقيلة الممتدة في الزمن - لحناً أو شعراً - مثلاً، تشاكل الشجن والحزن، والخفيفة المتقاربة تشاكل الطرب وشدة الحركة⁽²²⁾. ويذكر ابن سينا أن اليونانيين «كانت لهم أغراض محددة يقولون فيها الشعر، وكانوا يخصّون كل غرض بوزن على حدة، وكانوا يسمون

(17) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتاب، بيروت، د ط، د ت، 152/2.

(18) المصدر نفسه، 157/2.

(19) الصناعتين، أبو هلال العسكري ص 139.

(20) انظر: بناء القصيدة في النقد العربي القديم، يوسف بكار، ص 165، 164.

(21) انظر: نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين، الأخضر الجمعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص 178.

(22) انظر: مفهوم الشعر، جابر عصفور، ص 202.

كل وزن باسم على حدة»⁽²³⁾.

وعلى الرغم من أن ابن سينا ينسب هذا إلى اليونانيين، ويرى ضرورة اختيار الوزن المناسب للغرض الملائم، فإنه يقر بتكيف الوزن مع مواضع متعددة إزاء ما يلحقه من تغييرات (ضرورات) وتبدلات وزحافات وعلل.

ولقد تابعه ابن رشد، ورأى أن من تمام الوزن أن يكون مناسباً للغرض، فربّ وزن ناسب غرضاً لم يناسب غرضاً آخر، غير أنه نفى أن تكون أشعار العرب القديمة كأشعار اليونانيين في أغراضهم وأوزانهم⁽²⁴⁾.

ويبدو أن قضية التناسب بين الوزن والغرض محكومة لدى الفلاسفة بتصورهم للنص الشعري والعلائق التي تنتظم عناصره جملة⁽²⁵⁾، وهم لا ينظرون إلى النص (القصيدة) بمعزل عن بعض الفنون والصور التعبيرية الأخرى، ويأتي في مقدمة ذلك علم الألحان أو فن الموسيقى. ولعل هذه النظرات هي التي أثرت في المدرسين العروضي والنقدي ابتداء من أوائل القرن الخامس الهجري وصولاً إلى القرن السابع حيث نضج التصور مع حازم القرطاجني كما نوضح لاحقاً.

فأبو منصور الثعالبي (ت 429هـ) وإن لم يذكر مسألة الوزن والمعنى صراحة، كان ميالاً إلى الأوزان الخفيفة الرشيقة⁽²⁶⁾، فكان يُقدّم الشعراء الذين ينظمون القصائد على الأوزان الخفيفة اللينة، التي تشاكل الطرب وشدة الحركة، كم يرى بعض الفلاسفة، ولا ريب في أن ذلك إنما يساير روح العصر وذوقه المترف وحسه المرهف، وهو ما دفع الشاعر آنذاك إلى النظم على الأوزان الخفيفة الرشيقة، ولذلك كان الثعالبي يعيب على الشعراء خروجهم عن العروض المعتاد، وعمّا ألفته الأذان العربية، كخروج المتنبي⁽²⁷⁾ في عروض الطويل غير المصّرع (مفاعيلن)، وعروض بحر الرمل (فاعلاتن) بعروض صحيحة، وذلك من الشاذ عند أهل العروض.

واللافت عند بعض النقاد القدامى عدولهم عن قضية الأوزان والمعاني، إلى ما كان مثاراً يومها، كقضية اللفظ والمعنى، فابن رشيق القيرواني (ت 456هـ) يجتزئ بذكر رواية الأخفش عن تسمية الخليل البحور الشعرية⁽²⁸⁾، وابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) يتحدث عن المساواة بين اللفظ والمعنى⁽²⁹⁾ وحسب، ولم يشر القاضي الجرجاني (ت 392هـ) إلا إلى خطأ الوزن في شعر أبي نواس في أبيات له، حيث نظم على مستفعلن مفعول، ومستفعلن فاعول، ومستفعلن فاعلاتن، في قصيدة واحدة⁽³⁰⁾.

(23) فن الشعر، من كتاب الشفاء مع الترجمة العربية القديمة، أرسطو طاليس، شرح ابن سينا، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 3، 1973م، ص 165-180.

(24) انظر: نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين، الأخضر الجمعي، ص 187، وعصفور، جابر، مفهوم الشعر، ص 203.

(25) المصدر نفسه، ص 189.

(26) انظر: اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، نبيل خليل أبو حاتم، دار الثقافة، الدوحة، قطر، د ط، 1405-1985م، ص 383.

(27) انظر: بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1403-1983م، 1/195-196.

(28) انظر: العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط 5، 1401-1981م، 1/136.

(29) انظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1402-1982م، ص 217.

(30) الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد الجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د ط، د ت، ص 63، 62.

وأما عبد القاهر الجرجاني (471هـ) فقد آثر الحديث عن النظم ومشاكله اللفظ للمعنى، وهو يَوْمئِ إلى ضرورة انتقاء الألفاظ والعبارات التي تستلذها الأذن، فقد قال بعد إيراد قول الشاعر: ولما قضينا من منى كل حاجة... وصل المعنى إلى القلب، مع وصول اللفظ إلى السمع، واستقر في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن⁽³¹⁾.

وحين تحدث عن شرف الكلام، شبهه بالذهب الإبريز، وأشار إلى حسن النظم والتأليف قائلاً: «واعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن، كالأجزاء من الصبغ تتلاحق وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين»⁽³²⁾ ولم يذكر الجرجاني مسألة الأوزان.

ومن ثم كان اتفاق الباحثين والدارسين على أن حازماً القرطاجني (684هـ) كان من فطن بالمسألة ونبه لها، ووقف عندها محتدياً حذو الفلاسفة، مهتدياً بأراء ابن سينا وابن رشد والفارابي، حيث رأى أن تباين الموضوعات لا بد أن يصحبه تباين في الأوزان، وأن الأوزان تتقاسمها الأغراض والمعاني بحسب ما يحصل من التجانس بينها وما تقتضيه طبيعة الإيحاء الشعري⁽³³⁾. وهو القائل: «ولما كانت أغراض الشعر شتى وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقيق، وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس»⁽³⁴⁾.

ذلك أن اختلاف المقاطع والوحدات الصوتية، أو تركيب الحركات والسكنات هو الذي يجعل غرضاً من الأغراض يتأتى في وزن لا يتأتى في غيره.

«وبذلك ارتبط الوزن بالمعنى عند حازم في علاقة احتواء تقوم على التناسب، فأصبح لكل وزن من الأوزان مجال يختص به وغرض لا يفارقه»⁽³⁵⁾.

المبحث الثاني: علاقة الأوزان بالمعاني عند المحدثين:

أما نظرة المحدثين في أمر الوزن والمعنى، فقد اتسمت بشيء من النضج، ولقد كانوا فرقا مختلفين، بعضهم تأثر بالقدامي وبهازم القرطاجني خاصة، وبعضهم وقف عند حيرة الشاعر في اختيار الوزن؛ لإيمانهم أن لكل فكرة من الأفكار بجزءاً خاصاً، وفريق رفض مسألة الربط جملة وتفصيلاً، ومجموعة رأت أن الصواب في الربط بين الأوزان والحالات الانفعالية الوجدانية التي تصاحب التجربة الشعرية، وكان هؤلاء ينظرون إلى أثر المعاناة النفسية لدى الشاعر، فالشاعر الحقيقي -عندهم- لا طاقة له باختيار الوزن، فالشعر يصنع نفسه بنفسه، بعد أن ينضج موضوع القصيدة، وتختمر تجربتها، فإن لم يكن كذلك، فإن الشعر يتحول حينئذ من تجربة شعورية عفوية إلى تجربة مادية صرفة يحكمها التكلفة والعمل، حيث يعد الشاعر كل شيء إعداداً، ويصنعه صنعة⁽³⁶⁾.

ولقد جعل يوسف بكار المعاصرين الذين عالجوا قضية الأوزان والمعاني ثلاث فئات: الفئة

(31) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ص 22، 21.

(32) دلالات الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط 3، 1413هـ، 1992م، ص 88.

(33) انظر، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ص 106.

(34) المصدر نفسه، ص 266.

(35) مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور، مطبوعات فرح، قبرص، ط 4، 1990م، ص 203.

(36) نظر: بناء القصيدة في النقد العربي الحديث، يوسف بكار، ص 160-166.

(2)- المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب المجدوب، ص 74.

الأولى تربط بين الأوزان ربطاً وثيقاً، والفئة الثانية لا تكاد تذكر العلاقة بين الوزن والمعنى ولا تعتقدها، بل عمد أصحابها إلى الربط بين الوزن والعاطفة، أما الفئة الثالثة؛ فإن أنصارها يركزون على علاقة الوزن بدرجة العاطفة.

فعبد الله الطيب المجدوب - وهو أبرز من تناولوا قضية الوزن والمعنى - احتذى حذو القرطاجني، فرأى أن اختلاف أوزان الشعر يعني بالضرورة اختلاف الموضوعات، فقال: «لو تأمل الناقد ودقق وتعمق، فاختلاف أوزان البحور نفسه، معناه أن أغراضاً مختلفة دعت إلى ذلك، وإلا فقد كان أغنى بحر واحد ووزن واحد... ومن كابر في مثل هذا، فإنما يغالط نفسه في الحقائق، ويسومها طلب المحال»⁽³⁷⁾.

ومن الذين كادوا ينتهجون هذا النهج، وفي أنفسهم بعض التردد، محمد علي سلطاني⁽³⁸⁾. وأما الذين يرفضون الفكرة أساساً، فهم أكثر، وقد تعددت آراؤهم وتعليقاتهم، ومن هؤلاء: شوقي ضيف، ومحمد غنيمي هلال، وعلي يونس، وإبراهيم أنيس، وجابر عصفور.

فشوقي ضيف لا يؤمن بما ذهب إليه بعض المعاصرين من محاولة الربط بين موضوع القصيدة والوزن الذي تنظم فيه، فحقائق شعرنا تنقض ذلك نقضاً تاماً إذ القصيدة تشتمل على موضوعات عدة، ولم يحاول الشعراء أن يخصصوا الموضوعات بأوزان لها لا تنظم إلا فيها، فكل موضوع نظم في أوزان مختلفة، وكل وزن نظمت فيه موضوعات مختلفة⁽³⁹⁾.

ويذكر محمد غنيمي هلال أن صياغة الشعر العربي منذ القديم كانت في كلام ذي توقيع موسيقي ووحدة في النظم تشد من أزر المعنى⁽⁴⁰⁾، وكأنه هنا يقر بعلاقة الوزن والمعنى، ويقول بعد ذلك: «إن الموسيقى في البيت ليست إلا تابعة للمعنى، والمعنى يتغير من بيت إلى بيت، حسب الفكرة والشعور والصورة»⁽⁴¹⁾.

ثم يرى أن موسيقى الشعر لا تنفك عن معناه وباختلاف المعنى تتنوع موسيقى الإنشاد، مع اتحاد الوزن والإيقاع.

ويخلص هلال بعد أن ذكر أن القدماء قد قالوا أغراضاً في كل البحور، وأن العلاقات تتفق على الموضوع أو الغرض، ولكن أوزانها مختلفة متباينة، يخلص إلى أن كل بحر قالب عام يستطيع الشاعر أن يضيف عليه الصبغة التي يريدها، وذلك من خلال ما يصب فيه من عبارات وكلمات ذات طابع خاص⁽⁴²⁾.

ويقول علي يونس: «ومن الخطأ ربط الوزن - سواء أردنا به البحر أم أحد تكويناته - بغرض معين أو انفعال معين، فالاستقراء يدل بوضوح على أن الوزن الواحد يستعمل في شتى الأغراض والعواطف والمعاني، وأن الغرض الواحد يظهر في شتى الأوزان وكذلك الانفعال الواحد»⁽⁴³⁾.

ويستدل على ذلك بكون القصيدة الواحدة من قصائد الشكل التقليدي قد تجتمع فيها عدة أغراض، أو عدة طبقات من المعاني، ثم يتساءل: كيف تكون العلاقة بين التكوين والمحتوى

(37) المصدر نفسه، ص 74

(38) العروض وإيقاع الشعر العربي، محمد علي سلطاني، دار العصماء، دمشق، 1996م، ص 12-13.

(39) في النقد الأدبي، شوقي ضيف، ص 152.

(40) انظر: النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص 461.

(41) المصدر نفسه، 463.

(42) المصدر نفسه، ص 464-468.

(43) نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي، علي يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993م، ص 116.

في ذلك النوع من القصائد⁽⁴⁴⁾. أما إبراهيم أنيس الذي نحا نحو بعض اللغويين القدماء، فرأى أن هناك علاقة بين الحروف والمعاني، وقسم الحروف قسمين، أحدهما ينسجم مع المعنى العنيف، والآخر يناسب المعنى الرقيق الهادئ، ومرجع تقسيمه للحروف صفاتها ووقعها في الأذان، فالشاعر - في رأيه - يحاول أن تكون موسيقى ألفاظه حين يطرق المعنى العنيف غيرها في المعاني الهادئة الرقيقة، ومن ثم تكون المخالفة بين نسبة شيوع الحروف في اللغة شعرها ونثرها، ونسبة شيوعها في لغة الشعر وحدها⁽⁴⁵⁾.

أما في الحماسة والفخر فإن النفس الأبوية تثور، ويتملكها انفعال نضائي يتبعه النظم على بحور قصيرة أو متوسطة. وفي المدح والوصف يرى إبراهيم أنيس أن الشاعر لا يفعل ولا يتأثر، فيكون في قصائد طويلة وبحور كثيرة المقاطع، مثل الطويل والبسيط والكامل⁽⁴⁶⁾.

هكذا يرى إبراهيم أنيس، مع أنه قال قبيل هذا: إن استعراض القصائد القديمة وموضوعاتها لا يكاد يشعرا بمثل هذا التخير، أو الربط بين موضوع الشعر ووزنه، فهم كانوا يمدحون ويفاخرون أو يتغزلون في كل بحور الشعر التي شاعت عندهم، ويكفي أن نذكر المعلقات التي قيلت كلها في موضوع واحد تقريبا، ونذكر أنها نظمت من الطويل والبسيط والخفيف والوافر والكامل، لنعرف أن القدماء لم يتخيروا وزناً خاصاً لموضوع خاص⁽⁴⁷⁾.

ومن النقاد المعاصرين الذين تعمقوا المسألة وحاولوا أن يبينوا أمر الأوزان والمعاني، جابر عصفور، حيث إنه وفي إشارات ينظر إلى العملية الإبداعية نظرة كلية شمولية، لا يعزل المبنى عن المعنى، كما أنه لم يقع في مثل ما وقع فيه غيره، من كون الوزن والإيقاع شيئاً واحداً.

فهو يميز بين الوزن والإيقاع، فالوزن المجرد شيء، والإيقاع شيء آخر مختلف، وهو نوعان: إيقاع شعري، وإيقاع موسيقي. يقول: إن بنية الدلالة التي تشكل الشعر، أو يشكلها الشعر على السواء، تفرض على الوزن نفسه نظاماً متميزاً، في علاقات التركيب والدلالة، مما يباعد بين الإيقاع الشعري والإيقاع الموسيقي⁽⁴⁸⁾.

ومن اللافت في آراء جابر عصفور، تمييزه بين حركتين في العملية الإبداعية الشعرية، وتمييزه بين الغرض والمحتوى بوصفهما مصطلحين مختلفين.

أما الحركة الأولى فهي حركة المعنى، وأما الأخرى فهي حركة الوزن، فالحركة الأولى تفكير في المحتوى من حيث الغرض، والحركة الأخرى تفكير في الأداة لا ينفصل عن الغرض، وإن انفصل عن المحتوى، مما يجعل العلاقة بين المعنى والوزن علاقة احتواء في أغلب الأحيان⁽⁴⁹⁾.

ويخلص جابر عصفور إلى توكيد أن الشاعر لا يفكر في الوزن بنفس الطريقة التي يفكر بها القرطاجني؛ لأن حركة الوزن حركة آنية لا تنفصل عن حركة المعنى أو تعقبها. إن الشاعر يفكر في مستويات التجربة وأبعادها تفكيراً آنياً لا انفصام بين عناصره، وحركة خياله داخل التجربة حركة موحدة، قد انفصل بينها نظرياً، ولكنها لا تنفصل في الواقع بحال.

الوزن في ذاته صورة مجردة لا قيمة لها، منفصلة عن المعنى، والتناسب الذي يمكن أن يتميز

(44) انظر، المصدر نفسه، ص 145.

(45) انظر، إبراهيم، موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص 43.

(46) المصدر نفسه، ص 177، 178.

(47) المصدر نفسه، ص 177.

(48) انظر: مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور، مطبوعات فرح، قبرص، ط 4، 1990م، ص 206.

(49) انظر: المصدر نفسه، ص 191.

به الوزن لا يمكن أن يفهم بعيداً عن التجربة⁽⁵⁰⁾.

ويبدو أنه ليس من الضروري أن يكون لكل غرض وزن خاص به، فالصلة بين موضوعات الشعر وأوزانه، لا تبدو واضحة في جميع الأحيان، صحيح أن بعض الأوزان تكون أليق بعض الموضوعات من أوزان أخرى إلا أن هذه القاعدة لا تطرد في كل الأوقات، ولو استقرنا بعض موضوعات الشعر العربي، لما وجدناها تطرد على وزن معين، بل لوجدنا الغرض الواحد يعالج بأكثر من وزن، ويطرده الشعراء في عدد غير محدد من الأبحر، وقد يحسن في هذه الحالة الربط بين الحالة النفسية والإيقاع، فتكون الأوزان وإيقاعاتها عندئذ انعكاساً لانفعالات الشاعر وأحاسيسه الوجدانية.

إن ما ورد عند القدماء وبعض المحدثين من إدراك الصلة بين موسيقى الشعر العربي وموضوعاته، لم يبرح حدود الذوق والطبع، ولا ريب أن الاحتكام إلى الذوق والحس، لا يقوم حجة ودليلاً، فقد غدا أمر موسيقى الشعر أعمق من ذلك وأبعد ولاسيما بعد نضج الدراسات اللغوية الحديثة المتعلقة بالأصوات والدلالات وجرس الحروف والموسيقى⁽⁵¹⁾.

ولا براح أن الفهم الحديث للإيقاع الشعري قد يطن في فكرة الملائمة بين الوزن والغرض، ذلك أن الإيقاع يتولد من جراء تفاعل مستويات النص كلها، ولا يستقل الوزن بدلالة خاصة تختار لتلائم المعاني المقصودة⁽⁵²⁾.

وبغض النظر عن أدلة كل طرف فيما ذهب إليه، فإننا لا نستطيع أن نتخذ أيّاً من هذه الآراء قانوناً صارماً في العمل الشعري» فالشعر فيض تلقائي لمشاعر قوية، والشاعر عندما تجيش نفسه بالشعر لا يضع في اعتباره بحراً أو قافية، وإنما يأتي هذا طواعية أحاسيسه وانفعالاته⁽⁵³⁾.

المبحث الثالث: علاقة أوزان شعر الشريف الرضي بالمعاني:

يتشكل الإطار الإيقاعي الخارجي لشعر الشريف الرضي من ثلاثة عشر بحراً، ويأتي ترتيبها وفق نسبة استعمالها كما يلي: (الطويل، الكامل، البسيط، الوافر، المتقارب، الخفيف، الرجز، السريع، الرمل، المتسرح، المديد، الهزج، المجتث)، كما يتبين ذلك من الجدول الآتي:

الوزن الشعري	عدد تجاربه الشعرية	نسبته المئوية	المجزوء منه
الطويل	201	29.38%	/
الكامل	131	19.15%	26
البسيط	71	10.38%	5
الوافر	64	09.35%	2
المتقارب	55	08.04%	/
الخفيف	44	06.43%	6
الرجز	38	05.55%	7

(50) انظر: المصدر نفسه، ص 206، 205.

(51) انظر: العروض وإيقاع الشعر العربي، محمد علي سلطاني، ص 13، 12.

(52) نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين، الأخضر الجمعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.

(53) عضوية الموسيقى في النص الشعري، عبد الفتاح صالح نافع، ص 86.

/	04.67%	32	السريع
6	02.48%	17	الرمل
/	02.19%	15	المنسرح
/	01.16%	8	المديد
/	00.73%	5	الhezج
/	00.43%	3	المجتث

ومما سبق يظهر أن الشريف الرضي لم ينظم شعره من بحور الشعر الستة عشر كلها، فقد عزف عن ثلاثة بحور لم ينظم منها بيتاً واحداً، وهي: (المتدارك، المقتضب، المضارع) وبذلك فإن الإطار الإيقاعي لشعره يتألف من (13) بحراً تتفاوت نسبة تواترها، حيث جاء حظ بعضها في الحضور أوفر من بعض، ففي حين يشكل بحر الطويل نسبة تواتر كبيرة تقترب من الثلث من النسبة الإجمالية، لا تغادر بحور أخرى كالهزج والمجتث دائرة الصفرية⁽⁵⁴⁾.

ومن خلال العرض السابق والنظر في إحصائيات تواتر استعمال أوزان البحور الشعرية تخلص الدراسة إلى أن أكثر البحور حظاً في التواتر هي البحور الأكثر مقاطع والأوسع مساحة: فالطويل الذي حقق المرتبة الأولى بين أوزان شعر الرضي يتكون من (28 مقطعاً) وفيه (48 متحرراً وساكناً). لقد بلغت نسبة تواتر هذا البحر في أشعار الرضي (29.32%) أي ما يقرب من الثلث، وهذه النسبة تؤكد النتيجة التي توصل إليها إبراهيم أنيس بعد أن أجرى دراسة إحصائية لأشعار الجمهور والمفضليات والأغاني وبعض دواوين الشعر القديم والتي ترى أن بحر الطويل «نظم منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي»⁽⁵⁵⁾، أما البحور التالية للبحر الطويل وهي (الكامل، والبسيط، والوافر) فإنها من أكثر البحور مقاطع وأوسعها مساحة.

والخلاصة أن هذه البحور الأربعة (الطويل، الكامل، البسيط، الوافر) يهيمن حضورها على بقية البحور الأخرى، فقد بلغ عدد التجارب الشعرية التي نُظمت على أوزان هذه البحور (465) قصيدة، من مجموع عدد القصائد البالغ (684) قصيدة، ونسبة تبلغ (68.18%) أي ما يزيد على ثلثي شعر الشريف الرضي.

وتأتي نسبة البحور الشعرية الأخرى مجتمعة أقل من الثلث في شعر شاعرنا.

أما البحور التي أهملها الشريف الرضي وهي (المضارع، والمقتضب، والمتدارك) فإنها تعد من البحور النادرة في الشعر العربي، فالمضارع -مثلاً- يرى حازم القرطاجني أنه لا ينبغي أن يعد من أوزان العرب، فقد وضع قياساً، وهو قياس فاسد؛ لأنه من الوضع المتنافر⁽⁵⁶⁾، أما المقتضب والمتدارك، فإنهما من البحور «قليلة الأثر في الشعر العربي قديمه وحديثه»⁽⁵⁷⁾.

وينبغي الإشارة هنا إلى أن الشعراء قديماً يميلون إلى النظم على البحور الكثيرة المقاطع، بيد أن نسبة بحر الطويل في شعر الشريف الرضي تزيد على نسبة غيره من البحور، فما سر ارتفاع نسبة بحر الطويل في شعره؟ وهل ثمة علاقة بين البحر وغرض القصيدة؟

تجدد الإشارة إلى أن بحر الطويل «نظم منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي وأنه الوزن

(54) الصفرية: مصطلح متداول في الجداول الإحصائية، يعني أقل من الواحد في النسبة المئوية.

(55) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص 187.

(56) انظر: منهاج البلغاء وسراج الأبداء، حازم القرطاجني، ص 86.

(57) خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، د ط، 1981م، ص 32.

الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم⁽⁵⁸⁾، وقد ذكر «أن العرب كانت تسمى الطويل الركوب لكثرة ما كانوا يركبونه في أشعارهم»⁽⁵⁹⁾، كما أن طبيعة هذا البحر من حيث كثرة المقاطع واتساع المساحة تتناسب مع مواقف المفاخرة والمناظرة، التي عني بها الشعراء في الجاهلية وفي العصور الأولى للإسلام⁽⁶⁰⁾.

وقد أظهر استقراء أوزان شعر الشريف الرضي أن أغراضه الشعرية لم يتخذ أي منها إطاره الإيقاعي من بحر بعينه، فكل غرض يحتضنه أكثر من بحر، وكذلك فإن البحر الواحد يتجلى في القصيدة الواحدة للتعبير عن موقفين نفسيين متغايرين، فبحر الوافر الذي اتخذه الرضي إطاراً إيقاعياً في مقام الضخر في قوله⁽⁶¹⁾:

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى النُّجُومِ سَأَحْمِلُهَا عَلَى الْخَطَرِ الْعَظِيمِ
وَإِنْ أَدَى الْهُمُومِ عَلَى فُؤَادِي أَضُرُّ مِنَ النَّصُولِ عَلَى أَدِيمِي⁽⁶²⁾

هو البحر نفسه الذي اتخذه الشاعر إطاراً إيقاعياً في القصيدة ذاتها في مقام التعزية في قوله⁽⁶³⁾:

لَهَانَ الْعَمْدُ مَا بَقِيَ الْحُسَامُ وَبِعَضِ النَّقْصِ، أَوْتَى، تَمَامُ
إِذَا سَلَكَ الْعُلَى سَلِمَتْ قُؤَاهُ فَلَا جَزَعٌ، إِذَا انْتَقَصَ النَّظَامُ

وهو البحر نفسه الذي استخدمه الشاعر في مقام المدح كما في قوله⁽⁶⁴⁾:

مَتَى أَنَا قَائِمٌ أَعْلَى مَقَامٍ وَوَلَّاقٍ نُورٍ وَجْهَكَ بِالسَّلَامِ

وقد استخدم الرضي البحر نفسه في الحجازيات، في قوله⁽⁶⁵⁾:

أُحِبُّكَ مَا أَقَامَ مِنِّي وَجَمَعُ وَمَا أَرَسَى بِمَكَّةَ أَحْشَبَاهَا⁽⁶⁶⁾

وكذلك في الرثاء في قوله⁽⁶⁷⁾:

عَجِزْنَا عَنِ مُرَاعِمَةِ الْحِمَامِ وَدَاءُ الْمَوْتِ مُغْرَى بِالْأَنَامِ⁽⁶⁸⁾

وأيضاً في التهنية في قوله⁽⁶⁹⁾:

حَقِيقٌ أَنْ تُكَاتِرَكَ التَّهَانِي بِأَيْمِنِ أَوَّلِ وَأَعَزِّ ثَانِي

لقد اتفقت الأوزان واختلفت الأغراض في هذه الأبيات تبعاً لاختلاف عاطفة الشاعر وأحاسيسه.

(58) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص 187.

(59) الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ، أبو العلاء المعري، ضبطه وفسره غريبه: محمود حسن زنتي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د ط، د ت، 1/212.

(60) انظر: موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص 189.

(61) ديوان الشريف الرضي، 2/347.

(62) النصول: مفردا النصل، وهي حديدة السيف والرمح.

(63) ديوان الشريف الرضي، 2/242.

(64) المصدر السابق، 2/353.

(65) المصدر نفسه، 2/481.

(66) الأخشبان: هما جبلا مكة: أبو قبيس والأحمر.

(67) الرضي، الشريف، الديوان، 2/330.

(68) مراغمة: معاداة، الجمام: الموت.

(69) ديوان الشريف الرضي، 2/457.

وبحر الطويل الذي اتخذهُ الرضي إطاراً إيقاعياً في مقام الرثاء في قوله⁽⁷⁰⁾:

لَنَا كُلُّ يَوْمٍ رَنَّةٌ خَلْفَ ذَاهِبٍ وَمَسْتَهْلِكُ بَيْنَ النَّوَى وَالنُّوَادِبِ⁽⁷¹⁾
وَقَلْعَةٌ إِخْوَانٍ كَانُوا وَرَاهُمْ نُرَامِقُ أَعْجَازِ النُّجُومِ الْغَوَارِبِ⁽⁷²⁾

هو البحر نفسه الذي اتخذهُ الشاعر إطاراً إيقاعياً في القصيدة التي في مقام المدح في قوله⁽⁷³⁾:

أَشَوْقًا، وَمَا زَالَتْ لَهَنَّ قَبَابُ وَذَكَرُ تَصَابٍ وَالْمَشِيبِ نَقَابُ⁽⁷⁴⁾
وَعَبِيرُ التَّصَابِي لِلْكَبِيرِ تَعْلَةٌ وَعَبِيرُ الْغَوَانِي لِلْبَيَاضِ صَحَابُ⁽⁷⁵⁾

وهو البحر نفسه الذي اتخذهُ الشاعر في مقام التعزية في قوله⁽⁷⁶⁾:

لَأَظْمًا مُعَلِّبِنَا وَأَرْوَى الْمَصَائِبَا وَأَسْخَطَ آمَالًا وَأَرْضَى نَوَائِبَا

كما ورد البحر نفسه في الحجازيات في قوله⁽⁷⁷⁾:

أَمِنْ ذَكَرٍ دَارٍ بِالْمُصَلَّى إِلَى مِنْى تُعَادُ كَمَا عِيدَ السَّلِيمِ الْمُؤَرَّقُ

وفي مقام التهنية في قوله⁽⁷⁸⁾:

أُسَائِلُ سَيْفِي: أَيُّ بَارِقَةٍ تُجْدِي وَلي رَغْبَةً عَمَّنْ يُعَلِّلُ بِالْوَعْدِ
وَأَيْضًا فِي مَقَامِ الْفَخْرِ فِي قَوْلِهِ⁽⁷⁹⁾:

نَزَلْنَا بِمُسْتَنِّ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى فَلَمْ نُبْقِ فَضْلًا لِلرَّجَالِ وَلَا مُجْدَا⁽⁸⁰⁾
وَلَيْسَ نَرَى لِلْفَضْلِ وَالْمُجْدِ دُونََنَا عَلَى حَالَةٍ قَصْدًا وَلَا خَلْفَنَا مَغْدَى

ولو نظرنا إلى بحر الكامل نجد أن الرضي قد وظفه في مقامات عدة، منها الرثاء في قوله⁽⁸¹⁾:

أُلُوِي حَيَازِيمِي عَلَيْكَ تَحْرُقًا وَأَشْكُو قُصُورَ الدَّمْعِ فِيكَ وَمَا رَقَا⁽⁸²⁾
والمدح في قوله⁽⁸³⁾:

يَا دَارَ مَا طَرِبْتَ إِلَيْكَ التَّوَقُّ إِلَّا وَرَبْعِكَ شَائِقٌ وَمَشُوقٌ

(70) المصدر نفسه، 210/1.

(71) رنة: صباح، مستهلك: هالك أي ميت، النوى: البعد، النوادب: جمع نادبة، وهي المرأة التي تبكي الميت وتذكر مآثره.

(72) قلعة: أي اقتلاع، وكان الموت يقتلعهم من بين الأهل، نرامق: أراد نرمق أي ننظر، أعجاز النجوم: أواخرها، الغوارب:

جمع غارب، وهو الذي يغرب ويذهب.

(73) ديوان الشريف الرضي، 114/1، 115.

(74) قباب: جمع قبة، وأراد بها المنازل، التصابي: إظهار الصباية، وهي الشوق إلى النساء، نقاب: حجاب، والمشيب نقاب: أي

أن المشيب يحجبك ويمنعك من التصابي والتشوق إلى ملاقاته النساء.

(75) التعلّة: الخجج، وكل ما يتعلل به المرء، والبياض: هو بياض الشعر أي المشيب.

(76) ديوان الشريف الرضي، 222/1.

(77) المصدر نفسه، 69/2.

(78) المصدر نفسه، 377/1.

(79) المصدر نفسه، 407/1.

(80) المستن: المضمار.

(81) المصدر نفسه، 64/2.

(82) الحيازيم: مفردها حيزوم، وهو الغليظ من الأرض.

(83) ديوان الشريف الرضي، 45/2.

والتعزية في قوله⁽⁸⁴⁾:

إِلَّا يَكُنْ نَصْلًا فَعَمْدُ نُصُولِ غَالَتْهُ أَحْدَاتُ الزَّمَانِ بَعُولِ

والحجازيات في قوله⁽⁸⁵⁾:

عَادَ الْهَوَى بِظَبَاءٍ مَ كَعَّةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا بَدَاهَا

والفخر في قوله⁽⁸⁶⁾:

إِنَّا نَعِيبُ، وَلَا نَعَابُ وَنُصِيبُ مِنْكَ وَلَا نَصَابُ

ولو تأملنا بحر البسيط لوجدنا أن الرضي قد وظفه أيضاً في عدة أغراض، منها: الرثاء في قوله⁽⁸⁷⁾:

دَعِ الذَّمِيلَ إِلَى الْغَايَاتِ وَالرَّتْكَأ مَاذَا الطَّلَابُ أَنْزَجُو بَعْدَهَا دَرَكَا⁽⁸⁸⁾

والمدح في قوله⁽⁸⁹⁾:

لَكَ السَّوَابِقُ وَالْأَوْضَاحُ وَالْغُرُرُ وَنَاطِرُ مَا انطَوَى عَنْ لِحْظِهِ أَثَرُ

والتعزية في قوله⁽⁹⁰⁾:

نَخْطُو وَمَا خَطُونَا إِلَّا إِلَى الْأَجَلِ وَنَنْقِضِي وَكَأَنَّ الْعُمَرَ لَمْ يَطُلْ

والحجازيات في قوله⁽⁹¹⁾:

يَا ظَبِيَّةَ الْبَانِ تَرَعَى فِي خَمَائِلِهِ لِيَهْنِكَ الْيَوْمَ أَنَّ الْقَلْبَ مَرَعَاكِ⁽⁹²⁾

والتهنئة في قوله⁽⁹³⁾:

لِكُلِّ مُجْتَهِدٍ حَقٌّ مِنَ الطَّلَبِ فَاسْبِقْ بِعَزْمِكَ سَيْرَ الْأَنْجَمِ الشُّهْبِ

والفخر في قوله⁽⁹⁴⁾:

حُبُّ الْعُلَى شُغْلُ قَلْبٍ مَا لَهُ شُغْلٌ وَأَفَةُ الصَّبِّ فِيهِ اللَّوْمُ وَالْعَدْلُ

وبذلك وبغض النظر عن أدلة كل طرف فيما ذهب إليه، فإننا لا نستطيع أن نتخذ أيّاً من هذه الآراء قانوناً صارماً في العمل الشعري، وذلك بفعل اختلاف الألفاظ اللغوية المستخدمة، والحروف المعينة التي يتكون منها كل لفظ، وانتظام هذه الحروف وتواليها في مقاطع لا تعتمد على تقطيعات وزن البحر، فهي تستمد نغماتها من طبيعة العلاقات الخاصة بين مستويات بناء النص الشعري وما تصدره ألفاظها من تلوين صوتي.

(84) المصدر نفسه، 182/2.

(85) المصدر نفسه، 484/2.

(86) المصدر نفسه، 178/1.

(87) المصدر نفسه، 90/2.

(88) الذميل: السير السريع اللين، الرتك: السير باضطراب واهتزاز، والرتكة من النوق التي تمشي وكان برجلها قديماً وتضرب بيدها.

(89) ديوان الشريف الرضي، 493/1.

(90) المصدر نفسه، 188/2.

(91) المصدر السابق، 93/2.

(92) الخمائل: واحدها خميلة وهي الشجرة الوارفة الظلال.

(93) ديوان الشريف الرضي، 156/1.

(94) المصدر نفسه، 155/2.

الخاتمة:

1. يجمع كثير من الباحثين والدارسين أن جلاء مسألة الوزن والمعنى إنما كان بجهود الفلاسفة المسلمين وإشاراتهم، ونقلهم آداب الأمم الأخرى وفلسفاتها.
2. على الرغم من أدلة كل طرف فيما ذهب إليه، فإننا لا نستطيع أن نتخذ أيًا من هذه الآراء قانوناً صارماً في العمل الشعري وذلك بفعل اختلاف الألفاظ اللغوية المستخدمة، والحروف المعينة التي يتكون منها كل لفظ، وانتظام هذه الحروف وتواليها في مقاطع لا تعتمد على تقطيعات وزن البحر، فهي تستمد نغماتها من طبيعة العلاقات الخاصة بين مستويات بناء النص الشعري وما تصدره ألفاظها من تلوين صوتي.
3. باستقراء شعر الشريف الرضي نجده ينظم من البحر الواحد أغراض كثيرة ومتنوعة، وهذا يناقض المقولة التي تقول: أن لكل بحر شعري غرض معين.

المصادر والمراجع:

1. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، نبيل خليل أبو حاتم، دار الثقافة، الدوحة، قطر، د ط، 1405هـ-1985م.
2. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة.
3. بناء القصيدة في النقد العربي القديم، يوسف حسين بكار، في ضوء النقد الحديث، دار الأندلس، بيروت، لبنان، د ط، 1982م.
4. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1418هـ، 1988م.
5. التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، دار العودة، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
6. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتاب، بيروت، د ط، د ت.
7. خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، د ط، 1981م.
8. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط 3، 1413هـ، 1992م.
9. ديوان الشريف الرضي، شرح وتعليق: محمود مصطفى حلوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط 1، 1419هـ، 1999م.
10. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1402هـ-1982م.
11. الشعر الجاهلي، قضاياها الفنية والموضوعية، إبراهيم عبد الرحمن محمد، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، 2000م.
12. الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1986م.
13. عروض الشعر العربي، من المعلقات إلى شعر التفعيلة، غازي مختار طليمات، دار طلاس، دمشق،

سوريا، ط 1، 1994م.

14. العروض وإيقاع الشعر العربي، محمد علي سلطاني، دار العصماء، دمشق، د ط، 1996م.
15. عضوية الموسيقى في النص الشعري، عبد الفتاح صالح نافع، مكتبة المنار، الأردن، ط 1، 1985م.
16. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط 5، 1401هـ- 1981م.
17. الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ، أبو العلاء المعري، ضبطه وفسر غريبه: محمود حسن زناتي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د ط، دت.
18. فن الشعر، من كتاب الشفاء، مع الترجمة العربية القديمة، شرح ابن سينا، أرسطو طاليس، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 3، 1973م.
19. في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 6، 1981م.
20. المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب المددوب، مكتبة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط 1، 1955م.
21. مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور، مطبوعات فرح، قبرص، ط 4، 1990م.
22. مقدمة الإلياذة، سليمان البستاني، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 5، 1983م.
23. منهج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد بن الحبيب الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 2، 1981م.
24. موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ط 3، 1965م.
25. موسيقى الشعر بين الثبات والتطور، صابر عبد الدايم، مطبعة الخانجي، القاهرة، د ط، 1992م.
26. موسيقى الشعر العربي، قضايا ومشكلات، مدحت الجيار، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1995م.
27. موسيقى الشعر عند شعراء أبوللو، سيد البحراوي، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1991م.
28. النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة.
29. نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين، الأخضر الجمعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.
30. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1927م.
31. الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د ط، دت.
32. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1403هـ- 1983م.

مسائل صرفية في آيات قرآنية

د. علي ماضي ثيل العبودي

أستاذ مساعد

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

كلية التربية / جامعة طبرق

القبول: 15.10.2024

الاستلام: 12.9.2024

المستخلص:

تعد دراسة الكلمة وما يطرأ عليها من التغييرات التي ليست بإعراب، أو بناء، كتحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لأداء معان معينة، كتغيير المفرد إلى التثنية والجمع، والمصدر إلى الفعل والوصف...، أو تغيير الكلمة للتخفيف في اللفظ، كالقلب، والإبدال، والإدغام، والحذف، والزيادة، أساساً لعلم الصرف، لكن النحاة القدامى أدرجوا الألفاظ التي تتغير أبنيتها معنوياً في الموضوعات النحوية، أما الألفاظ التي تتغير أبنيتها لفظياً، فهي عندهم المقصود بمصطلح ((التصريف)) وهذا لا يعني أن القدامى لم يدركوا العلاقة بين بنية الكلمة والسياق الذي تدخل فيه - كما زعم بعض المحدثين - وأنهم لم يحسنوا النظر في تقسيمات الزمن في السياق العربي، وإنما درسوه دراسة مستفيضة، ووضحوا أبعاده، والدلالة الصرفية هي الدلالة التي تستمد عن طريق الصيغ وأبنيتها، ويمكن معرفة مباني هذه الصيغ للحصول على مبان ثابتة تدل على معان ثابتة، وبتغيير هذه المباني يؤول الأمر إلى تغيير تلك المعاني، أي إن التقارب في المعاني ناتج من التقارب في المباني، وهذه الدلالات تحتاج إلى تدقيق ودراية للتمييز بينها، على الرغم من اشتراكها في البنى، لذلك لا بد من تسليط الضوء على دلالات الألفاظ بحسب اشتقاقها، وتغيير أبنيتها. فعلى مستوى المادة الصرفية، فإن تغيير دلالة الألفاظ يعد أصيلاً في غالبها، لذلك عرض البحث لما خالف الأصل فيها.

الكلمات المفتاحية: التغيير الصرفي، الدلالة، النص.

Research summary:

The study of the word and the changes that occur to it that are not grammatical or syntactic, such as converting the word into different structures to perform certain meanings, such as changing the singular to the dual and plural, and the infinitive to the verb and description..., or changing the word to lighten the pronunciation, such as inversion, substitution, and assimilation. , deletion, and addition Basically, for the science of morphology, but the ancient grammarians included words whose structures change morally in grammatical topics. As for words whose structures change verbally, they have what is meant by the term ((morphology)). This does not mean that the ancients did not realize the relationship between the structure of the word and the context in which it enters - as Some hadith scholars claimed that they did not study

the divisions of time in the Arab context well, but rather studied it extensively. They explained its dimensions, and morphological significance is the significance that is derived through formulas and their structures, and the premises of these formulas can be known to obtain fixed buildings that indicate fixed meanings, and by changing these buildings the matter leads to changing those meanings, that is, the convergence in meanings results from the convergence in the buildings, and these connotations It requires scrutiny and knowledge to distinguish between them.

Keywords: morphological change, connotation, text.

المقدمة:

الصرف لغة: رد الشيء عن وجهه⁽¹⁾.

أما في الاصطلاح، فقد عرفه علماء العربية، بأنه دراسة الكلمة وما يطرأ عليها من التغييرات التي ليست بإعراب، أو بناء، وهذه التغييرات إما بتحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لأداء معان معينة، كتغيير المفرد إلى التثنية والجمع، والمصدر إلى الفعل والوصف...، أو تغيير الكلمة للتخفيف في اللفظ، كالقلب، والإبدال، والإدغام، والحذف، والزيادة⁽²⁾.

أهمية موضوع البحث:

الملاحظ إن النحاة القدامى أدرجوا الألفاظ التي تتغير أبنيتها معنوياً في الموضوعات النحوية، أما الألفاظ التي تتغير أبنيتها لفظياً، فهي عندهم المقصود بمصطلح ((التصريف))⁽³⁾ في حين يرى المحدثون أن ((كل دراسة تتصل بالكلمة، أو أحد أجزائها، وتؤدي إلى خدمة العبارة والجملة، أو عبارة بعضهم - تؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية - كل دراسة من هذا القبيل هي صرف))⁽⁴⁾.

وهذا لا يعني أن القدامى أغفلوا هذا الجانب من العلوم، بحيث لم يدركوا العلاقة بين بنية الكلمة والسياق الذي تدخل فيه - كما زعم بعض المحدثين⁽⁵⁾ - وأنهم لم يحسنوا النظر في تقسيمات الزمن في السياق العربي، وإنما درسوه دراسة مستفيضة، ووضحوا أبعاده، وإن المتبع للدراسات الصرفية لا يمكنه أن يغفل التقدم الكبير الذي حظيت به تلك الدراسات بعد عصر الرواد، فضلاً عن أنهم جعلوا الصرف أساس معرفة النحو، فقد قال ابن جني: ((التصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمة الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة... وإذا كان ذلك كذلك، فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو، أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة))⁽⁶⁾، ويعد أن تطورت العلوم اللغوية واتجهت نحو التخصص في التأليف الذي نشطت حركته، بدأ الصرف يتجه نحو الاستقلال عن النحو، وهذا متمثل بمحاولات التأليف الأولى في الصرف والتي منها كتاب التصريف للمازني (ت 249هـ)، الذي يُعد أول من فصل علم الصرف عن علم النحو، وذلك بدراسته

(1) اللسان: (صرف).

(2) ينظر: أوضح المسالك: 307.

(3) أطلق المتقدمون هذه التسمية على دراسة بنية الكلمة، في حين عثر عنه المتأخرون من النحاة - كبن مالك مثلاً - بالصرف مراعاة للأصل واختصاراً في اللفظ.

(4) دراسات في علم اللغة: كمال بشر: 85.

(5) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 243.

(6) المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني: 4/1.

الموضوعات الصرفية بمؤلف مستقل⁽⁷⁾، ومن ثم توالت المحاولات، ليكون علم الصرف علماً مستقلاً بتعريفاته وأصوله وقواعده عند المتأخرين، فالرضي (ت 686هـ) - مثلاً يعرفه، بأنه علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب⁽⁸⁾.

مشكلة البحث:

الدلالة الصرفية، هي الدلالة التي تستمد عن طريق الصيغ وأبنيتها⁽⁹⁾، ويمكن معرفة مباني هذه الصيغ للحصول على مبان ثابتة تدل على معان ثابتة، ويتغير هذه المباني يؤول الأمر إلى تغيير تلك المعاني، أي أن التقارب في المعاني ناتج من التقارب في المباني، وهذا ما ذهب إليه سيوييه، إذ جعل من ذلك، المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني ومن هذه المصادر: النَّزْوَان، والنَّقْرَان والغَلْيَان والغَثْيَان والخطران واللمعان، والجامع بين هذه المصادر ما تجده من اضطراب وتحرك⁽¹⁰⁾، لذلك جعل ابن جني ما جاء من المصادر على الفعلان يدل على الاضطراب والحركة⁽¹¹⁾.

أهداف البحث:

إن الدلالة الصرفية تأتي واضحة بيّنة في بعض المواضع، في حين تبدو غامضة مبهمة تحتاج إلى تأمل ودراية في مواضع أخرى، فالصيغ ((أحسن، تحسن، نحسن...)) يلاحظ أن التغيير في حروف الزيادة أدى معه إلى تغيير ملحوظ في الدلالة، ف ((أحسن)) يدل على الغائب المفرد، و ((تحسن)) يدل على المخاطب، وعلى الغائبة أيضاً، و ((نحسن)) تدل على جمع المتكلم، فهنا يبدو تغيير الدلالة واضحاً ملموساً، أما في صيغة ((فعل)) مثلاً، فلها دلالات مختلفة⁽¹²⁾، منها: التكثر، والمبالغة، والتعديّة، والسلب، والنحت، وهذه الدلالات تحتاج إلى تدقيق ودراية للتمييز بينها، على الرغم من اشتراكها في البنى، لذلك لا بد من تسليط الضوء على دلالات الألفاظ بحسب اشتقاقها، وتغيير أبنيتها.

الاشتقاق:

في اللغة: اشتقاق الشيء بنيانه من المرتجل، واشتقاق الكلام الأخذ فيه يميناً وشمالاً واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه⁽¹³⁾.

أما في الاصطلاح: فإنه ((توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحى بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحى بمعناها الخاص الجديد))⁽¹⁴⁾.

وقد تنبّه القدامى لهذه الظاهرة و ((أفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدمين، منهم الأصمعي، وقطرب، وأبو الحسن الأخفش، وأبو نصر الباهلي، والمفضل بن سلمة، والمبرد، وابن دريد، والزرّاج، وابن السراج، والرماني، والنحاس، وابن خالويه))⁽¹⁵⁾ وأدرك هؤلاء العلماء أن

(7) ينظر: أبو عثمان المازني ومناهجه في الصرف والنحو: 106.

(8) ينظر: شرح الرضي على الشافية: 21/1.

(9) ينظر: دلالة الألفاظ: 47.

(10) ينظر: الكتاب: 218/2، والدراسات اللغوية والصرفية عند ابن جني: 274.

(11) ينظر: الخصائص: 152/2..

(12) ينظر: المسحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: 189.

(13) اللسان: مادة (شق).

(14) دراسات في فقه اللغة: 174.

(15) المزهري: 351/1.

بعض الكلمات مشتقة والأخرى غير مشتقة، وهذا يدل على أنهم ميزوا بين الدلالة الذاتية والدلالة المكتسبة اعتماداً على العلاقة بين اللفظ ومدلوله⁽¹⁶⁾، وقد درس ابن جني هذه الظاهرة وجعلها على قسمين⁽¹⁷⁾:

الأول: الاشتقاق الأكبر: وهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُد بلطف الصنعة والتأويل إليه؛ كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد. ونظام تقليب أصول البناء الواحد ابتكره الخليل بن أحمد الضراهيدي (175هـ)، وذلك ليتمكن من حصر مفردات اللغة العربية في تقاليب كلماتها وتصاريضها⁽¹⁸⁾، وتعد فكرة الخليل الأساس لعمل عدد من المعجمين بعده، كابن دريد في جمهرته، والقالي في بارعه، والأزهري في تهذيبه، والصاحب في محيطه، وابن سيده في محكمه⁽¹⁹⁾.

الثاني: الاشتقاق الأصغر: وهو (كأن تأخذ أصلاً من الأصول، فتتقراه، فتجمع بين معانيه، وإن اختلف صيغته ومبانيه)⁽²⁰⁾، ويتحقق بأخذ بناء من بناء، مع المحافظة على أصل المادة، وترتيبها، ودلالاتها، وله أثر كبير في نمو اللغة وكثرة مفرداتها، وذلك لأنه يمثل نزاع لفظ من لفظ آخر أصل منه، على أن يشتركا في المعنى والأحرف الأصول وترتيبها، كاشتقاق اسم الفاعل، واسم المفعول، واسمي الزمان والمكان، والآلة، وصيغ المبالغة، والصفة المشبهة، وأفعال التفضيل، أو اشتقاق الفعل من المصدر - على رأي البصريين⁽²¹⁾، أو المصدر من الفعل - على رأي الكوفيين⁽²²⁾ ومن أمثلة ذلك:

1- دلالة اسم الفاعل إذا أضيف إلى مفعوله:

هناك آيات وردت في سياقها اسم الفاعل، نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾⁽²³⁾، وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...﴾⁽²⁴⁾، وقوله: ﴿إِنَّا مُرْسَلُوا نَائِقَةَ فِتْنَةٍ لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾⁽²⁵⁾، وقوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾⁽²⁶⁾، ذهب العلماء في هذه الآيات إلى أن اسم الفاعل إذا أضيف إلى مفعوله دل على أن الحدث قد وقع، وإذا لم يقع الحدث فلا يجوز أن يضاف، وذلك مثل قولك: ((هم ضاربو أبيك))، نقول ذلك إذا كان الضرب قد وقع فعلاً، أو إذا كان الضرب يقع في الحال، وإذا كان الضرب لم يقع بعد، يقال: ((هم ضاربون أخاك)) وهذه القاعدة الدلالية مبنية على أساس أن اسم الفاعل حدث يحدث بنفسه، أو يكون شيئاً يقوم فيه الحدث، إلا أنه يكتسب الدلالة الزمنية من السياق الذي يرد فيه، وبذلك تكون قاعدة الإضافة التي ذكروها في أمثلتهم للدلالة على زمن الماضي، أي أن الحدث قد وقع، وهذا لم يتوافق ودلالة الآيات السابقة، فالملحوظ هنا أن القرآن الكريم أضاف اسم

(16) ينظر: دراسات في فقه اللغة: 174.

(17) الخصائص: 134/2.

(18) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب: 490.

(19) ينظر: دلالة الألفاظ: 67، ودراسات في فقه اللغة، الصالح: 188 - 189.

(20) الخصائص: 134/2.

(21) إذ احتجوا بأن المصدر يدل على زمان مطلق، والفعل يدل على زمان معين، وكما أن المطلق أصل للعقد، فكذلك المصدر أصل للفعل، ينظر: الإحصاف: 237/1.

(22) فقد احتجوا بأن المصدر يصح لصحة الفعل ويعمل لاعتلاله، ينظر: الإحصاف: 235/1.

(23) الفرق: 46.

(24) آل عمران: 185.

(25) القمر: 27.

(26) الدخان: 15.

الفاعل على مفعوله، والفعل لم يقع بعد، ففي الآية الأولى أضاف قوله: ﴿مَلَقُوا رَبَّهُمْ﴾. ولم يقع الفعل، وفي الآية الثانية أضاف ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ولم تنق بعد، وفي الآية الثالثة ﴿مُرْسَلُوا النَّاقَةَ﴾ وهذا قبل الإرسال، وبذلك فقد نقض القرآن الكريم هذه القاعدة، إلا أن الأخفش وضع لهذه المسألة حلاً مقتبساً إياه من كتاب سيبويه، وهو: ((أن العرب قد تستثقل النون فتحذفها في معنى إثباتها))⁽²⁷⁾ ونص حديث سيبويه: ((وأعلم أن العرب يستخفون فيحذفون التنوين والنون، ولا يتغير من المعنى شيء...))⁽²⁸⁾ واستدل سيبويه أيضاً بعدد من الآيات السالفة الذكر، وتابعتها الزجاج في حذف النون استخفافاً، إذ ذكر أن المعنى في ﴿مَلَقُوا رَبَّهُمْ﴾ ((ملاقون لأن اسم الفاعل هاهنا نكرة، ولكن النون تحذف استخفافاً، ولا يجوز في القرآن إثباتها لأنه خلاف المصحف...))⁽²⁹⁾.

ويبدو أن ما وقع في هذه الآيات، وإن كان جارياً على سنن العربية في التعبير، كما ذهب إلى ذلك سيبويه والأخفش والزجاج إلا أنه يعطي دلالة الإعجاز في التعبير، إذ إن هذه الإضافة إنما تدخل الكلام في باب تأكيد الحدث، وذلك لأن هذه الأفعال التي ذكرت جميعاً في الآيات، وإن لم تقع، لكنها بحكم الواقعة، فهذه الآيات وإن كانت جملاً إخبارية، لكنها لا تحتل إلا جانباً واحداً وهو الصدق في الخبر، لأن الله هو الذي أخبر، فهي تختلف عن قول القائل: ((هم ضاربو أبيك، أو ضاربون أخاك)) لأن هذه الجملة الإخبارية واقعة من بشر، فهي تحتل الصدق والكذب، فضلاً عن أن فعل الظن الذي أسند إلى المؤمنين في الآية الأولى ليس ظناً بمعنى الشك، وإنما هو يقين⁽³⁰⁾ لأن المؤمن لا يشك بقاء ربه، بل يعده واقعاً لا محالة إن شاء الله، وذوق الموت في الآية الثانية هو الآخر، أمر محتم مرثي لا يختلف اثنان في وقوعه، وهو سنة من سنن الكون الجارية التي يشاهد وقوعها يومياً، وأما إرسال الناقة وكشف العذاب، فهذا خطاب موجّه لنبي، والنبي لا يشك بوقوع ما أخبره الله به، وعليه فالأحداث في هذه الآيات جميعها كانت بمثابة الواقعة، ولذلك أضيف اسم الفاعل إلى مفعوله، وليس من قبيل التخفيف كما ذهب الأخفش، بدليل أن التنوين أثبت في قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾⁽³¹⁾ وذلك لأن الدلالة هنا لوصف الحال، أو ما يسمى بحكاية الحال، قال الأخفش: ((فأثبت التنوين لأنه كان في الحال))⁽³²⁾ فالسياق لا يحتاج إلى تأكيد الفعل، كما هو الحال في الآيات السابقة، أما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلِكَ إِنَّا أَمْرَاتُكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾⁽³³⁾، فقد جعل الأخفش حذف النون أو التنوين لدخول الكاف، وإن كانت دلالته على الحال أو الاستقبال، وكذلك المعرفة بأل: ((فإذا أخرجت النون من الاثنين والجمع من أسماء الفاعلين أضفت، وإن كان فيه الألف واللام، لأن النون تعاقب الإضافة وطرحت النون هاهنا كطرح النون في قولك: (هما ضاربا زيد) ولم يفعل، لأن الأصل في قولك: (الضاربان) إثبات النون، لأن معناه وإعماله، مثل معنى: (الذي فعل) وإعماله...))⁽³⁴⁾.

(27) معاني الأخفش: 254/1

(28) الكتاب: 165/1

(29) معاني الزجاج: 127/1

(30) نظير: الإعجاز: 39/1، وتفسير غريب القرآن: 47، والكشاف: 134/1.

(31) الكيف: 18

(32) معاني الأخفش: 254/1

(33) المنكوت: 33

(34) معاني الأخفش: 256/1

2- دلالة اسم الفاعل على اسم المفعول:

ذكر العلماء أن من سنن العرب أنها تستعمل صيغة (فاعل) للتعبير عن (مفعول)، وذلك نحو: قولهم: ((هذا ليل نائم، وسرّ كاتم، وماءٌ دافق، فيجعلونه فاعلاً، وهو مفعول في الأصل))⁽³⁵⁾، وعُلم ذلك بأنهم يريدون وجه المدح أو الذم، واشترط ألا يكون ذلك على بناء الفعل، ولو كان فعلاً مصرحاً لم يُقل ذلك فيه، لأنه لا يجوز أن تقول للضارب: مضروب، ولا للمضروب: ضارب، لأنه لا مدح فيه ولا ذم، وقد وردت هذه الدلالة في سياق قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ...﴾⁽³⁶⁾ أي مرضية على رأي أبي عبيدة⁽³⁷⁾، وقد ذهب الزجاج إلى أنها ذات رضَى يرضاه من يعيش فيها، إلا أنه ذكر الرأي الآخر بقوله: ((وقال قوم: معناه مرضية، وهو يعود إلى هذا المعنى في التفسير))⁽³⁸⁾.

ويبدو أن دلالتها على المفعولية أبلغ في المعنى، لأنه مدح للعيشة وترغيب بها، إذ هي متميزة عن العيشة الطبيعية، لذلك عدل بصيغة الفاعل عن صيغة المفعول للمبالغة فيها، فضلاً عن أنه جاء موافقاً لسنن العرب

3- دلالة اسم المفعول على الفاعل:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾⁽³⁹⁾. يرى العلماء أن لفظ اسم المفعول (مستورا) جاء للدلالة على معنى اسم الفاعل (ساتر)، ((لأن الفاعل قد يكون في لفظ المفعول، كما تقول: (انك مشؤوم) علينا، وميمون، وإنما هو شائم ويأمن، لأنه من شأمهم ويمنهم والحجاب هاهنا هو الساتر، وقال: (مستورا))⁽⁴⁰⁾، وهذا ما ذهب إليه الزجاج، إلا أنه أجاز فيها رأياً آخر بقوله: ((ويجوز أن يكون (مستورا) على غير معنى ساتر، فيكون الحجاب ما لا يروونه ولا يعلمونه من الطبع على قلوبهم))⁽⁴¹⁾. أي مخفياً عنهم، وهو بذلك جعله على معنى المفعول، ويبدو - والله أعلم - أن المعنيين مجتمعان في هذه اللفظة، إذ إن المعنى الأول، وهو ساتر يكون كقولنا: حجاب حاجز، بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾⁽⁴²⁾، والأكنة جمع كنان وهو ما ستر.

أما المعنى الثاني، فهو الإخفاء للساتر، وهذا الإخفاء يكون إما بحجاب آخر، أي أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب، فهو مستور بغيره، أو حجاب يُستر أن يبصر، فكيف يبصر المحتجب به⁽⁴³⁾.

أما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيْبًا مَهِيْلًا﴾⁽⁴⁴⁾، فقد ذهب الأخص إلى أن (مهيلاً) هو من قولك (هلته)، فهو (مهيل) أي اسم مفعول، وبذلك يكون الأصل فيها (مهيل) لأنها من هال، وهذا مذهب سيبويه، إلا أنه يرى أن الواو حذف لالتقاء

(35) معاني الفراء: 182/3.

(36) الساقية: 21، والقرعة: 7.

(37) بنظر: المجاز: 268/2، ومعاني الفراء: 182/3.

(38) معاني الزجاج: 355/5.

(39) الإجراء: 45.

(40) معاني الأختار: 391/2.

(41) معاني الزجاج: 243/3.

(42) الإجراء: 46.

(43) بنظر: الكشاف: 670/2.

(44) التزم: 14.

(45) معاني الأختار: 718/2.

الساكنين ثم كسرت الهاء لمجاورتها الياء فصارت مهيل⁽⁴⁶⁾، وخالفه الأخفش والكسائي والفاء فيما روى عنهم ابن النحاس (ت 338هـ)، وذكر أن ((الحجة لهم أن الواو جاءت لمعنى فلا تحذف، ولكن حذفت الياء، فكان يلزمهم على هذا أن يقولوا: مهُولٌ، فاحتجوا بأن الهاء كسرت لمجاورتها الياء، فلما حذفت الياء انقلبت الواو ياءً لمجاورتها الكسرة))⁽⁴⁷⁾. ووصف ابن النحاس هذا القول بأنه من باب التصريف وغامضٌ في النحو، وأجاز الفراء القول بالصيغتين: مهيل ومهيول، وقد جعل المهيل ما تحرك أسفله فينهال عليك من أعلاه⁽⁴⁸⁾، في حين يرى الزجاج أن معنى (مهيلًا) سائلاً قد سيلٌ، وأصل مهيل: مهيلول، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين، وهما الياء بعد حذف الضمة منها والواو، وهو بذلك على رأي سيبويه، ويقال: تراب مهيل، وتراب مهيلول، أي: مصبوب مُسيلٌ، والأكثر مهيل⁽⁴⁹⁾. وقد تأتي ((مهيل)) من هُولٌ، ومنه الهُولُ وهائل ومهول، ومكان مهيل أي: مَخَوْفٌ⁽⁵⁰⁾.

أما المحدثون فهم على رأي سيبويه⁽⁵¹⁾ في أصل (مهيل). ويبدو لي هو الصواب، إذ لا مبرر لإجراء القلب بعد الحذف، أو كسر الهاء قبل الياء، وهي ساكنة أصلاً - على ما ذهب إليه الأخفش والكسائي والفاء - لأنها على زنة (مفعول)، ومن ثم لا موجب لهذه التعليلات، أو التاويلات المتكلفة، فضلاً عن أنهم جعلوا الصيغتين سواء في المعنى، أي: (مهيل ومهيول)، ولم يذكروا دلالة الواو، أم إذا صحَّت دلالة (مهيل) على الخوف فإن هذه الصيغة تحتمل - والله أعلم - أن تكون للدلالة على الخوف نتيجة رواية⁽⁵²⁾ سيل قطع الرمال العظيمة، وهذا ما يدل عليه سياق الآية الكريمة، إذ أن المقصود هو الترهيب، وبيان عظمة الحدث، ولعل هذا ما أراده الأخفش والكسائي والفاء فيما ذهبوا إليه في عدم جواز حذف الواو، لأنها جاءت لمعنى، وعندها يكون رأيهم هو الأرجح، وقد نسبت صيغة (مهيل) إلى أهل الحجاز، وصيغة (مهيول) إلى بني تميم⁽⁵³⁾. أما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾⁽⁵⁴⁾، فقد جاء اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل، وهذا ما ذهب إليه الفراء بقوله: ((ولم يقل: آتياً وكل ما أتاك فأنت تأتيه: ألا ترى أنك تقول: آتيت على خمسين سنة وأتت عليّ خمسون سنة، وكل ذلك صواب))⁽⁵⁵⁾، وتابعه الزجاج في أن (مأتياً) مفعول من الآتيان، معللاً ذلك بأن كل ما وصل إليك فقد وصلت إليه، وكل ما أتاك فقد آتيته⁽⁵⁶⁾، في حين يرى الزمخشري⁽⁵⁷⁾، أن الوعد، هو الجنة، وهم يأتونها، وهذا هو الوجه عنده، وذكر أنه قبل في (مأتياً) مفعول بمعنى فاعل، أو هو من قولك: أتى إليه إحساناً، أي وعده مفعولاً مُنجزاً.

ويبدو - والله أعلم - أن هذه الصيغة جاءت في سياق الآية، للدلالة على تأكيد وقوع وعد الله تعالى، أي أنه آت لا محالة، فهو في حكم المفعول، وقد تشترك صيغتا الفاعل، والمفعول في

(46) الكتاب: 348/4، ونظر: إعراب القرآن للنحاس: 533/3، والتهان في إعراب القرآن: 1247/2.

(47) إعراب القرآن للنحاس: 533/3.

(48) معنى الفراء: 198/3.

(49) معنى الزجاج: 242/5.

(50) نظر: الصحاح: مادة هـ (هول)، واللسان: (هول).

(51) نظر: اللهجات العربية في التراث: 530/2.

(52) نظر: إعراب القرآن للنحاس: 533/3، والكشاف: 641/4.

(53) نظر: أمالي الشجري: 209/1، واللهجات العربية في التراث: 528/2.

(54) مريم: 61.

(55) م عني الفراء: 170/2.

(56) معنى الزجاج: 336/3.

(57) الكشاف: 27/3.

اللفظة، وذلك بحسب المعنى الذي يتطلبه السياق، نحو قوله تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَوْسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾⁽⁵⁸⁾ فلفظة (مخلصاً) تشترك فيها الصيغتان من حيث البنية، لأنها من غير الثلاثي، ولكن إذا كانت (مخلصاً) بفتح اللام، فهي تدل على الذي أخلصه الله - جل وعلا- أي جعله مختاراً خالصاً من الدنس⁽⁵⁹⁾، أما إذا كانت بكسر اللام (مخلصاً)، فهو الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء، أي الذي وحد الله - عز وجل- وأخلص نفسه، وجعلها خاصة في طاعة الله وبذلك يكون معنى الأولى على مفعول، والثانية على فاعل.

4- استخدام المصدر بمعنى المفعول:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾⁽⁶⁰⁾، ف (دكا) مصدر بمعنى (مدكوكاً)⁽⁶¹⁾، ويرى الأخفش أنها ارتبطت بـ (جعله)، لذلك هي بمعنى (دكه)⁽⁶²⁾، وجعلها الزجاج على معنى (مدقوقاً) مع الأرض، وهي من دككت الشيء إذا دققته، أدكه دكا، أما إذا كانت مهموزة ((الدكاء والدكاوات، الروابي التي مع الأرض ناشزة عنها، لا تبلغ أن تكون جبلاً))⁽⁶³⁾، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾⁽⁶⁴⁾، فالمصدر ﴿عِلْمِهِ﴾ جعله الزجاج بمعنى الغيب الذي لا يعلمونه، لا مما تقدمهم ولا مما يكون من بعدهم⁽⁶⁵⁾. أي لا يعلمون ما يعلمه الله بدليل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾⁽⁶⁶⁾، أي: يعلم الغيب الذي تقدمهم والغيب الذي يأتي من بعدهم⁽⁶⁷⁾، لذلك فهم لا يعلمون معلومه - جل وعلا -، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري (ت 528هـ)، أيضاً⁽⁶⁸⁾، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾⁽⁶⁹⁾، أي لا تقتلوا الصيد، وهي لا تخرج من المفعولية، لأنه ما يقع عليه الفعل⁽⁷⁰⁾، وجعلها الزجاج في حكم المفعولية بقوله: ((وكل ما يصطاد فحرام صيده ما داموا حراماً، وبين رسول الله (ص) أنكل ما أخطيد في الحرم حرام، كانوا محرمين أو غير محرمين))⁽⁷¹⁾.

5- استخدام المصدر بمعنى الفاعل:

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁷²⁾، فقد جاء المصدر (سَلَمًا) للدلالة على اسم الفاعل (سَالِمًا)، فقد ذهب الفراء إلى أنها ((رَجُلًا سَالِمًا لِّرَجُلٍ، هو المؤمن الموحد))، ويرى أن (سَلَمًا وسالم) متقاربان في المعنى، إلا أنه فرق بين الصيغتين بقوله: ((فسالم من صفة الرجل، وسَلَم مصدر

(58) مزني: 51.

(59) بنظر: معاني الزجاج: 333/3، والكشاف: 22/3.

(60) الأعراف: 143.

(61) الكشاف: 155/2.

(62) معاني الأفعال: 531/2.

(63) معاني الزجاج: 373/2، وبنظر: الكشاف: 155/2.

(64) الفرق: 255.

(65) معاني الزجاج: 337/1.

(66) الفرق: 255.

(67) معاني الزجاج: 337/1.

(68) الكشاف: 301/1.

(69) السائفة: 95.

(70) بنظر: التبيان: 459/1.

(71) معاني الزجاج: 206/2.

(72) الزمر: 29، قرأها ابن كثير وأبو عمرو بندي السنين وكسر اللام، وقرأ غيرهما بترك البدو وفتح اللام، بنظر: الرافي في شرح الشاطبية: 353.

لذلك...))⁽⁷³⁾، وهذا ما ذهب إليه الزجاج، إذ ذكر بأنها تقرأ بفتح السين وكسرهما (سَلَمًا وَسَلْمًا) وسَلَمٌ فهو سَالِمٌ، وهو اسم فاعل، أما المصدران (سَلَمٌ وَسَلْمٌ)، فقد وصف بهما على معنى، ورجلا ذا سَلَمٍ؛ مدلا على ذلك بما جاء من المصادر (فَعَلًا وَفَعِلًا) قولهم: رِيحَتْ رِيحًا وَرِيحًا، ووضح دلالة الآية بقوله: ((وتفسير هذا المثل أنه ضرب لمن وَحَدَ اللهُ ... فالذي وَحَدَ اللهُ مثله مثل السالم لرجل لا يشركه فيه غيره))⁽⁷⁴⁾. في حين ذهب الزمخشري إلى أن المعنى يكون (خالصًا)، وإذا كانت على المصادر فالمعنى يكون ((ذا سلامة لرجل، أي: ذا خلوص له من الشركة، من قولهم: سلمت له الضيعة))⁽⁷⁵⁾، وأن ورود المصدر في هذه الآية للدلالة على المبالغة التي تتلاءم وسياق الآية، إذ إن المصدر أعم وأشمل من صيغة اسم الفاعل، التي قد تعني جانبًا واحدًا من السلم لأن المصدر دلالة عرفية ذاتية، وهي دلالته على حدث مجرد من الزمان والمكان، والفاعل والعدد والجنس، وأخرى يكتسبها من السياق أو التركيب، كالتوكيد أو بيان النوع أو العدد، أو نيابته عن ظرفي الزمان والمكان، أو وقوعه صفة أو حالًا موقع المشتق⁽⁷⁶⁾.

6- استخدام ما كان على زنة المصدر بلفظ واحد للمذكر والمؤنث:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽⁷⁷⁾، فقد اختلف العلماء في لفظة (قريب) التي وردت في سياق هذه الآية، إذ ذهب أبو عبيدة إلى القول: ((هذا موضع يكون في المؤنثة والثنتين والجمع بلفظ واحد، ولا يدخلون فيها الهاء، لأنه ليس بصفة، ولكنه ظرف لهن وموضع، والعرب تفعل ذلك في قريب وبعيد... فإذا جعلوها صفة في معنى مقترية قالوا: هي قريبة، وهما قريبتان، وهن قريبات))⁽⁷⁸⁾، وهذا يعني أن (قريب) - عنده - دُكِرَ على تذكير المكان - أي مكانًا قريبًا -، أما الأخفش فقد ذكر أن معنى (الرَّحْمَةُ) في هذه الآية قد يكون (المطر)، وذلك لمجيء قوله (قريب) - التي وقعت صفة للرحمة - بلفظ المذكر، وكأنها دُكِرَتْ على المعنى وليس على اللفظ ((... وإن شئت، قلت: تفسير الرحمة هاهنا: المطر، ونحوه. فلذلك ذكر كما قال: ﴿وإن كان طائفة منكم آمنوا...﴾⁽⁷⁹⁾، فنذكر لأنه أراد (الناس))⁽⁸⁰⁾. أما الفراء فكان قريباً من أبي عبيدة إذ قال: ((ذكرت قريباً لأنه ليس بقراءة في النسب. قال: ورأيت العرب تؤنث القريبة في النسب لا يختلضون فيها، فإذا قالوا: دارك منّا قريب، أو فلانة منك قريب، في القرب والبعد ذكروا وأنثوا، وذلك أن القريب في المعنى وإن كان مرفوعاً فكانه في تأويل: هي من مكان قريب. فجعل القريب خلاً من المكان؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ﴾⁽⁸¹⁾)).⁽⁸²⁾ أما الزجاج فقد جعل الرحمة بمعنى الغضبان، ولذلك دُكِرَ (قريب) وجعله مطرداً في كل تأنيث ليس بحقيقي، وذكر معنى المطر الذي ذكره الأخفش، إلا أنه لم يوافق الفراء فيما ذهب إليه في أن (قريب) دُكِرَ ليفصل بين القريب من القرابة، والقريب من القرب، وعد ذلك غلطاً، معللاً ذلك بقوله: ((لأن كل ما قُرب من مكان، أو نسب، فهو جارٍ على ما يصيبه من التأنيث

(73) معاني الفراء: 419/2.

(74) معاني الزجاج: 325/4 - 353.

(75) الكشاف: 126/4.

(76) ينظر: المعنى الجديد في علم الصرف: 213.

(77) الأعراف: 56.

(78) المجز: 216/1.

(79) الأعراف: 87.

(80) معاني الأخفش: 519/2.

(81) هود: 83.

(82) معاني الفراء: 380/1 - 381.

والتذكير⁽⁸³⁾) وذهب مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ) إلى أنها ذُكرت لأن الرُحمة والرُحم سواء، فجعله على المعنى مثل: العُدْر والمعدرة⁽⁸⁴⁾. في حين ردَّ القرطبي (ت 671هـ) على رأي أبي عبيدة، بأنه لو كان كما قال لكان (قريب) منصوباً في القرآن⁽⁸⁵⁾. ويبدو لي أن الضراء كان موفقاً في تعليقه في أنها ذُكرت للفصل بين القريب من القرابة، والقريب من القرب⁽⁸⁶⁾، بدليل أن القرآن لم يؤنثها مطلقاً⁽⁸⁷⁾، وذلك لأنها لم ترد بمعنى القريب من القرابة، وجاءت مقترنة بمذكر إلا في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾⁽⁸⁸⁾، وهنا ذُكر، لأن الساعة مؤنث غير حقيقي، وهو بمعنى لعل البعث قريب، وجَوَزَ الزَّجَّاجُ أن يكون على معنى لعل مجيء الساعة قريباً⁽⁸⁹⁾. وعلى الرغم من ذلك كله فإن اقتران الرحمة بالله قد يسوغُ تذكير (قريب)، لأن الله أقرب كل قريب إلى ما خلق، فضلاً عن أن الرحمة صفة من صفاته - جل وعلا، إذ هو الرحمن الرحيم، وهو الغفار الكريم، وبذلك يكون التذكير على واحد من هذه المعاني - والله أعلم - وقد يستوي المذكر والمؤنث إذا عُرِفَ الموصوف ذكراً أو سيقاً، نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾⁽⁹⁰⁾، فَلَفْظَةُ (نُصُوحاً) على وزن (فَعُول)، وهي من صيغ المبالغة لاسم الفاعل، نحو امرأة عجوز، ورجل شكور، وناقاة خذول، وبذلك تكون (نُصُوحاً) صفة للتوبة، ومعناها توبة بالغة في النصح أي: التي لا يعاود التائب معها المعصية⁽⁹¹⁾، قال الضراء: ((ومعناها: يحدث نفسه إذا تاب من ذلك الذنب ألا يعود إليه أبداً))⁽⁹²⁾. أما إذا كانت (نُصُوحاً)⁽⁹³⁾ بضم النون، فقد جعلها الضراء على المصدر مثل: قعوداً⁽⁹⁴⁾، ويكون معناه: ((ينصحون بهذا نُصُوحاً يقال: نصحت له نُصُوحاً ونصاحة ونُصُوحاً))⁽⁹⁵⁾ أي ذات نُصُوح، أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له⁽⁹⁶⁾، وبهذا يتضح أن هذه اللفظة جاءت لتخصيص التوبة ووصفها، فإذا كانت على الرأي الأول فهي صفة لها، وإذا على المصدرية فهي لبيان نوع التوبة، وهي من باب وصف مصدر الهيئة، أو النوع الذي جاء مصدره الأصلي على وزن (فعللة)، ونقل الزمخشري قولاً بأنها خالصة من قولهم: عسل ناصح إذا خلص من الشمع⁽⁹⁷⁾، وهذا لا يخرج عن الدلالة العامة لها، إلا أنه جعلها على صيغة الفاعل، ولعله أراد صيغة (فَعُول) التي هي من أسماء الفاعلين، التي تستعمل للمبالغة في الوصف .

7 - دلالة اسم الفعل:

نحو (هَيْتَ لَكَ) التي وردت في سياق قوله تعالى: ﴿وَعَلَقَتِ الْآجَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾⁽⁹⁸⁾ فقد قُرِئَتْ قراءات عديدة، كان لهذه القراءات أثر في تغيير المعنى، فقد قرئت ((هَيْتَ لَكَ)) بفتح

(83) معاني الزجاج: 344/2.

(84) مشكل إعراب القرآن: 294/1، وبنظر: الكشاف: 110/2.

(85) بنظر: تفسير القرطبي: 227/7.

(86) بنظر: معاني اللبيب: 512/2، والنحو وكتب التفسير: 1233/2 - 1234.

(87) فقد وردت في السور الآتية: البقرة: 186، 114، والنساء: 17، 77، والأعراف: 56، وهود: 61.

(88) التوري: 17.

(89) معاني الزجاج: 344/2.

(90) التحرير: 8.

(91) بنظر: معاني الفراء: 168/3، ومعاني الزجاج: 194/5.

(92) معاني الفراء: 168/3.

(93) وهي قراءة شعبة وقرأها الباقون بفتح النون، بنظر: الرافعي في شرح الشاذلية: 371.

(94) معاني الفراء: 168/3.

(95) معاني الزجاج: 194/5.

(96) بنظر: الكشاف: 570/4.

(97) بنظر: الكشاف: 570/4.

(98) يوسف: 23.

الهاء وسكون الباء، وفتح التاء، وهي قراءة أهل العراق ومعناها: هَلَمْ لَكَ، وقرئت (هَيْتَ) بكسر الهاء وقرأ بها أهل المدينة والشام، وهي لغة، وقرئت (هَيْتَ) بكسر الهاء وهمز الباء وضم التاء من الهيئة، كأنها قالت: تهيأت لك، وهي قراءة هشام⁽⁹⁹⁾ رواية ابن عامر، وقد اقتصر ما قاله أبو عبيدة على تفسير رواية المصحف، وذكر أن معناها ((هلم لك)) وأشار إشارة سريعة إلى قراءة من قرأ بكسر الهاء، ذلك أن سائلاً سأل عمرو بن العلاء (ت 156هـ)) (عن قول من قال: هنت فكسر الهاء وهمز الباء، فقال أبو عمرو: نبيسي: أي: باطل: جعلها قلت من تهيأت؛ فهذا الخندق، واستعرض العرب حتى تنتهي إلى اليمين هل يعرف أحد هنت لك))⁽¹⁰⁰⁾.

أما الضراء فقد روى قرأتها بالفتح عن عبد الله بن مسعود، فيما رواه عن رسول الله (ص) ثم قال: ((إنها لغة لأهل حوران⁽¹⁰¹⁾) سقطت إلى مكة فتكلموا بها، وأهل المدينة يقرؤون (هَيْتَ لَكَ) بكسر الهاء ولا يهمزون))⁽¹⁰²⁾ في حين رجح الزجاج دلالتها على قولها (هلم لك) أي: أقبل إلي ما أدعوك إليه، إلا أنه ذكر أن فيها لغات وأجودها وأكثرها - عنده - (هَيْتَ) بفتح التاء، معللاً الفتح فيها لأنها بمنزلة الأصوات، ليس منها فعل يتصرف ففتحت التاء لسكونها وسكون الباء، واختير الفتح، لأن قبل التاء ياءٌ كما قالوا: كَيْفَ وَأَيْنَ، وذكر أيضاً أنها رويت عن ابن عباس (رض) مهموزة مكسورة الهاء (هَيْتُ) وهي من الهيئة .

وأضاف الزجاج قراءتين، لم يذكرها أحد من أصحاب المعاني: الأولى: بكسر التاء (هَيْتَ لَكَ) مُعَلِّلاً ذلك بأن الأصل التقاء الساكنين حركة الكسر، والثانية: بضم التاء (هَيْتُ) قال: ((لأنها في معنى الغايات، كأنها قالت: دُعائي لك، ولما حذفت الإضافة وتضمنت معناها، بُنِيَتْ على الضم، كما بُنِيَتْ حيث ومنذ...))⁽¹⁰³⁾.

ومما تقدم يتضح أن قراءتها بفتح الهاء، وسكون الباء وفتح التاء هي الأرجح، وهي اسم فعل أمر بمعنى هَلَمْ وتعال لأنه يتلاءم وسياق الآية الذي أنبا بإصرارها على قدومه ومحاولته التهرب منها .

أما (هيهات) فقد وردت في سياق قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾⁽¹⁰⁴⁾ وقال الضراء في تفسيرها: ((ومعنى هيهات بعيد، كأنه قال: بعيد (ما توعدون) وبعيد العقيق وأهله، ومن أدخل اللام قال: هَيْهَاتَ أداة ليست بمأخوذة من فعل بمنزلة بعيد وقريب، فأدخلت لها اللام كما يقال: هَلَمْ لَكَ إِذْ لَمْ تَكُنْ مَأْخُوذَةً مِنْ فَعْلٍ))⁽¹⁰⁵⁾ في حين أنزلها الزجاج منزلة المصدر، إذ يرى أنها بمعنى: بُعِدْ لِمَا تُوعَدُونَ إِذَا نُوتَ فَعْلِي نَكْرَةً، أما إذا فتحت فهي بمعنى: ((البعيد لما توعدون - فلأنها بمنزلة الأصوات، وليست مشتقة من فعل، فبُنِيَتْ هيهات كما بُنِيَتْ ذِيَّةٌ وَذِيَّةٌ))⁽¹⁰⁶⁾ وخالفه الزركشي (ت 794هـ) في رأيه هذا، بل ذكر أنه غلط منه - كما قيل - أوقعه فيه الكلام، فإن تقديره: بُعِدْ الْأَمْرَ لِمَا تُوعَدُونَ، أي لأجله⁽¹⁰⁷⁾، وذكر الزمخشري أن اللام في التي بعدها لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، وجعلها كما جاءت اللام في (هَيْتَ لَكَ) لبيان

(99) ينظر: حجة القراءات: 357، والتيسير: 128، والراعي في شرح الشافية: 295.

(100) مجاز القرآن: 305/1 - 306.

(101) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق، ذات قرى كثيرة ومزارع وبص رار، معجم البلدان: 317/2.

(102) معاني الفراء: 40/2.

(103) معاني الزجاج: 100/3.

(104) المؤمنون: 36.

(105) معاني الفراء: 235/2.

(106) معاني الزجاج: 12/4.

(107) البرهان: 434/4.

المهيت به⁽¹⁰⁸⁾، فعَلَّ مجيء اللام للمبالغة في بُعد ما وعدوا به - على رأي الكافرين - وهذا ما أشار إليه الضراء، ووصفه بأنه عربي⁽¹⁰⁹⁾، ولم يغضله الزجّاج إذ قال: ((ويقال: هيهات ما قلت وهيهات لما قلت، فمن قال هيهات ما قلت فمعناه البُعد ما قلت، ومن قال: هيهات لما قلت فمعناه البعد لقولك))⁽¹¹⁰⁾.

ويبدو أن الزركشي لم يكن دقيقاً في نسبة الغلط للزجّاج في رأيه الذي لم يكن بعيداً عن تفسيرات العلماء وتأويلاتهم، في حين أن ما ذهب إليه الزركشي لم يكن الأقرب إلى دلالة الآية، وذلك لأن قوله: (بُعد الأمر) لا يعني إضافة دلالة أو ما يوضح المعنى، بل يزيده حاجة للتأويل، لأن سياق الآية أشار إلى الأمر وعاد إليه بـ (ما) الموصولة كي يذكرهم بأمرهم، ولذلك تكون دلالة الآية - والله أعلم - على بعد ما يوعدون أبلغ من بعد الأمر لما يوعدون، فضلاً عن تكرار (هيهات) للدلالة على تأكيد بُعد الوعد واستحالتته⁽¹¹¹⁾.

ولما تقدم يبدو أنها على ما ذهب إليه البصريون، وذلك لأن دلالتها على الضياء، أو النور أقرب من دلالتها على الإخفاء الذي يكون أقرب إلى صيغة (تفعلة) التي منها (تورية)، ومنها: وريت الشيء، وواريته: أخفيته⁽¹¹²⁾، فضلاً عن أن صيغة (فوعلة) كثير في كلام العرب.

- التضعيف:

التضعيف لغة: يقال: أضعف الشيء وضعفه وضاعفه: زاد على أصله وجعله مثليه أو أكثر⁽¹¹³⁾.

أما في الاصطلاح، فهو ما كان عينه ولأمه من موضع واحد⁽¹¹⁴⁾، أي تشديد الحرف بزيادة حرف مجانس له، وذهب سيبويه إلى أن تضعيف عين الفعل للدلالة على الكثرة، إذ يقول: ((تقول: كسرتُها وقطعتُها، فإذا أردت كثرة العمل قلت: كسرتُها وقطعتُها ومزقتُها))⁽¹¹⁵⁾، وتابعه ابن جني في هذا الرأي، إذ يرى أن العرب جعلوا تكرار العين - وهي أصل - دليلاً على تكرير الفعل، نحو: كسر وفتح وقطع، وغلّق، معللاً ذلك بقوله: ((وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلاً المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يُقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما ومكتونة بهما))⁽¹¹⁶⁾، ومنه في القرآن كثير، قال تعالى: ﴿وَرَأَوْتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾⁽¹¹⁷⁾ قال: غلقت للمبالغة والتكثير، حتى قيل: كانت سبعة أبواب⁽¹¹⁸⁾. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹¹⁹⁾ قال الضراء: ((نصبت الظن بوقوع التصديق عليه، ومعناه أنه قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ

(108) الكتاب: 187/3، وينظر: النحو وكتب التفسير: 697/1.

(109) ينظر: معاني الفراء: 235/2.

(110) معاني الزجّاج: 13/4.

(111) ينظر: مشكل إعراب القرآن: 109/2.

(112) ينظر: اللسان: مادة (وري).

(113) اللسان: مادة (ضعف).

(114) ينظر: الكتاب: 529/3، 417/4.

(115) الكتاب: 64/4.

(116) الخصائص: 155/2.

(117) يوسف: 23.

(118) الكتاب: 455/2.

(119) سبأ: 20.

* **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ**⁽¹²⁰⁾، قال الله: **صَدَقَ عَلَيْهِ ظَنُّهُ لِأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَهُ بظَنٍّ لَا بَعْلَمَ**⁽¹²¹⁾، ولو خُفِّضَتْ ورفعت الظن لتحول المعنى، إنه صدق ظنُّه عليهم، كما تقول: صدقتك ظنك، والظن يخطئ، ويصيب.

أما في قوله تعالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾**⁽¹²²⁾، فقد ذكر أبو عبيدة أن العرب تقلب حروف المضاعف إلى الياء، وأيده الفراء في أن العرب تبدل في المشدد الحرف منه بالياء والواو، ومثلاً لذلك بقول العرب: تظنيت من الظن، وتقضيت يريدون: تقضضت من: تقضض البازي، وقولهم: ((دينار أصله دينار يدل على ذلك جمعهم إياه دنانير، ولم يقولوا: ديانير، وديوان كان أصله: دوان لجمعهم إياه: دواوين، وديباج: ديباج، وقيراط: قيراط، كأنه على قرأط))، وفي الآية نفسها ذهب الفراء إلى ((أن دسأها من دسست بدلت بعض سيناتها ياء))⁽¹²³⁾ وقد عد سيبويه هذا الإبدال شاذاً وسببه أنهم أرادوا حرفاً أخف عليهم، وفضل التضعيف، لأنه عربي كثير جيد⁽¹²⁴⁾، وفي علم اللغة الحديث تسمى هذه الظاهرة بالمخالفة⁽¹²⁵⁾، فقد لوحظ إن كثيراً من الكلمات المشتمة على صوتين متماثلين كل المماثلة يتغير فيها أحد الصوتين، إما إلى أحد أصوات اللين الطويلة (ا، و، ي)، أو إلى أحد الأصوات المائعة، وبخاصة: اللام والنون، بهدف تيسير المجهد العضلي المبذول في نطق الصوتين المتماثلين بقلب أحدهما إلى أحد تلك الأصوات التي تستلزم مجهوداً عضلياً⁽¹²⁶⁾. وقد تحذف العرب التضعيف وذلك للتخفيف، فقد وجّه أبو عبيدة قراءة قوله تعالى: **﴿وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾**⁽¹²⁷⁾ فقال: ((يَفْتَحُ أوله قوم إذا لقوا منه إحدى اللامين، ويجزموه اللام الباقية، لأنهم يدعونها على حالها في التضعيف قبل التخفيف كقولك: ظلت، وقوم يكسرون الظاء إذا حذفوا اللام المكسورة فيحولون عليها كسرة اللام، فيقولون: (ظلت عليه))⁽¹²⁸⁾.

وروى الفراء قول العرب: **أَحْسَتْ وودتْ ومستْ وهمتْ في: أَحْسَتْ وودتْ ومستتْ وهممتْ**⁽¹²⁹⁾ وعده سيبويه شاذاً لأن: ((الأصل في هذا عربي كثير، وذلك قولك: أحسستومستت))⁽¹³⁰⁾ وعلّة هذا الحذف عنده أن الفعل: ((كان في موضع يحتملون فيه التضعيف لكرهية التحريك))⁽¹³¹⁾ ولذا حذفوا لأنه لا يلتقي ساكتان، فقد حذفوا وألقوا الحركة على الفاء كما قالوا **خَفَّتْ**⁽¹³²⁾، ولعللة ذاتها تأول الفراء قراءة قوله تعالى: **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾**⁽¹³³⁾ بفتح القاف بأنهم أرادوا: واقررن فحذفوا الرء الأولى، فحولوا فتحها في القاف⁽¹³⁴⁾ وروى الفراء أيضاً أن من أساليب العرب في

(120) ص: 82، 83.

(121) معاني الفراء: 2/360.

(122) التمشين: 9، 10.

(123) معاني الفراء: 267/3، وينظر: مجاز القرآن: 300/2.

(124) بنظر: الكتاب: 424/4.

(125) وهي أن يُقلب أحد الصوتين المتماثلين في الكلمة الواحدة إلى صوت الأخر: بنظر: اللهجات العربية في التراث: 349/1.

(126) بنظر: الأصوات النغوية: 211.

(127) طه: 97.

(128) مجاز القرآن: 28/2.

(129) معاني الفراء: 1/217.

(130) الكتاب: 422/4.

(131) المصدر نفسه: 422/4.

(132) المصدر نفسه: 422/4.

(133) الأحزاب: 33، قرأها نافع وعاصم بفتح القاف وقرأ الباقون بكسرها، بنظر: الإتحاف: 355.

(134) معاني الفراء: 2/342.

تخفيف الفعل المضعف اللام، أن تكرر الفاء، وتردد اللام في التضعيف، فيقولون: كركرت الرجل يريدون: كركرته، وكبكبته يريدون: كببته، وعلل ذلك بقوله: ((كراهية اجتماع ثلاثة أحرف من جنس واحد))⁽¹³⁵⁾ وقد ورد الفعل المضعف بتكرار المقطع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾⁽¹³⁶⁾، فقد اختلف الكوفيون والبصريون في وزن الفعل (زُلْزِلَ) وتأولها بتأويلات عدة، إذ قال ابن السكيت وهو يعالج نظائر هذه الكلمة ((قولهم: ربح صرصر أصلها صرر من الصر فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل))⁽¹³⁷⁾ أما ابن الأنباري، فإنه يرى أن ((الأصل فيه زلّوا، فأبدلوا من اللام الثانية زايا كراهية للجمعين اللامات، كما قالوا قد صرصر الباب إذ صوت))⁽¹³⁸⁾ في حين يرى الزجاج أنك إذا قلت زلزلة فتأويله كرتت زلزته من مكانه، وكل ما فيه ترجيع كرتت فيه (فاء التفعيل)، تقول: أقل فلان الشيء إذا رفعه من مكانه، فإذا كرر رفعه ورده، قيل: قلقة، وكذا صل، وصلصل، وصر وصرصر، فعلى هذا قياس هذا الباب، ومعنى (زلزلوا) عنده خوفاً وحركوا بما يؤذي، أي يكرر عليهم التحريك بالخوف⁽¹³⁹⁾، وفي موضع آخر ذكر إنه ليس في الكلام وزن (فعلال) بفتح الفاء إلا في المضاعف نحو: الزلزال، والصلصال⁽¹⁴⁰⁾.

أما الكوفيون فقد جعلوا الحرف الثالث زائداً في نحو: ((زلزل وصرصر - فما بقي بعد سقوط الثالث مناسب للمعنى الذي كان قبل سقوطه مناسبة قريبة - إن الثالث زائد لشهادة الاشتقاق، فزلزل من زل))⁽¹⁴¹⁾. وبذلك يكون الوزن (فَعْلَل)، في حين أن البصريين بما فيهم الزجاج الذي وافقهم الرأي، ذهبوا إلى التأكيد على أن اللفظ (زلزل) ونظائره رباعي ولم تكن الفاء مكررة⁽¹⁴²⁾، بل الكل أصول⁽¹⁴³⁾. واللفظ وما اشتق منه، أو جمع وزنه (فَعْلَل)⁽¹⁴⁴⁾، و (فعلال)⁽¹⁴⁵⁾، و (فعالل).

9- الزيادة:

الحروف الزوائد: عشرة حروف تجمع في (سألتمونيها) وقد جمعها المازني في (هويت السمان وهي: ((الهمزة والألف والياء والواو والهاء والميم والنون والتاء والسين واللام))، وقد أطلق المازني الحكم بزيادتها، فقال: ((إذا رأيت شيئاً من هذه الحروف العشرة في كلمة فاقضى بزيادتها ولا تتوقف))⁽¹⁴⁶⁾، وهذا الإطلاق مردود، لأنه يعني الحكم على الثلاثي المجرد المعتل الفاء أو اللام أو العين، بأنه مزيد لمجرد وجود الواو والياء والألف، لأنها من حروف الزيادة⁽¹⁴⁷⁾، لذلك خطأ ابن جني، المازني في هذا الموضع بقوله: ((ألا ترى أن أوى ووأي إنما هما مركبان من

(135) معنى الفراء: 114/3.

(136) البقرة: 214.

(137) إصلاح المنطق: 319.

(138) الزاهر: 331/2.

(139) معنى الزجاج: 285/1.

(140) المصدر نفسه: 351/5.

(141) شرح الشافية: 62/1، وينظر: مع البوامع: 242/1، وأنبية الصرف: 197.

(142) المنصف: 48/1.

(143) ينظر: مع البوامع: 241/1.

(144) ينظر: المزهري: 9/2، والواضح في النحو والصرف: 15.

(145) ينظر: المنع في التصريف: 151/1، والأشباه والنظائر: 18/2.

(146) المنصف: 69/1.

(147) ينظر: الأصول في النحو: 232/3.

همزة وواو وياء وليس فيهما حرف زائد البتة))⁽¹⁴⁸⁾ في حين عدّها ابن السراج زائدة بشرط وأحكام جعلها ثلاثة أضرب⁽¹⁴⁹⁾:

1- زيادة المعنى، نحو: ألف فاعل إذا قلت: (ضارب) وعالم، ونحو أحرف المضارعة في الفعل، تقول في ذهب: أذهب وتذهب ...

2- زيادة لللاحق، نحو: الواو في كوثر، ألحق ببناء جعفر.

3- زيادة للبناء فقط نحو: ألف حمار ورسالة، وواو عجوز، وياء صحيفة، وقد ذكر ابن السراج هذه الحروف العشرة، ونظم زيادتها على الوجه الآتي:

1- الهمزة: تزداد إذا كانت أول حرف في الاسم والفعل، نحو: أذهب، وفي الوصل نحو اذهب وابن، والهمزة إذا لحقت رابعة من أول الحرف فصاعداً فهي زائدة نحو حطائط، لأنّ القصير محطوط، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾⁽¹⁵⁰⁾، فهي هنا للدلالة على الإزالة وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾⁽¹⁵¹⁾، فقد جعلها الفراء للتوبيخ، وذكر أن العرب تستفهم بالتوبيخ، أو لا تستفهم⁽¹⁵²⁾، وتابعة الزجّاج بقوله: ((وهذه الألف للتوبيخ، التوبيخ إن شئت أثبت فيه الألف، وإن شئت حذفها، كما تقول: يا فلان أحدثت ما لا يحل لك جنيت على نفسك) إذا وبّخته وإن شئت: أخذت ما لا يحل لك، أجنيت على نفسك))⁽¹⁵³⁾. أما في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَآ يَرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ﴾⁽¹⁵⁴⁾ فقد جاءت في لفظة (أصبحوا) للدلالة على الدخول في الزمن وهو الصبح.

2- الألف: تزداد ثانية وثالثة ورابعة، نحو: كاهل، وطابق، وغزال، وحمار، وكنار، وغراب، وشجاع وعلقى، ولا تزداد الألف الأولى ولا يحكم عليها بالزيادة، إلا أن يثبت أنها منقلبة، أو تكون من كلمة ثلاثية، وإذا جاءت رابعة وأول الحرف همزة أو ميم، فهي أصيلة نحو: أفعى وموسى.

قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾⁽¹⁵⁵⁾. قال الزجّاج الهون: ((معناه الهوان))⁽¹⁵⁶⁾. أما في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَآ يَرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ﴾⁽¹⁵⁷⁾. فقد قال الزجّاج بجواز حذف الألف من (مسكنهم) فتكون لا يرى إلا مسكنهم أو مسكنهم⁽¹⁵⁸⁾.

3- الياء تزداد أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة، إذا جاءت في كلمة تذهب فيما اشتقت منه، نحو: يربوع، ضيغم، بعير، سعيد، منديل وقلنسية.

4- الواو تزداد ثانية وثالثة ورابعة وخامسة، ولا تزداد أولاً، وهي زائدة في الأسماء والأفعال التي

(148) المنصف: 99/1.

(149) بنظر: الأصول: 231/3.

(150) فطر: 34.

(151) الأحقاف: 20.

(152) بنظر: معاني الفراء: 54/3.

(153) معاني الزجّاج: 444/4.

(154) الأحقاف: 25.

(155) الأحقاف: 20.

(156) معاني الزجّاج: 444/4.

(157) الأحقاف: 25.

(158) معاني الزجّاج: 446/4.

- يشتقون منها ما تذهب فيه، نحو: كوكب، وحروف وسبوح.
- 5- الهاء: تزداد لتبين بها الحركة نحو: أينه ثمه هلمه⁽¹⁵⁹⁾، وتزداد أيضاً بعد ألف الندبة والنداء نحو: واغلاماه وياغلاماه.
- 6- الميم: تزداد إذا جاءت أولاً في الكلمة، وهو كثير نحو مضروب ومولى وموقف، فإذا جاءت ليس في أول الكلام، فإنها لا تزداد لقلتها وقالوا: زُرِّم من الأزرق⁽¹⁶⁰⁾.
- 7- النون: تزداد إذا كانت أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة نحو: نضل وقنبر وقلنسوة ورعش⁽¹⁶¹⁾، وعطشان وزعفران، وتزداد في الفعل الذي تدخله النون الخفيفة والثقيلة، وفي تفعلين وفعلين ويفعلن وفي تنئية الأسماء وجمعها، ولا تزداد في غير ما تكثر فيه نحو: نهشل⁽¹⁶²⁾ فهي أصلية، أما النون الساكنة فهي زائدة إذا كانت ثالثة، نحو: عقنقل، وكذلك جميع ما كانت على خمسة أحرف، نحو: قلنسوة.
- 8- التاء: وهي للتأنيث في المفرد والجمع، نحو: طلحة ومنطلقات، وتلحق رابعة في سبئية، وخامسة في عفرية، وسادسة في عنكبوت، وقد تكون أولى في تفعّل أنت، فكثرتها زائدة في الأسماء للتأنيث إذا جمعت، وفي المفرد الذي التاء فيه بدل الهاء عند الوقف.
- 9- السين: تزداد في استفعل، نحو: استكبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽¹⁶³⁾ قال الزجاج في تفسيرها: ((أي أقاموا على توحيد الله وشريعة نبيه عليه السلام))⁽¹⁶⁴⁾، أي بحذف السين والتاء.
- 10- اللام: تزداد في ذلك وفي عبدل.
- ويجري القياس في موضعين يمكن فيهما معرفة ما إذا كانت الكلمة مزيدة أم مجردة، هما⁽¹⁶⁵⁾:
- 1- زيادة الحرف في الكلمة لإلحاقها ببناء من الأبنية.
- 2- زيادة الحرف للتضعيف.

أما غيرهما فيعتمد على السماع ويعد من الشاذ، والزيادة من غير حروف الزيادة، فهي إذا تكرر الحرف في غير الثلاثي، نحو: مررد ومهدد وبهلول وصمحمح، وقد التفت مؤلفو كتب المعاني إلى هذه الحروف، إلا أنهم لم يصرحوا بزيادتها، أو بتسميتها، أو بإحصائها، لأن ما يهمهم هو دلالة الآية وتوجيه المعاني، لذلك اكتفوا بحذف الزائد في التفسير، أو ذكر المحذوف على أن يكون لهذا المذكور أو المحذوف دلالة تفيد المعنى العام، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿... وَيَسِّرَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾⁽¹⁶⁶⁾ فقد وقف الأخفش عند هذه الآية، ورأى أنها لا يمكن أن تحمل على الحقيقة، لأن المقام لا يتناسب مع مقام الباربي - عز وجل -، فذهب إلى أن دلالة: ((القدم هاهن التقديم، كما تقول: هؤلاء أهل القدم في الإسلام، أي: الذين قدموا

(159) ينظر: الكتاب، 2/ 278 - 279.

(160) ينظر: الأصول في النحو: 3/ 237.

(161) رعثن: السرع من الجمال، ينظر: اللسان، مادة (رعث).

(162) النهشل: الذئب أو السفر واسم رجل، اللسان: (نهش).

(163) الأحكام: 13.

(164) معاني الزجاج: 4/ 442.

(165) ينظر: أبو عثمان المزني: 138.

(166) بونس: 2.

خيراً، فكان لهم فيه تقديم))⁽¹⁶⁷⁾. وبهذه الدلالة كان قد فسرها أبو عبيدة قبل الأخفش إلا أنه ذكرها بالمعنى من دون اللفظ، فقال: ((مجازه سابقة صدق عند ربه))⁽¹⁶⁸⁾، وقال في موضع آخر بأن معناها في هذه الآية: منزلة ورفعة⁽¹⁶⁹⁾. في حين اهتم الضراء بالدلالة والتفريق بين اللفظ المهموز وغير المهموز في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟﴾⁽¹⁷⁰⁾، فقد بين أن دلالة (أَحَسَّ) إنما تأتي بمعنى (وَجَدَ) والإحساس: الوجود⁽¹⁷¹⁾، في حين جعلها في موضع آخر بمعنى الإفناء والقتل، إذا كانت بغير ألف مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾⁽¹⁷²⁾، وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾⁽¹⁷³⁾، وأشار إلى أنها قد تأتي بمعنى (العطف والرفقة)، فقال: ((وسمعت بعض العرب يقول: ما رأيت عُقَيْلياً إلا حَسِسْتُ له، وحَسِسْتُ لغة))⁽¹⁷⁴⁾.

وفي لفظة (مَاب) التي وردت في عدد من الآيات الكريمة بصورة مختلفة: نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾⁽¹⁷⁵⁾، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾⁽¹⁷⁶⁾، وقوله: ﴿يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾⁽¹⁷⁷⁾، فقد ذهب الأخفش إلى أن دلالتها في هذه الآيات، هي الرجوع، وأنكر أن تكون دلالتها بمعنى التسبيح في الآية الأخيرة فقال: ((أما قوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾، فهو فيما يذكر، وهو - والله أعلم - مثل الأول - يقول: أرجعي إلى الحق والأواب: (الراجع إلى الحق))⁽¹⁷⁸⁾، وقد ذهب الضراء إلى أن معنى (أوبى): سبى⁽¹⁷⁹⁾، وتابعه ابن قتيبة⁽¹⁸⁰⁾ أما الزجاج، فقد جمع الدلالتين بقوله: ((ومن قرأ أوبى معه فمعناه، رجعي معه، يقال: أب يؤوب إذا رجع، ومعنى رجعي معه سبى معه ورجعي التسبيح معه))⁽¹⁸¹⁾، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري أيضاً⁽¹⁸²⁾، والذي أميل إليه هو رأي الزجاج، إذ إن جمع الدلالتين يتفق وسياق الآية، وأن الأفراد لأي منهما لا يعطي دلالة واضحة، فكيف يكون رجوع الجبال؟ وإن اتفق مع دلالة اللفظة لغوياً، وكيف يكون التسبيح ودلالة اللفظة اللغوية لا تدل عليه، لذلك فجمعهما معاً، أي: الرجوع إلى التسبيح معه هي الأرجح - والله أعلم - ولم تكن الزيادة في الحروف (حروف المباني) فقط، فقد جرى النحاة والمفسرون على القول بزيادة بعض الألفاظ، وهم لا يعنون بلفظ الزيادة أنها تأتي عبثاً أو لغواً، وإنما هي زائدة عندهم للتأكيد، أو لغرض آخر، لأن هناك ألفاظاً كهذه في القرآن الكريم، فهل يمكن أن تعد زائدة أو شبيهة بالزائدة، أو أنها يمكن حذفها؟ لهذا كله فإن تسمية النحاة لبعض الألفاظ بالزائدة لم تأت من باب أنها يمكن حذفها، لأنها

(167) معاني الأختار: 340/2.

(168) مجاز القرآن: 273/1.

(169) المصدر نفسه: 148/1.

(170) آل عمران: 52.

(171) معاني الفراء: 216/1.

(172) آل عمران: 152.

(173) مريم: 98.

(174) معاني الفراء: 216/1 - 217.

(175) آل عمران: 14.

(176) العنكبوت: 25.

(177) سبأ: 10.

(178) معاني الأختار: 197/1.

(179) معاني الفراء: 355/2.

(180) بنظر: تأويل مشكل القرآن: 113، وتفسير غريب القرآن: 353.

(181) معاني الزجاج: 243/4.

(182) بنظر: الكشاف: 571/3.

لا دلالة لها ولا أهمية لوجودها، وإنما سُميت زائدة لأنها وجدت لغرض يخص المعنى ولا يخص الإعراب، فهي إما للتوكيد، أو لغرض بلاغي آخر، نحو ما ذكره من زيادة بعض حروف الجر، فقد جاء ابن هشام بستة مواضع لزيادة الباء مثلاً، وأدرجها جميعاً تحت حكم عام هو: معنى التأكيد المستفاد من الباء الزائدة⁽¹⁸³⁾، وكذلك لم يغفل مؤلفو كتب المعاني هذه الظاهرة، واهتموا بما جاء زائداً⁽¹⁸⁴⁾، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾⁽¹⁸⁵⁾، فقد ذهب الأخفش إلى أن المعنى: ما منعك أن تسجد وأن (لا) زائدة⁽¹⁸⁶⁾، وإلى مثله ذهب الفراء إلا أنه قال: ((وأن) في هذا الموضع تصحبها (لا)، وتكون (لا) صلة، كذلك تفعل بما كان في أوله جحد، وربما أعادوا على خبره جحداً للاستيثاق من الجحد والتوكيد له))⁽¹⁸⁷⁾، وتابعهما الزجاج في زيادتها للتوكيد⁽¹⁸⁸⁾، أما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقِصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا...﴾⁽¹⁸⁹⁾، فقد ذهب الأخفش إلى أن (من) هنا زائدة والمعنى (قصصنا)⁽¹⁹⁰⁾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعْدَابٍ أَلِيمٍ﴾⁽¹⁹¹⁾، فقد ذهب إلى أن (هو) جعلت هاهنا صلة في الكلام زائدة توكيداً⁽¹⁹²⁾، وذكر زيادة الباء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾⁽¹⁹³⁾.

01- الحذف:

الحذف لغة: القطع من الطرف، فيقال: حذف الشيء يحذفه حذفاً: قطعه من طرفه، وأسقطه⁽¹⁹⁴⁾.

أما في الاصطلاح: فهو ضرب من الإيجاز، وهو ((خلاف الأصل، ويكون لمجرد الاختصار والاحتراز عن العبث؛ بناءً على وجود قرينة تدل على المحذوف))⁽¹⁹⁵⁾.

وقد تنبه العلماء القدامى إلى هذه الظاهرة، ووضعوا لها شروطاً تسوّغ وجودها، فقد روى سيبويه أن الخليل قال: ((أنهم حذفوا لكثرة استعمالهم، وما حذف في الكلام لكثرة استعمالهم كثير، ومن ذلك: هل من طعام؟ أي هل من طعام في زمان أو مكان...))⁽¹⁹⁶⁾ وقد بلغت مواضع الحذف التي عرض لها سيبويه في كتابه أكثر من مائة موضع⁽¹⁹⁷⁾، وتابعه ابن السراج، وأفرد عنواناً وسمه بالحذف⁽¹⁹⁸⁾ وذكر ابن جني الحذف في مواضع عديدة، نحو قوله: ((ومما حذفنا

(183) ينظر: معاني اللبيب: 106/1.

(184) ينظر: مجاز القرآن: 111/1، ومعاني الأختار: 53/1، 68، 98، 99، 112، ومعاني الفراء: 374/1.

(185) الأعراف: 12.

(186) معاني الأختار: 513/1.

(187) معاني الفراء: 374/1.

(188) معاني الزجاج: 322/2.

(189) الأعراف: 101.

(190) معاني الأختار: 528/2.

(191) الأفعال: 32.

(192) معاني الأختار: 541/2.

(193) يونس: 27.

(194) ينظر: اللسان: مادة (حذف).

(195) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع: 119.

(196) الكتاب: 129/2 - 130.

(197) المصدر نفسه: 25/1، 138، 186، 246، 266، 130/2، 140، 196، 204، 278، 283، 127/3، 141، 68، 278، 164/4،

184، 399، وغيرها.

(198) ينظر: الموجز في النحو: 160 - 161.

عينه وصار الزائد عوضاً منها قولهم: سَيْدٌ وَمَيْتٌ وَهَيْنٌ وَلَيْنٌ...))⁽¹⁹⁹⁾ وقد وصفه عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) وصفاً دقيقاً، بقوله: ((هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر فصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجديك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين))⁽²⁰⁰⁾.

ولم يغفل أصحاب المعاني هذه الظاهرة وتأثيرها المباشر، أو غير المباشر في دلالة الألفاظ، أو التراكيب، إلا أنهم لم يفرّدوا للحدف باباً، أو عنواناً، وهذا ما دأبوا عليه في الموضوعات اللغوية بمستوياتها الثلاثة: النحوي، والصري، والصوتي، ويعود سبب ذلك إلى غايتهم من تأليف كتبهم، إذ كان جل اهتمامهم مُوجّه نحو توضيح دلالات الآيات الكريمة التي عرضوا لها في كتبهم، فقد أشاروا إليها ولو ضمناً، ففي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾⁽²⁰¹⁾، ذكر الفراء إن (الْفُلِكِ) تَوَثَّتْ وَتَذَكَّرْ⁽²⁰²⁾، لذلك ((قَالَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ: (وَجَرِينِ بِهِمْ)، وَلَمْ يَقُلْ: وَجَرَتْ، وَكُلُّ صَوَابٍ))⁽²⁰³⁾.

ويبدو أن الفراء جعل هذا الرأي جارياً على لفظة (عاصف) أيضاً، فقد حذف منها تاء التأنيث في هذه الآية، في حين ذكرت في قوله تعالى: ﴿وَلَسَلِيمَانَ الرِّيْحِ عَاصِفَةً﴾⁽²⁰⁴⁾ إذ قال الفراء: ((والعرب تقول: عاصف وعاصفة، وقد أعصفت الريح وعصفت))⁽²⁰⁵⁾ ولم يذكر العلة في حذف هذه التاء، إلا أن دلالتها في الآيتين مختلفة، حيث دلت في الآية الأولى على (الهلاك) لأنه جعلها على خلاف الريح الطيبة التي فرحوا بها، وهذا هو المعنى اللغوي لريح عاصف، إذ هي ريح شديدة الهبوب⁽²⁰⁶⁾، فجاءت اللفظة بحذف التاء للدلالة على معنى المبالغة في العصف وثبوته في حين جاءت في الآية الثانية - بثبوت التاء - للدلالة على ((أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها))⁽²⁰⁷⁾، بدليل أن الله - جل وعلا - سخرها لسليمان (عليه السلام) ومثله ما جاء في قوله تعالى: ﴿لِيَوْمٍ تَرْوَنَهَا نَنْدُهْلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾⁽²⁰⁸⁾، فقد ذهب الأخفش إلى أن كل (مُفْعَلٌ وَفَاعِلٌ) يكون للأنتى ولا يكون للذكر فهو بغير هاء، وأنه أراد فعل الرضاع في الآية الكريمة، ولو أراد الصفة لقال (مُرْضِعٌ)⁽²⁰⁹⁾، بحذف التاء. وهذا مذهب سيبويه⁽²¹⁰⁾ في حين يرى الفراء أن ((المرضعة: الأم، والمرضع: التي معها صبي ترضعه))⁽²¹¹⁾ إلا أنه أجاز استعمالها بالتاء أو بحذفها للدالتين.

وقد ذهب الزمخشري إلى أن ((المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي، والمرضع: التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشِر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مرضعة؛ ليدل على أن ذلك الهول، إذا فوجئت به هذه، وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها

(199) الخصائص: 289/2.

(200) دلالات الإعجاز: 178.

(201) يونس: 22.

(202) وهذا مذهب سيبويه، إذ قال: ((هو ذلك قولك للواحد: هو الفلُك فتذَكَّر، وللجميع: هي الفلُك...))، الكتاب: 577/3.

(203) معاني الفراء: 460/1.

(204) الأنبياء: 81.

(205) معاني الفراء: 460/1.

(206) اللسان: (عصف).

(207) الكشاف: 130/3.

(208) الحج: 2.

(209) ينظر: معاني الأخفش: 635/2.

(210) ينظر: الكتاب: 384/3.

(211) معاني الفراء: 214/2.

من الدهشة))⁽²¹²⁾ .

ويبدو لي أن رأي الزمخشري هو الأرجح لأنه قريب من دلالة الآية وسياقها العام . ولم يقتصر الحذف على الحرف في الكلمة فحسب، بل تعدى إلى حذف الكلمة، أو الجملة أحياناً، وهذا يدخل في دلالة التركيب، إلا أنه يتفق وسياق الكلام عن الحذف في هذا الموضع ؛ لذلك سأذكر أمثلة لاهم مواضع حذف الكلمة التي وردت في كتب المعاني، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾⁽²¹³⁾، أشار أبو عبيدة إلى حذف (هم) في هذه الآية⁽²¹⁴⁾، وتابعه الضراء إلا أنه حاول أن يدل على قاعدة تكاد تكون قرينة مطردة في مثل هذا الحذف، فيقول: ((أي تقولوا: هم ثلاثة: كقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾⁽²¹⁵⁾، فكل ما رأيته بعد القول مرفوعاً ولا رافع معه، ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم))⁽²¹⁶⁾، في حين يرى الزجاج أن ثلاثة خبر لمبتدأ محذوف تقديره (ألهتناً)، فيكون المعنى، لا تقولوا آلهتناً ثلاثة⁽²¹⁷⁾، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري⁽²¹⁸⁾، والعبكري⁽²¹⁹⁾ أما في قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾⁽²²⁰⁾، فقد قال أبو عبيدة في تفسيرها: ((قال تجيء للحكاية وفي موضع فعل يعمل فجاءت المنصوبة، وقد عمل فيها (قالوا)، وجاء المرفوع كأنه حكاية))⁽²²¹⁾، فلم يقدر أبو عبيدة محذوفاً في هذه الآية، في حين جعل الضراء رفع (قوم) بضمير محذوف تقديره (أنتم)⁽²²²⁾، وهذا ما ذهب إليه الزجاج أيضاً⁽²²³⁾، إلا أنه جعل نصب (سلاماً) على معنى: السلام عليكم سلاماً، وسلمنا عليك سلاماً، أما رفع (سلام) الثانية ((فهو على وجهين: على معنى قال سلاماً عليكم، ويجوز أن يكون على معنى (أمرنا سلاماً))⁽²²⁴⁾ . وتابعه الزمخشري في تفسيرها، إذ ذهب إلى أن ((سلاماً) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله، نسلم عليكم سلاماً، أما (سلام) فمعدول به إلى الرفع على الابتداء، وخبره محذوف، معناه: عليكم سلام، للدلالة على ثبات السلام))⁽²²⁵⁾ . ويتضح مما جاء في هذه الآراء أن الحذف وقع في هذه الآية على فعل المصدر (سلاماً)، وخبر المبتدأ (سلام)، ومبتدأ (قوم) .

ومن الحذف ما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾⁽²²⁶⁾، فقد ذهب الأخفش إلى أن الخبر محذوف في هذه الآية والتقدير: (ذلك معلوم لهم بأن الله نزل الكتاب، لأنه قد أخبرنا في الكتاب أن ذلك قد قيل لهم فالكتاب حق))⁽²²⁷⁾ في حين أجاز الزجاج أن يكون ذلك خبراً لمبتدأ محذوف على معنى (الأمر ذلك) أو مبتدأ لخبر محذوف على معنى

(212) الكشاف: 142/3 .

(213) النساء: 171 .

(214) ينظر: مجاز القرآن: 144/1 .

(215) الكهف: 22 .

(216) معاني الفراء: 296/1 .

(217) ينظر: معاني الزجاج: 135/2 .

(218) ينظر: الكشاف: 593/1 .

(219) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 412/1 .

(220) الذاريات: 25 .

(221) مجاز القرآن: 226/2 .

(222) ينظر: معاني الفراء: 86/3 .

(223) ينظر: معاني الزجاج: 54/5 .

(224) المصدر نفسه: 45/5 .

(225) الكشاف: 401/4، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: 990/2، والمغني للبيب: 603/2 .

(226) البقرة: 176 .

(227) ينظر: معاني الأخفش: 347/1 - 348 .

(ذلك الأمر)⁽²²⁸⁾، ويرى الزمخشري أن المحذوف هو العذاب، والتقدير: ذلك العذاب⁽²²⁹⁾، وقد ذهب العكبري إلى أن: ((ذلك: مبتدأ و (بأن الله) الخبر؛ والتقدير ذلك العذاب مستحق بما نزل الله في القرآن من استحقاق عقوبة الكافر، فالباء متعلقة بمحذوف))⁽²³⁰⁾. ويبدو أن العكبري ذكر المبتدأ وقدر الخبر، ومن ثم ذكر الخبر لمبتدأ مقدر، وهذا يتضح من تقديره لمعنى الآية.

أما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾⁽²³¹⁾ فقد ذهب أبو عبيدة إلى أن العرب تجعل المصادر صفات فيكون مجاز البر مجاز صفة على تقدير: ولكن البر من آمن بالله⁽²³²⁾، في حين يرى الأخفش أن خبر (لكن) محذوف على تقدير: ولكن البر من آمن بالله⁽²³³⁾، أما الضراء فقد ذهب إلى أنه: ((من كلام العرب أن يقولوا إنما البر الصادق الذي يصل رحمه، ويخفي صدقته، فيجعل الاسم خبراً للفعل، والفعل خبراً للاسم لأنه أمر معروف المعنى))⁽²³⁴⁾ وقد جعلها الزجاج في التقدير على وجهين⁽²³⁵⁾:

الأول: أن البر مضاف إلى (ذا) المحذوف، فيكون على معنى: ولكن ذا البر من آمن بالله، وهذا ما جوزه العكبري أيضاً⁽²³⁶⁾.

الثاني: أن يكون الخبر محذوفاً على تقدير: ولكن البر من آمن بالله.

وأضاف العكبري وجهاً آخر، وهو ((أن البر هنا اسم فاعل من بريئ، وأصله بر مثل فطن، فنقلت كسرة الراء إلى الباء))⁽²³⁷⁾.

ويبدو لي أن رأي الأخفش ومن تبعه في تقدير الخبر (بر)، هو الأرجح، لأنه بعيد عن التكلف والتأويل فضلاً عن ملائمته سياق الآية.

الخاتمة:

على مستوى المادة الصرفية، فإن تغيير دلالة الألفاظ يعد أصيلاً في غالبها، لذلك عرض البحث لما خالف الأصل فيها، وتبين أن المشتقات قد تأتي للدلالة على غير الأصل الذي وضعت له مبالغة في المعنى وزيادته، أو خروجاً عن المعنى الأول إلى معنى آخر.

وتناول البحث ظواهر صرفية أخرى تؤثر في دلالة الألفاظ، كالتضعيف الذي ينقل الفعل من اللزوم إلى التعدية، أو للمبالغة في الفعل وتكريره.

وتوقف البحث عند الزيادة وحروفها، وتبين أنها قد تكون إما لزيادة المعنى وتوكيده، أو زيادة الحرف في الكلمة لإلحاقها ببناء من الأبنية، أو زيادة الحرف للتضعيف، وقد التفت النحاة القدامى إلى هذه الحروف، وكذلك علماء المعاني والتفسير إلا أنهم لم يصرحوا بزيادتها، أو بتسميتها، أو بإحصائها، لأن ما يهمهم هو دلالة الآية وتوجيه المعاني، لذلك اكتفوا بحذف الزائد في التفسير، أو ذكر المحذوف على أن يكون لهذا المذكور، أو المحذوف دلالة تفيد المعنى

(228) ينظر: معاني الزجاج: 246/1.

(229) ينظر: الكشاف: 217/1.

(230) التبيان في إعراب القرآن: 142/1.

(231) البقرة: 177.

(232) ينظر: مجاز القرآن: 65/1.

(233) ينظر: معاني الأخفش: 348/1.

(234) معاني الفراء: 104/1.

(235) ينظر: معاني الزجاج: 246/1.

(236) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 143/1.

(237) المصدر نفسه: 143/1.

العام.

وكما وقف البحث عند الزيادة، كان لا بد من المرور بظاهرة الحذف، وإن كانت هذه الظاهرة تدخل في غالب الموضوعات اللغوية، لذلك عرض البحث لتعريفها وأهم ما وصفها به القدامى، ومن ثم التمثيل لحذف الحرف في اللفظة، والإشارة إلى حذف الكلمة من دون سرد مواضع الحذف، وذلك لأن المقام لا يتسع لها.

والحمد لله أولاً وآخراً

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- 1- أبنية الصرف: في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، بغداد - مكتبة النهضة: 1965م.
- 2- أبوعثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو: د. رشيد العبيدي، بغداد: 1969م.
- 3- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: أحمد بن محمد بن الدمياطي (ت 1117هـ)، تعليق: علي محمد الضباع، مطبعة حنفي بمصر: 1359هـ.
- 4- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: مقاتل بن سليمان (ت 150هـ)، تحقيق: د. عبد الله محمد شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 1395هـ، 1975م.
- 5- الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلومصرية القاهرة: 1979م.
- 6- الأصول في النحو: ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري (ت 316هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1988م.
- 7- الإعجاز البياني في القرآن ومسائل نافع بن الأزرق، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، 1971م.
- 8- إعراب القرآن: أبو جعفر أحمد بن النحاس (ت 338هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهد، بغداد، 1977م.
- 9- الأمالي الشجرية: هبة الله بن الشجري (ت 542هـ)، تحقيق: حبيب الله العلوي، حيدر أباد، ط 1.
- 10- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: لكمال الدين أبي البركات الأنباري (ت 577هـ)، محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر: 1961م.
- 11- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الندوة الجديدة، ط 7، بيروت: 1980م.
- 12- البرهان في علوم القرآن: الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، القاهرة، د. ت.
- 13- تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط 2، 1973م.
- 14- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري (ت 616هـ)، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت.
- 15- تفسير غريب القرآن: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (ت 276هـ)، تق: أحمد صقر، بيروت: 1978م.
- 16- التيسير في القراءات السبع: الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت 444هـ) بيروت، ط 3.
- 17- الجمل: الزجاجي (ت 337هـ)، تحقيق: ابن أبي شنب، ط 2، باريس: 1376هـ - 1957م.
- 18- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث، بيروت، ط 12.

- 19- حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، بيروت، ط 4، 1984م.
- 20- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تق: محمد علي النجار، دار الكتاب، بيروت .
- 21- دراسات في علم اللغة: (القسم الأول): كمال محمد بشر دار المعارف بمصر.
- 22- دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط 11، 1986م.
- 23- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث: د. محمد حسين آل ياسين، بيروت، ط 1.
- 24- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: حسام سعيد النعمي، دار الرشيد للنشر، بغداد 1980م.
- 25- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. محمد رضوان الداية و د. فايز الداية، مطبعة سعد الدين، دمشق، ط 2، 1407هـ - 1987م.
- 26- دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط 4: 1980 .
- 27- شرح شافية ابن الحاجب: الرضى الاسترابادي (ت 688هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن وصاحبيه، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ.
- 28- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: مصطفى الشويبي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، 1382هـ 1963م.
- 29- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت 399هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت: 1407هـ - 1987م.
- 30- الكتاب: عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه (ت 180هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م.
- 31- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري (ت 528هـ) مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، د . ت.
- 32- لسان العرب المحيط: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منصور الأفرريقي (ت 711هـ)، دار صادر، بيروت (د. ت).
- 33- اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، الهيئة المصرية للكتاب، ط 2، 1979م.
- 34- اللهجات العربية في التراث: د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، 1978م.
- 35- مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210هـ)، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1381هـ - 1962م.
- 36- المزهري في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط 4، 1958م .
- 37- مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد: 1395هـ - 1975م.
- 38- معاني القرآن: أبو الحسن الأخفش (ت 215هـ)، تحقيق: د. عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1405هـ - 1985م.
- 39- معاني القرآن: الفراء، يحيى بن زياد (ت 207هـ)، تحقيق: محمد علي النجار و عبد الفتاح إسماعيل شلبي وأحمد يوسف نجاتي وعلي النجدي ناصف، دار السرور، بيروت، د. ت.

- 40- معاني القرآن وإعرابه: الزجّاج، إبراهيم بن السري (ت 311هـ)، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1408هـ - 1988م.
- 41- معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1984م.
- 42- المغني الجديد في علم الصرف: د. محمد خير حلواني، دار الشرق العربي، بيروت، (د. ت).
- 43- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: للإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الشام للتراث، بيروت، د. ت.
- 44- الممتع في التصريف: ابن عصفور الإشبيلي (ت 669)، تحقيق: فخر الدين قباوة، المطبعة العربية، حلب، 1970م.
- 45- المنصف: لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر: 1373هـ - 1954م.
- 46- الموجز في النحو: أبو بكر بن السراج (ت 316هـ)، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1965.
- 47- النحو وكتب التفسير: د. إبراهيم عبد الله رفيدة، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط 3، 1990م.
- 48- همع الهوامع: جلال الدين السيوطي، تصحيح: محمد بدر الدين النعاساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- 49- الواضح في النحو والصرف: محمد خير، الطبعة الثانية، دار المأمون، 1978م.
- 50- الوايف في شرح الشاطبية في القراءات السبع: تأليف: عبد الفتاح القاضي، الناشر مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية، د. ت.

العاطفة الإنسانية «عاطفة الأبوة» في سورة سيدنا يوسف «أنموذجاً» دراسة نحوية تطبيقية دلالية

فاطمة أحمد سيف النصر بن حمد

قسم اللغة العربية كلية الآداب - جامعة عمر المختار

القبول: 15.9.2024

الاستلام: 12.8.2024

المستخلص:

العاطفة الإنسانية صفة في الإنسان، وجزء لا يتجزأ منه، فقد تناولها القرآن الكريم في آيات كثيرة جداً، وإن لم يرد لها لفظ صريح؛ إنما وردت بعدة معان تدل عليها، كعاطفة الحب، والكره، والحزن، والفرح، والتحسر، والتوجع، وغير ذلك من العواطف التي تعبر عن نفسية الإنسان، ومشاعره، وخير مثال على ذلك ما جاء من عاطفة الأبوة في سورة يوسف عليه السلام، فحب سيدنا يعقوب الشديد لابنه يوسف، واضحة جلية من بداية السورة إلى نهايتها، فهذه العاطفة جديرة بالبحث والدراسة، مما جعلني أرغب في دراستها، فاخترت عنوان البحث: (العاطفة الإنسانية في سورة سيدنا يوسف عاطفة الأبوة «أنموذجاً»)، دراسة نحوية تطبيقية دلالية.
الكلمات المفتاحية: العاطفة الإنسانية، عاطفة الأبوة، سورة يوسف.

ABSTRACT:

Human emotion is an intrinsic part of a person, and the Holy Quran addresses it in many verses, even if it does not explicitly mention it; rather, it conveys various meanings associated with emotions such as love, hate, sadness, joy, regret, pain, and others that reflect human psychology and feelings. A prime example of this is the emotion of fatherhood in Surah Yusuf (Joseph). The deep love of Prophet Jacob for his son Joseph is clear from the beginning to the end of the chapter. This emotion is worthy of research and study, prompting me to undertake this exploration. Thus, I chose the title of the research: **“Human Emotion in Surah Yusuf: The Emotion of Fatherhood as a Model”**, a semantic and applied grammatical study.

The study concluded that the human emotion in the comparative degree, as mentioned in the verse (the most beloved), represents the emotion of love. The comparative degree aligns with grammatical rules, yet it is formed from the object in an irregular manner.

Keywords: Human emotion, Emotion of fatherhood, Surah Yusuf.

المقدمة:

لغتنا العربية لغة شرفها القرآن الكريم من بين اللغات، فقد نزل القرآن العظيم بها، وعلم النحو من بين علوم اللغة العربية، التي ترتبط بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً، ففهم القرآن، وتذوق حلاوته، وسبر أغواره، ووضوح معانيه، وتحديد إعرابه، يكون بتعلم النحو والإعراب. والعاطفة الإنسانية لها أثر بالغ في سلوك الإنسان، فهو لا يكون على وتيرة واحدة، فيشعر بالحب، والكره، والفرح، والحزن، والتحس، والتوجع، وخير مثال على صفة العاطفة الإنسانية، عاطفة الأبوة، وما جاء من آيات قرآنية في سورة يوسف، فهذه الآيات العظيمة، والجليلة، كانت الدافع لي لاختيار هذا الموضوع، الأمر الذي جعلني أرغب في دراسته، فوق اختياره على عنوان: العاطفة الإنسانية «عاطفة الأبوة» في سورة سيدنا يوسف «أ نموذجاً» دراسة نحوية تطبيقية دلالية.

أسباب الدراسة:

- وضوح العاطفة الإنسانية في سورة سيدنا يوسف من أول السورة إلى آخرها.
- كثرة الآيات القرآنية التي تعبر عن عاطفة الأبوة في السورة.
- دراسة المواضع النحوية التي تشتمل عليها هذه الآيات القرآنية.
- بيان نوع العاطفة الإنسانية التي تتحدث عنها الآية.
- إثراء المكتبات بدراسة جديدة في مجال الدراسات اللغوية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى بيان الآية القرآنية التي احتوت على العاطفة الإنسانية، وكيف وجهها المعربون، والمفسرون، وفي ذلك جمع بين المعنيين، المعنى النحوي، والمعنى الشرعي.

أهمية الدراسة:

نظراً لأهمية العواطف الإنسانية ودورها الكبير في المواقف والتصرفات، تكمن أهمية هذه الدراسة في التعرف على الآيات القرآنية التي جاءت في العاطفة الإنسانية في سورة يوسف، في أفعال التفضيل، ولأم الابتداء، أو اللام المزحلقة المتصلة بالفعل المضارع، والمنادى المضاف إلى ياء المتكلم، ثم دراسة و تحليل الآيات تحليلاً نحوياً، ثم دراستها في كتب المفسرين، ثم الخروج بنوع العاطفة الإنسانية في الآية القرآنية، بناءً على معنى الآية.

الدراسات السابقة:

على الرغم من وجود آيات كثيرة جداً في سورة يوسف في العاطفة الإنسانية بأنواعها المختلفة، إلا أنه لم تحظ بدراسة سابقة مشابهة لهذه الدراسة، إلا عدة أبحاث منها ما جاء في مسائل نحوية في سورة يوسف، ومنها ما جاء في العاطفة في سور أخرى، ومنها يلي:

- (منا) واستعمالها في سورة يوسف، دراسة تحليلية نحوية، للباحث محمد نور الفوزان، جامعة علاء الدين الإسلامية، إندونيسيا، 2019م.
- اسم الإشارة في سورة يوسف، دراسة تحليلية نحوية، لذكية الحسنه، رسالة مقدمة لاستيفاء أحد شروط الحصول على الدرجة الجامعية الأولى في علم اللغة العربية وآدابها، جامعة

فاطماوتي سوكارنو الإسلامية، 2022م

- استعمالات (ما) في سورة يوسف، دراسة نحوية تطبيقية، للدكتور: جاد مخلوف جاد.
- المنظومة العاطفية في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، لشيماث ثابت ناصر، اطروحة دكتوراه، العراق، جامعة كربلاء، 2003م، فقد جاء في المطلب الثاني، من المبحث الأول، من الفصل الثالث، عاطفة أبوة يعقوب عليه السلام.
- الصورة الفنية للعاطفة في القرآن الكريم، بحث مقدم من رحاب عبد الغفور خلف أحمد، بغداد، العدد السابع، السنة الرابعة، الجزء الثاني، 2017م، فقد جاء في المبحث الثاني، من المطلب الثالث، عاطفة الأب تجاه ابنه.
- العاطفة الأسرية في القرآن الكريم، للدكتور محمود عايد عطية، والأستاذة أسماء إبراهيم أحمد، العراق، جامعة الموصل، 2020م، فقد جاء المبحث الأول في العاطفة الأبوية، عاطفة يعقوب عليه السلام.

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذه الدراسة، هو المنهج التحليل الوصفي، وذلك من خلال دراسة المواضيع التي جاءت فيها الآيات المتحدثة عن العاطفة الإنسانية، ودراسة عناوينها عند النحاة، ثم دراستها عند المفسرين.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع.

أما المقدمة، فتشتمل على: أسباب الدراسة، وأهداف الدراسة، وأهمية الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة.

المبحث الأول: أفعال التفضيل، المبحث الثاني: لام الابتداء، أو اللام المزحلقة، المبحث الثالث: المنادى المضاف إلى ياء المتكلم.

والخاتمة تتضمن أهم نتائج البحث، ثم فهرس المصادر والمراجع، مرتبة ترتيباً هجائياً وفق أسماء الكتب.

تمهيد:

اعتنى القرآن الكريم بالعاطفة الإنسانية، لما لها من أثر بالغ في حياة الإنسان، فالجانب العاطفي جزء مهم في تكوينه، وهو شعور في النفس حول شيء معين، وقد عُرِفَت العاطفة عند اللغويين بأنها: الإمالة، يقال: عطف الشيء: أَمَلْتُهُ⁽¹⁾، وعُرِفَت أيضاً: بأنها حالة شعورية، تطلق على الحب، والصداقة، والعطف، والإعجاب، وكل الأحاسيس النبيلة النابعة من أعماق الإنسان، والمنبجسة من جذوره الخيرة⁽²⁾. فالآيات الدالة على العاطفة الإنسانية في سورة يوسف. وإن لم يظهر لفظها صراحة تدل على عاطفة وميول سيدنا يعقوب لابنه يوسف، ففي

(1) كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، (17/2).

(2) المعجم الأدبي: لجبور عبد النور، دار الملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1979م، الطبعة الثانية: 1984م، (ص/167-168).

قوله تعالى: (لِيُؤَسِّفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ)؛ يوسف: 8، كان سيدنا يعقوب يفضل يوسف على سائر إخوته في الحب، وفي قوله تعالى: (إِنِّي لِيَحْزُنُنِي)، يوسف: 13، أن سيدنا يعقوب أخبرهم أنه يحزن لغيبه يوسف عنه، لضرط محبته، وخوفه عليه مدة ذهابهم به، ومفارقتة إياه، وفي قوله تعالى: (وَقَالَ يَا أَسْفَى) يوسف: 84؛ الأسف أشد الحزن، فسيدنا يعقوب لم يأسف، ولم يحزن، ولم يتحسر، قط على أحد من أولاده، إلا على يوسف؛ لأن حبه له كان خالصاً.

المبحث الأول: أفعال التفضيل:

قال تعالى: (إِذْ قَالُوا لِيُؤَسِّفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ) [يوسف: 8]

أحكام أفعال التفضيل⁽³⁾: من أحكام أفعال التفضيل، أن يكون نكرة، مجرداً من (أل)، والإضافة، وله حكمان:

الحكم الأول: وهو خاص بأفعال التفضيل، وهو أن يكون مفرداً مذكراً دائماً، سواء أسند إلى مفرد مذكر، مثل قولك: محمدٌ أفضل من عمرو، أو أسند إلى مثني، مثل قولك: المحمدان أفضل من عمرو، ومثل قوله تعالى: (لِيُؤَسِّفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ) [يوسف: 8]، فأفرد (أحب)، مع الاثنين، (يوسف، وأخوه)، أو أسند إلى جمع، مثل قولك: المحمدون أفضل من عمرو، ومثل قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ... أَحَبَّ إِلَيْكُمْ)، [التوبة: 24]، فأفرد (أحب) مع الجمع (آبَاؤُكُمْ، وَأَبْنَاؤُكُمْ)، أو أسند أفعال التفضيل إلى مؤنث، مثل: هندٌ أفضل من زينب.

الحكم الثاني: اتصال أفعال بـ (من) الجارة لفظاً، مثل: زيدٌ أفضل من عمرو، أو تقديرها، مثل: الله أكبر، أي: من كل شيء.

وتحذف (من) مع مجرورها للعلم بها كثيراً، مثل قوله تعالى: (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) [الأعلى: 17]، أي: من الحياة الدنيا، وقد اجتمع إثباتها وحذفها، في قوله تعالى: (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا) [الكهف: 34]، فحذف (من) ومجرورها بعد أعز، أي: أعز منك.

وأكثر حذف (من)، إذا كان أفعال خبراً لمبتدأ، مثل قوله تعالى: (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) [البقرة: 61]، فـ (هو) مبتدأ، و(أدنى) خبر⁽⁴⁾، وحذفت (من)، أي: أدنى منه⁽⁵⁾، أو خبراً لـ (كان)، مثل: كان محمدٌ أفضل، ومثل قول الشاعر⁽⁶⁾:

سَقُونَاهُمْ كَأَسَا سَقُونَا بِمِثْلِهَا * * * وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَضْبَرًا .

(3) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: لابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، طبعة 1415 هـ، 1994م، (257/3) ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيان الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: د. رجب عثمان محمد، مراجعة الدكتور رمضان عبد التواب الناشر مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى: 1998 - 1418م، (2328/5).

شرح التصريح على التوضيح: أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، وهو شرح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى، على أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للإمام العلامة جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأضراري، تحقيق محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1421 هـ - 2000م، (95/2).

(4) إعراب القرآن وبيانه: تأليف الأستاذ محيي الدين درويش، الهمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص سورية، (113/1).

(5) مجمع البيان في تفسير القرآن: تأليف: أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 142 هـ - 2005م، (166/1).

(6) ارتشاف الضرب، 2329/5 - المساعد على تسهيل الفوائد: شرح منقح مصفى، للإمام الجليل بهاء الدين بن عقيل، على كتاب التسهيل لابن مالك، تحقيق وتعليق: د. محمد كامل بركات، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: 1402 هـ - 1982م، (171/2) - الدرر الزوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع: تأليف أحمد بن الأمين الشنقيطي، وضع حواشيه، محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1419 هـ - 1999م، (336/2).

فقد حذف (من) بعد (أصبراً)، لأنه وقع خبراً لكان، أي: لكنهم كانوا على الموت أصبر منا. أو خبراً لـ (إن) وقد ذكر زيد وعمرو، فتقول: إن زيدا أفضل، أي: من عمرو، أو ثاني مفعولي (ظن)، أو إحدى أخواتها، مثل: ظننت زيدا أفضل، ومثل قوله تعالى: (تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا) [المزمل: 20]. خيراً: مفعول ثان لتجدوه⁽⁷⁾، و(من) محذوفة، أي: خيراً مما خلصتم⁽⁸⁾.

ويقل حذف (من) إذا كان غير خبر، كالمعطوف على المفعول، مثل قوله تعالى: (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) [طه: 7]، (أخفى) عطف على المفعول به، (السر)، وحذف (من) الجارة مع مجرورها، أي: أخفى من السر⁽⁹⁾. أو يكون أفعال التفضيل حالاً، مثل قول الشاعر⁽¹⁰⁾:

دَنَوْتُ وَقَدْ خَلْنَاكَ كَالْبَدْرِ أَجْمَلًا * * * فَظَلُّ فُوَادِي فِي هَوَاكِ مُضَلَّلًا.

فقوله: (أجملاً) حذف (من) الجارة مع مجرورها، أي: دنوت أجمل من البدر.

أو يكون صفة: مثل قول الشاعر⁽¹¹⁾:

تَرَوْحِي أَجْدَرَ أَنْ تَقِيلِي * * * عَدَا بَجَنِّي بَارِدِ ظَلِيلِ.

أجدر صفة لمحذوف هو وعامله المعطوف على تروحي، واستعمل من غير ذكر (من)، والتقدير: تروحي وأنت مكاناً أجدر من غيره بأن تقيلي فيه.

ومنه قول الشاعر أيضاً⁽¹²⁾:

عَمَلًا زَاكِيًا تَوْخَى لَكِي تُجْزَى * * * جَزَاءَ أَزْكَى وَتَلَقَى حَمِيدًا.

أي: تجزى جزاء أزكى من العمل الزاكي.

وللنحاة في حذفها وبقائها أقوال، فقال أبو حيان⁽¹³⁾: (هذا كله مسموع)، أما البصريون، أجازوا الحذف مع الفاعل، مثل: جاءني أفضل، ومع اسم إن، مثل: إن أفضل زيد، والرماني منعه⁽¹⁴⁾، ومنع الكوفيون ذلك فقالوا: (من) تسقط من أفعال، وهو خبر، والاختيار ظهورها في الصفة، ويجوز الحذف على قبح، فلا يجوز عندهم: جاءني أفضل، ولا يجوز عندهم أيضاً: إن أفضل زيد⁽¹⁵⁾.

(7) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: تأليف أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، (10 / 530) - إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين الدرويش: 270/10.

(8) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين الدرويش: (271/10).

(9) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين الدرويش: (6 / 165) - اللباب في علوم الكتاب: تأليف الإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي ابن عادل دمشقي الحلبي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه برسالته الجامعية: الدكتور محمد سعد رمضان حسن، والدكتور محمد المتولي الدسوقي حرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م، (13/177).

(10) ارتشاف الضرب: (5 / 2330) - شرح التصريح على التوضيح: (2 / 97) - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع، (3/81).

(11) شرح التسهيل: لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجبالي الأندلسي، تحقيق: الدكتور: عبد الرحمن السيد، الدكتور محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى: 141هـ-1990م، (3/57) - شرح التصريح على التوضيح: (2/98) - المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية المشهور بـ(شرح الشواهد الكبرى): تأليف بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني، تحقيق: أد علي محمد فاخر، أد أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى: 1431هـ - 2010م، (5/1533).

(12) شرح التسهيل: 3/57 - ارتشاف الضرب: 5/2330.

(13) ارتشاف الضرب: 5/2330.

(14) المساعد على تسهيل الفوائد: 172/2.

(15) ارتشاف الضرب: 5/2330 - المساعد على تسهيل الفوائد: 172/2.

ولا يبني أفعل التفضيل من المبني للمفعول⁽¹⁶⁾، مثل: زيد أضرب من بكر لعمرو، أضرب مبني من ضرب، وسمع بناؤه من فعل المفعول شذوذاً، مثل قول العرب: (هو أزهى من ديك)⁽¹⁷⁾، فقد بنوه من زهى، إلا أن بن مالك⁽¹⁸⁾، جوز قياساً أن يبني أفعل من فعل المفعول إذا لم يلبس، فيقال: لا أظلم من قتيل كربلاء، أما قوله تعالى: (ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا) [يوسف: 8]، فاللام لام لا بتدأ، ويوسف مبتدأ، وأخوه معطوف على يوسف، وأحب أفعل تفضيل خبر، وإلى أبينا، جار ومجرور متعلق بأحب⁽¹⁹⁾.

و(أحب) في الآية: أفعل تفضيل مبني من المفعول شذوذاً، ولذلك عدي بـ (إلى)⁽²⁰⁾، والحب والبعض، إذا بُني منهما أفعل التفضيل، تعدى الفعل منهما إلى الفاعل المعنوي بـ (إلى)، وإلى المفعول المعنوي بـ (اللام)، ولم يطابق (أحب) في الاثنين. يوسف وأخوه. لأن أفعل التفضيل يلزم الأفراد إذا كان معه (من) فإذا قلت: مثلاً، زيد أحب إلي من بكر، إذا كنت تكثر محبته، وإذا قلت أحب لي أو ي، إذ كان يحبك أكثر من غيره⁽²¹⁾. والعاطفة الإنسانية هي عاطفة الحب، فسيدنا يعقوب عليه السلام كان يفضل يوسف وأخاه على سائر الأولاد، وما فضلها إلا في المحبة؛ والمحبة ليست في وسع البشر، فكان عليه السلام معذوراً، ولا يلحقه بسبب ذلك لوم، فزيادة المحبة ليست في الوسع والطاقة، وليس لله عليه فيه تكليف⁽²²⁾.

المبحث الثاني: لام الابتداء، أو اللام المزحلقة:

قال تعالى: (إِنِّي لِيَحْرُزُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ) [يوسف: 31].

لام الابتداء؛ هي لام مفتوحة تدخل على المبتدأ كثيراً⁽²³⁾، مثل: لزيد قائم، ومثل قوله تعالى: (لأنتم أشد رهبة) [الحشر: 13]، فاللام: لام الابتداء، وأنتم: مبتدأ، وأشد: خبر، وسميت لام الابتداء؛ لأنها تدخل على المبتدأ ولها الصدارة، وتدخل على أول الكلام، وتدخل على خبر (إن) المكسورة، مثل: إن زيدا قائم، من بين سائر أخواتها؛ لأنها تدخل على المبتدأ والخبر، ولا تغير معناه، ولا حكمه.

وتفيد (اللام) توكيد مضمون الجملة المثبتة، وإزالة الشك عن معناها، أو إنكارها، وسميت باللام المزحلقة؛ لأن مكانها الأصلي الصدارة في الجملة الاسمية، ولما كانت للتوكيد، كان حقها أن تدخل على اسم إن؛ لأنه هو المبتدأ في الأصل، وكانت (إن) تفيد التوكيد، كرهوا افتتاح الكلام

(16) شرح ابن عقيل: 80/3. شرح التصريح على التوضيح: 94/2.

(17) مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، المعروف بالميداني، الناشر: المعاونية الثقافية للإستانة الرضوية المقدسة، 288/1.

(18) شرح التسهيل: 52/3 - المساعد على تسهيل الفوائد: 166/2 - 167.

(19) إعراب القرآن وبيانه: 457/5.

(20) تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه، الدكتور: زكريا عبد المجيد النوفي، والدكتور: أحمد النجولي، طبعة: 1426هـ - 2001م. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (5/ 282).

(21) الدر المنصون: (442/6) - حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت (5/ 158) - إعراب القرآن وبيانه: (4/ 457).

(22) تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، المشتهر بخطيب الري، نفع الله به المسلمين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1401هـ - 1981م (18/ 95).

(23) شرح جمل الزجاجة، الشرح الكبير: لابن عصفور الأشبيلي، تحقيق د. صاحب أبو جناح، عالم الكتب، الطبعة الأولى: 1419هـ - 1999م، (438/1) - شرح التصريح على التوضيح، (311/1) - أوضح المسالك، لابن هشام الأنصاري: 333/1 - النحو الوافي: تأليف عباس حسن، الطبعة الحادية عشر، دار المعارف، (590/1) - اللامات: لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر، الطبعة الثانية: 1405هـ - 1985م (ص/ 78).

بحرفين مؤكدين، فقدمت (إن)؛ لأنها عاملة، وزحلت اللام إلى الخبر، فإذا قلت: إن زيداً لقائماً، ف(قائماً)، هو زيد في المعنى، وإذا قلت: إن زيداً ليقوم، ف(يقوم) لم يكن المبتدأ في المعنى، فأدخلوا اللام عليها.

وتدخل اللام على الخبر، بشروط منها (24):

- أن يكون الخبر مضرراً مؤخراً: مثل، إن زيداً لقائماً، ومثل قوله تعالى: (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ) [النمل: 73]، (رب): اسم إن، ولام الابتداء، وذو فضل، خبر إن (25)، وقد جاء الخبر مضرراً متأخراً.

- أن يكون الخبر مثبتاً: (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) [إبراهيم: 74]، اللام المزلحقة، وسميع الدعاء، خبر إن، وقد جاء الخبر متأخراً، ومثبتاً (26).

ويشذ دخول (اللام) على خبر (إن) المنفي، كما في قول الشاعر (27):

وَأَعْلَمُ إِنَّ تَسْلِيمًا وَتَرْكًا * * * لَلَا مُتَشَابِهَانِ وَلَا سَوَاءُ.

(لَا مُتَشَابِهَانِ)، اللام لام الابتداء، ولا نافية، ومتشابهان خبر، فقد دخلت اللام على الخبر المنفي بلا، شذوذاً.

- أن يكون الخبر جملة اسمية، مثل قول الشاعر (28):

إِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ تَرَجُّوهُ ذُو جِدَّةٍ * * * وَتَوُ تَعَذَّرَ إِيسَارٌ وَتَنَوِيلٌ.

فالجمله الاسمية: (من ترجوه ذو جدّة)، وقعت خبراً لـ (إن)، ودخلت عليها اللام.

- أن يكون الخبر فعلاً ماضياً غير متصرف، مثل: إن زيداً لنعم الرجل، وذلك لأن الفعل الجامد كالاسم؛ ولأنه يفيد الإنشاء، والإنشاء يستلزم الحضور، فيحصل شبه المضارع، وكذلك إذا قرن الماضي بـ(قد) جاز دخول اللام عليه، مثل: إن زيداً لقد قام، لشبه الماضي المقرون بقدر بالمضارع، تقرب زمانه من الحال، والمضارع شبيه بالاسم.

أما إذا كان الفعل الماضي متصرفاً، فلا تدخل عليه اللام إذا وقع خبراً، مثل: إن زيداً قام، فلا يجوز القول: إن زيداً لقام.

- أن يكون الخبر فعلاً مضارعاً، فيخلص زمنه للحال، أي: وقت الكلام، مثل: إن زيداً ليقوم، ومثل قوله تعالى: (وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة) [النحل: 124]، فيوم القيامة لم يجيء بعد، فهي تعين المضارع للحال، إن كان خالياً من قرينة لغير الحال، ومثل قوله تعالى: (وإن ربك ليعلم) [النمل: 74]، فاللام المزلحقة وجملة يعلم المضارعة، خبر إن (29).

ومثل قول الشاعر (30):

(24) شرح التسهيل: (28-27/2) - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى: منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1375هـ - 1955م، (14/1) - شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: تأليف ابن الناظم أبي عبد الله بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد بن مالك، تحقيق محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 2000م، (ص/122).

(25) إعراب القرآن وبيانه: (250/7).

(26) أوضح المسالك: (334/1) - إعراب القرآن وبيانه: (200/5).

(27) المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل: 322/1 - شرح ابن عقيل، لابن عقيل: 170/1 - شرح التصريح على التوضيح، للأزهري: 312/1.

(28) شرح ابن الناظم، لابن الناظم: 122 - المقاصد النحوية، للعيني: 731/1.

(29) إعراب القرآن وبيانه: (250/5).

(30) النحو الوافي: (662/1).

إِنَّ الْكَرِيمَ لِيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ * * * حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ مَجْهُودٌ.

فقد دخلت اللام على الفعل المضارع (يخفي)، الواقع خبراً لـ (إن).

ولا فرق بين الفعل المضارع المتصرف في دخول اللام، مثل: إن زيدا ليرضى، وبين الفعل غير المتصرف، مثل: إن زيدا ليدز الشراً.

أما إذا كان الفعل المضارع مبدوءاً بالسین أو سوف، ففيه خلاف بين النحاة، فيجوز دخولها عند البصريين، مثل: إن زيدا لسوف يقوم، إن زيدا لسيقوم، ولا يجوز ذلك عند الكوفيين⁽³¹⁾.

أما اللام في قوله تعالى: (إِنِّي لَيَحْزُنُنِي) (يوسف: 13)، لام الابتداء للتأكيد، وهي لتخصيص المضارع بالحال⁽³²⁾.

والعاطفة الإنسانية في قوله تعالى: (لَيَحْزُنُنِي)، هي عاطفة الحزن، والحزن ألم القلب بفراق المحبوب، فسيدينا يعقوب اعتذر لهم بشيئين، أحدهما: عاجل في الحال، وهو ما يلحقه من الحزن، فقد أخبرهم أنه يحزن لغيبه يوسف عنه لفرط محبته له وخوفه عليه، فلا يقدر أن يصبر عنه ساعة، والثاني: خوفه عليه من الذنب⁽³³⁾.

المبحث الثالث: المنادى المضاف إلى ياء المتكلم.

قال تعالى: (وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَٰسُفَ) [يوسف: 48].

المنادى المضاف إلى ياء المتكلم إذا كان صحيح الآخر، يجوز فيه ست لغات⁽³⁴⁾:

الأولى: حذف الياء الساكنة وإبقاء الكسرة دليلاً عليها، مثل قوله تعالى: (يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ) [الزمر: 15]، عباد مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وبقيت الكسرة دليلاً عليها⁽³⁵⁾، ومثل قول الشاعر⁽³⁶⁾:

خَلِيلِ أَمْلِكُ مَنِّي لِلذِّي كَسَبَتْ * * * يَدَيَّ وَمَالِي فِيمَا يَقْتَنِي طَمَعٌ

حذفت الياء من (خليل)، وبقيت الكسرة دليلاً عليها.

وعلة ذلك حذف الياء، أن الياء معاقبة للتونين⁽³⁷⁾، وقال سيبويه: (لأن ياء الإضافة في الاسم بمنزلة التونين، فحذف وترك آخر الاسم جراً)⁽³⁸⁾.

الثانية: إثبات الياء ساكنة، مثل قوله تعالى: (يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ) [الزخرف: 68]، عباد

(31) المساعد على تسهيل الفوائد: (322/1) - ارتشاف الضرب: (1263/3).

(32) الدر المصون: (451/6) - فتح القدير: الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني، اعتنى به وراجع أصوله، يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة: 1428هـ - 2007م، (685).

(33) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن، ضبطه وصححه، عبد السلام محمد علي شاهين، منشورات: محمد علي شاهين، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1425هـ - 2004م، (516/2) - فتح القدير: (685) - البحر المحيط: (286/5).

(34) شرح قطر الندى وبل الصدى: تصنيف: أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، 1425-2004م، والطبعة الثانية عشر 1386-1966م، مطبعة السعادة، (ص 192) - توضيح المقاصد والمسالك، بشرح ألفية ابن مالك، للمراد، شرح وتحقيق الأستاذ: عبد الرحمن علي سليمان، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، دار الفكر العربي، (1083/2) - ارتشاف الضرب: (1852، 1851) - شرح التصريح على التوضيح: (232/2).

(35) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش: 402/8.

(36) شرح الأشموني، للأشموني: 332/2.

(37) شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور: 97/2.

(38) كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الطبعة الثالثة: 1408هـ - 1988م، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (209/2).

منادى مضاف إلى ياء المتكلم⁽³⁹⁾، وحذفت الياء؛ لأنها في موضع التنوين، وهي قد عاقبته⁽⁴⁰⁾، وعند ابن عصفور، فيها قولان⁽⁴¹⁾:

الأول: سُكِنَ تخفيفاً، والأصل الحركة، والثاني: أن التسكين هو الأصل؛ لأن الذي بُني على حركة، إنما كان لتعذر الابتداء به، وأما إذا كان متصلًا بغيره، فلا بد أن يكون ساكنًا، كالتنوين وهاء السكت.

الثالثة: ضم الحرف الذي كان مكسورًا لأجل الياء، مثل قوله تعالى: (قَالَ رَبُّ أَحْكَمِ بِالْحَقِّ) [الأنبياء: 111]، بضم الياء بعد حذف ياء المتكلم، يريد: يَا رَبِّي، حذف حرف النداء وياء المتكلم، ومثل قول الشاعر⁽⁴²⁾:

ذُرَيْبِي إِنَّمَا خَطَّيْتُ وَصَوَّبِي * * * عَلَيَّ وَإِنَّمَا أَهْلَكْتَ مَالَ.

قوله: (مَالَ)، أي: أهلكت مالي، حذفت الياء وظهر إعراب ما قبلها، وهو الضم.

وقد ضعفها ابن هشام⁽⁴³⁾، وقال سيبويه: (بعض العرب تقول: يا ربُّ اغفر لي)⁽⁴⁴⁾، فلما حذفت الياء المعاقبة للتنوين، بني المنادى على الضم كما يبني الذي ليس مضافًا إذا حذفت تنوينه⁽⁴⁵⁾. وأنكر ابن هشام الضم، فقال: (إنما أجازته سيبويه فيما كثر إرادة الإضافة فيه)⁽⁴⁶⁾.

الرابعة: إثبات الياء محركة بالفتح، مثل قوله تعالى: (يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا) [الزمر: 50]، عبادي منادى مضاف إلى ياء المتكلم المفتوحة، للتخفيف⁽⁴⁷⁾.

الخامسة: قلب الكسرة التي قبل الياء المفتوحة فتحة، فتقلب الياء ألفًا، لتحركها، وانفتاح ما قبلها، مثل قوله تعالى: (يَا حَسْرَتَا) [الزمر: 56]، والأصل: يا حسرتي، والألف بدل من الياء، مثل: يا غلاما، وأنت تريد يا غلامي، وقال ابن جني: (في هذه القراءة إشكال، وذلك لأن الألف في (حسرتا)، إنما هي بدل من ياء حسرتي، أبدلت الياء ألفًا، هربا إلى خفة الألف من ثقل الياء)⁽⁴⁸⁾، ومثل قول الشاعر⁽⁴⁹⁾:

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ أَوِي * * * إِلَى أُمِّ وَأَيُّوَيْنِي النَّقِيعُ.

فقوله: (إلى أمِّ)، إذ أصله: أُمِّي، قلبت الكسرة التي قبل الياء فتحة، وقلبت الياء ألفًا.

السادسة: حذف الألف وإبقاء الفتحة دليلاً عليها، مثل: يا غلامًا، فقد حذفت الألف من

(39) إعراب القرآن وبيانه: (104/9).

(40) المحرر الوجيز: (1686).

(41) شرح جمل الزجاجي: (97/2).

(42) توضيح المقاصد والمسالك: (1087/2)، المقاصد النحوية: (1726).

(43) شرح قطر الندى: (285).

(44) الكتاب: (209/2).

(45) شرح جمل الزجاجي: (98/2).

(46) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق وشرح، الدكتور عبد العال سالم مكرم، والاستاذ عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الرسالة، طبعة 1413هـ-1992م، (301/4).

(47) إعراب القرآن وبيانه: (433/8).

(48) المحتسب في تبيين وجوه شذوذ القراءات والإيضاح، تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحلیم النجار، والدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلي، أعده الطبعة الثانية: محمد بشير الأدلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، 1406هـ-1986م (238-237/2).

(49) شرح الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى: منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1375هـ-1955م، (332/2) - همع الهوامع: (299/4) - شفاء العليل في إيضاح التسهيل: لأبي عبد الله محمد بن عيسى السلسلي، دراسة وتحقيق، الدكتور الشريف عبد الله الحسيني البركاتي، المكتبة الفيصلية، الطبعة الأولى، 1406هـ-1986م، (729).

غلاما، وبقيت الفتحة دليلاً عليها، ومثل قول الشاعر⁽⁵⁰⁾:

وَلَسْتُ بِرَاجِعٍ مَا قَاتَ مِنِّي * * * بَلْهَفٌ وَلَا بَلِيَّتٌ وَلَا أَنِي.

قوله: (بلهف)، أصله لهفاً بالألف، وحذفت الألف، واكتفى بالفتحة، أصله لهفي، ثم قلبت الياء ألفاً، ثم حذفت الألف واجتزأ بالكسرة.

أما المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، في قوله تعالى: (يَا أَسْفَى)، الياء: أداة نداء، وأسفي: منادى مضاف لياء المتكلم، وقد قلبت ألفاً، وفتح ما قبلها، والتقدير: يا أسفي⁽⁵¹⁾.

والعاطفة الإنسانية هي عاطفة الحسرة والأسف، فالحسرة هي: الغم على ما فاته والندم عليه⁽⁵²⁾، والأسف هو: أشد الحزن والتندم على ما فات⁽⁵³⁾، وحسّر الشخص، حزن وأسف، وسيدنا يعقوب، إنما تأسف، وتحسّر، على سيدنا يوسف؛ لأن رزاه كان قاعدة المصيبات، وكان غصناً أخذنا بمجامع قلبه؛ ولأنه كان واثقاً بحياة يوسف دون حياته، وإن سيدنا يعقوب لم يتحسّر قط، إلا على سيدنا يوسف⁽⁵⁴⁾.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من هذا البحث، توصلتُ إلى نتائج هي:

- أن العاطفة الإنسانية في أفعال التفضيل، في قوله تعالى: (أحب)، هي عاطفة الحب، وأن الفعل طابق القاعدة النحوية، فجاء مفرداً، ولم يطابق ما قبله في التثنية، وأنه بُني من المفعول شذوذاً، ولذلك عدي بـ (إلى).
- أن العاطفة الإنسانية، في قوله تعالى: (ليحزنني)، هي عاطفة الحزن، وأن اللام المتصلة بالفعل المضارع هي لام الابتداء، وهي التي أكدت الفعل، وخصصت زمنه للحال.
- أن العاطفة الإنسانية، في قوله تعالى: (يا أسفاً)، هي عاطفة التحسر والتوجع والحزن، وأن الياء في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، قلبت ألفاً، وبقيت الفتحة دليلاً عليها.

(50) شرح الأشموني: (332/2) - مع الهوامع: (299/4) - شفاء العليل: (729) - شرح التصريح على التوضيح: (233/2).

(51) إعراب القرآن وبيانه: (35/5).

(52) مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، سنة النشر: 2009م، الطبعة الرابعة، (235).

(53) الجامع لأحكام القرآن: (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبد الرازق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة: 1421هـ - 2000م، (9/211).

(54) تفسير التحرير والتنوير: تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار السداد التونسية للنشر، تونس، 1984م، (42/14).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

● الكتب:

1. ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيان الأندلسي، ت(745هـ)، تحقيق ودراسة، د. رجب عثمان محمد، مراجعة الدكتور، رمضان عبد التواب، الناشر، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 1998 م. 1418.
2. إعراب القرآن وبيانه: تأليف الأستاذ، محيي الدين الدرويش، اليمامة، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سورية.
3. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: لابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين، ت(761هـ)، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، طبعة، 1415هـ، 1994م.
4. تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، ت (481 ، 541هـ)، دار ابن حزم.
5. تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت(745هـ) دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ، علي محمد معوض، شارك في تحقيقه، الدكتور زكريا عبد المجيد النوي، والدكتور أحمد النجولي، طبعة، 1426هـ - 2001م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
6. تفسير التحرير والتنوير: تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ، محمد الطاهر ابن عاشور، دار السداد التونسية للنشر، تونس 1984م.
7. تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: تأليف علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن، ت(725هـ) ضبطه وصححه، عبد السلام محمد علي شاهين، منشورات محمد علي شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1425هـ - 2004م.
8. تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين، ت(544، 604هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1401هـ. 1981م.
9. توضيح المقاصد والمسالك، بشرح ألفية ابن مالك، للمرادى، شرح وتحقيق الأستاذ: عبد الرحمن علي سليمان، الطبعة الأولى 1422هـ. 2001م، دار الفكر العربي.
10. الجامع لأحكام القرآن، (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأتصاري القرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة: 1421هـ - 2000م.
11. حاشية الشهاب، المسماة عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت.
12. الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع: تأليف أحمد بن الأمين الشنقيطي، ت(1331هـ)، وضع حواشيه، محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى: 1419هـ - 1999م.
13. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: تأليف أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، ت(756هـ)،

- تحقيق الدكتور: أحمد محمد الخراط، دار القلم.
14. شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تأليف: ابن الناظم أبي عبد الله بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد بن مالك، ت(686هـ)، تحقيق، محمد باسل عيون السود، منشورات، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000م.
15. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب، منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير.
16. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1375 هـ - 1955م.
17. شرح التسهيل: لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله، الطائي الجبالي الأندلسي، ت (600. 672 هـ)، تحقيق، الدكتور عبد الرحمن السيد، الدكتور محمد بدوي المختون، هجر، للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 141هـ. 1990م.
18. شرح التصريح على التوضيح: أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، وهو شرح للشيوخ، خالد بن عبد الله الأزهرى، ت: (905هـ)، على أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، للإمام العلامة، جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق محمد باسل عيون السود، منشورات، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ. 2000م.
19. شرح جمل الزجاجة، الشرح الكبير: لابن عصفور الأشبيلي، ت (597-669هـ)، تحقيق د. صاحب أبو جناح، عالم الكتب، الطبعة الأولى: 1419هـ- 1999م.
20. شرح قطر الندى وبل الصدى: تصنيف، أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، ت (761هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الرابعة، (1425-2004م)، والطبعة الثانية عشر 1386-1966م، مطبعة السعادة.
21. شفاء العليل في إيضاح التسهيل: لأبي عبد الله محمد بن عيسى السلسيلي، (715-770هـ)، دراسة وتحقيق، الدكتور الشريف عبد الله الحسيني البركاتي، المكتبة الفيصلية، الطبعة الأولى، 1406هـ- 1986م.
22. فتح القدير: الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت: (1250هـ)، اعتنى به وراجع أصوله، يوسف الخوش، دار المعرفة، بيروت. لبنان، الطبعة الرابعة، 1428هـ- 2007م.
23. كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت (100. 175هـ)، تحقيق، مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي.
24. الكتاب: كتاب سبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت (180هـ)، الطبعة الثالثة، 1408هـ- 1988م، مكتبة الخانجي، بالقاهرة.
25. اللامات: لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجة، ت: (337هـ)، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1405هـ- 1985م.
26. اللباب في علوم الكتاب: تأليف الإمام المفسر، أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي،

- توي في بعد (880هـ)، تحقيق وتعليق الشيخ، عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه برسالته الجامعية، الدكتور، محمد سعد رمضان حسن، والدكتور محمد المتولي الدسوقي حرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.
27. مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، المعروف بالميداني، ت (518هـ)، الناشر: المعاونة الثقافية، للأستاذة الرضوية المقدسة.
28. مجمع البيان في تفسير القرآن: تأليف، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار العلوم، للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: 1426هـ. 2005م.
29. المحتسب، في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح: تأليف، أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق، علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحلیم النجار، والدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي، أعده للطبعة الثانية: محمد بشير الأدبي، دار سزكين، للطباعة والنشر، 1406هـ-1986م.
30. المساعد على تسهيل الفوائد: شرح منقح مصفى، للإمام الجليل، بهاء الدين بن عقيل على كتاب التسهيل لأبن مالك، تحقيق وتعليق، د: محمد كامل بركات، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى، 1402هـ-1982م.
31. المعجم الأدبي: لجبور عبد النور، دار الملايين، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، 1979م، الطبعة الثانية، 1984م.
32. مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، الطبعة الرابعة، سنة النشر، 2009م.
33. المقاصد النحوية، في شرح شواهد الألفية المشهور بـ (شرح الشواهد الكبرى): تأليف بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني، ت(855هـ)، تحقيق، أ.د علي محمد فاخر، و أ.د أحمد محمد توفيق السوداني، و د. عبد العزيز محمد فاخر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 1431هـ. 2010م.
34. النحو الوافي: تأليف عباس حسن، الطبعة الحادية عشر، دار المعارف.
35. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق وشرح، الدكتور عبد العال سالم مكرم، والاستاذ عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الرسالة، طبعة 1413هـ. 1992م.

التحليل السيميائي للنص الشعري: تجربة محمود درويش ونزار قباني أنموذجين

د. ابراهيم البوعبدلوي

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين درعة تافيلالت- المملكة المغربية

القبول: 5.11.2024

الاستلام: 12.9.2024

مستخلص:

نسعى في هذه المقال لتسليط الضوء على تجربتين شعريتين فريدتين في الشعر العربي الحديث، يتعلّق الأمر بتجربة كل من محمود درويش، ونزار قباني، وذلك من خلال استثمار آليات التحليل السيميائي الشعري بزعامة مايكل ريفاتير، انطلاقاً من كتابه دلالات الشعر، والباحث الروسي يوري لوتمان انطلاقاً من كتابه سيمياء الكون. إن استنادنا إلى ريفاتير، ويوري لوتمان، نابع من ملاءمة منهجيهما للتحليل السيميائي للنصوص، ومن انفتاح مختلف المفاهيم التي صاغها على النص الأدبي من جهة، والموسوعة الثقافية من جهة أخرى. **كلمات مفتاحية:** الشعر- المعنى- الدلالة- المركز- الهامش

Summary:

In this article, we seek to shed light on two unique poetic experiences in modern Arabic poetry: the experience of Mahmoud Darwish and Nizar Qabbani, by exploiting the mechanisms of poetic semiotic analysis led by Michael Riffater, based on his book Semantics of Poetry, and by the Russian researcher Yuri Lotman, based on His book Alchemy of the Universe. Our reliance on Rifater and Yuri Lotman stems from the suitability of their approaches to the semiotic analysis of texts, and from the openness of the various concepts they formulated to the literary text on the one hand, and the cultural encyclopedia on the other hand.

Keywords: poetry - meaning - significance - center - margin

مقدمة:

ننطلق في بنائنا لهذه الدراسة من مجموعة من الخلفيات الفكرية والمنهجية، لعل أهمها ما كتبه ميكائيل ريفاتير في أبحاثه الدلالية، وما صاغه يوري لوتمان في نظريته السيميائية الثقافية، وذلك باعتبارهما من أهم المنظرين السيميائيين الذين ركزوا في أبحاثهم على الفن الشعري.

في كتابه: «دلالات الشعر» يفصل ميكائيل ريفاتير القول في بنية القصيدة الشعرية، ويعطي القارئ طريقة من بين طرق عديدة لتحليل هذا القول. إن الغرض الأساسي من صنيعه هو إظهار البنية الدلالية الخفية في هذا الفن؛ وبهذا يكون قد تجاوز ما كتبه في أسلوبياته، التي جعلت من البنية السطحية ميداناً لها.

إن القول الشعري خاضع لتطور مستمر في الذوق وفي المفاهيم الجمالية، وهو في هذا الشأن

يتقاطع مع مجموعة من أنماط القول وكذا الأنماط الفنية الأخرى؛ إذ إن من خصائصه التطور المستمر، وهو ما يفسر ميلاد تيارات شعرية وأقول أخرى. غير أننا وسط هذا التحول وهذه الحركية الدووية التي تميز فن القول هذا، نلصق «عاملا واحدا يظل ثابتا هو: أن الشعر يعبر عن مفاهيم وأشياء تعبيراً غير مباشر»⁽¹⁾.

إن القصيدة تقول شيئا، وتتقصّد أشياء، وهذا ما يمنحها الاستمرارية على مستوى المقروئية وعلى مستوى توليد الدلالة. وهكذا، سار ريفاتير في بناء نظريته الدلائلية على النهج البورسي أكثر من أي نهج آخر، مع إضفاء نوع من الخصوصية في الفهم.

وإذا كان بورس يفتتح على الواقع والتاريخ في بنائه الموسوعي، فإن ريفاتير ينظر إلى القصيدة بعدها كونا مغلقا، وهو في هذا يتبع النظرية البنيوية التي لا ترى أن على القارئ الرجوع إلى أي خلفية خارجية سواء كانت متعلقة بالكاتب أو الواقع، يقول بارث: «الكتابة هدم لكل صوت، ولكل أصل (...) الكتابة هي السواد والبياض الذي تتيه فيه كل هوية، بدءا بالجسد الذي يكتب»⁽²⁾. غير أنه يخالف البنيويين في كونه يرى أن «الظاهرة الأدبية جدلية بين النص والقارئ»⁽³⁾.

وإذا كانت القصيدة لا تمثل الواقع أو لا تحاكيه، فإن دلالتها حركية وانسيابية، وهذا ما يمنحها لا نحويتها؛ أي خرق قاعدة التواصل العادي. ومع ذلك تمتاز بوحدة تتبدى في مكونين: الشكل والدلالة. إن الدلالة ترتبط بالبنية العميقة داخل القصيدة، وهي متأتية من اتحاد البنية الشكلية والدلالية. وعليه، فهي متغيرة ولا مباشرة بشكل دائم. ورغم أن ريفاتير لم يهتم بسطح النص، لأنه في نظره يعبر عن المحاكاة، وهو ما لا تحرص عليه القصيدة، إلا أنه احتفظ بمصطلح المعنى ليعبر به عن «الخبر الذي ينقله النص على مستوى المحاكاة. فالنص من وجهة نظر المعنى، سلسلة من وحدات الخبر المتتابعة»⁽⁴⁾. وعلى هذا الأساس، فالقصيدة لها بنيتان: ثابتة، تتجلى في المعنى، ومتغيرة تتبدى في الدلالة، لأنها مرتبطة بالدليل الذي يشير إلى تعديل مستمر لبنية المحاكاة في النص.

المبحث الأول: عابرون في كلام عابر: من المعنى إلى الدلالة؛

أ- الشعر والرفض: البنى الخبرية في المطلع

تسعى الإرادة الإنسانية دائما إلى التقدم نحو الأمام، هدفها في ذلك إثبات وجودها وتحقيق ذاتها. لكنها في لحظات كثيرة تصطدم بعوائق جمة في طريق بلوغها هذه الغايات، حيث تلفى أمامها عدة قوى تهدف لسلبها هذه الإرادة، وبالتالي جعلها مستعبدة ومقيدة. شكل الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية واحدا من النماذج التي مثلت بشكل بارز القوى الشريرة التي تسعى لسلب الإنسان حريته وكرامته، وبالتالي منعه من المضي قدما في تحقيق أهدافه وغاياته. لكن الإنسان الفلسطيني، شأنه في ذلك شأن كل إنسان، وجد نفسه أمام خيارين: «إما أن يتطور ويحقق إنسانيته وحريته، أو أن يقعد متخلفا مدحورا»⁽⁵⁾. وهكذا، اختار هذا الإنسان،

(1) مايكل ريفاتير، (ط: 1-1997)، دلالات الشعر، تر: محمد معصم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط، ص: 7.

(2) رولان بارث، ط: (1-1999) هسمة اللغة، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري- حلب، ص: 75.

(3) مايكل ريفاتير، دلالات الشعر، مرجع سابق، ص: 7.

(4) المرجع السابق نفسه، ص: 9.

(5) فوزي البشتي، (ط: 2-1981) حلم الثورة في الشعر الليبي الحديث، منشورات الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع- ليبيا،

ص: 10.

ومعه مبدعوه ومثقفوه، المسار الأول، محددين لأنفسهم مطلباً أساسياً هو الحرية. عدت تجربة محمود درويش واحدة من التجارب الفريدة في مجال الشعرية العربية الحديثة، إذ استطاع أن ينحت لنفسه مساراً مغايراً عن بقية المسارات الشعرية؛ سواء في فلسطين أو خارجها، كما استطاع أن يحشد لنفسه أتباعاً كثيراً ومريدين. ولعله واحد من أكثر الشعراء مقروئية في عالمنا العربي، وقد تأتي له ذلك من تعبيره الصريح والواضح عن مختلف القضايا والهموم التي كبلت شعبه ومختلف الشعوب التي ترزح تحت الظلم والاستعباد.

تعد قصيدة «عابرون في كلام عابر»⁽⁶⁾ واحدة من القصائد التي عبرت عن الرفض وعدم الخضوع للآخر العدو. إنها نبرة حادة في التعامل معه وفي مواجهته وبيان الموقف منه. وإذا كانت القراءة الدلالية غايتنا وهمنا، فإننا لا يمكن أن نمر إليها إلا من خلال إلقاء نظرة على معنى النص في شموليته. إن القصيدة يمكن أن تجزأ إلى مقاطع، حتى وإن شكلت وحدة دلالية. يقول درويش في المقطع الأول:

أيها المارون بين الكلمات العابرة

احملوا أسماءكم وانصرفوا

واسحبوا ساعاتكم من وقتنا وانصرفوا

وخذوا ما شئتم من زرقاة البحر ورمل الذاكرة

وخذوا ما شئتم من صور، كي تعرفوا

أنكم لن تعرفوا

كيف يبني حجر من أرضنا سقف السماء.

إن الباحث عن المعنى سيجد نفسه إزاء تراكيب تشير إلى مجموعة من الأوامر التي يأمر بها صوت ما مخاطبيه العابرين. إن القارئ سيجد ذاته أمام توزيع خطي لا تعبر فيه الجملة بشكل مباشر، إنها لا نحوية؛ إذ لا تخضع للتجربة الواقعية ولا تخضع لمبادئ العقل والمنطق. إذ كيف يمكن للمرء أن يحمل اسمه، وكيف له أن يسحب ساعته من الوقت ثم ينصرف! ولهذا فالقصيدة تتغيا أشياء ليست ممثلة في بنيتها السطحية، وهذا ما يدركه أي قارئ بسيط لشعر محمود درويش وللشعر عامة؛ ذلك أن بنية الشعر الثابتة تتبدى في قول شيء وإرادة أشياء أخرى.

في المقطع الممثل به هنا، وهو المقطع البدئي، نجد صوت المخاطب لا يكثر أبداً لعالم المعنى، إنه يجعل لنفسه مخاطباً ثم يلقي عليه أوامر، وهي أوامر تصدر بشكل إلزامي؛ ومعلوم عن الإلزام أنه يقتضي ذاتاً لها القدرة على الرفض، كما لها القدرة على العقاب: «احملوا أسماءكم وانصرفوا».

إن المخاطب ملزم بالإذعان، وإلا فهو يعرف مصيره؛ إذ يأتي الأمر، هنا، مؤكداً بفعلين: احملوا/ انصرفوا، وهما فعلاان لا أحد يجادل في إلزاميتهما بالطريقة التي وردا عليها في السطر الأول. إن الفعلين لم يقدموا بطريقة غير مباشرة، وإنما وردا بصيغة حقيقية صريحة، وذلك حتى لا يكون هناك مجال للتأويل ولضبابية الدلالات؛ إذ كان يمكن أن يأتي الفعلان غير

(6) محمود درويش، (ط:1-1991) عابرون في كلام عابر، مقالات مختارة، دار توبقال للنشر- الدار البيضاء، ص: 41-43.

مباشرين فيلتبساً على المتلقي.

إن حمل الشيء يقتضي تواجده أرضاً أو في مكان ما خارج الجسد، إنه يحيل إلى عدم تملكه في اليد، كما يمكن أن يحيل إلى سوء تقديره وعدم فهمه. لكن، لا أحد يلتبس عليه اسمه، وبالمقابل لا أحد يوجد اسمه خارجه. فإذاً، كيف يحمله المرء مع أنه مفارق له؟ إن من يُنزع عنه اسمه، عادة، يكون من فارق الحياة، إذ غالباً ما تشير العامة إلى المتوفى بالقول: «المسمى قيد حياته». ما يحيل إلى أن اسمه غادره ولم يعد تحت تصرفه، ذلك أن الميت لا قدرة له ولا حركة؛ إننا هنا أمام مخاطب شبيه بالموتى. إن الاسم أداة للحصر والتحديد، ولذلك فالمستهدف بالمخاطب مفارق له، وإذن فهو غير محدد. متى سيتحدد؟ حين سيحمل اسمه المنفصل عنه وينصرف.

لكن، بما أن القارئ يمضي في القصيدة فتزداد معارفه ويزداد علمه بالخبر الذي ينقله النص، فنحن سنصاب بخيبة أمل حين نعلم أن من صفات «العابر» القدرة على الرفض، القدرة على قول لا؛ إنه ليس مخاطباً دونياً كما يبدو في السطر الأول، وهذا ما يحيل إليه المركب: «ما شئتم»، الذي يتكرر مرتين؛ ما يشير إلى التوكيد وإلى رسوخ دلالاته وليس عبورها.

إن أمر العدو بأن يحمل ما شاء وينصرف، فيه تلميح إلى أن المخاطب قد ضاق به ذرعاً، وتعب من تواجده، ولم يجد سبيلاً للتخلص منه سوى تخييره بحمل ما يشاء والانصراف. هنا، نجد المخاطب لا حيلة له، فقد بلغ منه التذمر من تواجده الآخر مبلغاً اضطره لتخييره بأخذ ما يريد وما يشاء. غير أن تأملاً بسيطاً يقلب مسارنا ويجعلنا نحيد عن الطريق التي خططناها لأنفسنا؛ إذ يقول الصوت المنبعث من مكان ما:

وخذوا ما شئتم من زرقة البحر ورمل الذاكرة

وخذوا ما شئتم من صور، كي تعرفوا

أنكم لن تعرفوا

كيف يبني حجر من أرضنا سقف السماء.

ما رأينا عن مخاطبنا من كونه مخيراً، صار تقييداً؛ إذ إنه لن يستطيع سوى حمل أشياء عادة ما توصف بالسراب؛ إنها أشياء ليست ذات قيمة ولا ذات وضعية اعتبارية. ولذا، لا أحد يلتفت إليها. إضافة إلى كونها أكثر تعبيراً عن وضعية العبور، فزرقة البحر، وبقايا الذاكرة، والصور، كلها أشياء خادعة. إن الذاكرة والصورة وجهان من وجوه الوهم، إذ لطالما كان الفلاسفة الإغريق يعتبرون الصورة مرادفاً للـحقيقة. لقد كان أفلاطون واعياً بذلك، وهذا ما يلحظه القارئ لمحاوراته خاصة ثياتيتوس والسوفسطائي؛ حيث وضع في هاته المحاور الأخرى كلاً من الصور والتخييل ضمن عنوان: «فنون الإيهام والإيماء»⁽⁷⁾، ومعلوم أن وضعاً كهذا يظهر النظرة الدونية والارتيازية التي تم النظر بها إلى الصورة ومن خلالها إلى الذاكرة.

إن القارئ لأفلاطون سيرى أن الذاكرة لصيقة بالإيهام والخيال، لأن المرء مهما حاول أن يستحضر وأن يستعيد الشيء ويجعله متمثلاً أمامه، فإنه لن يستدعي سوى نسخة منه، وهي نسخة عادة ما تكون مشوهة نظراً لفضل الزمن فيها. إن الذاكرة، কিفما كانت، قد شبهت عند

(7) أفلاطون، السفسطائي، تح: أوغست ديبس، (ط:2-2014) تر: الأب فؤاد جرجي بربارة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ص: 100.

هذا الفيلسوف بالشمع الذي هو هبة من هبات ربات الفنون؛ ومعلوم عن الشمع أن من سماته الأساسية: التآكل السريع والذوبان بمجرد ما أن يقتدح بالنار، ولا شك أن النار التي يمكن أن تزدح أي ذاكرة هي نار الزمن التي تلعب فعلها في أي شيء وتصيره في هيئة غير هيئته البدئية. إن الصوت الذي لا ندري مصدره ولا مكان تواجده لم يغب عنه البعد الأيديولوجي والفلسفي للكلمات التي انتقاها، فالصور والذاكرة وجهان لعملة واحدة، بل إن الفلاسفة كانوا يعرفون الذاكرة بأنها صور، وهم في هذا التعريف يشاطرون الحس المشترك ما يستشعره إزاء هذه الملكة؛ إن ما نتذكره ليس الحدث أو الشيء في ذاته، إنه صورة عنه، بقايا مما خزن في الذهن من الواقعة التي حصلت وانقضت.

وما يعضد هذا المسار الخبري؛ بما أننا لا زلنا في دائرة الخبر، هو انتقاء الصوت «زرقة البحر» و«رمل» الذاكرة، وليس الذاكرة ككل، باعتبارهما أشياء اختيارية عرضت على العابر من أجل حملها.. إنه يمعن في عرض الوهم عليه، ولا يترك له أي شيء ذي بال!

إن الثورة على المخاطب/ العابر بادية في كل كلمة؛ وهو ما يظهر عدم رضا الذات المتكلمة عن تواجده الآخر المارّ بينها. لذلك، عليه الانصراف لترك مساحة للصوت للعمل في أرضه ما يشاء.

لقد جسد محمود درويش في هذا المقطع البدئي العلاقة المتوترة التي تجمعها بالآخر الذي هو عبارة عن «ميت»، مارّ، وعابر فقط؛ لذلك، ضاعف من الأدلة التي تبين وضعية المرور هاته، والتي طلب منه حملها معه والانصراف، بغية فسح المجال أمامه للعمل وتحقيق الذات. لأن تواجده في أرضه يشكل معيقا كبيرا يمنع عنه الوصول إلى غايته.

إن من الأساليب التي يمكن أن يشير بها امرؤ ما إلى عدم الرضا عن الآخر، وبالتالي عدم تقبل تواجده في المكان الذي يمكث فيه، رسم صورة قبيحة عنه؛ صورة تختزل التمثل المنحط عنه والذي خزن في الذهن.

وعليه، نكون قد بينا هنا كيف يبني الشاعر الخبر في قصيدته، وذلك عبر انتقاء عدة جمل وكلمات وعبارات، قصد التمثيل بها؛ وهذا ما لا يغيب عن وعي الكاتب أثناء إنشائه لعوالمه الفنية، ذلك أن «الوحدات المعنوية (الخبرية) كلمات أو عبارات أو جمل»⁽⁸⁾ كما أشار إلى ذلك رياضاتير.

ب- الدلالة كمطلب تأويلي؛ العبور باعتباره رحما دلالية تعبر عن الرفض؛

عادة ما يسعى أي قارئ للكشف عن البنى الخفية لأي نص، إنه لا يكتفي بما يعرض أمام عينيه على السطح، إذ تهفو نفسه إلى قراءة ثانية؛ قراءة استرجاعية، يسعى من خلالها إلى الكشف عن الرحم أو النواة المولدة للقصيدة، والتي تجعل تأويله متماسكا ومتجانسا. إنه في هذه المرحلة يلجأ إلى عملية لعبية تهبه المتعة كما تهبه الفائدة:

« إن الدلالة هي ممارسة القارئ للتحويل، إنجاز يشبه اللعب أو إقامة طقس شعيرة- وهي تجربة فعل دوراني، طريقة في الكلام تستمر في الدوران حول كلمة مفتاح أو رحم مختزل في سمة»⁽⁹⁾.

إن هذه اللحظة مهمة بالنسبة لأي قارئ، إذ فيها يفتح النص على مسارب التأويل المتعدد،

(8) ميكائيل ريفاتير، دلاليات الشعر، مرجع مذکور، ص: 13.

(9) ميكائيل ريفاتير، دلاليات الشعر، مرجع مذکور، ص: 21.

وذلك من خلال انتقاء رحم للنص، وربطها بعوالم نصية أخرى؛ ما يظهر التقاطعات التي تنشأ بين عوالم وسياقات مختلفة. إن القارئ يعمل على تمطيط النواة الرحمية، وجعلها تمتد لتشكل نصوصاً؛ وهذا هو المظهر الملازم لمفهوم الشعرية.

منذ القراءة الأولى، البسيطة والسادجة، يمكن اختزال بنية النص في كلمة «عابرون»؛ إننا أمام اسم فاعل مميز بكونه جمعياً، فالواو والنون علامة مميزة لجمع المذكر السالم. وهذا ما يعطينا فكرة عن أن الشاعر لا يخاطب ذاتاً واحدة، إنه يخاطب جماعة. لكن، يا ترى، ما سمات هذه الجماعة؟

غالباً ما يكتسي العبور دلالة سلبية، إنه نقيض المكوث أو الاستقرار. إن اختيار كلمة «عابرون» يحمل أيديولوجية وتمثلاً تحقيرياً من قبل الشاعر، ولذلك فهو ذومزية سلبية عميقة. لقد قام الشاعر من خلال جملة من السمات باستشفار يجعل العابر يشير إلى الآخر العدو.

وإذا كان الآخر هو العابر، فإن الذات المتكلمة هي الماكثة، هي صاحبة الدار والأرض والتاريخ وغيرها من الأشياء المستقرة. إن الذات المتكلمة قد أنشأت لنفسها كونا ثقافياً من خلاله تدرك العالم وتدرك الحواجز الموجودة مع الآخر. إن من خصائص المتكلم دائماً أن ينظر إلى ثقافته بعدها ثقافة متحضرة، ناضجة، سلمية وجميلة. في مقابل رؤية النقيض على أنه همجي، متوحش، عدائي، وقبيح...

إن السمات السلبية الممنوحة للعابر تؤكد همجيته وتوحشه، تؤكد الصورة القبيحة العدوانية المرسومة عنه، إنه موسوم بامتلاكه كل أدوات الحرب، والتي هي دائماً معادل للاعتداء والسلب والنهب واغتصاب الأرض والتاريخ: منكم السيف- منكم الفولاذ والنار- منكم دبابة أخرى- منكم قنبلة الغاز.

إن تعريف كلمة يتخذ طرقاً شتى، لعل من أهمها البحث عن المقابل والنقيض المباشر لها، وإذا كان العبور ذا دلالة سلبية، فإن للاستقرار أبعاداً إيجابية، وهذا ما لم يغفله الشاعر من خلال منح معانٍ رفيعة للذات المتكلمة: منا دمننا- منا لحمنا- منا المطر.

مثلت الدلالات الإيجابية، هنا، في الرفض الجماعي للعدوان الممارس من قبل الآخرين، إن مواجهة هنا شاملة: الجميع ضد الجميع؛ منكم/ منا. إن سمة يمكن أن تظهر بأنها هامشية تعد بمثابة مولد للدلالة ولمعان لا أظن أنها غائبة عن عقل جبار وخلاق مثل عقل درويش؛ إذ إن كل كلمة، عبارة، وجملة، منتقاة بعناية. فالدم، واللحم والمطر، إشارة إلى الحياة المتجددة في أغلب الثقافات. إن الدم، مثلاً، رمز تقابلي إذ يشير إلى الحياة/ الموت- الاعتداء/ المواجهة- الطهارة/ النجاسة... لقد خدر الشاعر كل القيم الجميلة في حق مخاطبه، في حين مغنطها في حق نفسه وجماعته. إنه يتحدث باسم الجماعة التي ينتمي إليها، ولهذا جعل الدم أولى العلامات التي يتكلم بها، إذ رابطة الدم من أكثر الروابط قدسية عند العربي؛ إن من يشاركه الدم، أي الهوية والجذور، يعد بمثابة مكمل له وبمناوبة جزء من شخصيته، خاصة إذا تعلق الأمر بأزمة الحروب مثلما تعبر عن ذلك القصيدة.

لقد كانت الشخصية محلاً لتقاطعات وتعريفات في ميادين شتى؛ ذلك أن الحقوقي عرفها من وجهة نظره، والفيلسوف وعالم الاجتماع رأيا فيها ما يتقاطع مع ذلك ويخالفه، والشعراء أيضاً كان لهم نصيب في هذا الباب. إن حديث الشاعر عن «الماكثين» الذي يقابلون «العابرين» بمثابة حديث عن شخص واحد؛ إذ إن الكل هنا يمثل ذاتاً واحدة، وهذا ما تمت الإشارة إليه عند

يوري لوتمان ذات حديث عن مقومات ومحددات الشخصية عند البويار: «حين كان إيفان المرعب يقتل البوياريين الذين سقطوا في النكبة، كان يغتال أيضاً عائلتهم، وكذلك خدامهم ليس فقط عبيدهم، ولكن أيضاً فلاحى القرى الذين يوجدون فوق أراضيهم» (..). دون أن نغفل الوحشية المرضية للقيصر، نستطيع أيضاً أن نفسر هذه الإعدامات ليس برد فعل الخوف، ولكن بفكرة أن كل هؤلاء الأشخاص لا يكونون سوى شخص واحد، ويشكلون جزءاً لا يتجزأ من البويار المعاقب؛ إنهم يقتسمون إذن المسؤولية مع هذا الأخير»⁽¹⁰⁾.

إن الدم، إضافة إلى إشارته لمعنى المشترك الذي يربط بين أعضاء الجماعة، يحيل إلى العشق الأبدي وإلى إمكانية افتداء المحبوب بالروح والجسد، وهذا ما يؤكد درويش في قصيدة سبق وأن سجن من أجلها، بالنظر لما أحدثته من ضجة عند العدو:

لأجمل ضفة أمشي

فلا تحزن على قدمي

من الأشواك

إن خطاي مثل الشمس

لا تقوى بدون دمي

(..)

لأجمل ضفة أمشي

فإما يهترئ نعلي

أضع رمشي

نعم.. رمشي!

إن المحبوب هنا هو الأرض التي يمكث فيه العابر، والتي ليست وطناً له، بل احتلها بقوة السيف والدبابة وقنبلة الغاز. إن العابر تجسد بصورة آلة جامدة، حربية، شرسة ومتطلعة دائماً للدماء. في حين، صورت لنا الذات الشاعرة جماعتها بكونها آدمية من دم ولحم.. ومعلوم الفرق بين هذين الكيانين، إذ إن الأول يجب أن يعامل في دراسته ومعرفته والتفاعل معه خارج نطاق الثقافة، بينما الذات لها من الحنين والذاكرة والماضي والدم ما يجعلها بشرية تحس وتفكر وتعمل وما إلى ذلك من أفعال البشر.

إن إقامة تعريف لهؤلاء العابرين عن طريق السمات، سيجعلهم يتجلون كجمادات لا قلب لها ولا فكر ولا إحساس؛ إنهم آلات تتقادم مع الزمن ولن تصلح لأي شيء. وهذا ما جعل شاعرنا ينتقي هذه الصفة لهم قبل أي صفة أخرى، إذ الجذر اللغوي (ع-ب-ر) يشير إلى الموت من بين كل الإشارات الأخرى، ذلك أنه يقال: عبر القوم؛ إذا ماتوا. وهذا ما يوحي بأن هؤلاء المخاطبين ميتون وماضون بين كلمات ميتة لا روح فيها. وما يؤكد ذلك هو المقطع الذي يقول فيه درويش:

آن أن تنصرفوا

وتقيموا أينما شئتم ولكن لا تموتوا بيننا

(10) يوري لوتمان، بيروت، (ط:1-2001) سيمياء الكون، تر: عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء، ص: 53.

ولقد أشرنا إشارة عابرة إلى كون الشخص العابر لا ماضي له، لأنه غير معروف بالنسبة لأهل الأرض، لمن هم أصليون، وهذا ما يشير إلى أنه بلا ذاكرة، وبالتالي بلا مستقبل. ذلك أن الذاكرة هي جدلية بين الماضي والحاضر والمستقبل، إنها حوار بين هاته الأزمنة. في حين أن الأصلي هو الذي لا تعرف الأرض إلا بوجوده، إنه منغرس فيها منذ الزمن السحيق، وبالتالي يصعب اجتثاته:

فلنا في أرضنا ما نعمل

ولنا الماضي هنا

ولنا صوت الحياة الأول

ولنا الحاضر .. والحاضر .. والمستقبل

ولنا الدنيا هنا... والآخرة

وإذا كان حالهم هكذا، فإنهم قوم رحل ينتقلون من مكان إلى آخر، ولهذا سموا بالعبرانيين. إن «العبرانية» و«العابرين» لهما الاشتقاق نفسه، بل والدلالة ذاتها: إذ يشيران إلى الترحال والتنقل من مكان إلى آخر، لكن مع إضافة سمة أخرى أهدتنا إياها صفة العبرانيين، ألا وهي البداوة. ومعلوم عن البداوة أنها النقيض المباشر للحضارة بكل ما تحيل إليه من تشبع بالأدب وتهذيب للنفس وابتعاد عن الهمجية التي تصاحب عادة الترحال والانتقال من مكان جذب إلى مكان رعي سيصير جذبا مع الأيام ومع فعل هؤلاء القوم وقطعناهم.

استنتاج أولي:

إن النظرية الدلالية التي صاغ حدودها ميكائيل ريفاتير قد أسعفتنا كثيرا في دراسة قصيدة محمود درويش «عابرون في كلام عابر»، ومكنتنا من العدة المفاهيمية والمنهجية التي نستضيء بها في ظل عتمة النص، ذلك أن القراء عندما يدرسون نصا ما في ضوء منهج معين، فإنهم يدفعون إلى ذلك انطلاقا من عقيدة راسخة هي أن النص يكتنفه ظلام حالك، ويحتاج إلى مصباح يسلط عليه نوره كي يرى ما يخفيه. لقد مكنتنا القراءتان الأولى والاسترجاعية من تبين الإخبار الذي يسعى إليه الكاتب، إضافة إلى مختلف الدلالات الخفية التي تنتج عن تمطيط نواة دلالية تمثلت في «عابرون». إن هذه النواة قد تجلت منذ البدء؛ أي منذ العنوان، وبقيت متمدة في جسد القصيدة حتى نهايتها، فبينت لنا الصراع الدائر بين العابرين والمستقرين، بين العرضيين والأصليين، كما أظهرت لنا الصورة والتمثيل المعطى للعدو في ذهن ومخيلة الشعراء الفلسطينيين الذين كان محمود درويش واحدا من أبرزهم.

إن الدليل «عابرون» لا يستطيع أن يدل، مثله في ذلك مثل باقي الأدلة، ما لم يكن قابلا للترجمة من مكون إلى آخر في شبكة. وهذا ما سعينا إلى إبرازه وإظهاره، حيث وضحنا الشبكة والعلائق والقيم التي أنتجها هذا الدليل داخل النص. وعليه، شكل هذا الدليل نسقا خفيا يتحكم في جسد القصيدة ككل، وكل سمة دالة وعلامة مميزة لا بد وأن لها وجودا ورابطا خفيا أو ظاهرا معه.

وسنسى لإكمال المسيرة في ضوء نظرية أخرى تتكامل مع هاته النظرية، ألا وهي نظرية السيميائي الروسي يوري لوتمان، وسنحرص على إظهار كيف يمكنها أن تسعفنا في قراءة نصوص شعرية. مع العلم أن نظرية هذا الرجل في مجال الفن، لا تنحصر على ميدان بعينه،

حتى وإن كان تطبيقها على نصوص سردية وشعرية.

المبحث الثاني: الرقص عند نزار قباني؛ بين الذات (الهامش) والآخر (المركز):

إذا كانت تجربة محمود درويش فريدة في النضال الرمزي بالكلمة وفن القول، في ظل العدوان الصهيوني على الأراضي الفلسطينية، فإن تجربة نزار قباني غنية جدا من حيث تنوع المواضيع وطريقة طرحها. إن تجربة الحب عند نزار قد جعلت عددا من القراء يغفلون عن تجربة النضال السياسي، والمحاولات الكثيرة والتنوع التي حاولها من أجل إحلال سلطة مكان السلطة القائمة.

ألقيت قصيدة «أنا يا صغيرة متعب بعروبتى» في إحدى قمم جامعة الدول العربية التي كانت قد أقيمت بتونس. ولأن هذا الشاعر كان مدمنا على الحب، فهو لم يستطع التخلص من هذه النضحة الجميلة حتى في قصيدة سياسية تشكو الواقع الذي عليه عالمنا العربي، في مقابل ما يعيشه الغرب من تقدم وازدهار.

يعد هذا النص جامعا لتقاليد عدة، سواء على مستوى التيارات الفنية، أو حتى المواضيع؛ وهذا ما يؤكد ما جاءت به النظرية الثقافية التي صاغ حدودها يوري لوثمان، ذلك أن تاريخ الثقافة هو تاريخ صراع بين عدة نصوص، ولكن دون أن يلغي أحدها الآخر؛ إذ يمكن لتقاليد فنية متباينة أن تتعايش دفعة واحدة، رغم أن الثقافة تعلي من شأن نصوص وتيارات، وتعطي مكانة أقل لنصوص أخرى. ولهذا، تم رفض مفهوم «التطور» كما هو معمول به في ميدان الجيولوجيا، إذ إن هذا المفهوم يشير إلى انقراض كائنات وبقاء أخرى، وهو ما يمكن نفيه في عالم الثقافات. إن تاريخ الثقافات هو تاريخ إبادة نصوص وإبداع مدونات جديدة، غير أن هاته النصوص المباداة لا تنفك تعاود الظهور، فتبدو بمنظر مختلف، وربما قد تعد ثورية.

إن ما قلناه هنا يتمظهر بشكل كبير في هذا النص الشعري، ذلك أن المطلع يمكن أن ندرجه ضمن القصيدة التقليدية، سواء من حيث الموضوع أو من حيث الجرس الموسيقي:

يا تونس الخضراء جنتك عاشقاً

وعلى جبيني وردة وكتاب

إني الدمشقي الذي احترق الهوى

فاخضوضرت بغنائه الأعشاب

أين اللواتي حبهن عبادة

وغيابهن وقربهن عذاب

اللابسات قصائدي ومدامعي

عابتتهن فما أفاد عتاب

أحبيتهن وهن ما أحبينني

وصدقتهن ووعدهن كذاب

تبكي الكؤوس، فبعد ثغر حبيبتني

حلفت بأن لا تُسكر الأعناب؟

ما تبت عن عشقي .. ولا استغفرتَه

ما أسخف العشاق لو هم تابوا ...

إن الاتباع للشعر القديم ظاهر جلي في مطلع هاته القصيدة، ذلك أن الشاعر حتى وإن كان في حضرة رؤساء ووزراء للدول العربية، فإنه لم ينس التغني بالنساء والتغزل بهن، وهذا معروف مشهور في ثقافتنا العربية؛ إذ عادة ما يبتدئ الشعراء قصائدهم بمقدمات نسيبية أو طلملية، حتى وإن كانوا في موضع حرب أو خوف، لأن ذلك من عاداتهم، وهنا نسترجع ما قاله ابن قتيبة في الشعر والشعراء:

« وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا (..) ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة، والشوق»⁽¹¹⁾.

وهنا نلقى الشاعر قد ذكر المكان الذي ارتحل إليه، مثلما نراه يذكر مكان انطلاقه، كما لو أنه يتحدث عن رحلة، وهذا ما حصل؛ إذ إنه عوّض الرحلة والناقة وتلك المطايا بمراكب تعبر عن عصرنا، ومع ذلك ذكر رحلته حتى وإن كانت تختلف عن راحة السلف، ذلك أن من خاصيات الثقافة، والشعر مكون أساسي من مكوناتها، الدينامية والحركية، وهذه الخاصية نابعة منها وليست مفروضة من خارجها، حتى وإن كان أهل الثقافة لا يسلمون غالباً بنشاطيتها، إذ إنهم لا يلاحظون عملية التغيير التدريجي لثقافتهم، ولأن التغيرات في النظام لا تطرأ إلا بناء على تراكمات معرفية وعلمية. وهذا ما تجسد في هذه القصيدة، إذ عمد نزار إلى توظيف الكثير من الأشياء المستجدة حتى وإن كانت ضمن مقدمة قد نسميها «طلملية». لأنه يسرد تفاصيل الرحلة، وما فعله فيها، وإن كان ذلك بشكل خاطف. ثم يدخل موضوعه الأثير ألا وهو النسيب، والسبب في ذلك معروف عند العرب.. إذ حينما نتبع ابن قتيبة في الموضوع الذي توقفنا معه فيه، نجد يقول: «ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة، والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليس تدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس، لأنط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب، وضارباً فيه بسهم، حلال أو حرام، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره..»⁽¹²⁾.

لم ينس نزار التقاليد الفنية العربية القديمة، فحتى وإن كان شاعراً ثائراً، فهو في هذا الموضوع يحاول استنهاض الهمم عبر الرجوع إلى تاريخ مجيد، يسعى من خلاله إلى توحيد المجتمعين حول مجموعة من النماذج، لعل من أهمها مفهوم «العروبة» بكل ما يحمله من قيم فنية وجمالية وعرقية ولغوية وغيرها. إن البدء بالتشبيب عادة درج عليها الشعراء من الجاهلية إلى صدر الإسلام والعهود اللاحقة له، فمهما كان الموقف عظيماً لا بد من اتباع طريقة القدماء وسلك الدروب التي مروا منها، وهذا ما كان قد حصل لكعب بن زهير في حضرة الرسول عليه السلام، رغم أنه جاء متضرعاً ومتوسلاً، ورغم أنه بين يدي نبي الإسلام، يقول في مطلع قصيدته:

(11) ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ج: 1، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف- القاهرة، ص: 74-75.

(12) المرجع السابق نفسه، ص: 75.

بانث سعاد قلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

ثم بعد أن انتهى من نسيبه عرج إلى الغرض الأساس من قصيدته، وعندما فرغ منها خلع النبي بردته وألبسه إياها. وفي هذا إشارة واضحة إلى أن منهج القدماء مستحسن في الثقافة الجديدة التي صاحبت الدين الإسلامي.

إن الثقافة لا تنظر إلى أي شيء بعده نصا إلا إذا كان معبرا عن المشترك الذي تتضمنه، ومعبرا عن هويتها، وهذا ما هو متوفر في قصيدة نزار؛ إذ تعبر عن المشترك التاريخي الجمالي، كما تعبر عن المشترك التاريخي الأني وما تعيشه الأمة من أزمات وانكسارات. ولهذا، فالشاعر ليس خارج السياق الحضاري لأمته، وإنما هو معبر عنها، ومنقذ لها، ومتطلع إلى رحابة المستقبل:

من أين يأتي الشعر ؟ حين نهارنا

قمع ، وحين مساؤنا إرهاب

سرقوا أصابعنا .. وعطر حروفنا

فبأي شيء يكتب الكُتَّاب ؟

والحكم شرطي يسير وراءنا

سراً .. فنكهة خبزنا استجواب

الشعر .. رغم سياطهم وسجونهم

ملك .. وهم في بابهِ حُجَّاب

لكي يعبر نزار عن موقفه تجاه السلطة القائمة لجأ إلى تصوير هاته السلطة وتقديم تمثيل لها، وقد جاء ذلك من خلال جعلها في بؤرة ومركز الفعل. لكن، هل دائما ما يوجد في المركز يعبر عن قيم رفيعة وسامية؟ هل دائما يشير ما يجب الاحتذاء به والسير على منواله؟

لقد أثبت التاريخ الثقايف أن المركز والهامش كانا معا دوما في صراع لا ينفك؛ الدولة تريد فرض «القانون» الذي تراه ضابطا للأفراد وضامنا لمصالحها، والأفراد، خاصة المثقفين منهم، يرون وجوب تجاوز هذا القانون الذي سنته الفئة الحاكمة، لأنه يكبل حريتهم ويلجم أصواتهم؛ لهذا كان الصراع يحتدم دوما حول السلطة والقانون وغيرها من الأشياء التي تضمن التحكم.

لقد أظهرت الكثير من التجارب أن المركز كان متوحشا، همجيا، عدائيا.. في حين كان الهامش: مثقفا، طامحا للكرامة، متطلعا للحرية.. نجد ذلك في دول كثيرة من العالم، ولفي تعبيرا عن ذلك انطلاقا من إبداعات فنية متعددة. ولعل النموذج الذي درسناه لدرويش يعبر عن ذلك، فالعدو الصهيوني يتموقع في المركز، وثقافته هي المتحكمة، وقانونه هو المسيطر.. ومع ذلك، فهو عدائي، همجي، خارج التصنيف البشري.. في حين أن الذات الشاعرة، كانت ترى في نفسها: بشرا من لحم ودم، لها تاريخ، وأرض، وذاكرة.. وهذا ما يابى العدو الاعتراف به، لأنه تقويض لسلطته، واعتراف بمشروعية الآخر في الأرض والتاريخ. وإذا، ما سمات هذا المركز عند شاعرنا؟

إن من سماته أن يسرق كل شيء جميل، إذ عمد إلى السطو على كل أدوات الكتابة من أصابع وحروف، وكلها استعارات للحجر الفكري والفني والثقافي وغيرهم:

من أين يأتي الشعر ؟ حين نهارنا

قمع ، وحين مساؤنا إرهاب

سرقوا أصابعنا .. وعطر حروفنا

فبأي شيء يكتب الكتاب ؟

إننا حين نفتح القاموس، ونبحث عن السرقة في دلالتها الحرفية، نلضي أغلب المعاني الواردة فيها تتمحور حول: أخذ الشيء عن طريق الحيلة، بوجه خفي، ودون حق.. إن سارقنا جبان، ولهذا يلجأ إلى مثل هاته الأفعال. لكن، أين يتمثل جبنه؟ إن ذلك يتمظهر في الجانب الفكري الفني فقط، إذ لا يقوى على مجابهة الكتاب، فيلجأ إلى الحيلة للإيقاع بهم وتجريحهم وتشويههم، وبالتالي إمكانية الحجر عليهم. لكنه في الجوانب الأخرى يلجأ إلى العنف المباشر، المستند إلى القمع والتهديد في كل الأزمنة:

من أين يأتي الشعر ؟ حين نهارنا

قمع ، وحين مساؤنا إرهاب

إن عالم الأدلة عالم زئبقي، يتغير بتغير السياقات وبتغير وجهات النظر؛ ذلك أن المؤولة، وهي النواة التي ينطلق منها المؤلف في تحليله لنص شعري ما، قد تحيل إلى الموقع الذي يتم منه تأويل الأدلة؛ حيث إن دليلاً واحداً، يمكن أن يكون له من المعاني والدلالات ما لا حد له، ذلك أن الموسوعة مفتوحة على مختلف الدلالات. فالدليل «شجرة» قد يشير إلى المعنى الحرفي الذي ينحصر في تلك النبتة التي تجد لها مستقراً في الأرض، ولها جذور وأغصان.. لكنها عند الآخر يمكن أن تحيل إلى شجرة المعرفة، شجرة الخطيئة، شجرة النسب... إن الذات عندما مثلت الآخر، مثلت نفسها أيضاً؛ فهي ذات شاعرة، مفكرة، مبدعة.. إن هذه الصفات هي ما يسعى الآخر لسرقة.. لكن، هل هذه الأشياء وحدها التي تمتلكها هذه الذات الهامشية؟

لقد رسمت لنا الذات الشاعرة عن نفسها كل ما يشير إلى المحبة المتطلعة للحياة وملذاتها وكل الأشياء الجميلة فيها منذ المطلع، واستمر ذلك أسطراً عديدة؛ حتى يكاد القارئ يظن أن القصيدة كلها غزل وشكوى من الهجر وغير ذلك من الأغراض التي طرقها شعراء العربية القدامى؛ إذ تبدي هذه الذات محبة للنساء، للأجساد الجميلة، للناهدات.. واللواتي كلهن يتأبين عليها. إن المرأة كانت ولا تزال رمزا للحياة والحب والأمل. بل، عبرت في كثير من التجارب الشعرية، خاصة الصوفية منها، عن الحب الإلهي، حيث تغزل الشعراء في الذات الإلهية وأبدوا حبهم وشغفهم وتعلقهم بهذه الذات، والتي تظهر في أحيان كثيرة في تمنع شديد:

ليلة الأمس حدثت الحبيباً حاديث الحب والوصول

فأخذ ينقض العهود ويتجنى علي في دلال

وانقضت الليلة ولم أحكم قصة الحب إلا البداية

ولا ذنب لليلى ولكن قصة الحب ليس لها نهاية

إن ما حصل لشاعرنا الصوفي، الذي أوردنا بعضاً من أبياته، هو ذاته ما وقع لشاعرنا، حيث مني بتمنع الذوات الثلاثي أبدى لهن حبه، ونقضن العهود التي قطعنها له:

أين اللواتي حبهن عبادة

وغيابهن وقربهن عذاب
اللابسات قصائدي ومدامعي
عاتبتهن فما أفاد عتاب
أحبتهن وهن ما أحببني
وصدقتهن ووعدهن كذاب

إن شيمة التمتع من الخصائص المتكررة في شعرنا العربي، ذلك أن الحب يستحق أن يعاش وأن يبذل من أجله كل غال ونفيس. ومعلوم أن الحبيب كلما كان أكثر تمنعا، زاد شوق المحب إليه، وتعاضم طلبه. ولعل بعضا من سمات قيس بن الملوح قد تسربت إلى مطلع هذه القصيدة؛ إذ نجد أن الشاعر، مثلا، لا يريد الرجوع عن غيه في عالم الحب، كما نلغيه يعتبر التأثب منه بئسا سخيفا. وفي ذات المعنى، نلغى أن قيس بن الملوح أخذ من قبل أبيه إلى الكعبة كي يدعو الله أن ينجيه مما هو فيه، فتمسك بأستارها وجعل يدعو: اللهم زدني ليلى حبا وبها كلفا ولا تنسني ذكرها أبدا.. ولقد قال في مؤنسته:

لحى الله أقواما يقولون إننا وجدنا طوال الدهر للحب شافيا.

إن الشاعر صور نفسه كعاشق، محب، شاعر، ومبدع.. وعلى النقيض منه نجد الآخر، سواء كان حاكما أو مخبرا أو غيرهما من ممثلي السلطة، نجده قد مثل على أنه جبان، يرهب، يقمع، ويسرق. إن السرقة فعل يعتمد إلى الحيلة، ومعلوم أن هذه الأخيرة تستعمل حين تعوز المرء القوة؛ إذ عادة ما تكون من قبل الضعيف، وهذا ما نلغيه مترددا بشكل دؤوب في قصص كليلة ودمنة التي اتخذت شخصيات لها من عالم الحيوان والطير وغيرهما. ذلك أن الأسد مستغن بقوته، حيث لا نرى صوته إلا نادرا، فهو ملك وله القدرة على الفعل والحركة والإرادة، وكل الحيوانات تتودد له وتطلب القرب منه، لكن كيف السبيل إلى ذلك؟ إن الحيلة هي الطريقة المثلى لبلوغ هذا المطلب. وكذلك الأمر بالنسبة لشاعرنا، إنه يرى نفسه ملكا، كما ينظر إلى باقي الشعراء بعدهم كذلك. بينما الآخرون، أولئك الذين يلجؤون إلى الحيلة، هم حجاب فقط

الشعر .. رغم سياطهم وسجونهم

ملك .. وهم في بابه حُجاب.

إن كل ما يعبر عن السلطة، وتجبرها، وممارساتها، يمكن أن نعتبره ذاتا واحدة، وهذا هو ما حمل الشاعر للتهجم على صنف من الشعراء يعتمدون إلى تجميل القبيح وتسويد وجه الحسن؛ ولهذا، فهو بريء من هذا الصنف. وفيه تأكيد على الموقف من ذاته ومن الآخر.

اللاهثون على هوامش عمرنا
سيان إن حضروا وإن هم غابوا
يتكلمون على النبيل معتقاً
وهم على سطح النبيل ذباب
الخمير تبقى إن تقادم عهدا
خمراً .. وقد تتغير الأكواب

إلا أن العدو الذي يقبع بالمركز له عدة نسخ على طول العالم العربي، وهو دائما شره نحو كل ما هو سلبي وقبيح، متطلع إلى جعل الجميع أعرابا في أوطانهم، ويبقى وحده المالك للزمان والمكان. إن العالم العربي قد صار من خلال هؤلاء عبارة عن حواجز ومخاطر وكلاب.. ما يشير إلى القمع الكبير الممارس على كل من يستظل بسماء هذه الأرض. ولهذا، فالنقد أت من هذه الأوصاف التي تضرر عدم الرضا، وتجعل همها استبدال كل السلط التي تعبر عن التكبير وسلب الحرية، سواء كانت مادية؛ مثل الحكام، أو معنوية كالشعراء الذين حاذوا عن صف الشعب.

خاتمة:

إن الوقوف بباب شاعرين كبيرين من قبيل نزار درويش يعد مجازفة كبيرة من قبل أي قارئ؛ ذلك أن شعرهما حافل بالدلالات والمعاني، ممتلئ بالاستعارات والمجازات التي تجعل الذات الشاعرة تعبر عن تطلعاتها وأحلامها البعيدة بعبارة مقتضبة موجزة، وهو ما يفتح المجال أمام القارئ لدخول مسار التأويل المتعدد. إن القارئ وهو يفتش في شعر درويش أو نزار سيؤمن إلى حد كبير مع ابن قتيبة أن الله لم يقصر «العلم والشعر والبلغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون أقوام، بل جعل ذلك مقسوما بين عباده في كل دهر»⁽¹³⁾. ولا أجد أن القائل: أشعر الناس من أنت بشعره محقا إلا عندما يكون القارئ في حضرة علمين كمحمود ونزار.

ولقد أسعفنا المنهج السيميائي في الكشف عن بعض من الدلالات والمعاني التي يختزنها شعر هذين المبدعين انطلاقا من مفاهيم وخطوات كان أهمها ما اصطلاح عليه ريفاتير بالقراءة الأولى التي تقف عند ظاهر المعنى؛ أي ما تنقله القصيدة من أخبار على مستوى الكلمات والعبارة والجمل. ثم القراءة الاستراتيجية، وهي قراءة تدور حول نواة دلالية، إنها عبارة عن ممارسة لعبية دورانية تسعى لجعل الدلالة كلها منصبة حول الرحم الدلالية. غير أننا لم نقف عند هذا الحد، بل استعنا بتجربة يوري لوثمان الثقافية، خاصة ما يتعلق برؤيته لتطور الثقافات، ونظرتة لمفهوم الشخصية واختلاف الآراء حوله، وكذا الاستفادة من المفهوم المركزي في نظريته ألا وهو الكون السيميائي وما يندرج ضمنه من مفاهيم.

إننا من خلال القراءة التي قمنا بها خلصنا إلى النتائج التالية:

- تأكيد تجربة محمود درويش أن الشعر بإمكانه التعبير عن عدة تصورات وتمثلات حول الأرض والوطن والحرية والعلاقة بالآخر وغيرها من القضايا التي لا تمس الفرد وحده، وإنما تمس الجماعة والوطن.
- انبناء تجربة درويش الشعرية الثورية على تقابل أساسي: الأنا ≠ الآخر، وما سيترتب عن هذا التقابل من تمثيلات تعلي من شأن قطب وتضع من قيمة آخر.
- الأنا في التجربة الشعرية لدرويш لا تعبر عن نفسها، وإنما هي جزء من الجماعة تتحدث بلسانها وتصف حالها. وهي ليست أنا انتهازية تتصيد الفرص، وإنما قادرة على أن تفتدي بنفسها فقط من أجل الحرية والثورة والعيش بكرامة.
- احتفاء درويش الكبير بالثورة والحرية رغم الظروف والأوضاع التي يعيشها هو وشعبه إشارة واضحة للعدو أن الإنسان الفلسطيني تآثر بطبعه وأنه عصي على الترويض. كما أن في ذلك

(13) المرجع السابق نفسه، ص: 63.

- إشارة إلى أن ما يمارس على هذا الشعب لا يهز من يقينه من أن النصر قادم لا محالة.
- قدرة السيمائيات الشعرية على مساعدة القارئ المستنجد بها في اكتشاف مختلف المعاني والدلالات التي يختزنها النص، وذلك من خلال عدم التوقف عند القراءة البسيطة التي تتمظهر في التجربة الأولى، وإنما تتجاوز ذلك إلى قراءة ثانية تبحث عن النواة وعن الدلالة العميقة.
 - الاستعانة بمفاهيم السيمائيات الثقافية خاصة التقابلات التي يولدها المفهوم المركزي في النظرية ألا وهو «الكون السيميائي» أهلتنا لأن نكتشف أهم تقابلين أساسيين ينبني عليهما شعر نزار قباني

قائمة المصادر والمراجع:

- أفلاطون، السفسطائي، (ط:2-2014)، تح: أوغست ديبس، تر: الأب فؤاد جرجي بريارة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.
- ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ج: 1، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف- القاهرة.
- مايكل ريفاتير، (ط: 1-1997)، دلائليات الشعر، تر: محمد معتصم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط.
- محمود درويش، عابرون في كلام عابر، مقالات مختارة، (ط:1-1991) دار توبقال للنشر- الدار البيضاء.
- رولان بارت، هسهسة اللغة(ط: 1-1999)، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري- حلب.
- يوري لوتمان، سيمياء الكون (ط:1-2001) تر: عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- بيروت.

تجديد النظر في منهجية تدريس علم أصول الفقه:

سؤال الحاجة والجدوى ومرجعية التنزيل

د. الحسن سعداني

دكتوراه أصول الفقه ومناهج التدريس - جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس / أستاذ
التعليم الثانوي التأهيلي بالأكاديمية الجهوية لمهن التربية والتكوين بجهة طنجة تطوان
الحسيمة، المغرب

القبول: 29.10.2024

الاستلام: 15.9.2024

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى إثارة تجديد النظر في تدرسية علم أصول الفقه انطلاقاً من كون المدخل التربوي مدخلاً ناجعاً لتطوير العلم من حيث وظيفته وتفعيله في حياة الأمة أخلاقاً وحضارة. والقصد بالتجديد التربوي إحياء المنهج الذي يبعث وظيفه هذا العلم ويضبط مسالك التلقي ويقرب مأخذ العلم إلى الدارسين له تقريباً يزواج بين مقام تصور قواعده تنظيراً ومقام التحقق بها تنزيلاً. وتجلت مجاري النظر في بعض عناصر المنهج التربوي كما تصوره الباحثون التربويون المعاصرون من أهداف تربوية وطرائق التدريس ومضامين العلم، وذلك وفق اعتبارات بيداغوجية تأخذ بعين الاعتبار الفروق بين مقتضيات الفعل التربوي وأحوال التأليف. ومن مظان تنزيل التجديد البيداغوجي الرجوع إلى التراث الأصولي؛ وذلك من منظور تربوي إما تصريحاً ضمن نصوص منهجية متناثرة في تضاعيف المؤلفات الأصولية، وإما استنباطاً للإشارات التربوية المضمرة في هذا الإنتاج الفكري الأصيل.

كلمات مفتاحية: تجديد النظر - منهجية التدريس - سؤال المرجعية - علم أصول الفقه - مسوغات التجديد

abstract :

This research aims to reconsider the teaching of the science of Usul al-Fiqh (Islamic legal theory), based on the idea that an educational approach is an effective entry point for developing this field, enhancing its function, and integrating it into the ethical and cultural life of the Muslim community.

The goal of educational reform here is to revive the methodology that activates the function of this science, regulates the methods of learning, and makes its principles more accessible to students. This approach combines theoretical understanding of the rules with practical application.

Key aspects of the educational method as envisioned by contemporary educational scholars, include pedagogical goals, teaching methods, and subject content. These aspects are considered within the framework of educational differences between the requirements of teaching and the process of authorship.

One of the primary sources for implementing pedagogical reform is a return to the

heritage of Usul al-Fiqh. This can be approached from an educational perspective, either through explicit references scattered in methodological texts within Usul literature or by deriving implicit educational insights from this

Intellectual tradition.

Key words: Reconsideration - Teaching Methodology - An overview of research Science Principles of jurisprudence -justifications for renewal

إشكالية تجديد العلوم باتت ضرورة تُسوِّغ النظر في قضاياها، وتُهدد للبحث في مسائلها بمنظار يؤهلها لمواكبة مستجدات العصر، وأداءٍ وظيفتها التي تأسست من أجلها؛ نفعاً للإنسان في مختلف شعب الحياة؛ ليحیی حياة طيبة ملؤها الخير والرشد والهدى والسداد.

وإن علم أصول الفقه ليس بدعا من العلوم فيشذ عن الحاجة إلى التجديد، وينفرد عن النظر في مسائله نظرا نقديا يكشف عن وظيفته العلمية ومدى الوفاء بها بين التأسيس في الماضي، والتفعيل في الحاضر، والاستشراف في المستقبل.

أهداف البحث:

يروم هذا البحث تحقيق جملة من المقاصد، وهي كالتالي:

- إثارة النظر في إشكالية تجديد النظر في منهج تدريس علم أصول الفقه، على أساس أن التجديد في منهج التدريس لهذا العلم يعد فاتحة استبصار وتحصيل متين في مسار تعلمه وتعليمه.

- ضبط ما يمكن جريان النظر فيه تربويا؛ من أجل الاقتصاد في الجهد، وقصد سبيل الرشد؛ فتحديد هذه المجاري بوصلة يهتدى بها الباحث الذي استوفى شرائط التجديد في العلم معرفيا ومنهجيا وتربويا.

- تحديد بعض مظان البحث في تجديد النظر التربوي المتعلق بعلم أصول الفقه؛ لأن النظر تفكر في أحوال المنظور فيه، والمنظور فيه هو الدرس الأصولي بأحواله تراثا وحاضرا.

إشكالية البحث:

إن علم أصول الفقه هو فقه المنهج في البحث في الخطاب الشرعي، والناظر باستبصار يدرك غياب

الوظيفة البيانية والاستنباطية لهذا العلم في ساحة التعلم والتعليم، قد يدرس طلبه هذا العلم مباحث في بناء الفهم، من طرائق دلالات الألفاظ واستثمار الخطاب، ومسالك التعليل، من تخريج وتنقيح وتحقيق للمناطات، ولكن لا تجد لهذه المعاني أثرا في بنية تفكيرهم، واستراتيجيات بحوثهم، وهذه المفارقة تقض المضجع، وتستنهض العزم لتشخيص الداء، ثم الاجتهاد حسب المستطاع في وصف الدواء، وقد يكون الخلل مركبا، ومن وجهة نظري القاصر إن جزءا منه متعلق بمنهج تدريس العلم، حيث ينجز الدرس الأصولي تربويا في غياب دليل بيداغوجي واضح المعالم، وراشد الخطوات.

ومن ثم جاءت هذه الدراسة لتومئ على استحياء إلى نقطة من الأهمية بمكان في إحياء وظيفة هذا العلم الأصل في نفوس الطلبة، ألا وهي متعلق النظر في منهجية تدريس علم أصول الفقه، ومرجعياته.

وقد جاءت أسئلة إشكالية البحث على الشكل الآتي:

ما مدى حاجة الدرس الأصولي إلى البحث في تجديد النظر في منهجه التربوي، أعني البحث في منهجية تدريس مباحثه، وعرض مسائله داخل الفضاءات التعليمية بمختلف أسلاكها، وتنوع مساراتها؟

وما هي متعلقات النظر في التجديد التربوي لعلم أصول الفقه معرفيا ومنهجيا؟ وما هي صفات المجدد وشروط التصدر لهذا التكليف العلمي؟

وما هي مرجعيات التجديد التي يمكن أن يتخذها المجدد التربوي منطلقا لإنجاز تجديد فعل النظر في منهجية تدريس علم أصول الفقه؟

خطة البحث:

جاء تصميم هذا البحث وفق ما اقتضاه موضوعه على الشكل الآتي:

مدخل تصوري للبحث في إشكالية تجديد النظر في منهج التلقي في الدرس الأصولي.

المبحث الأول: تجديد النظر في منهجية الدرس الأصولي: دواعيه ومدى الحاجة إليه، وتضمن ثلاثة مطالب، الأول في: الحاجة إلى تجديد النظر في تدريس علم أصول الفقه، والثاني: في تطوير تدريسية علم أصول الفقه ومدى قدرته على صناعة التفكير الاجتهادي، والثالث في: مسوغات تجديد النظر في تدريسية علم أصول الفقه.

أما المبحث الثاني فقد انعقد في: مجاري النظر في تجديد منهج تلقي الدرس الأصولي، واشتمل على مطلبين، الأول في: تجديد النظر في مقاصد الدرس الأصولي وطرائق تدريسه وأثر ذلك في صناعة التفكير المنهجي، والثاني في: جريان النظر في الخطاب (المتن) الأصولي.

المبحث الثالث جاء تحت عنوان: مرجعيات تجديد النظر في منهجية الدرس الأصولي، وحمل في تضاعيفه ثلاثة مطالب، الأول: في مرجعية التراث الأصولي وضرورته التربوية، والثاني في: التأليف الأصولي وعلاقته بالممارسة التربوية، والثالث في: مرجعية الخبرة التربوية المعاصرة.

مدخل تصوري للبحث في إشكالية تجديد منهج التلقي في الدرس الأصولي:

أولا: مسرد دلالي لمصطلحات البحث:

إن للمصطلح معنى، ولا تملك لهذا المعنى إلا بمفهوم مناسب له يحدد المراد من ذلك المصطلح، ويجلي استعماله موردا ووظيفة ورتبة، ومن ثمة فإن ضبط المفهوم معلم أساس في طريق البحث؛ لترشيد السائر نحو المقصود، وإزالة اللبس، والوقاية من التخبط والانحراف في الفهم.

1) مفهوم علم أصول الفقه:

جرت العادة عند المؤلفين في علم أصول الفقه أن يعرفوه وفق اعتبارين: الاعتبار الإضافي، أي مراعاة النسبة الحاصلة بين مفرد (أصول) ومفرد (الفقه)، والاعتبار الاسمي، أي: نقل هذا التركيب عن معناه الأصلي إلى الاسمية لهذا العلم الأصيل، وسأقتصر في هذا المقام على تعريفه وفق الملحظ اللقبى؛ إذ صار هو المعنى بالدراسة عند الإطلاق والتجرد عن القرينة التي تعين أن المقصود أحيانا هو المعنى الإضافي.

وقد كثرت التعاريف الاصطلاحية لعلم أصول الفقه؛ لكنها لا تخرج عن كونه علماً معيارياً ومنهجياً في فهم الخطاب الشرعي واستنباط الأحكام من أدلته التفصيلية، ومن جملة تعريف هذا العلم هو أن علم أصول الفقه: «معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد»⁽¹⁾.

2) المعنى العام للتجديد في سياق البحث في الدرس الأصولي:

من القضايا الإستمولوجية المرتبطة بالدرس الأصولي في الوقت المعاصر قضية التجديد التي تعددت الرؤى حولها، رؤية تدعو إلى التشبث بالتراث الأصولي دون أدنى مساس بما أنتجه علماءنا الأولون ودونوه في مصنفاتهم مع اعتبار أن أي تجديد بمختلف أشكاله طمس لحقائق التراث، وتناول على إنتاج السابقين من أهل هذا العلم الشرعي الأصيل، ورؤية أخرى معارضة للاتجاه الفكري السابق، وينادي أصحابها بضرورة تجديد العلوم الإسلامية، وعلم أصول الفقه من أحق العلوم بهذا التجديد.

وقد تباينت آراء ممثلي التيار الداعي إلى التجديد في علم أصول الفقه في متعلق التجديد الدرس الأصولي، هل هو تجديد مرتبط بموضوعه، أم تجديد على مستوى المنهج والشكل فقط؟

وأنتزع من بين هذه الآراء ما ارتآه الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حيث قال: «يجب أولاً أن نحرر المعنى المراد بتجديد أصول الفقه: نرى أنه تجديد الانضباط بقواعده وأحكامه، وإصلاح ما تصدع من بنيانه، وتمتين ما وهى من دلائله، وسد ما تفتح من ثغرات في مفاهيمه، ونفض ما غشى عليه من غبار النسيان له، والإعراض عنه، وعرض مضمونه في أسلوب أكثر جدة، وأيسر فهماً، أم هو الاستبدال به، وتطوير قواعده، وتجاوز أحكامه إلى غيرها؟ ... فإن كان المراد بكلمة (التجديد) المعنى الأول فهو حق لا مجال للنقاش فيه، وهو جزء أصيل من المعنى العام لتجديد الدين الذي عناه المصطفى بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»⁽²⁾.

إن أغلب الأنظار التي عنيت بالتجديد في الدرس الأصولي كان مدارها على المضامين المعرفية حيث ترى ضرورة حذف بعض المقولات من المتن الأصولي؛ لكونها لا تستجيب للوظيفة المنوطة بالدرس الأصولي، على حين غفلة من أهل هذا النظر أن التجديد المنهجي في الدرس الأصولي هو الآخر مجال خصب يفيض بكثير من القضايا التي تحتاج إلى تنقيب وكشف عنها؛ من أجل إحياء الدرس الأصولي والارتقاء به تأصيلاً واستنباطاً وتنزيلاً.

3) المعنى الخاص للتجديد في السياق التربوي: تجديد منهج التدريس من تجليات التجديد على مستوى الشكل الموصل إلى تجديد المضمون العلمي، أعني التجديد المنهجي المتمثل في تطوير المراقي الذهنية وإحياء معاني العلم التي تعتبر روحاً تسري في كيان العلم؛ ليؤدي وظيفته العلمية والأخلاقية.

والتجديد بهذا المعنى يستلزم الاستقصاء والكشف عن جملة من الضوابط المنهجية

(1) منهج الوصول إلى علم الأصول، ناصر الدين بن عبد الله بن عمر البيضاوي، ص: 51، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى: 1429 هـ - 2008م.

(2) إشكالية تجديد أصول الفقه، أبو يعرب المرزوقي، محمد سعيد رمضان البوطي، ص: 156-157، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى: 1426-2006م.

المنبثقة من رحم العلم والمفضية إلى نسق كلي يسعف الناظر في فهمه؛ لأنه لا سبيل لإحياء هذه الملكات إلا بتصور منهجية تربوية توضح معالم السير، وترسم الخطوات على الطريق، ومن ثمة كان من مظاهر التجديد في الدرس الأصولي تجديد مناهج التلقي والتعليم.

وبناء على ما تقدم فالقصد بالتجديد الأصولي في سياق البحث: بذل الوسع الفكري من أجل تنظير لممارسات تربوية، أو تقييد لما أطلق منها، أو تخصيص لعمومها وفق ضوابط التعلم والتعليم في التنزيل التربوي المعاصر؛ من أجل تحقيق مقاصد العلم.

وليس التجديد بهذا المعنى إسقاطا لمقتضيات علوم التربية المعاصرة على الدرس الأصولي، وإنما هو محاولة انفتاح على معطيات هذه العلوم انفتاح تكامل واستمداد لما يتناسب من نتائجها مع خصائص الدرس الأصولي دون انصهار في بوتقتها.

4) دلالة مجاري النظر: جرى الماء والدم ونحوه جرياً وجرياً وجرياناً، وإنه لحسن الجرية، وأجراه هو وأجريته أنا. يقال: ما أشد جرية هذا الماء، بالكسر، وهي بالكسر: حالة الجريان... قال الأخفش والمجربى في الشعر حركة حرف الروي فتحته وضمته وكسرتة... وإنما سمي ذلك مجرى لأنه موضع جري حركات الإعراب والبناء. والمجاري: أواخر الكلم، وذلك لأن حركات الإعراب والبناء إنما تكون هنالك⁽³⁾، فالمجاري: ج مجرى، وقد تقرر لدى أهل اللغة أن هذه البنية الصرفية مشتركة وضعا بين جملة من بين جملة من الدلالات، دلالة الحدث ودلالة الزمان، ودلالة المكان، والمجربى في سياق البحث متعين لدلالة المكان، أي: محل جريان التعقل وصولات التفكير المتعلق بالتجديد التربوي في الدرس الأصولي.

ثانياً) المجدد الأصولي: تعريفه ومواصفاته:

1) تعريف المجدد الأصولي: حقيقة المجدد التربوي في الدرس الأصولي ليست بدعا من الماهيات والحقائق، فلا بد أن يتصف من تصدر لهذه الوظيفة العلمية بصفات معرفية ومنهجية تؤهله للقيام بما نيظ به وأسند إليه تكليفاً.

المجدد الأصولي أقصد به: العالم بأدلة الفقه على سبيل الإجمال، والتمكن من القواعد المنهجية التي تؤهله للنظر في تلك الأدلة وطرق استثمارها تمكّن تصور وتصرف وتنزيل.

2) مواصفات المجدد التربوي في علم أصول الفقه.

إن الاتصاف بالتجديد في منهج التدريس يستلزم توفر جملة من الصفات فيمن قام به هذا الوصف، ومنها ما تعلق بالمعرفة الأصولية، ومنها ما يرتبط بالمنهج الأصولي:

أ) الصفات المعرفية: من صفات المجدد ما يرتبط بالعلم من حيث الجانب المعرفي، ومن ذلك:

درك مستمدات علم أصول الفقه: تقرر لدى الباحثين في علوم الشريعة الإسلامية أنها علوم تتداخل وتتكامل مع بعضها البعض؛ لخدمة القرآن الكريم والسنة النبوية، وعلم أصول الفقه من أهم العلوم التي مثلت مجالاً خصباً لتداخل جملة من العلوم تداخل تأسيس للمعاني، وتأثيل للمباني.

وقد استمد علم أصول الفقه جملة من المسلمات المعرفية والمنهجية من اللغة العربية، وعلم

(3) لسان العرب، ابن منظور الإفريقي باب الواو والياء، فصل الجيم ج14، ص: 140-141، ابن منظور الإفريقي، الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة: 1414هـ.

الفقه الإسلامي، وعلم الكلام استمدادا أوجبه الضرورة العلمية فكان مقتضاه أن يكون المجدد لعلم أصول الفقه تربويا قد سبر أغوار علوم الاستمداد حتى يكون عارفا بما يُبقي منها وما يذري في بنية التفكير الأصولي.

معرفة حاجيات المجتمع: إن مناهج تدريس العلوم لا تنفصل عن المجتمع الذي تدرس فيه، فمناهج التعليم جزء من بنية النظام الاجتماعي؛ لذا من الضرورة التربوية أن يكون مناهج علم أصول الفقه يستجيب لحاجيات المجتمع، وأن تكون مخرجاته تستجيب لما يستشرفه من تدريس هذا العلم من إنجاب خريجين تحققت فيهم المواصفات المنشودة على مستوى الفتوى والدعوة والإرشاد والتدريس.

تحصيل ملكة الاستحضار: إن إدراك بنية العلم معرفيا أي: تملك مسائله المعرفية إجمالا وتفصيلا، والاستيلاء على مبادئه، والقدرة على استحضار قواعده متى شاء، والاقترار على الإبانة والتعبير عنها من أهم صفات المدرس الأصولي المجدد؛ وذلك باعتبار أن ملكة الاستحضار أساس متين في تكوين طالب علم أصول الفقه يُبنى عليها ما يلي من صفات منهجية:

(ب) **الصفات المنهجية:** من الواضح الذي لا يختلف فيه باحثان في العلوم الإسلامية أن علم أصول الفقه علم منهجي؛ إذ غايته وضع الإطار المنهجي لاستنباط المعرفة الإسلامية وتقويمها؛ وهذه الخصيصة توجب على من تصدر للنظر في تجديد منهجية تدريس أصول الفقه أن يتصف بالصفات الآتية:

التحقق بالقواعد الأصولية: من أهم ما يتأسس على ملكة الاستحضار معنى التحقق بالقواعد الأصولية والتصرف فيها وتنقيحها، ثم التمرس بمناهجها والحدق فيها واستحصائها، حتى تصبح جزءا من بنية تفكير الأصولي.

إدراك مقاصد العلم: الإدراك المحكم لوظيفة العلم، والاحاطة بمقاصده، والظفر بأسراره، وضبط امتداداته في مختلف الحقول العلمية من منارات الفهم الحقيقي لروح مسائل ذلك العلم وجوهرها، ولا تحصل هذه القدرة إلا باستيعاب مفاهيم العلم المؤسسة لبنيته، ولا يحصل الفهم لهذه المفاهيم إلا بدراسة تحدد بداية تأسيس المصطلح ومراحل تطوره، وحال استقراره.

إدراك وظيفة المفهوم الأصولي: إن إدراك الوظيفة العلمية لكل مفهوم ضمن منظومة المفاهيم الأصولية؛ من أجل أداء العلم ما نيظ به من وظيفة استنباطية، فلا بد من الإحاطة بكيفية تعلق تلك المعاني بأصول الفقه بوجه قوي، أو بحال من الأحوال، وذلك مثل وظيفة مفهوم الخاص والمقيد والفرع ضمن النظر الشمولي الذي يتميز به الفكر الأصولي.

النقد العلمي لمسائل علم أصول الفقه: إن القدرة على نقد مسائل العلم نقدا مبنيا على أسس علمية ناتجة عن سبر أغوار العلم، وإدراك حقائقه، حيث يصبح العلم نصب عينيه سهل الاستحضار ويصير متمكنا من التعبير عن جوهره، والإبانة والوصف لبنيته الفكرية.

وأسوق بشأن هذا الوصف نصا فريدا للإمام الغزالي وهو يتحدث عن ضوابط النقد الفلسفي، ولكنه في حقيقة الأمر ضابط عام في نقد أي علم من العلوم بقطع النظر عن طبيعته، فقال -رحمه الله- «... وعلمت يقينا أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم، من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في أصل [ذلك] العلم، ثم يزيد عليه، ويجاوز

درجته، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغوائله، وإذا ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً⁽⁴⁾.

وقد التزم الإمام الغزالي بتطبيق ما نظر له في نقد العلم حيث أبان عن إحاطته بمقاصد الدرس الفلسفي والظفر بأسراره، واحتوائه على جميع مساح النظر فيه فكتب نصاً وصفاً لبنية الفكر الفلسفي في مطلع كتاب (تهافت الفلاسفة) وسمه بـ(مقاصد الفلاسفة).

وفي ذلك تأصيل منهجي لكل تفكير نقدي داخل أي مجال علمي؛ إذ لا يجوز لباحث أو مفكر انتقاد مذهب، أو علم من العلوم إلا بعد أن يدرك ابتداءً مقصدها ودلائلها دراية دقيقة، والإحاطة بها إحاطة أشبه بإحاطة المتخصص في ذلك المجال المعرفي أو أزيد منه كما هو حال الإمام الغزالي في المعرفة الفلسفية، والعبرة بعموم الاجتهاد والتجديد في كل علم لا بخصوص المتن الفلسفي باعتباره مورد النص.

المبحث الأول: تجديد منهجية الدرس الأصولي؛ ودواعيه ومدى الحاجة إليه:

هل يحتاج علم الأصول إلى البحث فيه من حيث المنهج التربوي، أعني البحث في منهجية تدريس مباحثه، وعرض مسأله؟ هل لإصلاح مناهج تدريس علم الأصول أثر في صناعة التفكير الاجتهادي، وبناء العقل المسلم منهجياً؟

المطلب الأول: في بيان الحاجة إلى تجديد منهجية تدريس علم أصول الفقه:

منهج تفكير الإنسان يولد من رحم بيئته العلمية، وتمثله للمعرفة انعكاس لمسالك التلقي إيجاباً أو سلباً، ومسالك التلقي الفعالة هي تلك التي تسعف طالب علم صول الفقه على التمرس بمناهج العلم، وتبصم أثراً إيجابياً في عقل الإنسان من حيث التفكير المنهجي، ويناؤه بناء سليماً، وإذا سلم المنهج سلم الفكر، ومن ثمة فليس البحث عن المعرفة بأولى من الكشف عن منهج تناول هذه المعرفة وتيسيرها حتى تكون في متناول طلابها، ويستوعبوا مسائلها، ويحيطوا بمداركها، ويتمكنوا منها برد فروعها إلى أصولها، وجزئياتها إلى كلياتها.

إن البحث في الشكل والمنهج للدرس الاصولي من أهم القضايا التي صرف الباحثون إليها همهمهم، وسخروا في سبيل خدمتها أقلامهم، فـ«تجديد أصول الفقه مسألة لها تاريخ، وتتبع هذه القضية نجد أنها قد أخذت صوراً متعددة، منها ما يعود إلى الشكل، ومنها ما يعود إلى المضمون، وهذا منه ما يعود إلى الإضافة، ومنه ما يعود إلى تغيير الهيكل حتى نصل إلى شيء من تغيير المضمون، ومنه ما يعود إلى تعميق البحث، ومنه ما يعود إلى توسيع المجال والاستخدام»⁽⁵⁾، والقصد بتجديد الدرس الأصولي في سياق البحث منهج إحياء ملكات العلم ووظائفه في نفوس طلاب العلم الشرعي.

المطلب الثاني: مدى قدرة إصلاح المنهج التربوي لعلم أصول الفقه على صناعة التفكير الاجتهادي:

إن قياس مدى أثر إصلاح منهج تدريس أصول الفقه في صناعة التفكير الاجتهادي يوجب تحقيق النظر في معنى مصطلح (الاجتهاد) الذي يتحدث عنه الأصوليون في مختلف مؤلفاتهم

(4) المنقذ من الضلال، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ص126، الناشر: دار الكتب الحديثة، مصر.

(5) قضية تجديد أصول الفقه، علي جمعة، ص: 4، دار الهدية، 1414 هـ - 1993م.

العلمية والوقوف على مراتبه ومناحيه انطلاقاً من رصد العلاقة التفاعلية بين ثلاثية: العقل، والخطاب الشرعي، والواقع.

والناظر في كتب علم أصول الفقه يجد أن أهل الصناعة الأصولية قد درجوا على تعريف (الاجتهاد) تعريفات عدة، تتفق معظمها في أن الاجتهاد هو عبارة عن «استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي»⁽⁶⁾، إلا أن الملاحظ على هذا التعريف أنه تعريف للاجتهاد بصفة كلية دون تفصيل لمراقي الاجتهاد وفق الحركة الذهنية التي يقوم بها العقل قبل الوصول إلى المرتبة العليا من الاجتهاد، ألا وهي (استنباط الحكم الشرعي من دليله التفصيلي)، وبيان ذلك تفصيلاً أن: «تصرف المجتهدين بفقههم في الشريعة يقع على خمسة أنحاء:

النحو الأول: فهم أقوالها، واستفادة مدلولات تلك الأقوال، بحسب الاستعمال اللغوي، وبحسب النقل الشرعي بالقواعد اللفظية التي بها عمل الاستدلال الفقهي، وقد تكفل بمعظمه علم أصول الفقه.

النحو الثاني: البحث عما يعارض الأدلة التي لاحت للمجتهد، والتي استكمل أعمال نظره في استفادة مدلولاتها؛ ليستيقن أن تلك الأدلة سالمة مما يبطل دلالتها، ويقضي عليها بالإلغاء والتنقيح، فإذا استيقن أن الدليل سالم عن المعارض أعمله، وإذا ألقى معارضا نظره في كيفية العمل بالدليلين معا، أو رجحان أحدهما على الآخر.

النحو الثالث: قياس ما لم يرد حكمه في أقوال الشارع على حكم ما ورد حكمه فيه، بعد أن تعرف علل التشريعات الثابتة بطريق من طرق مسالك العلة المبينة في أصول الفقه.

النحو الرابع: إعطاء حكم لفعل، أو حادث حدث للناس لا يعرف حكمه فيما لاح للمجتهدين من أدلة الشريعة، ولا له نظير يقاس عليه»⁽⁷⁾.

إن الاجتهاد مراتب وقدرات ذهنية تبنى على سبيل التدرج، يرتقي بها العقل في مدارج التفكير، فهو «قدرة عقلية تتراكم شيئاً فشيئاً تجعل الشخص قادراً على الفهم والتحليل وإدراك العلاقات واستصدار الأحكام»⁽⁸⁾، ومن ثمة «يمكن تصور بناء هرم اجتهادي قاعدته عوام يحسنون التطبيق والامتنال، ثم طبقة تحسن الفهم والسؤال، تليها طبقة مكتفية تستقل بالبحث لنفسها وتعرف أوجه الدليل، وقاصرة عن الإفتاء والحكم في أمور غيرها من الأفراد والمجتمع، ثم يتربع على قمة الهرم أهل الاجتهاد، والاستنباط، والحكم في أفعال المكلفين بمنهج الله ورسوله بحسب ما تيسر من الفهم»⁽⁹⁾.

إن علم أصول الفقه ذو امتداد في باحة الفقه الإسلامي، وهذا ما يجعل منه علماً واسع الأفق، والحاجة إليه ملحة لدى الطالب في مناح شتى، فإن لم تسعف الأحوال التعليمية بأن تخرج صنفاً من المجتهدين القادرين على إدراك تفاعل الواقع والنص الشرعي من أجل تأسيس

(6) بيان المختصر، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني، ج3، ص: 288، تحقيق: محمد مظهر بقا، الناشر: دار المدني- السعودية، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م.

(7) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ج3، ص: 40- 41، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425 هـ - 2004 م.

(8) منهاج تدريس الفقه، مصطفى صادق، ص: 26، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى: 1433 هـ - 2012 م.

(9) تربية ملكة الاجتهاد من خلال بداية المجتهد، محمد أوشريف بولوز، م2، ص: 1217، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى: 1433 هـ - 2012 م.

حكم لمستجد، فلا تُعدَم أن تخرج باحثاً يعي مدارك اجتهاد سلف الأئمة، ويربط المسائل الفقهية بأصولها، ويدرك مناهج الاستنباط فيها.

والدارس للتراث الأصولي يلحظ أنه لا يخلو مؤلف من المؤلفات في هذا العلم عن الاجتهاد والمجتهد والشروط التي ينبغي أن تتوفر فيه لممارسة عملية الاجتهاد، لكن بحث الاجتهاد النظري غايته الوصول إلى تصور معناه، فلو قضى المرء زمناً طويلاً من عمره في مطالعة المتون ومراجعة الشروح محرراً لشروط الاجتهاد ومدققاً لصفات المجتهد لما صار مجتهداً؛ فما كل من عرف هذه الضوابط العلمية ارتقى إلى رتبة المجتهدين ما لم تستقر معاني العلم في النفس، ويصير متحققاً بها، وينتقل بها من مقام التصور الذهني إلى مقام التصرف العلمي، فيقرأ الطالب قواعد الخصوص والعموم، والإطلاق والتقييد، ويستوعب المنهج الأصولي نظرياً عند توارد دليلين شرعيين على محل واحد، أحدهما مطلق، والآخر مقيد، ثم ينتقل من التصور نظرياً، إلى التنزيل عملياً عندما يعترضه دليلان بنفس الشاكلة في الخطاب الشرعي.

وكتب علم أصول الفقه لا تتجاوز بحال من الأحوال المرتبة الأولى حيث تكسب الطالب تصوراً للقضايا الأصولية، ولكنها لا تعنى بوضع منهج يسير عليه الباحث في هذا العلم لممارسة الاجتهاد، وكيفية اكتسابه، فبقيت هذه المهمة لمقابلة على عاتق المدرس، ولصيقة بمنهج التدريس، مع التأكيد على أن الاجتهاد في تحقيق المناط يقوم على ساعد التصور النظري للاجتهاد المبسوط في كتب علم أصول الفقه.

المطلب الثالث: مسوغات التجديد التربوي للدرس الأصولي:

الناظر في محاولات التأليف المعاصرة لتجديد علم أصول الفقه وتقريبه إلى طلابه يلمح أن الإشكالات المنهجية المرتبطة بطرائق التصنيف، وأساليب عرض المادة المستعصي على فهم المتعلمين؛ هو الباعث لهؤلاء المؤلفين المحدثين في علم أصول الفقه على رفع شعار تجديد العلم والدعوة إليه بمختلف الرؤى، والتصورات حيث: «كانت المناهج الدراسية منذ نحو مائة عام تعتمد على الكتب القديمة سواء في مجال الدراسات الفقهية والأصولية، أو الدراسات العربية من نحو وبلاغة وأدب.

وظل تدريس هذه الكتب وبخاصة في الأزهر ودور العلم التي تناظره كالزيتونة والقرويين إلى عهد قريب، بل ما زال بعضها حتى الآن المنهج المقرر، ولا سيما في الدراسات العليا»⁽¹⁰⁾.

ولكي لا يفهم أن المؤلفات القديمة جملة وتفصيلاً لم يعد لها كبير أثر في تدريس علم أصول الفقه في وقتنا المعاصر، وأن الاحتكاك بها، والتفاعل مع محتوياتها، والتمرس بمنهج مؤلفيها بات ضرباً من تضييع الوقت، وصرف العمر فيما تجاوزه الدهر، نبه الدكتور محمد الدسوقي على أن «تدريس الكتب القديمة ضرورة علمية وحضارية بشرط أن يختار من هذه الكتب ما هو حقيق بدرسه، بيد أن ما وقع عليه الاختيار بالنسبة للدراسات الأصولية كان من المؤلفات التي كتبت في العصور المتأخرة، وهذه المؤلفات سادها الإيجاز والغموض، والجدل اللفظي والخلافات التي لا جدوى من الوقوف عليها، مما كان سبباً في ازوار الطلاب عنها ونفورهم منها، فهم على ما كانوا يعانون في فهمها، وينفقون من الوقت في قراءتها، لا تعلق شباهم بصيد منها وكان هذا من وراء الدوافع التي حملت بعض العلماء على كتابة التعليقات

(10) نظرة نقدية في الدراسات الأصولية المعاصرة، محمد الدسوقي، ص: 49 - 50، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، يونيو 2004.

والحواشي والشروح - كما ذكرت في الفصل الأول - تيسيرا للفهم وتحصيلا للعلم. ولكن من العلماء من أثار - وكان يدرس لطلابه كتابا قديما - أن يؤلف في الأصول كتابا يجمع ما جاء في مؤلفات القدماء بعبارة واضحة، وترتيب منقح، حتى يكون للطلاب منهلا عدبا يغتربون منه دون عنت، أو مشقة⁽¹¹⁾.

إن الضرورة التربوية في مقدمة بواعث التجديد المنهجي، فالإحساس بالإشكالات البيداغوجية النابعة من واقع تدريس علم أصول الفقه هو الباعث لبعض هؤلاء المؤلفين المعاصرين على صوغ مؤلفات، أو مذكرات بأسلوب سهل العبارة، مليح الإشارة، معرضين عن الخلافات الطويلة الذيل، والقليلة النيل، لا في إسهاب ممل، ولا إيجاز مخل.

ومن جمة هؤلاء المؤلفين المعاصرين الشيخ الخضري - رحمه الله - حيث يقول في مقدمة كتابه واصفا بعض التصانيف الأصولية القديمة بعد مقدمة تاريخية عن العلم عرض فيها لنشأته، وتعاقب المؤلفات فيه على مختلف مناهج التصنيف: «وهذه الكتب التي عنيت بأن تجمع كل شيء استعملت الإيجاز في عباراتها حتى خرجت إلى حد الألفاظ، وتكاد تكون لا عربية المبنى، وأدخلها في ذلك كتاب «التحريص» لابن الهمام؛ لأنك إذا جردته من شروحه، وحاولت أن تفهم مراد قائله، فكأنما تحاول فتح المعميات، ومن الغريب أنك إذا قرأت قبل أن تنظر فيه شروح ابن الحاجب ثم عدت إليه وجدته قد أخذ عبارتهم فأدمجها إدماجا بوزنها حتى اضطربت العبارة واستغلقت⁽¹²⁾».

وهذه المحاولات التجديدية ذات البعد المنهجي في التأليف تمخضت عن سابق تجربة في ميدان التدريس الجامعي، وكلها تنحو منحى تيسير سبل الفهم عند طلاب هذا العلم، وتذليل مصاعب التأليف من مستغلق العبارات، وغموض الاختصارات.

المبحث الثالث: مجاري النظر في تجديد المنهج التربوي للدرس الأصولي:

هذه المجاري في سياق الحديث عن تجديد النظر في مناهج تلقي علم أصول الفقه هي بعض عناصر المنهاج التربوي عند الباحثين المعاصرين في فن التربية ومناهج التدريس، وهي مقاصد العلم وأهدافه، والمحتوى المعرفي، وطرائق التعلم والتعليم.

المطلب الأول: تجديد النظر في مقاصد الدرس الأصولي وطرائق تدريسه وأثر ذلك في صناعة التفكير المنهجي:

1- تجديد النظر في مقاصد الدرس الأصولي:

إن أسس مقاصد علم أصول الفقه هي تربية ملكة الاجتهاد الدال على بذل جهد فكري منضبط ينطلق من فهم الخطاب الشرعي فهما صحيحا، وذلك وفق مقتضى القواعد المنهجية المقررة في مختلف مباحث الدرس الأصولي: مباحث الدليل والدلالة والتعارض والترجيحات.. وما تفرع من مقاصد أخرى لا تخرج عن دائرة الاجتهاد لعمقها المعرفي والمنهجي وشمولها الدلالي.

وتجديد هذه المقاصد - كما سبقت الإشارة إلى معنى التجديد- إحيائها في نفوس الباحثين

(11) نظرة نقدية في الدراسات الأصولية المعاصرة، محمد الدسوقي، ص: 50.
(12) أصول الفقه، الخضري، ص: 11-12، الطبعة السادسة: 1389 هـ - 1969 م.

في العلم، وتربية مناهج التفكير الصحيح في مجال الدرس الإسلامي خاصة، ليمتد أثر هذا التفكير إلى باقي المجالات العلمية التي تتقاطع مع الدرس الأصولي من خلال بعض المسائل العلمية.

ومن أجدد القضايا المنهجية في الدرس الأصولي بالتجديد في مقاصد العلم، إحياء ملكة الحجاج الأصولي عند الباحثين في العلم والدارسين له وتمارينهم عليها، مع الأخذ بعين الاعتبار سياقات الحجاج؛ لما لهذه الملكة من وظيفة منهجية فعالة في التناظر حول قضايا الشريعة الإسلامية والدفاع عنها بمنهج علمي وأدب رفيع.

2 طرائق تدريس علم أصول الفقه:

من مجاري التجديد تقريب العلم وتسهيل ملتمسه عند طلابه، وطرائق التدريس هي خطوات منهجية منظمة لبط المسائل العلمية وتقريرها وإكسابها للمتعلمين، «وكل ما ييسر به درك المعرفة على سهولة وتبسط به المسائل العلمية، وتوضح صور مواضع النظرية بجلاء فهو من أفراد معنى التجديد... وأول درجات التجديد والسعي إليها إزالة الإبهام وما يوقع في اللبس»⁽¹³⁾.

وطرائق التدريس هي أساليب البيان والبلاغ العلمي، وقد ألمح العلامة ابن خلدون إلى ذلك في معرض بيان مقاصد التأليف، حيث نبه على أن تبليغ المعرفة وإيصالها للآخر؛ لتعم المنفعة أمر ضروري، ومسلك تربوي، وذلك: «بأن يقف على كلام الأولين وتوايهم فيجدها مستغلة على الأفهام ويفتح الله له في فهمها، فيحرص على إبانة ذلك لغيره ممن عساه يستغل على، لتصل الفائدة لمستحقها، وهذه طريقة البيان لكتب المعقول والمنقول، وهو فصل شريف»⁽¹⁴⁾.

إن لطرائق التدريس الفعالة القائمة على الأخذ والعطاء العلمي، والقائمة على الإبداع الفكري الأصولي أثرا في صناعة التفكير المنهجي، وذلك باعتبارها طريق إكساب المتعلم التصور للعلم والتحقق به.

وطرائق التعلم والتعليم لا تجدي مالم تُراع أحوال الباحثين في العلم والدارسين له «فالطالب - في بدء أمره مثلا- غرضه تصور المسائل وإدراكها على حقيقتها، إذ هو (أي: التصور) الذي عليه مدار بناء معرفة ما هو طالبه، فتشتت قوته الذهنية في مسالك جدلية، وتناطحات فكرية، في خلافات لفظية عمل يجب أن يتوقى.

ونفور الطلبة من هذا العلم من أسبابه هذا، ومن رجع إلى نفسه وهو طالب أدرك هذا، وتيقن أن التجديد في علم الأصول يجب أن يبدأ بتصحيح منهج بحث المسائل، فما ليس بضروري ولا تبنى عليه فائدة، الرأي الصواب هو ترك الاشتغال به، وواجب الاشتغال بما هو أهم»⁽¹⁵⁾.

المطلب الثاني: جريان النظر في الخطاب (المتن) الأصولي:

تجديد مضمون الدرس الأصولي في سياق التدريس ليس ترفا فكريا، بل هو اقتضاء منهجي أوجبه طبيعة العملية التربوية، له ما يسنده من الأدلة المعرفية والمنهجية والسيكولوجية.

(13) تجديد علم أصول الفقه مولود السريري، ص: 168، منشورات دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1426هـ-2005م.

(14) المقدمة، ابن خلدون، ج: 1، ص: 731، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1401 هـ - 1981 م.

(15) تجديد علم أصول الفقه، السريري، ص: 170.

إن المقول الأصولي من جملة ما تدعو الحاجة إلى جريان النظر فيه عند تدريسه، وذلك لكون المعرفة الأصولية منازل من حيث درجتها في عسر الاستيعاب ويسره، ومن اللائق بالنظر في المتن الأصولي أن يكون نظرا نقديا وفق مطلبين:

أ- **مطلب تحليلية:** أي: تحليلية علم أصول الفقه بمباحث تضاف إلى صرحه بقيد الأثر العلمي حيث تعين الناظر في الخطاب الشرعي على استنباط الأحكام الشرعية من مداركها، لأنه «ينبغي أن يبدأ التجديد من حيث انتهى الأقدمون وهذا بالضبط ما فعله الامام الشاطبي حيث عمل على تجديد أصول الفقه من الداخل دون أن يخرج عن المنهج العام الذي وضعه علماء الأصول فاستقام له بذلك توسيع دائرة المنهج الأصولي من خلال التركيز على مسائل في علم الأصول أغفلها المتقدمون، أو ألمحوا إليها ولم يفصل القول فيها، فكان الشاطبي يثبتها أولا ويثبت أنها جارية على وفق المنهج الأصولي ببيان أنها قطعية ثم يؤصلها من كلام المتقدمين من علماء الأصول»⁽¹⁶⁾.

ب- **مطلب تخيلية:** أي: تخيلية علم أصول الفقه من الأمور الدخيلة عليه وليس بينها وبينه وشيجة اتصال في معرفة أو منهج؛ لتجنبها في مسار التحصيل الدراسي، وهذا الأخير محط نظر دعاة التجديد في مضامين العلم.

ومستند دعاة تجديد الدرس الأصولي بمعنى الحذف والتخيلية من بعض المباحث الاصولية مقولات في التراث الاصولي لبعض العلماء الراسخين الذين فهموا العلم فهما دقيقا، وانتقدوا بعض مسائل الاستمداد تحت طائلة انعدام الوظيفة في الدرس الأصولي، فتلقفها بعض المعاصرين وأجروها اطرادا في مقام دعوى تجديد الدرس الأصولي من غير تحليل لورودها، أو نظر إلى سياق إنتاجها.

وموجب تجديد النظر في المتن الأصولي في سياق التدريس التمييز بين ما هو من ضرورات العلم التي يتوقف عليها تصور مسأله، واستيعاب أبحاثه المعرفية، وما هو من قبيل رياضات العلم المفيدة لطالب العلم في الارتياض وتمهير العقول، وتربيته على تحصيل ملكات العلم، مثل ملكة الحجاج، والترجيح، والتعليل، كما قال صاحب الروضة: «واعلم أن البحث عن أن العموم من عوارض الألفاظ أو المعاني هو من رياضات هذا العلم لا من ضرورياته، حتى لو ترك لم يخل بفائدة، ولهذا كثير من الأصوليين لا يذكره»⁽¹⁷⁾.

إن نقد المفاهيم الأصولية المستمدة من علم آخر، أو قضايا منهجية مارسها الأصوليون في مقامات وسياقات أصولية مختلفة يستوجب النظر إليها مراعاة اعتبارات متعددة، ومراحل مختلفة في البحث والتلقي للعلم، فبعض المسائل التي قد تكون مغبة في بداية الطلب قد تكون محمودة العاقبة، بالغة الأثر في صناعة التفكير المنهجي في نهايته لدى الدارسين له.

ومن مظاهر التجديد في المتن الأصولي تربويا إشكالية ترتيب مباحث العلم، وتنسيق فصوله، وعطف بعضها على بعض وفق ما يجمعها من تناسب وتناظر، فهي مسألة علمية ذات طابع منهجي تتسم بالنسبية في جريانها داخل بنية علم أصول الفقه، ودليل ذلك اختلاف الترتيب لمباحث العلم وفصوله في المؤلفات الأصولية.

(16) الاجتهاد الاصولي دراسة في المفهوم والمنهج، محمد بن أحمد بن سيد أوبك، ص: 304-305، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1433هـ/ 2012م.

(17) شرح الروضة، نجم الدين الطوفي، ج2، ص: 455، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1408 هـ/ 1988م.

وينبغي أن يكون التجديد فيها منبثقا من صلب الفعل البيداغوجي بأن يلتزم المجدد الأصولي في تدريس العلم بمراعاة أوجه التناسب والترابط بين مختلف المباحث، ويبحث عن علل تركيب بعضها مع بعض، ودواعي تقديم هذا المبحث، وتأخير مبحث آخر عليه؛ لكون ذلك أجدى وأنفع للعقل في ضبط مسائل العلم، وتيسير تذكرها واستحضارها عند الحاجة إليها.

المبحث الثاني: مرجعيات النظر في التجديد التربوي للدرس الأصولي:

إن الرجوع إلى التراث الأصولي ضرورة علمية في سياق التجديد التربوي، لكن التساؤل الذي يرد على الذهن، هل يمكن الاكتفاء بالتراث الأصولي، أم بات من الواجب الاستعانة بالخبرة التربوية المعاصرة؟

المطلب الأول: مرجعية التراث الأصولي؛ وضرورته التربوية:

أولا: مفهوم التراث الأصولي: أقصد بالتراث الأصولي في سياق البحث: «ما أنتجه علماء أصول الفقه من قواعد علمية ونصوص تربوية في موارد مختلفة من المؤلفات الأصولية تعين على تصور كيفية تلقي علم أصول الفقه وتدرسه وفق منهجية تحقق وظيفته العلمية».

وما دام التراث الأصولي فكرا بشريا مستندا إلى نصوص الوحي الإلهي فإنه فكر متطور عبر التاريخ، ومتصف بالامتداد زمانا ومكانا وموضوعا؛ لذا فإن تجديد النظر التربوي الأصولي يقتضي البحث في التفكير والفكر، أي: ملاحظة حركة العقل الأصولي وتفاعله المنهجي مع الأصول التي يستلهم منها بناء مرجعيته وقواعده.

ثانيا: ضرورة البحث في التراث الأصولي:

إن أولى خطوات تنزيل معنى التجديد التربوي في الدرس الأصولي التنقيب في التراث التربوي الإسلامي عموما، والتراث الأصولي خصوصا واستنطاق نصوصه؛ لاستجلاء معالم فن التدريس تأصيلا وممارسة؛ وإن كانت الممارسة التربوية الأصولية تدخل في نطاق المضمهر المسكوت عنه، فإن بنية العلم ومناهج التفكير الأصولي والبحث فيه تنبئ عنها من سبب+أر أغوار العلم، واستبصر قواعده؛ لأن النظر التربوي تفكير إستمولوجي ينطلق من خصائص تلك المعرفة المدرسة، وطبيعتها، ومقاصد ذلك العلم ومرتبته بين العلوم، وفلسفته.

فالتجديد بحث في التاريخ ليس لذات البحث، وإنما بحث متبصر من أجل الأعمال والإهمال في الوقت ذاته، أعمال للعناصر الحيوية القابلة للنماء من أجل الارتقاء، وإهمال لما كان نفعه محدودا بسياق تاريخي، ولم يعد مناسبا لواقعنا التربوي الحالي.

المطلب الثاني: علاقة التأليف بالممارسة التربوية:

نفي الترابط بين مناهج التأليف ومناهج التدريس لا تحتاج إلى إقامة برهان على ذلك وفق مقتضى المذهب الأصولي القائل إنه «ليس على الناظر دليل»، لكن القول بأن هناك علاقة بين المنهجين هي دعوى تحتاج إلى بيينة ودليل، فما الأدلة على ذلك؟

بعض الأدلة ينجلي من خلال الرجوع إلى التراث حيث نجد مقولات متناثرة في الخطاب الأصولي تبين بواعث التأليف التي ارتبطت بأسباب تربوية دار معظمها حول طلبات المتعلمين لا اختصار متن أصولي أو بسط معانيه وتحقيقتها وتحريرها، أو شرح غوامضه، كما بين الإمام الغزالي رحمه الله حيث قال: «ثم ساقني قدره تعالى إلى معاودة التدريس والإفادة، فاقترح

علي طائفة من محصلي علم الفقه تصنيفاً في «أصول الفقه» أصرف العناية فيه إلى التلفيق بين الترتيب والتحقيق، وإلى التوسط بين الإخلال والإملا، على وجه يقع في الحجم دون كتاب «تهذيب الأصول» لميله إلى الاستقصاء والاستكثار، وفوق كتاب «المنحول» لميله إلى الإيجاز والاختصار، فأجبتهم إلى ذلك مستعينا بالله، وجمعت فيه بين الترتيب والتحقيق، الترتيب للحفظ، والتحقيق لفهم المعاني، فلا مندوحة لأحدهما عن الثاني⁽¹⁸⁾.

وإجابة الإمام الغزالي رحمه الله لطلب تلك الطائفة من محصلي علم «أصول الفقه» لم تخل من مراعاة مبادئ التعلم، وقواعد التحصيل العلمي، حيث ركز على أهم المراقي العقلية في بداية العلم، وهما الحفظ والفهم، فناسب الأول أن يبدع في الترتيب، ووافق الثاني أن يمعن النظر في التحقيق؛ فالعقل أكثر تذكراً واسترجاعاً للمسائل ما روعي فيها الترتيب الناظم لمنفردات المسائل في سلك يجمعها، فالتحقيق مرقاة الفهم، والترتيب مظنة الاسترجاع والتذكر. ومما يتأكد إيراده في هذا المقام حديث ابن خلدون عن علاقة التأليف بالتحصيل العلمي حيث انتقد أولاً التعليم القائم على كثرة التأليف، وانتقد ثانياً نقيضه القائم على الاختصارات.

وانتقاد ابن خلدون لكثرة التأليف ليس لذات الكثرة، ولكن ذلك راجع إلى كون الاختصار طريقة في التعليم حيث كان الطالب يلزم بحفظ تلك المؤلفات في فن من الفنون من أجل الحصول على أهلية التدريس، وذلك لأنها جارية على نمط واحد من حيث وحدة الموضوع، ففي نظره تعتبر عائقاً عن التحصيل، ويقرر «أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته، كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعاليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك، وحينئذ يسلم له منصب التحصيل، فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها، ومراعاة طرقها، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها، فيقع القصور - ولا بد - دون رتبة التحصيل»⁽¹⁹⁾.

وذاك الترابط الشديد بين المنهجين تصنيفاً وتديساً هو الذي جعل الشيخ الطاهر ابن عاشور يؤكد على إصلاح التأليف، والخروج به من ريقه التقليد إلى سعة التجديد الذي يأخذ بمقتضيات العصر، ويراعي تلاؤم الزمن وخصائص الأجيال، ويعتبر إصلاح التأليف أمراً أكد من تأهيل المعلمين؛ لأنه: «إذا كنا نرتقب من إصلاح التعليم إصلاح المعلمين وطرق اختبارهم، فإن التأليف - وهي المعلم الأول للتلميذ، والمذكر والمرشد للمدرس - أجدراً بأن تعطى لفتة من الإصلاح؛ إذ هي الفاعل القوي في نفس التلميذ، وعلى مرتبتها تكون نفوس التلامذة... أملت العلوم منا إصلاحاً لها، فنظرت إلينا نظير الأسير لفاديه، والمظلوم لناصره، وإصلاح التأليف هو الخطوة الأولى، بل هو نصف المسافة من إصلاح العلوم، فما العلوم إلا معاني التأليف، وإنها لا ترجو تقدماً ما دامت محبوبسة في تأليفها القديمة التي وقفت بها عند القديم منذ ستمائة سنة... لو كان الناس أحسنوا اختيار التأليف، ونظروا في عوائق التحصيل، فاستدركوا ناقصاً، وأصلحوا مختلاً، لما كان التلميذ يقرأ النحو طول زمانه وهو عاجز عن التكلم بكلام معرب، ولا كان يقرأ الأصول وهو يوم يختم «المحلى» لا يحسن ترجيح حكم، بله استنباط حكم»⁽²⁰⁾.

وغايات التدريس جزء من عبقرية التأليف العربي؛ وذلك لأن: «وظيفة الحفظ تتحقق

(18) المستصفي، الغزالي، ص: 4.

(19) المقدمة، ابن خلدون، ج 1، ص: 727.

(20) أليس الصبح بقریب، الطاهر بن عاشور، ص: 138-141، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مؤسسة سحنون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1427هـ / 2006م.

في أشكال المختصرات والمنظومات، ووظيفة التغطية في الذبول والصلوات، والتصحيح وتكملة النقص في الاستدراك، والفهم في الشروح والحواشي والتعليقات، والسيطرة على النص في التهذيب، والجدل والمناقشة والمعارك الفكرية في الردود والمحاکمات، ومفاتيح الاسترجاع من النصوص في الأطراف والكشافات، وتنمية النصوص واستثمارها في البناء على النص⁽²¹⁾.

إن اختلاف مناهج التأليف دليل على اختلاف الوظائف العلمية والتربوية التي يصبو المؤلف إلى تحقيقها، فالمختصرات لتحقيق مقام حفظ العلوم؛ والشروح والحواشي لتحقيق مقام الفهم، عند استعصاء المعاني تحت غطاء المباني بعد اختصارها، أو عمق اللغة الواصفة لها عند طول العهد، وقدم الزمان، وضعف همم الطلبة والدارسين للعلم.

المطلب الثالث: الخبرة التربوية الأصولية المعاصرة:

يعرف الدكتور فتحي ملكاوي الخبرة في السياق التربوي بأنها عبارة عن «المعرفة التي يكتسب الفرد أو المجتمع خبرها، فيصبح موضوعها معروفا على الحقيقة، وهي ناتجة عن التعامل المباشر مع الأشياء والأحداث والأشخاص، وما يكون فيها من تجربة عملية يتحدد في ضوئها سلوك الفرد أو المجتمع، فالخبرة فكرة، أو معرفة نظرية، أو سلوك عملي⁽²²⁾».

بناء على هذا التعريف يمكن تناول الخبرة التربوية من مناح ثلاثة:

أولاً: الخبرة التربوية الأصولية العملية: أعني بها مجمل التجارب العملية في تدريس علم أصول الفقه بمختلف المؤسسات والمعاهد الشرعية في وقتنا المعاصر، وما ينتج عن هذه الممارسة من مبادئ نظرية يمكن استنباطها بواسطة توظيف آليات البحث التربوي المعاصر من استبيان أو مقابلات علمية.

إن الممارسة التربوية المعاصرة للدرس الأصولي وخصوصاً في التعليم الجامعي شأنها شأن كل عمل بشري، ومحاولة تجديد النظر في منهج تدريس علم أصول الفقه لا ينقص من قيمتها بقدر ما يبحث عن عناصر الائتلاف ونظمها في سلك التأسيس والتنظير للعمل التربوي للدرس الأصولي، فهي تبقى جهدا إنسانيا لها من المحاسن التربوية ما يتعين صوغه في قواعد تربوية ترشد العمل التربوي، وعليها من المؤاخذات والنقائص ما يتطلب الشأن التربوي نقده وتقويمه؛ لتجويد تدريسية علم أصول الفقه.

ثانياً: الخبرة التربوية التنظيرية: وأقصد بها مرجعية علوم التربية المعاصرة وانتقاء ما يتناسب منها مع خصوصيات الدرس الأصولي، وإن كانت محاولة تجديد النظر في منهجية تدريس علم أصول الفقه تهدف إلى التأسيس التربوي والخروج من دوامة الاستغراب التربوي الذي يأخذ من نتائج علوم التربية المعاصرة ما أنتجه الغرب دون تبينها وتقريبها إلى المجال التداولي لعلوم الوحي، أما الأخذ من تلك العلوم الوافدة علينا من بيئات أخرى لا تقويم لعلوم الوحي وزنا في نظامها الفكري والتربوي مع التحفظ والنقد والتبصر لانتقاء ما يكون نافعا منها فلا ضير، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، «وتتضمن الخبرة التربوية المعاصرة مجمل الفلسفات والنظم والمبادئ التربوية التي تشيع في معظم بلدان العالم اليوم، والممارسات التي تقوم عليها، فبالرغم من الاختلافات الكثيرة في الفلسفات والممارسات التربوية التي

(21) عبقرية التأليف العربي، د. كمال عرفات نيهان، ص: 24-25، الوعي الإسلامي، الإصدار المائة، 1436هـ/2015م.

(22) الفكر التربوي المعاصر، مفاهيمه ومصادره وخصائصه وسبل إصلاحه، حسن فتحي ملكاوي، ص: 276-277، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنندن – فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى: 1442هـ/2020م.

نشدها في دول العالم اليوم، فإن العناصر المشتركة ربما تكون أكثر أهمية من صور الاختلاف وأعمق أثرا في التعبير عن الحالة التربوية في العالم⁽²³⁾.

ومن صميم الخبرة الأصولية التنظيرية المعاصرة الاجتهاد (بذل الطاقة البحثية) والبحث عبر تقنية تحليل لمضمون في الوثائق التربوية التي عنيت بالدرس الأصولي من حيث بناء وحدات تدرسيه وأشكال الاشتغال بها تربويا، كالملفات الوصفية الجامعية لشعبة الدراسات الإسلامية.

وخلاصة القول: إن تجديد الدرس الأصولي المعاصر المنشود تجديد النظر في منهجية تدريس مباحثه تدريسا يبعث هذا العلم من مرقد الركود، ويرسخ ملكات الفهم والاستدلال والمقارنة والترجيح والتعليل والاستنباط في نفوس الباحثين والدارسين، وليس التجديد بهذه الشاكلة ترفا فكريا، بل هو ضرورة علمية واقتضاء تربوي يستمد مسوغاته من الواقع التربوي للدرس الأصولي المعاصر حيث بات الدرس الشرعي عموما والأصولي خصوصا مجرد معارف يتلقاها طالب العلم في الحجرات الدراسية دون أي أثر لها في بنية ذهنه منهاجا وسلوكا.

ومن مجاري تجديد النظر في تجويد المنهج التربوي للدرس الأصولي إحياء مقاصد العلم والإبداع في طرائق تدريس مسائله، وذلك وفق معايير تضبط المادة العلمية وتفرق بين مقام التدريس ومقام التأليف، فتحدد من المعرفة ما يسهم في بناء تفكير منهجي، وإحياء النفس بالإيمان والأخلاق، ويحقق وظيفة العلم، فينعكس أثره حضاريا على الإنسان الضرد والمجتمع.

المصادر والمراجع:

- الاجتهاد الاصولي دراسة في المفهوم والمنهج، محمد بن أحمد بن سيد أوبك، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1433هـ / 2012م.
- إشكالية تجديد أصول الفقه، أبو يعرب المرزوقي، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى: 1426- 2006م.
- أليس الصبح بقريب، الطاهر بن عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مؤسسة سحنون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1427هـ / 2006م.
- بيان المختصر، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني، تحقيق: محمد مظهر بقا، الناشر: دار المدني- السعودية، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م.
- تجديد علم اصول الفقه مولود السريري، منشورات دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1426هـ / 2005م.
- تربية ملكة الاجتهاد من خلال بداية المجتهد، محمد أوشريف بولوز، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى: 1433 هـ - 2012م.
- شرح الروضة، نجم الدين الطويي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1408 هـ / 1988م.
- عبقرية التأليف العربي، د. كمال عرفات نبهان، 25، الوعي الإسلامي، الإصدار المائة، 1436هـ/ 2015م.

(23) الفكر التربوي المعاصر، مفاهيمه ومصادره وخصائصه وسبل إصلاحه، فتي ملكاري، ص: 277.

- الفكر التربوي المعاصر، مفاهيمه ومصادره وخصائصه وسبل إصلاحه، حسن فتحي ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنندن - فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى: 1442هـ/ 2020م.
- قضية تجديد أصول الفقه، علي جمعة، دار الهدية، 1414 هـ - 1993م.
- المستصفي في أصول الفقه، الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1993م.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425 هـ - 2004 م
- المنقذ من الضلال، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ص126، الناشر: دار الكتب الحديثة، مصر.
- منهاج الوصول إلى علم الأصول، ناصر الدين بن عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى: 1429 هـ - 2008م.
- منهاج تدريس الفقه، مصطفى صادق، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى: 1433 هـ - 2012م.
- نظرة نقدية في الدراسات الأصولية المعاصرة، محمد الدسوقي، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، يونيو 2004.

تطوير نظام إعداد معلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في كليات التربية الليبية استناداً إلى التجربة الفنلندية (دراسة مقارنة)

أ/ عائشة صالح آدم حمد

كلية التربية / القبة - جامعة درنة

القبول: 19.10.2024

الاستلام: 23.9.2024

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى تطوير نظام إعداد معلمي المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في كليات التربية الليبية استناداً إلى التجربة الفنلندية واستخدمت الدراسة المنهج التحليلي المقارن وتوصلت إلى عدة توصيات أساسية من أبرز هذه التوصيات رفع معايير قبول الطلاب في كليات التربية الليبية لضمان قبول ذوي المهارات والكفاءات العالية فقط، كما أوصت بإضافة مهارة التعليم الذاتي إلى الجانب المهني من الإعداد كمهارة أساسية يجب على الطالب/ المعلم للمرحلة الأولى إتقانها بسبب أهميتها في عصر يتسم بالتغيرات السريعة، وتركز التوصيات أيضاً على تزويد معلمي المرحلة الأولى من التعليم الأساسي بالمهارات البحثية التي تمكنهم من متابعة أحدث التطورات العلمية.

الكلمات المفتاحية: نظام إعداد معلم- التعليم الأساسي- إعداد معلم- التجربة الفنلندية

Abstract:

The study aims to develop a system for preparing teachers of the first stage of basic education in Libyan colleges of education based on the Finnish experience. The study used the comparative analytical approach and reached several basic recommendations, the most prominent of which is raising the standards for accepting students in Libyan colleges of education to ensure that only those with high skills and competencies are accepted. It also recommended adding the skill of self-education to the professional aspect of preparation as a basic skill that the student/teacher of the first stage must master due to its importance in an era characterized by rapid changes. The recommendations also focus on providing teachers of the first stage of basic education with research skills that enable them to follow the latest scientific developments.

Keywords: Teacher preparation system- basic education - Teacher preparation - Finnish experience.

المقدمة:

تركز أنظمة التعليم في العديد من البلدان على تحسين الأداء وزيادة فعاليته لتحسين الإنتاج التعليمي بصفة استراتيجية لإصلاح نظم التعليم، وبما أن التعليم هو المجال الرئيس الذي يمكن الناس من تغيير جوانب حياتهم واستثمار عقولهم وبناء القيم من أجل تحقيق

التنمية المستدامة، فهو مفتاح مواجهة التحديات العالمية في عصرنا الحالي والسبيل لتغيير مستقبل أي بلد، فهو يغير الحياة ويستثمر العقول ويبني القيم من أجل تحقيق التنمية الاجتماعية، إن برامج تدريب المعلمين تشبه وضع حجر الأساس لبناء لم يكتمل بعد، إنه مسعى يستمر مدى الحياة في عالم يتسم بالتغيير المستمر، يؤدي المعلمون دوراً حاسماً في نجاح النظم التعليمية، وبتزايد الاهتمام والطلب على تطوير هذه البرامج على المستويين الإقليمي والدولي على حد سواء، ومما لا شك أن نظام التعليم الليبي في حاجة ماسة إلى إعادة تقييم وتطوير وتحديث من أجل مواكبة التقنيات التعليمية الجديدة والثورة المعلوماتية، ما يتطلب معلمين متميزين تعتمد عليهم جودة التعليم وفاعليته، ويعد تدريبهم ركيزة أساسية في تطوير العملية التعليمية، ولذلك من الضروري التعرف على برامج تدريب وتأهيل معلمين المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في كليات التربية، وتحديد نقاط القوة فيها وبذل الجهود للاستفادة منها، وتحديد نقاط الضعف والقصور فيها وتحسينها وتطويرها، وبذل الجهود للحد من آثارها السلبية، والاستفادة من تجارب الدول المتقدمة في مجال التربية والتعليم واقتباسها من الضروري والاستفادة منها، والتعرف على مناطق القصور والضعف لتحسينها وتطويرها للحد من آثارها السلبية، كما ينبغي الاستفادة من خبرات الدول المتقدمة في المجال التعليمي، والعمل على مواكبة التحديثات السريعة في هذا المجال، للوصول إلى معلم كفاء قادر على مجاراة التطور التقني والمعلوماتية السريعة.

ثانياً: مشكلة الدراسة:

عدّ كليات التربية من المؤسسات الجامعية الأكثر ارتباطاً بمستقبل المجتمع، حيث تتحمل مسؤولية إعداد معلمي المرحلة الأولى من التعليم الأساسي الذي يعد العنصر الأساسي في العملية التعليمية والعامل الرئيس الذي يؤثر على نجاح المؤسسة التعليمية في تحقيق أهدافها والمساهمة في تطوير المجتمع، حيث أن إعداد المعلم بكليات التربية بالجامعات الليبية يعاني من بعض القصور والتي تتمثل في التركيز على الحفظ والتلقين بدلاً من بناء مهارات التفكير النقدي والإبداعي، وقلة الاهتمام بالتدريب العملي الميداني الفعال، ونقص برامج التطوير المهني المستمر للمعلمين بعد التخرج، فالتجربة الفنلندية تقدم نموذجاً يركز على الجوانب العلمية والتدريب المستمر، مما يمكن أن يكون مصدر إلهام لتحسين إعداد المعلمين في ليبيا، حيث تقوم على التوازن بين الجوانب النظرية والتطبيقية في برامج إعداد المعلمين، حيث يمكن تبني هذا النهج في ليبيا، حيث تعاني كليات التربية من ضعف في ربط المعرفة الأكاديمية للتطبيقات العملية في المدارس، فاختيار التجربة الفنلندية للمقارنة يأتي من الحاجة الماسة لتحسين جودة إعداد المعلمين في ليبيا بما يتماشى مع المعايير العالمية، وبناءً على ذلك تحددت مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس التالي: كيف يمكن تطوير برامج إعداد معلمين المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في كليات التربية الليبية استناداً إلى التجربة الفنلندية؟ ويتفرع من هذا التساؤل الرئيس عدة تساؤلات فرعية كالتالي:

1. ما واقع نظام إعداد المعلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في ليبيا؟
2. ما واقع نظام إعداد المعلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في فنلندا؟
3. ما أوجه الشبه والاختلاف بين نظام إعداد المعلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في ليبيا وفنلندا؟

4. ما التوصيات التي يمكن الاستفادة منها في تطوير برامج إعداد المعلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في كليات التربية الليبية استناداً لتجربة دولة المقارنة؟

ثالثاً: أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية موضوع الدراسة في الدور الحيوي الذي يلعبه المعلم في إعداد الكوادر البشرية المؤهلة، بالإضافة إلى الحاجة الملحة لإعادة تقييم برامج إعداد معلمي المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في كليات التربية لتواكب مستجدات العصر وتلبي متطلبات التنمية المجتمعية ويمكن تلخيص الأهداف الرئيسية للدراسة في النقاط التالية:

1. تعزيز الجانب النظري انطلاقاً من تحليل ودراسة واقع برامج إعداد وتدريب معلمين المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في كليات التربية بالجامعات الليبية، مع التركيز على الأساليب وطرق التدريس العملي.

2. الكشف عن نقاط القوة والضعف في برامج إعداد المعلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي، والعمل على تجاوز العقبات التي تعيق تطوير هذه البرامج.

3. الاستفادة من تجارب الدول المتقدمة في مجال التعليم والتربية لتطوير برامج إعداد معلمي المرحلة الأولى من التعليم الأساسي.

4. يمكن أن يستفيد من هذه الدراسة أساتذة كليات التربية، والمسؤولون عن وضع السياسات التعليمية، وصناع القرار التربوي، مما يساهم في تحسين وتطوير العملية التعليمية وبرامج إعداد معلمي المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في الجامعات الليبية.

رابعاً: أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تطوير إعداد المعلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في كليات التربية الليبية استناداً إلى التجربة الفنلندية بواسطة ما يلي:

1. التعرف على واقع برامج إعداد معلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في ليبيا.
2. التعرف على واقع برامج إعداد معلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في فنلندا.
3. تحديد أوجه الشبه والاختلاف في برامج إعداد معلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في ليبيا وفنلندا.
4. تحديد الإجراءات المقترحة لتطوير إعداد معلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في كليات التربية الليبية استناداً لتجربة دولة المقارنة.

خامساً: منهج الدراسة:

تم الاعتماد على المنهج المقارن الذي عدّ من أبرز مناهج البحث، حيث يهدف إلى دراسة أسباب حدوث بعض الظواهر بواسطة إجراء مقارنات مع ظواهر مشابهة، ويهدف هذا المنهج إلى التعرف على العوامل التي تؤدي إلى ظهور هذه الظواهر، مما يساهم في تعميق الفهم حول أسبابها.

سادساً: حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: التعرف على أنظمة وبرامج إعداد معلمي المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في دولة المقارنة المذكورة.

الحدود المكانية، تعتمد الدراسة الحالية على خبرة فنلندا بصفة دولة مقارنة باعتبارها من الدول الرائدة في مجال برامج إعداد معلمي المرحلة الأولى من التعليم الأساسي.

سابعاً: مصطلحات الدراسة:

• النظام system:

عرف قاموس أكسفورد النظام بأنه تنظيم أو تصميم يتكون من مجموعة من العناصر أو الوحدات المترابطة التي تتفاعل لتحقيق هدف عام واحد أو عدة أهداف محددة⁽¹⁾.

• الإعداد Preparation:

يُعرّف الإعداد بأنه العملية أو العمل الذي يُعدّ الفرد لممارسة عمل معين أو لتحقيق هدف محدد⁽²⁾.

• مرحلة التعليم الأساسي: هي المرحلة الأولى من نظام التعليم الرسمي، وتشمل غالباً الصفوف الدراسية التي تبدأ من رياض الأطفال أو الصف الأول الابتدائي حتى نهاية المرحلة الإعدادية، تعد هذه المرحلة إلزامية في العديد من الدول، وتركز على تزويد الطلاب بالمهارات الأساسية مثل القراءة والكتابة والحساب، بالإضافة إلى تكوين الأسس القيمية، الاجتماعية، والثقافية⁽³⁾.

• مرحلة التعليم الأساسي في دولة فنلندا : يعرف باسم «Comprehensive School» ويشمل الطلاب من سن (7 إلى 16 عاماً (الصفوف من الأول إلى التاسع)، ويستمر حتى 15-16 عاماً، يشمل هذا التعليم قبل الابتدائي (الذي يعد إلزامياً للأطفال في سن 6 سنوات) بالإضافة إلى التعليم الابتدائي (الصفوف 1-6)⁽⁴⁾.

• إعداد المعلم noitaraperp rehcaeT:

يُعرف إعداد المعلم بأنه التدريب المهني والتربوي الذي يساهم في تطوير المعلم بعد حصوله على الشهادة الثانوية. ويتضمن برامج إعداد المعلم دراسة مواد أكاديمية متعددة بالإضافة إلى المقررات التربوية وممارسة التدريس تحت إشراف معلمين مختصين⁽⁵⁾.

ثامناً: الدراسات السابقة:

وقد تناولت العديد من الدراسات نظام إعداد المعلم في ليبيا فعلى سبيل المثال:

هدفت دراسة « رباب محمد العساف، نوال نفاع السايير⁽⁶⁾هدفت الدراسة إلى التعرف على نظام إعداد المعلم في دولة هونج كونج، ودولة فنلندا، ثم التوصل إلى استخلاص أوجه التشابه والاختلاف بين نظم إعداد المعلم في دولتي هونج كونج وفنلندا وأخيراً اقتراح آليات لتطوير

(1) Shafritz M. Jay and Others, Dictionary of Education –Facts and File, New York , Oxford, 1998 , P46.

(2) Dkillustrated Oxford Dictionary. New York Dkpublishing, Inc , 1998, p4.

(3) محمد على يونس الناكوع، إصلاح نظام التعليم الأساسي في ليبيا كضرورة مجتمعية، المؤتمر العلمي العربي السادس: التعليم .. وأفاق ما بعد ثورات الربيع العربي، الجمعية المصرية لأصول التربية وكلية التربية، جامعة بنها، مصر، يوليو 2013م، ص 889-925.

(4) الوكالة الوطنية الفنلندية للتعليم (EDUFI)، التعليم الابتدائي والثانوي الأدنى في فنلندا، 2022م، ص 1.

(5) عبد الفتاح الغولي، موسوعة البحث التربوي، دار الخبرة والتدريب، القاهرة، 2000م، ص 498.

(6) رباب محمد العساف، نوال نفاع السايير، دراسة مقارنة لنظام إعداد المعلم في كل من هونج كونج وفنلندا وإمكان الإفادة منها في المملكة العربية السعودية، مجلة التربية، كلية التربية جامعة سوهاج، العدد 122- ج3- يونيو 2024م، ص 870.

نظام إعداد المعلم في ضوء هاتين التجريبتين، وقد تم استخدام المنهج المقارن وتحديدًا مدخل جورج بريدي، G. Bereday، في الدراسات التربوية المقارنة، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من الآليات منها: ضرورة تبني معايير صارمة في اختيار وانتقاء أفضل المرشحين لالتحاق بمؤسسات إعداد المعلمين وذلك في ضوء المعايير العلمية والتربوية والنفسية، التركيز على تنمية المهارات البحثية والرقمية للطالب المعلم، وتشجيعه لتنمية مهاراته المهنية والعلمية ذاتيا، من خلال حضور الندوات والمؤتمرات والتبادل العلمي مع نظرائه لمواكبة المستجدات التربوية.

هدفت دراسة «منى سالم العوجزي 2023م⁽⁷⁾» إلى وضع تصور مقترح لتطوير برامج إعداد المعلم بكلية التربية في الجامعات الليبية في ضوء خبرات بعض الدول المتقدمة في المجال التربوي والتعليمي، الولايات المتحدة الأمريكية، اليابان، ماليزيا، والاستفادة من خبراتها في مجال تطوير برامج إعداد وتدريب المعلم بكلية التربية حيث استخدمت المنهج المقارن والوصفي التحليلي، وهدفت إلى تحسين تكوين المعلم وإعداده، وتزويده بالمعارف والمهارات والخبرات اللازمة لأداء مهامه الوظيفية بما يساير متطلبات التنمية المجتمعية، يتم ذلك بواسطة دراسة نوعية برامج إعداد المعلم في الدول المتقدمة في المجال التربوي والتعليمي، بالإضافة إلى تحليل واقع برامج إعداد المعلم في الجامعات الليبية من حيث الأساليب والاستراتيجيات المستخدمة والتدريب العملي، وبناءً على ذلك، سيتم تقديم تصور مقترح لتطوير برامج إعداد وتكوين المعلم في الجامعات الليبية، مستنداً إلى خبرات الدول المقارنة يتضمن هذا الاقتراح مبادئ عامة وأهدافاً وبنية استراتيجية تهدف إلى تحسين وتطوير الأساليب المتبعة لإعداد معلم كفاء قادر على العطاء والبناء، كما يجب أن يكون برنامج الإعداد معترفاً به دولياً ومعتمداً من هيئات دولية، بحيث يمنح المعلم شهادة ورخصة دولية لمزاولة المهنة.

وهدفت الدراسة «نادية عبيد هلال أبو زاهرة وآخرون 2022م⁽⁸⁾» إلى تطوير إعداد المعلم في المملكة العربية السعودية في ضوء خبرات دول المقارنة الولايات المتحدة الأمريكية وماليزيا وسنغافورة وفنلندا في برامج إعداد المعلمين فيها، واستخدمت الدراسة منهج التحليل المقارن، توصلت الدراسة إلى عدة توصيات رئيسية، منها: ضرورة العمل على تطوير الأهداف والمحتوى وخطط برامج إعداد المعلم في المملكة العربية السعودية، مع التأكيد على أهمية التكامل والتنسيق بين الجوانب الثلاثة لبرنامج إعداد المعلم، وهي الأكاديمية والثقافية والمهنية، كما يوصى بإنشاء برامج تدريبية فعالة تهدف إلى تنمية وتطوير أداء المعلم، مع التركيز على التعليم الإلكتروني، فضلاً عن ذلك، يجب إيلاء اهتمام خاص للجوانب العملية والتطبيقية في برامج إعداد المعلم، وزيادة التركيز عليها بالتوازي مع الجانب النظري. وأخيراً، يُستحسن مراجعة سياسة القبول في الكليات التربوية بما يساير سياسات الدول المقارنة والاستفادة منها.

دراسة «حميدة التهامي اندش 2019م⁽⁹⁾» التي هدفت إلى الوقوف على ملامح الأساسية لنظام إعداد معلم مرحلة التعليم الأساسي في كل من ليبيا، وجمهورية مصر العربية وماليزيا

(7) منى سالم العوجزي، تصور مقترح لتطوير برامج إعداد المعلم بكلية التربية لجامعات الليبية في ضوء خبرات بعض الدول دراسة وصفية، مجلة كلية التربية - جامعة سرت المجلد (2) العدد (3) يناير 2023م.

(8) نادية عبيد هلال أبو زاهرة وآخرون، دراسة مقارنة بين إعداد المعلم في المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة واليابان وسنغافورة وفنلندا، مجلة العلوم التربوية والنفسية المجلد 6، العدد 30، 31 يوليو 2022م.

(9) حميدة التهامي اندش، دراسة مقارنة لنظام إعداد معلم مرحلة التعليم الأساسي بكل من ليبيا ومصر وماليزيا، مجلة كلية الآداب، المجلد 2019، العدد 13، جامعة مصراتة، 30-6-2019م.

في ضوء العوامل المجتمعية لكل منهم ومعرفة وجه الشبه والاختلاف ما بين نظام إعداد معلم مرحلة التعليم الأساسي في كل من ليبيا ودولتي المقارنة، واستخدمت الباحثة المنهج المقارن.

دراسة «فاطمة محمد منير 2019م⁽¹⁰⁾ تهدف الدراسة الحالية إلى دراسة وتحليل الخبرة الفنلندية في إعداد المعلم الباحث للتعرف على أهم جوانب التميز بها، وبحث إمكانية الاستفادة منها في تطوير برامج إعداد المعلم المصري، وقد اعتمدت على المنهج المقارن، وكما اعتمدت أيضاً على أسلوب دراسة الحالة وذلك لدراسة حالة إعداد المعلم الباحث في فنلندا، وتحقيق التحليل المتعمق لنظام إعداد المعلم الفنلندي في ضوء السياق الثقافي المؤثر في تطوره، وقد قامت الدراسة بوضع آليات مقترحة لإعداد المعلم الباحث في مصر في ضوء دراسة وتحليل الخبرة الفنلندية.

وأما دراسة ابتسام ناصر ابن هويلم وعبير مبارك العنادي (2015م)⁽¹¹⁾ بعنوان «تطوير نظام إعداد المعلم في المملكة العربية السعودية في ضوء تجربتي اليابان وفنلندا»، هدفت هذه الدراسة إلى استكشاف تجربة كل من فنلندا واليابان والاستفادة منها في تحسين نظام إعداد المعلم في المملكة العربية السعودية، اعتمدت الدراسة على المنهج المقارن، وتوصلت إلى أن نسب قبول الطلاب في المملكة مرتفعة مقارنة بالدول الأخرى، وذلك بسبب انخفاض معايير القبول، مما يؤثر سلباً على جودة المخرجات التعليمية، كما أظهرت النتائج ضعفاً في إكساب المعلمين المهارات والقدرات البحثية، وبناءً على ذلك أوصت الدراسة بضرورة رفع المعايير المعتمدة في المؤسسات التعليمية لقبول الطلاب، وتعزيز التركيز على تطوير القدرات البحثية وزيادة مستوى المعرفة بالمناهج البحثية لدى المعلمين.

وبينما هدفت دراسة فؤاد بن لافي بن مسفر الأحمدى (2018م)⁽¹²⁾، وصف وتحليل نظام التعليم في كل من فنلندا والإمارات العربية المتحدة، والجدور التاريخية لهذين النظامين، والتعرف على العوامل المؤثرة في نظام التعليم في كلا الدولتين، وعلى الأسس التي يقوم عليها، وبيان أوجه الشبه والاختلاف بين النظامين.

وهدفت الدراسة أيمن أحمد شيهوب وآخرون (2011م)⁽¹³⁾ التعرف على سياسة القبول للطلاب / المعلمين بكليات التربية في ليبيا، تمت دراسة باستخدام المنهج الوصفي التحليلي ومن بين التوصيات التي خرجت بها الدراسة، ضرورة اختيار وفرز المتقدمين للدراسة بناءً على معايير ودرجات تحصيلية محددة مسبقاً للقبول، وذلك وفقاً لدرجات الثانوية العامة، كما أوصت الدراسة بإجراء مقابلات شخصية مع المتقدمين، مع التأكيد على توزيع الدرجات التقويمية بين أعضاء اللجنة، كما تم التأكيد على ضرورة أن تتم عمليات القبول بواسطة لجان مختصة بالتسجيل مرتبطة بالتعليم العالي، وذلك لضمان توافق عمليات القبول مع احتياجات المجتمع لبعض التخصصات، وفقاً لخطط مدرسة يتضمن ذلك فتح أقسام لإعداد معلمين

(10) فاطمة محمد منير محمد للمعي، الخبرة الفنلندية في إعداد المعلم الباحث وإمكانية الاستفادة منها في مصر، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، كلية التربية جامعة حلوان، المجلد 25، العدد 1-12، ديسمبر 2019م، ص 221.

(11) ابتسام ناصر ابن هويلم وعبير مبارك العنادي، تطوير نظام إعداد المعلم في المملكة العربية السعودية في ضوء تجربتي اليابان وفنلندا، المجلة التربوية الدولية المتخصصة، دار سمات للدراسات والأبحاث- 4-2015م.

(12) فؤاد بن لافي بن مسفر الأحمدى، نظام التعليم في فنلندا والإمارات العربية المتحدة دراسة تحليلية مقارنة، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة أسبوط، المجلد الرابع والثلاثون- المجلد 34- العدد الثامن- أغسطس 2018م، ص 1.

(13) أيمن أحمد شيهوب وآخرون، سياسة قبول الطلاب بكليات التربية في ليبيا دراسة تقويمية، مجلة التربية الإسلامية والعربية، 3(1)، 2011م.

في التخصصات التي تحتاجها البلاد، وتجميد التخصصات التي اكتفت من المعلمين بشكل مؤقت حتى ظهور الحاجة، وأخيراً تم التأكيد على أهمية استيعاب الكليات للأعداد المقبولة فيها وفقاً لإمكاناتها، بما في ذلك قاعات الدراسة وأعضاء الهيئة التدريسية.

يتضح من خلال استعراض الدراسات السابقة ذات الاتصال المباشر وغير المباشر بالدراسة الحالية أن بعضها تناول نجد بأنه تنوعت مناهج البحث المستخدمة في الدراسات بين المنهج المقارن والمنهج الوصفي المسحي والتحليلي، ويتفق المنهج المستخدم في الدراسة الحالية مع معظم مناهج هذه الدراسات وهو المنهج المقارن، حيث تناولت بعض الدراسات وضع تصور مقترح لنظام إعداد المعلم كما في دراسة مني سالم، في حين تناولت دراسة التعرف على سياسة القبول المعلمين بكليات التربية بليبيا كما في دراسة أيمان أحمد، وكذلك تناولت بعض الدراسات تطوير إعداد المعلم في المملكة العربية السعودية في ضوء خبرات دول المقارنة ومن ضمن دول دولة فنلندا كما في دراسة كل من دراسة نادية عبيد وآخرون، وابتسام ناصر وعبير مبارك، وبينما تناولت دراسة نظام إعداد المعلم مرحلة التعليم الأساسي بكل من ليبيا ومصر وماليزيا كدراسة حميدة النهامي، وكذلك تناولت بعض الدراسات كدراسة مقارنة لنظام إعداد المعلم في كل من هونج كونج وفنلندا وإمكان الإفادة منها في المملكة العربية السعودية، ودراسة نظام التعليم في فنلندا والإمارات العربية المتحدة دراسة تحليلية مقارنة، ودراسة الخبرة الفنلندية في إعداد المعلم الباحث وإمكانية الإفادة منها في مصر، وكانت من ضمن الدول دولة فنلندا كما في دراسة كل من رباب محمد ونوال نفاع وفؤاد بن لافي، فاطمة محمد منير محمد للمعي، واتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في تناولها لبعض موضوعات بصفة دولة المقارنة وسياسة القبول في كليات التربية بليبيا وتناولها نظام إعداد المعلم كمرحلة متكاملة من التعليم الأساسي، وبينما تختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في تناولها تطوير نظام إعداد معلمين المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في كليات التربية الليبية استناداً إلى التجربة الفنلندية، وهذا ما لم تتناوله الدراسات السابقة، وفي المجمل استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في إعداد الإطار النظري للدراسة، وكما استفادت منها في تفسير نتائج الدراسة الحالية.

ثانياً: واقع برامج إعداد معلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في دولة ليبيا:

تقع ليبيا في وسط الساحل الشمالي لأفريقيا على البحر الأبيض المتوسط، وتمتد أراضيها الواسعة حتى مرتفعات شمال وسط القارة الإفريقية تحدها من الشرق مصر، ومن الجنوب السودان وتشاد والنيجر، ومن الغرب الجزائر وتونس، مما يجعلها جسراً مهماً يربط بين أفريقيا وأوروبا، وتشهد ليبيا تطوراً اجتماعياً واقتصادياً ملحوظاً في ظل التحولات العملية والتقنية التي تحدث على المستوى الدولي، وحيث يتم حالياً دراسة النظام التعليمي وتطويره بواسطة تحسين البنية التعليمية، وقد أصبح من الضروري إعداد المعلم الليبي بشكل يساير هذه التغيرات، حيث يجب أن يتحول دوره من مجرد ناقل للمعلومات إلى مفكر ومحلل للتحديات التي تواجه المجتمع الليبي في الحاضر والمستقبل⁽¹⁴⁾.

(14) على الحوات، معلم جديد لعصر جديد التعليم للمستقبل، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الوطني الثاني للتعليم في ليبيا طرابلس، مارس 2002م، ص 236.

مؤسسات إعداد معلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي :

عدّ معلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي العنصر الأساسي الذي يؤثر بشكل كبير في العملية التعليمية، ويتحمل مسؤولية كبيرة في نجاحها، إلا أن إعداد معلمي المدارس الابتدائية في كليات المعلمين في ليبيا يواجه العديد من التحديات والمشكلات، مما أدى إلى ضعف كفاءة الأداء المهني للخريجين وهو ما ينعكس سلباً على جودة التعليم، يعتمد مستوى إعداد وتدريب المعلمين المرحلة الأولى من التعليم الأساسي على نوعية وكفاءة مؤسسات الإعداد وقدرتها على تزويد المعلمين المتدربين بالمهارات اللازمة في البحث والتجريب، بالإضافة إلى مدى توافق برامج إعداد المعلم مع أهداف مناهج التعليم⁽¹⁵⁾، ويتم إعداد معلمي هذه المرحلة في كليات التربية التي تقبل الطلاب الحاصلين على الشهادة الثانوية العامة، سواء من القسم العلمي أو الأدبي، وفقاً لنسبة مئوية محددة وفق ضوابط التنسيق، وقد تم تحديث مصادر إعداد المعلم بعد إلغاء معاهد المعلمين والمعلمات بموجب القرار رقم [1049] عام 1995، وإنشاء معاهد عليا للإعداد، ومع صدور القرار رقم (200) عام 2004 بشأن إعادة تنظيم الجامعات في ليبيا، تم دمج هذه المعاهد ضمن الجامعات لتصبح كليات جامعية تخضع للقوانين التنظيمية المعمول بها في الجامعات.

نظام الإعداد:

يخضع الطالب في النظام الجامعي لدراسة المواد الأساسية ضمن الإعداد التكاملي، التي تشمل المواد التربوية لتأهيله لمهنة التدريس، بالإضافة إلى المقررات الثقافية، وتتم دراسة هذه المواد على مدى أربع سنوات في المقابل يُقبل خريجو كليات الآداب والعلوم وبعض التخصصات الأخرى في النمط المتابعي للتدريس، حيث يخضعون لدورات تدريبية قد لا تتجاوز الشهر، تهدف لتحسين كفاءتهم في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي بإكسابهم المعرفة والمهارات اللازمة، إلى جانب محاضرات تربوية ونفسية ومهنية تؤهلهم للتدريس، يمتد نظام الدراسة في كليات التربية لأربع سنوات مقسمة إلى فصلين دراسيين سنوياً، وبعدها يحصل الطالب على درجة الإجازة المتخصصة في الآداب والتربية أو العلوم وفق الحاجة، بشرط ألا تقل مدة الدراسة الفعلية عن ثمان أسابيع، يتلقى معلم المرحلة الأولى تدريباً مهنيًا وتعليميًا يساهم في تطوير مهاراته بعد نيل الشهادة الثانوية، ويتضمن برنامج إعداد المعلم دراسة مقررات أكاديمية متخصصة جنباً إلى جنب مع مقررات تربوية وثقافية، بالإضافة إلى التدريب العملي التي يتيح له ممارسة التدريس تحت إشراف أساتذة ومتخصصين في المجال التربوي⁽¹⁶⁾.

نظام قبول الطلاب:

عدّ سياسة القبول في كليات التربية بالجامعات الليبية غالباً عشوائية، حيث يتم توزيع الطلاب الحاصلين على شهادة إتمام المرحلة الثانوية على الجامعات المختلفة، بما في ذلك كليات التربية بواسطة مكاتب التنسيق، ولا توجد معايير محددة يتم على أساسها اختيار من سيتم تأهيله لمهنة التدريس، يُنتقد نظام القبول في كليات التربية لأنه يعتمد بشكل أساسي على مجموع الدرجات التي يحصل عليها الطالب في الثانوية العامة، بالإضافة إلى اجتياز اختبار

(15) جمال عبد النعم المنعم الكومي، إعداد المعلم بين الواقع والمأمول تنمية وتدريبه، مؤسسة حورس الدولية، 2010م، ص 155.
 (16) حميدة التهامي إندش دراسة مقارنة لنظام إعداد معلم مرحلة التعليم الأساسي بكل من ليبيا و مصر وماليزيا، مرجع سابق، ص 62-63.

الكشف الطبي أو ما يُعرف بالشهادة الصحية، والنجاح في المقابلة الشخصية، كما عد إجراء المقابلات الشخصية شكلياً، حيث يتم بطريقة روتينية وسريعة، مما لا يحقق الهدف منها في التأكد من استعداد الطالب لمزاولة مهنة التعليم، كما تفتقر هذه المقابلات إلى الموضوعية ولا تستند إلى أسس علمية واضحة⁽¹⁷⁾، ومن الملاحظ أن سياسة القبول في كليات التربية لا تعتمد على المعايير الدولية المتبعة في الجامعات، ولا تأخذ في الاعتبار الرغبة الحقيقية للطلاب واتجاهه نحو المهنة التي سيشغلها مستقبلاً، بالإضافة إلى احتياجات المجتمع وسوق العمل فضلاً عن القدرة الاستيعابية لهذه المؤسسات⁽¹⁸⁾.

برامج الإعداد:

يهدف برنامج إعداد معلمي المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في كليات إعداد المعلمين إلى الالتزام باللوائح والقوانين السارية في ليبيا، ويشمل هذا البرنامج التحضير العلمي والمهني للمعلم في كليات التربية، حيث يركز على (ثلاثة) جوانب رئيسية: الجانب الأكاديمي التخصصي، الجانب التربوي، والجانب المهني والثقافي، كما يختلف عدد الساعات الدراسية في الإعداد الأكاديمي والتخصصي بين الأقسام المختلفة⁽¹⁹⁾.

التربية العملية:

عدّ التربية العملية جوهر الإعداد التربوي، حيث توفر تدريباً عملياً على مهارات التدريس الفعلية وتساهم في تنمية مهارات الطالب/المعلم في إدارة الصف وتنفيذ العملية التعليمية والتفاعل المباشر مع الطلاب والمعلم المتعاون ومشرفيه، ومع ذلك فإن الجانب التطبيقي في إعداد معلم المرحلة الأولى لا يحظى بالاهتمام الكافي، وغالباً ما يكون الإشراف والتنظيم شكلياً، مما يفتقر إلى المعايير الموضوعية والأساليب المقتنة لتقييم أداء الطالب، وهذا يؤدي إلى نقص الخبرة الفعلية لدى الطالب المعلم، مما يؤثر على قدرته على أداء دوره بشكل صحيح.

نظام التقييم والاختبارات:

تتم عملية تقييم الطلاب في كليات التربية بواسطة إجراء امتحانات تحريرية في منتصف ونهاية الفصل الدراسي، حيث يتم جمع الدرجات التي يحصل عليها الطالب، عدّ الطالب ناجحاً إذا حصل على مجموع (50%) في كلاً الامتحانين، باستثناء التربية العملية، حيث يعتمد نجاح الطالب فيها على مجموع درجات المشرفين التربويين والمعلمين والموجهين التربويين ومدراء المدارس، وفقاً لبطاقة تقييم الطالب في التربية العملية، لكل طالب بطاقة خاصة به لكل مشرف على حدة وتُعطى الدرجة من (100)⁽²⁰⁾.

ثالثاً: واقع برامج إعداد معلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في دولة فنلندا:

عدّ فنلندا واحدة من دول أوروبا الإسكندنافية، وتقع في شمال القارة الأوروبية، حيث تحدها

(17) أيمن أحمد شيهوب وآخرون، سياسة قبول الطلاب بكليات التربية في ليبيا دراسة تقييمية، مجلة التربية الإسلامية والعربية، 3(1)، 2011م، ص 161.
 (18) هاشم عباس وآخرون، معايير اختيار وإعداد المعلمين في كليات التربية الأساسية، وقائع المؤتمر العالمي التاسع عشر، مجلة كلية التربية الأساسية، كلية التربية الأساسية، 2019م، ص 161.
 (19) منى سالم العوجزي، تصور مقترح لتطوير برامج إعداد المعلم بكليات التربية لجامعات الليبية في ضوء خبرات بعض الدول" دراسة وصفية، مجلة كلية التربية - جامعة سرت المجلد (2) العدد(3) يناير 2023م، ص 161.
 (20) أحمد عامر أحمد عيسى، بعض مشكلات إعداد المعلم بليبيا ومقترحات تطويرها، مجلة عالم التربية العدد 40، المجلد 1، ص 13، أكتوبر 2012م، ص 24-25.

روسيا من الشرق والنرويج من الشمال والسويد من الغرب، وتُعرف فنلندا بلقب «البلد الأخضر» أو «بلد الغابات» نظراً لكثرة الغابات والبحيرات فيها، مما كان له تأثير كبير على اقتصادها، وتنتج فنلندا مجموعة متنوعة من المحاصيل الزراعية والحيوانية، بالإضافة إلى المعادن ومنتجات الأخشاب والإلكترونيات والآلات والورق، ثم أن الطبيعة الجغرافية والمناخية لها دور في تشكيل مؤسسات إعداد المعلم في البلاد، حيث تم تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم، مما أدى إلى ظهور أنماط تعليمية مثل التعليم عن بُعد، وكان مناخ السياسة الاجتماعية مما ساهم في تعزيز قيم المساواة والعدالة الاجتماعية بين الطبقات الاجتماعية في المجتمع الفنلندي⁽²¹⁾، وبواسطة ما سبق يتضح أن هذه العوامل ساهمت في تقدم مؤسسات إعداد المعلم في فنلندا ونجاحها في تخريج معلمين ذوي جودة عالية⁽²²⁾.

مؤسسات إعداد معلمي (المرحلة الأولى) من التعليم الأساسي :

إن نوعية الجودة للمعلمين تقع في صميم النجاح التربوي في التجربة الفنلندية⁽²³⁾، تتولى الجامعات في فنلندا مسؤولية إعداد المعلمين، مما يمنح هذه البرامج قوة أكاديمية متميزة، وبسبب قلة عدد السكان وصغر المساحة فإن عدد الجامعات في البلاد محدود جداً، مما يسهل عملية تقييمها وتطويرها حيث هناك (11) جامعة تقدم برامج لإعداد المعلمين المرحلة الأولى، بالإضافة إلى خمس كليات تدريب مهني مخصصة لهذا الغرض، مما يسهل مراقبة الجودة وتحقيق المعايير المطلوبة، وقبل السبعينيات كانت مؤسسات التعليم تنقسم إلى نوعين: كليات إعداد المعلمين التي كانت تركز على تخريج معلمي المرحلة الأولى، والأقسام التابعة للجامعات التي كانت تهتم بتخريج معلمي المرحلة الثانوية ولكن بعد السبعينيات أصبحت جميع برامج إعداد المعلمين جامعية⁽²⁴⁾.

نظام الإعداد:

نظام إعداد المعلمين في فنلندا يختلف وفقاً للمرحلة التعليمية المستهدفة حيث يتم تطبيق نظام تكاملي لتخريج معلمي المرحلة الأولى، حيث يركز على إعداد المعلم من الناحيتين العلمية والتربوية والمهنية بشكل متزامن، دون فواصل زمنية يحصل الطالب على درجة البكالوريوس بعد ثلاث سنوات تليها سنتان دراسيتان للحصول على درجة الماجستير، مع ضرورة التخصص في قسم التعليم وإكمال مقررات فرعية في مادتين من منهج تلك المرحلة، وفي فنلندا يقوم معلمو المرحلة الأولى من التعليم الأساسي بتدريس الصفوف الست الأولى، حيث عدّ التعليم هو تخصصهم الرئيس، ويتعين على معلمي المرحلة الأولى إتمام دراسات الماجستير في كُلية التربية، وتستغرق مدة دراسة المعلمين في برنامج إعداد معلم ما بين (5 إلى 6) سنوات لاستكمال التأهيل⁽²⁵⁾، وترتكز برامج الإعداد في فنلندا على التنمية المتوازنة، سواء

(21) فؤاد بن لافي بن مسفر الأحمد، نظام التعليم في فنلندا والإمارات العربية المتحدة دراسة تحليلية مقارنة، مرجع سابق، ص 446.
 (22) ابتسام ناصر بن هويمل، عبير مبارك ولعنادي، تطوير نظام إعداد المعلم في المملكة العربية السعودية في ضوء تجربي اليابان وفنلندا. المجلة التربوية الدولية المتخصصة، دار سمات للدراسات والأبحاث. 4-2015، ص 31-50.
 (23) رباب محمد العساف، نوال نفاع السامر، دراسة مقارنة لنظام إعداد المعلم في كل من هونغ كونج وفنلندا وإمكان الإفادة منها في المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص 893.

(24) Niemi, H, Toom, A and Kallioniemi, A. Miracle of Education the Principles and Practices of Teaching and Learning in Finnish Schools. The Netherlands, US: Sense Publishers, 2012, PP119.

(25) Puustinen, M., Säntti, J., Koski, A., & Tammi, T. Teaching: A practical or research - based profession? Teacher candidates' approaches to research - based teacher education. Teaching and Teacher Education, 74, 2018, p 173.

الشخصية أو المهنية، بالإضافة إلى تعزيز كفاءات الطلاب المعلمين، وكما يتم إيلاء اهتمام خاص لبناء مهارات التفكير التربوي، وتمكين المعلمين من إدارة العمليات التعليمية بما يساير المعارف والممارسات التعليمية الحديثة في المدارس الابتدائية الفنلندية، وهو ما يميز هذا النظام، يتكون البرنامج من (ثلاثة) مجالات رئيسية: نظريات التعلم، ومعرفة المحتوى التربوي، وفن التعليم والممارسة ويشمل نظام إعداد المعلمين للمدارس الابتدائية عموماً 60 ساعة معتمدة وفق نظام (ECTS) للدراسات التربوية، بالإضافة إلى 60 ساعة معتمدة أخرى في المقررات التخصصية المتعلقة بالمواضيع المدرجة في مناهج الإطار الوطني للمدارس الابتدائية، ويتطلب الحصول على درجة الماجستير إجراء بحث مستقل، والمشاركة في حلقات دراسية بحثية، وتقديم دراسة تربوية نهائية حيث تبلغ الدرجة المشتركة المرتبطة بهذا العمل البحثي في الجامعات (40) ساعة معتمدة وفق نظام (ECTS)⁽²⁶⁾، وأما بالنسبة للنظام التتبعي، فهو يركز على تخريج معلمي المرحلة الثانوية، ومن المهم الإشارة إلى أن جميع معلمي المرحلة الأولى (معلمي الصف) في فنلندا مطالبون بالحصول على درجة الماجستير في التعليم، وذلك بواسطة دراسة (120) وحدة أو ساعة معتمدة، لبيتمكنوا من الاعتماد بصفة كمعلمين⁽²⁷⁾.

نظام قبول الطلاب:

عد مهنة التعليم من بين أكثر المهن تألقاً في فنلندا، ونتيجة لذلك تم تحديد إجراءات اختبارات للتمكن من تحديد المتقدمين الأكثر تأهيلاً⁽²⁸⁾، حيث يُسمح فقط للأشخاص القادرين على تحقيق هذا الحلم المهني بالانضمام إليها، على سبيل المثال يتقدم حوالي (1000) شخص سنوياً لبرنامج الإعداد في جامعة هلسنكي، ولكن يتم قبول (100) طالب فقط، مما يعني أن معدل القبول لا يتجاوز (10%)، ويتم ذلك وفق معايير صارمة مما يؤدي إلى اختيار فنلندا لعمليها من بين أفضل المتقدمين، وكما أن القبول في برامج إعداد المعلمين يساير احتياجات المدارس من المعلمين⁽²⁹⁾. تمر عملية اختيار معلمي المرحلة الأولى من التعليم الأساسي بعدة مراحل، تشمل:

- تحديد مجموعة من المرشحين بناءً على نتائج امتحانات الثانوية العامة وسجل الإنجازات المدرسية
- يتعين على المرشح اجتياز امتحان تحريري في بعض مواد التربية، بالإضافة إلى اختبار مهارات التفاعل والتواصل الاجتماعي بواسطة ممارسة أنشطة مشابهة لما يحدث داخل المدرسة، واختبار محاكاة الأداء في الصف.
- يتم إجراء مقابلات شخصية مع المرشحين الذين اجتازوا الاختبارات، حيث يُطرح عليهم سؤال حول سبب اختيارهم مهنة التعليم، ويُظهر هؤلاء المرشحون قدرة عالية على إكمال برامج إعداد المعلمين مما يدل على أن معايير القبول صارمة، وهناك دلائل متنوعة تضمن

(26) باسي سالبيرج، نبذة قصيرة عن إصلاح التعليم في فنلندا - ترجمة مركز البيان للدراسات والتخطيط - بغداد، 2016م، ص 7.

(27) Andere, E. Teacher's Perspectives on Finish School Education Creating Learning Environment. New York, USA: Springer, 2014, PP16.

(28) فاطمة محمد منير محمد المعني، الخبرة الفنلندية في إعداد المعلم الباحث وإمكانية الإفادة منها في مصر، مرجع سابق، ص 275.

(29) ناديه عبيد هلال أبو زاهرة وآخرون، دراسة مقارنة بين إعداد المعلم في المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة واليابان وسنغافورة وفنلندا، مجلة العلوم التربوية والنفسية المجلد 6، العدد 30، 31 يوليو 2022م، ص 120.

أن من يلتحق بهذه المهنة هو مؤهل لها، كما يتم تقييم مهارات التواصل لدى المرشحين وهو ما تفتقر إليه شروط قبول إعداد المعلمين في العديد من الدول⁽³⁰⁾.

وتشمل عملية اختيار الطلاب لبرنامج إعداد معلمي التعليم المرحلة الأولى مرحلتين. المرحلة الأولى تتعلق بتقييم مهارات التعلم الأكاديمي للمتقدمين اللازمة للالتحاق بالبرنامج، وأما المرحلة الثانية فهي مزيج من الاختبارات التحريرية واختبارات الكفاءة لتقييم مدى ملائمة المتقدمين للمهنة، بالإضافة إلى مهاراتهم ودافعهم والالتزام بالدراسة عموماً⁽³¹⁾، ويتم جذب الطلاب الموهوبين الذين يتقدمون لبرامج الإعداد، وكذلك الطلاب الذين يمتلكون دافعاً قوياً ليصبحوا معلمين، وغالباً ما تكون نسبتهم أقل من ربع المتقدمين، عدّ فئة معلم المرحلة الأولى (معلم ابتدائي) واحدة من البرامج التي تشهد إقبالاً كبيراً، حيث يتم قبول ما بين (10 إلى 15%) من المتقدمين، وحيث يواجه الشباب الراغبون في ممارسة مهنة التعليم تحديات كبيرة، فقط نسبة ضئيلة من المتقدمين تُمنح لهم الفرصة للالتحاق بالكليات التي يختارونها، وذلك بناءً على نتائجهم في اختبارات القبول المختلفة، ويمكن ملاحظة تميز سياسات قبول الطلاب في برامج إعداد المعلمين في فنلندا، حيث تأخذ بعين الاعتبار الأسس العلمية الدقيقة ومعايير الاختيار العالمية، هذه السياسات تشمل جميع الجوانب الذي تضمن اختيار طلاب يمتلكون معايير شخصية ومهنية ملائمة للتدريس والتفاعل مع مختلف شخصيات المتعلمين، كما تتميز بتنوع الوسائل والأساليب المستخدمة في عملية الاختيار، التي تشمل اختبارات، مقاييس، ومقابلات شخصية⁽³²⁾.

برامج الإعداد:

تشمل البرامج التي تُدرس في فنلندا ضمن نظام إعداد المعلمين ما يلي: طرق التدريس الذي تشكل هذه البرامج 20% من مدة الخمس سنوات المخصصة لإعداد المعلم، ولا تُدرس جميعها دفعة واحدة بل تُوزع على مدار السنوات الخمس ومن بين المعارف التي يتم تناولها في هذا الجانب: علم النفس، علم الاجتماع التربوي، المناهج، التقويم، التربية الخاصة، وأي محتوى تربوي آخر في المجالات المحددة والتي تتمثل فيما يلي⁽³³⁾:

أ. الأبحاث عدّ البرامج في فنلندا متميزة بتركيزها على تطوير المهارات البحثية لدى الطلاب المعلمين، مما يمكنهم من متابعة أحدث التطورات العلمية ونقلها إلى طلابهم، وقد أدى هذا التركيز على مهارات البحث إلى وصف برامج إعداد المعلم في فنلندا بأنها «تدريب المعلمين القائم على البحث».

ب. الدراسات الأكاديمية: وتشمل هذه الدراسات التخصص الذي سيتخصص فيه المعلم، وقد تكون متخصصة أو ثانوية حسب المؤهل المرغوب فيه، كما تتضمن دراسة مهارات الاتصال واللغة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وهي مواد إلزامية إضافة إلى ذلك، يتم التدريب

(30) ابتسام ناصر بن هويل، عيبر مبارك العنادي، تطوير نظام إعداد المعلم المملكة العربية السعودية في ضوء تجرّبي اليابان وفنلندا، مرجع سابق، ص 39.

(31) The Organisation for Economic Co - operation and Development (OECD) (2013): EDUCATION POLICY OUTLOOK (FINLAND), p11. Available at: www.oecd.org/edu/policyoutlook.htm

(32) Niemi, H.). Relationships of teachers' professional competences, active learning, and research studies in teacher education in Finland. Reflecting Education, 8(2),2013,PP 23 - 44.

(33) فاطمة محمد منير محمد المعني، الخبرة الفنلندية في إعداد المعلم الباحث وإمكانية الاستفادة منها في مصر، مرجع سابق، ص 293.

على التعلم الذاتي، وهو عنصر جديد تم إضافته إلى المناهج الدراسية، تُعنى الجامعات الفنلندية منذ عام (2005م) بتوجيه الطلاب نحو تطوير برامجهم الفعالة وخططهم المهنية، مما يساعدهم على تحقيق أهدافهم، وكما تقدم دراسات اختيارية تشمل مجموعة متنوعة من المقررات التي تتناسب مع المؤهل الذي يسعى الطالب للحصول عليه

التربية العملية:

تستمر مدة التدريب العملي في مؤسسات إعداد المعلمين في فنلندا مدة ثلاث أشهر، حيث يتم تقديم تدريب مكثف وشامل وفعال، ويتضمن هذا النظام توجيهاً وإرشاداً قويين، حيث يشارك مشرفون مدربون ومعلمو في دعم الطلاب المعلمين خارج الفصول الدراسية بواسطة تقديم مساعدات قيمة، ويهدف هذا التدريب إلى تحقيق تفاعل وتكامل بين النظرية والتطبيق، حيث يكون لمدرسة الجامعة تأثير أكبر على الطلاب من الناحية الأكاديمية، في حين يكون لمعلمي المرحلة الأولى تأثير أكبر في مجال التدريب العملي، نظراً لخبرتهم في المناهج وطرق التدريس في المدارس عموماً، ويتم التدريب العملي في مدارس تدريب المعلمين الخاصة التابعة للجامعات، التي تتبع مناهج وممارسات مشابهة لتلك الموجودة في المدارس العامة، ويتم اختيار المعلمين الذين يشرفون على التدريب بعناية بناءً على مهاراتهم التعليمية، ويتم إعدادهم بشكل جيد في استراتيجيات الإشراف والتطوير وتقييم المعلم المرحلة الأولى كما يُتوقع من مدارس تدريب المعلمين أن تتابع أدوار البحث والتطوير بالتعاون مع أقسام تربية المعلمين المرحلة الأولى في الجامعات، وأحياناً مع الكليات الأكاديمية المتخصصة التي تشارك في إعداد المعلمين⁽³⁴⁾.

نظام التقييم والاختبارات:

لا توجد درجات أو اختبارات لتقييم الطلاب، بل يتم تقديم تغذية راجعة، عندما يلاحظ الأستاذ الجامعي وجود قصور أو ضعف لدى الطالب المعلم في جانب معين، فإنه يقدم له الدعم الإضافي أو يقترح أنشطة تساعده على تعزيز فهمه في هذا الجانب، ولتكون هذه الطريقة فعالة مع الطلاب، يجب أن يكون لديهم مستوى عالٍ من الإدراك، وهو ما تم ضمانه بواسطة معايير القبول الصارمة في البرنامج منذ البداية⁽³⁵⁾، التي اقتصر على قبول النخبة من ذوي القدرات والمهارات العالية هذا الأمر أتاح استخدام نظم تقييم بعيدة عن الاختبارات والتهديد، حيث يمكن فصل الطالب المعلم من برامج إعداد المعلمين إذا تم اكتشاف عدم توافر الخصائص والمعايير المتفق عليها وطنياً للعمل بصفة معلمين، ومن خلال ما سبق يتضح أن نظم التقييم المتبعة تأخذ بعين الاعتبار عنصر التنوع، ولا تعتمد على الأساليب التقليدية، مع التركيز على تقييم الطلاب بواسطة ملاحظتهم خلال ممارسة أنشطة البرنامج المختلفة، كما يتم التقييم بواسطة تقديم تعليقات شفوية أو كتابية بناءة في حال شعر المعلم بأن الطالب يفتقر إلى مهارات معينة⁽³⁶⁾.

(34) Darling - Hammond, L. Teacher education around the world: What can we learn from international practice?. European Journal of Teacher Education, 40(3),2017, PP 291 – 309

(35) Mora, J and Wood, K. Practical Knowledge in Teacher Education. New York, USA: Routledge,2014,PP23.

(36)-. Westerfield, L., Cochran, L., & Van Buren, C. An Analysis of Teacher Efficacy and the Effectiveness of Teacher Preparation Programs (Doctoral dissertation, Lipscomb University), 2016, P39.

رابعاً؛ أوجه التشابه والاختلاف بين برامج إعداد معلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي بكليات التربية بليبيا ودولة المقارنة (فنلندا) وإمكانية الاستفادة منها؟

تتشارك ليبيا وفنلندا في أن مؤسسات إعداد المعلمين في كلا البلدين تتبع الجامعات، مما يمنحها قوة أكاديمية متميزة، في عام (1995)، تم إلغاء معاهد المعلمين والمعلمات في ليبيا بموجب القرار رقم (1049)، وتم تحديث مصادر إعداد المعلم بواسطة إنشاء معاهد عليا مخصصة لهذا الغرض وفي عام (2004)، صدر القرار رقم (200) الذي يتعلق بإعادة تنظيم الجامعات في ليبيا، الذي أدى إلى دمج هذه المعاهد ضمن الجامعات وتحويلها إلى كليات جامعية تخضع للقوانين التنظيمية المعمول بها في المقابل، توجد في فنلندا (11) جامعة تقدم برامج لإعداد المعلمين في المرحلة الأولى، بالإضافة إلى خمس كليات تدريب مهني مخصصة لهذا المجال. فيما يتعلق بنظام إعداد المعلمين ومدته، تتشابه ليبيا مع فنلندا في اعتماد النظامين التكاملي والتتابعي، ومع ذلك تختلف فنلندا عن ليبيا في استخدام النظام التكاملي لإعداد المعلم للمرحلة الأولى من التعليم الأساسي، حيث تستغرق مدة هذا النظام خمس سنوات، عد الحصول على درجة الماجستير شرطاً أساسياً لممارسة مهنة التعليم، يتبع نظام الإعداد في كليات التربية في فنلندا النموذج الأوروبي (ECTS)، في المقابل تستغرق مدة الدراسة في كليات التربية في ليبيا أربع سنوات، تتضمن فصلين دراسيين في كل عام دراسي، في نهاية هذه المدة يحصل الطالب/المعلم على درجة الإجازة المتخصصة في الآداب والتربية أو الإجازة المتخصصة في العلوم حسب الحاجة، على ألا تقل مدة الدراسة الفعلية عن ثمانية أسابيع، فيما يتعلق بسياسة وإجراءات القبول تتشابه ليبيا مع فنلندا في اشتراط إتمام المرحلة الثانوية للالتحاق بمؤسسات إعداد المعلم، ومع ذلك فإن سياسة القبول في كليات التربية بالجامعات الليبية تفتقر إلى معايير محددة لاختيار المرشحين لتأهيلهم مهنة التدريس، من الملاحظ أن هذه السياسة لا تعتمد على المعايير الدولية المتبعة في الجامعات، ولا تأخذ بعين الاعتبار الرغبة الحقيقية للطلاب وتوجهاتهم نحو المهنة المستقبلية، بالإضافة إلى احتياجات المجتمع وسوق العمل، فضلاً عن القدرة الاستيعابية لهذه المؤسسات على النقيض تتميز معايير القبول في فنلندا بالصرامة والجدية، حيث تشمل مجموعة متنوعة من الإشارات مثل إجراء مقابلات شخصية واختبارات تخصصية صارمة، ولا تعتمد على مؤشر واحد فقط. كما يبرز نظام القبول الفنلندي بواسطة تقييم مهارات المتقدمين الشخصية في التواصل أثناء مشاركتهم في أنشطة مشابهة للبيئة المدرسية، فضلاً على ذلك تختلف فنلندا عن ليبيا في مجال إعداد الأبحاث، حيث أدى اشتراط الحصول على درجة الماجستير للمعلمين في فنلندا إلى دمج البحوث والدراسات مع جميع جوانب برامج إعداد المعلم، وتتشابه ليبيا مع فنلندا في بعض جوانب برامج الإعداد، حيث تركز كلا الدولتين على الدراسات الأكاديمية، خاصة في الجوانب الثقافية والتربوية، ومع ذلك تختلف ليبيا عن فنلندا في الجانب العلمي حيث تولي كليات التربية الليبية اهتماماً أكبر بالجانب التخصصي والمهني، في المقابل يتميز النظام الفنلندي بدمج الأبحاث ومهارات الاتصال والتكنولوجيا والتعليم الذاتي والدراسات الاختيارية ضمن برامج الإعداد، وهو ما تفتقر إليه برامج إعداد معلمي المرحلة الأولى في كليات التربية الليبية. وتستمر مدة التدريب في مؤسسات إعداد المعلمين في فنلندا مدة ثلاث أشهر، حيث يتم تقديم تدريب مكثف وشامل وفعال يتضمن هذا النظام توجيهها وإرشاداً قويين، حيث يشارك مشرفون مدربون ومعلمون في دعم الطلاب المعلمين خارج الفصول الدراسية بواسطة تقديم مساعدات قيمة، ويتم التدريب العملي في مدارس تدريب

المعلمين الخاصة التابعة للجامعات، التي تتبع مناهج وممارسات مشابهة لتلك الموجودة في المدارس العامة، يُتوقع أن تتابع مدارس تدريب المعلمين أدوار البحث والتطوير بالتعاون مع أقسام تربية المعلمين في الجامعات، وأحياناً مع الكليات الأكاديمية المتخصصة التي تشارك في إعداد المعلمين، وعلى النقيض من ذلك تختلف التربية العملية في كليات التربية الليبية، حيث تساهم في تنمية مهارات الطلاب في إدارة الصف، ومع ذلك فإن الجانب التطبيقي في إعداد معلم المرحلة الأولى لا يحظى بالاهتمام الكافي وغالباً ما يكون الإشراف والتنظيم شكلياً، مما يفتقر إلى المعايير الموضوعية والأساليب المقننة لتقييم أداء الطلاب، تفتقر كليات التربية في ليبيا إلى تنوع أساليب التقييم والاختبارات، حيث تعتمد بشكل أساسي على إجراء امتحانات تحريرية في منتصف ونهاية الفصل الدراسي، في المقابل لا تعتمد فنلندا على الاختبارات بل تقدم تغذية راجعة مستمرة، حيث يتم تقييم الطلاب بواسطة تقديم تعليقات شفوية أو كتابية بناءً عندما يشعر المعلم بأن الطالب يحتاج إلى تحسين مهارات معينة.

أبرز التوصيات التي يمكن الاستفادة منها في تطوير نظام إعداد معلمين المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في كليات التربية الليبية استناداً إلى التجربة الفنلندية:

1. رفع معايير قبول الطلاب في كليات التربية الليبية لضمان قبول ذوي المهارات والكفاءة العالية فقط.
2. الاستفادة من تجربة الدولة الفنلندية في إنشاء شبكة مهنية للإعداد المهني للمعلمين المرحلة الأولى من التعليم الأساسي للربط بين أقسام التدريب المهني ومراكز البحوث ومراكز التعليم المتخصصة، وتبادل الخبرات وزيادة معارف المعلمين وقدرتهم على الابتكار والإبداع.
3. تعزيز مدة التدريب العملي في قطاع التعليم، وذلك لأن هناك عدداً من المهارات التي لا يمكن اكتسابها إلا بواسطة التدريب العملي طويل الأمد.
4. تُضاف مهارة التعليم الذاتي إلى الجانب المهني من الإعداد بصفة أحد المهارات الأساسية التي يجب على الطالب/المعلم المرحلة الأولى إتقانها، نظراً لأهميتها في عصر يتسم بالتغيرات السريعة.
5. تركز على تزويد معلمي المرحلة الأولى (الشق الأول) من التعليم الأساسي بالمهارات البحثية التي تمكنه من مواكبة أحدث التطورات العلمية، مما يتيح له نقل هذه المعرفة إلى طلابه، بالإضافة إلى تعزيز التعاون بين مختلف الجهات المعنية.
6. الربط بين النظرية والممارسة بواسطة تصميم المحاضرات الدراسية، والاهتمام بالتربية العملية، ودعم الممارسات الجيدة للطلاب، مع التركيز على «مدارس التدريب» أو مدارس التطوير المهني، بحيث يصبح اكتساب وممارسة مهارات التعلم الذاتي جزءاً أساسياً من برامج الإعداد.
7. يُعزز توفير أساتذة ذوي كفاءات عالية في برامج الإعداد بواسطة ضمان رواتب تنافسية لهم وتقديم إعانات مالية للتدريب.
8. التركيز على الجانب الثقافي من خلال تدريب المعلمين المرحلة الأولى من التعليم الأساسي على مهارات الاتصال واستخدام اللغة، بالإضافة إلى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات،

مستلهمين من تجربة فنلندا.

9. إنشاء هيئة مستقلة للتقييم المستمر لبرامج إعداد المعلمين في المراحل الأولى من التعليم الأساسي في كليات التربية الليبية.

10. يجب مراعاة التنوع في تقييم الطلاب انطلاقاً من تقديم تعليقات بناءة، سواء كانت شفوية أو كتابية، إذا لاحظ المعلم أن الطالب يفتقر إلى مهارات معينة، ينبغي له تحفيز الطالب أو اقتراح أنشطة إضافية لتعزيز فهمه ومعالجة نقاط ضعفه، كما هو متبع في النظام التعليمي الفنلندي.

11. توفير ما يعرف بـ «المدرسة التجريبية» كأماكن تعليمية عملية لمعلمي المرحلة الأولى من التعليم الأساسي، بالإضافة إلى كونها مواقع بحثية انطلاقاً من توثيق العمل التجريبي داخل الفصل الدراسي.

الخاتمة:

إن العصر الذي نعيش فيه مُمتلئٌ بالتحديات، حيث تظهر معطيات جديدة كل يوم، ويتطلب التعامل معها بنجاح خبرات جديدة وتفكيراً جديداً وأساليب جديدة وآليات جديدة. ويتطلب أشخاصاً مبدعين ومبتكرين وأصحاب بصيرة وبصيرة ثاقبة وقادرين ليس فقط على التكيف مع بيئتهم بل أيضاً على تكيفها وفقاً لقيمهم وأخلاقهم وأهدافهم المنشودة. ولن تتحقق التغييرات المنشودة في مجال التعليم بتطوير المعلمين والرفع من مستوى الاختيار والتكوين والإعداد والتدريب، ولن يتحقق ذلك إلا بتطوير المعلمين المرحلة الأولى من التعليم الأساسي، وقد تبين أن مشكلة إعداد المعلم المرحلة الأولى من المشكلات الأساسية التي تناولتها البحوث والاستطلاعات التربوية العربية والعالمية، لذا فإن إعادة التنظيم الذي تشهدها مؤسسات إعداد المعلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في الجامعات الليبية يجب أن تستفيد من الاتجاهات المعاصرة في إعداد المعلم بتلك المرحلة، وذلك بتبني هذه الاتجاهات في أسس إعداد المعلم الشق الأول، فالمعلمون هم أصحاب رسالة سامية ووصولاً إلى المعلمين المحترفين الذين أنشأهم المجتمع لتحقيق أهدافه وغاياته التربوية، وهناك جوانب متعددة في المعلم المرحلة الأولى تميزه عن غيره كالكفاءة والمهارات والميول والاستعدادات والقيم والأخلاق الذي تتناسب مع هذه المهنة العظيمة التي يعتمد عليها المعلم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي في عمله ويؤكد عليها عند القيام بالمهنة.

مراجع الدراسة:

1. ابتسام ناصر ابن هويل، عبير مبارك ولعنادي، تطوير نظام إعداد المعلم في المملكة العربية السعودية في ضوء تجريبي اليابان وفنلندا. المجلة التربوية الدولية المتخصصة، دار سمات للدراسات والأبحاث - 4-2015م.
2. أمحمد عامر أمحمد عيسى، بعض مشكلات إعداد المعلم بليبيا ومقترحات تطويرها، مجلة عالم التربية العدد 40، المجلد 1، 13، أكتوبر 2012م.
3. أيمن أحمد شيهوب وآخرون، سياسة قبول الطلاب بكليات التربية في ليبيا دراسة تقويمية، مجلة التربية الإسلامية والعربية، 3(1)، 2011م.
4. باسي سالبيرج، نبذة قصيرة عن إصلاح التعليم في فنلندا - ترجمة مركز البيان للدراسات

والتخطيط - بغداد ، 2016م.

5. جمال عبد النعم المنعم الكومي، إعداد المعلم بين الواقع والمأمول تنمية وتدريب ، مؤسسة حورس الدولية، 2010م.
6. حميدة التهامي اندش، دراسة مقارنة لنظام إعداد معلم مرحلة التعليم الأساسي بكل من ليبيا ومصر وماليزيا، مجلة كلية الآداب ، المجلد 2019، العدد 13، جامعة مصراتة، 30- 6- 2019م.
7. عبد الفتاح الفولي، موسوعة البحث التربوي، القاهرة دار الخبرة والتدريب، 2000م.
8. على الحوات، معلم جديد لعصر جديد التعليم للمستقبل، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الوطني الثاني للتعليم في ليبيا طرابلس ، مارس 2002م.
9. منى سالم العوجزي، تصور مقترح لتطوير برامج إعداد المعلم بكليات التربية لجامعات الليبية في ضوء خبرات بعض الدول» دراسة وصفية، مجلة كلية التربية - جامعة سرت المجلد (2) العدد(3) يناير 2023م.
10. فاطمة محمد منير محمد للمعي، الخبرة الفنلندية في إعداد المعلم الباحث وإمكانية الاستفادة منها في مصر، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، المجلد: الخامس والعشرين العدد: 12، ديسمبر 2019م.
11. فؤاد بن لاي في بن مسفر الأحمد، نظام التعليم في فنلندا والإمارات العربية المتحدة دراسة تحليلية مقارنة، المجلة العلمية لكلية التربية ، جامعة أسيوط، المجلد الرابع والثلاثون- المجلد 34- العدد الثامن- أغسطس 2018م.
12. محمد على يونس الناكوع، إصلاح نظام التعليم الأساسي في ليبيا كضرورة مجتمعية، المؤتمر العلمي العربي السادس: التعليم .. وأفاق ما بعد ثورات الربيع العربي، الجمعية المصرية لأصول التربية وكلية التربية، جامعة بنها، مصر، يوليو 2013م.
13. نادية عبيد هلال أبو زاهرة وآخرون ، دراسة مقارنة بين إعداد المعلم في المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة واليابان وسنغافورة وفنلندا، مجلة العلوم التربوية والنفسية المجلد 6، العدد30، 31، يوليو 2022م.
14. هاشم عباس وآخرون ، معايير اختيار وإعداد المعلمين في كليات التربية الأساسية، وقائع المؤتمر العالمي التاسع عشر، مجلة كلية التربية الأساسية، كلية التربية الأساسية، 2019م.

المراجع باللغة الإنجليزية:

1. Andere, E. Teacher's Perspectives on Finish School Education Creating Learning Environment. New York, USA: Springer, 2014.
2. Darling - Hammond, L. Teacher education around the world: What can we learn from international practice?. European Journal of Teacher Education, 40(3),2017.
3. Dkillustrated Oxford Dictionary. New York Dkpublishing, Inc, 1998.
4. Mora, J and Wood, K. Practical Knowledge in Teacher Education. New York, USA: Routledge,2014.
5. Niemi, H, Toom, A and Kallioniemi, A. Miracle of Education the Principles and Practices of Teaching and Learning in Finnish Schools. The Nether-

- lands, US: Sense Publishers ,2012
6. Niemi, H.). Relationships of teachers' professional competences, active learning, and research studies in teacher education in Finland. *Reflecting Education*, 8(2),2013.
 7. Puustinen, M., Sääntti, J., Koski, A., & Tammi, T. Teaching: A practical or research - based profession? Teacher candidates' approaches to research - based teacher education. *Teaching and Teacher Education*, 74,2018
 8. Shafritz M. Jay and Others, *Dictionary of Education –Facts and File*, New York , Oxford, 1998.
 9. The Organisation for Economic Co - operation and Development (OECD) (2013): *EDUCATION POLICY OUTLOOK (FINLAND)*, p11. Available at: www.oecd.org/edu/policyoutlook.htm
 10. Westerfield, L., Cochran, L., & Van Buren, C. *An Analysis of Teacher Efficacy and the Effectiveness of Teacher Preparation Programs* (Doctoral dissertation, Lipscomb University), 2016.

العملية التعليمية والتحصيل الدراسي لدى التلاميذ «دور المعلم أنموذجاً» رؤية اجتماعية في مجال علم الاجتماع التربوي

د. نبيل عيسى جبريل موسى

أستاذ مشارك بقسم علم الاجتماع

كلية الآداب والعلوم/ المرج- جامعة بنغازي

القبول: 29.10.2024

الاستلام: 11.9.2024

المستخلص:

تمثل موضوع الدراسة في العملية التعليمية والتحصيل الدراسي لدى التلاميذ «دور المعلم أنموذجاً»- رؤية اجتماعية في مجال علم الاجتماع التربوي. حيث تهدف الدراسة للوصول الى رؤية نظرية اعمق لانعكاسات دور المعلم على التحصيل الدراسي، وبالتالي تسليط الاهتمام على التسلسل المنطقي لذلك التأثير في ضوء ما تقر به بعض الدراسات في هذا المجال، واعتمدت الدراسة على المنهج الكيفي لتحقيق الاهداف سالفة الذكر، من خلال اتباع اسلوب تحليل المضمون، وذلك بتحليل محتوى الدراسات السابقة والادبيات التي أمكن الوصول إليها فيما يتعلق بانعكاسات دور المعلم في العملية التعليمية على التحصيل الدراسي. **كلمات مفتاحية:** العلاقات الاجتماعية - التفاعل الايجابي - غرفة الصف - الانجاز الاكاديمي.

Abstract:

The subject of the study is the educational process and academic achievement among students «The role of the teacher as a model» - a social vision in the field of educational sociology. The study aims to reach a deeper theoretical vision of the repercussions of the educational process - the role of the teacher as a model, on academic achievement, and thus shed light on the logical sequence of that effect in light of what some studies in this field acknowledge. The study relied on the qualitative approach to achieve the aforementioned goals, by following the content analysis method, by analyzing the content of previous studies and literature that could be reached regarding the repercussions of the teacher's role in the educational process on academic achievement. The study resulted in a number of results.

مقدمة:

تُعد العملية التعليمية من أهم العمليات التي تعمل على تقديم خدمات لاحقة، فهي تسهم وبشكل كبير في إعداد جيل واع يهدف إلى خدمة مجتمعه والرفي به إلى أعلى المراتب، فالعملية التعليمية هي تلك البرنامج المخطط الذي يتم وفق أسس ومراحل محددة، فهي تتسم بالتنظيم والتخطيط لأنها ذات طابع رسمي، حيث تتم هذه العملية بشكلها الواضح داخل

المؤسسات التعليمية (المدارس) باعتبارها البيئة الأساسية لعملية التعليم المنظم، بالإضافة إلى دور البيئة الأسرية التي تعمل على زرع الأسس التربوية الأولية، ومن هنا تأتي العلاقة الوثيقة بين العمليتين، فلا يمكن أن تحقق العملية التعليمية أهدافها إلا إذا كانت هناك أسس تربوية سليمة تساعد بدورها في توفير الجو المناسب للعملية التعليمية، في حين أنه لا يمكن تحقيق العملية التربوية إلا إذا كانت هناك خلفيات تعليمية قوية تسهم بدورها في إرساء السمات التربوية والأخلاقية. فعمليتي التعليم والتربية متصلتان ويرى البعض أنهما عملية تكيف يكتسب المتعلم من خلالها أساليب جديدة للسلوك تؤدي إلى اشباع حاجاته وميوله وأهدافه التي يحددها لنفسه نتيجة لتفاعله مع البيئة الاجتماعية التي يوجد فيها، وكل تلك العمليات تنعكس بشكل مباشر على مستوى التحصيل لدى المتعلم.

ويُعتبر التحصيل بشكل عام عن المحصلة « النتيجة » النهائية التي يكتسبها الشخص في نهاية أي عمل سواء كان تعليمياً أو تربوياً أو غير ذلك... ويرتبط مستوى التحصيل الدراسي بمخرجات العملية التعليمية داخل المؤسسات التعليمية.

وبما أن العملية التعليمية لا تتم إلا من خلال مجموعة من العناصر التي يُشترط فيها الكفاءة والجودة والإتقان، بحيث يُمكن أن تنجح تلك العملية بأداء رسالتها السامية، والتي تتمثل في بناء جيل واع يُمكن الاعتماد عليه في زيادة التقدم والتطور المجتمعي حاضراً ومستقبلاً، ولكي تتحقق هذه الأهداف يجب أن يكون هناك ترابط بين جميع عناصر العملية التعليمية بدءاً بالإدارة المدرسية والمعلمين والمناهج الدراسية والتلاميذ ومكان الدراسة، حتى تؤدي وظائفها الموكلة إليها بالشكل المطلوب، ومن ثم تحقيق أهدافها المنشودة التي تنعكس مباشرة على مستوى التحصيل الدراسي للتلاميذ.

وفي هذا الصدد أكدت كافة الدراسات التربوية على أهمية دور المعلم في نجاح العملية التعليمية، فالمعلم هو من يجمع بين عناصر العملية التعليمية، لذلك يشترط فيه الكفاءة والقدرة والمهارة حتى يمكن ضمان سير مخرجات العملية التعليمية تجاه أهدافها المنشودة. عموماً، فالعملية التعليمية من النظم الاجتماعية المهمة التي لها تأثير كبير في كل نظم المجتمع انطلاقاً من دورها الهام في امداد المجتمع بما يحتاجه من قوى بشرية متعلمة ومؤهلة وقادرة على العمل والابداع والمساهمة في التقدم وتنتهي بتواجد المجتمع بين مصاف المجتمعات المتقدمة، لذلك أصبحت مكانة المجتمعات تقاس من خلال جودة وكفاءة ونجاح العملية التعليمية، ونجاح الأخيرة يقاس من خلال مخرجاتها المتمثلة في مستويات التحصيل لدى التلاميذ.

أولاً: تحديد مشكلة الدراسة:

تأسيساً على ما ورد في مقدمة هذا البحث، تتحدد مشكلة الدراسة التي نحن بصدها في دراسة العملية التعليمية والتحصيل الدراسي لدى التلاميذ - دور المعلم نموذجاً، قراءة نظرية تحليلية متعمقة لما بين السطور بما يسهم في سبر غور هذه العلاقة والتسلسل المنطقي لها، وذلك من محاولة الإجابة على التساؤل التالي:

* ما انعكاسات دور المعلم في العملية التعليمية على التحصيل الدراسي لدى التلاميذ؟

ثانياً: أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة الحالية من أهمية متغيراتها والعلاقة بينهما، فالعملية التعليمية وما تحويه من عناصر تعمل مجتمعة على إكساب المتعلم جملة من المعارف الأساسية عبر مراحل مختلفة تسهم بدورها في نضجه الإدراكي والمعرفي، فقد أوضحت الأدبيات أنه لا يمكن أن تنجح العملية التعليمية إلا من خلال تحديث وتطوير عناصرها بحيث تواكب المتطلبات العصرية، فالمعلم والمنهج والتلميذ بالإضافة إلى مكان الدراسة جميعها يحتاج الاهتمام والعناية بهدف التحديث والتطوير.

كذلك تتأتى أهمية هذه الدراسة بتركيزها على التحصيل الدراسي الذي يرتبط بتحسنة إمداد المجتمع بما يحتاجه من قوى بشرية مؤهلة وقادرة على النهوض به، فقد أوضحت الدراسات أنه يتأثر من نواحي مختلفة بالعناصر سالفة الذكر للعملية التعليمية وما يرتبط بها من ظروف وملابسات ومثيرات، ونخص بالذكر هنا دور المعلم في العملية التعليمية، ومن ثم فإن التعمق في فهم انعكاسات العملية التعليمية- دور المعلم- على التحصيل الدراسي تكمن الإفادة منه في فهم أكثر فائدة لموضوع التحصيل الدراسي ذي الأهمية البالغة للفرد والمجتمع، ويساعد أيضاً على وضع خطط وبرامج مستقبلية تسهم في تحسينه.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة للوصول الى رؤية نظرية أعمق لانعكاسات العملية التعليمية - دور المعلم أنموذجاً، على التحصيل الدراسي، وبالتالي تسليط الاهتمام على التسلسل المنطقي لذلك التأثير في ضوء ما تقول به الدراسات العديدة التي أشارت ولو بشكل ضمني إلى تلك العلاقة، وهو الأمر الذي سنحاول الوصول إليه من خلال السعي لتحقيق الأهداف التالية:

1. التعرف على ما إذا كان هنالك علاقة بين دور المعلم في العملية التعليمية والتحصيل الدراسي لدى التلاميذ.
2. التعرف على المتغيرات الوسيطة (الدخيلة) التي تتوسط تلك العلاقة، وتجعلها أكثر منطقية .

رابعاً: الدراسات السابقة:

حظي موضوع التحصيل الدراسي والعوامل المؤثرة فيه باهتمام كثير من الباحثين في مجال التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع، فكثيراً من تلك الدراسات أكدت على أن للعملية التعليمية وما تحويه من عوامل وظروف ومؤثرات دوراً محورياً في التأثير على التحصيل الدراسي، ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع تم التركيز على الدراسات التي تناولت انعكاسات دور المعلم على مستوى التحصيل الدراسي، ومن بين تلك الدراسات:

دراسة راجيه محمد شكري؛ أجريت هذه الدراسة عام 1991م في مصر بعنوان «تأثير أسلوب التدريس في تحصيل التلاميذ وميولهم نحو الأداء الدراسي».

وقد شملت عينة الدراسة على 20 معلماً ومُعَلِّمة و736 تلميذاً و44 تلميذة. وكانت الدراسة تهدف إلى التحقق من مدى تأثير أسلوب المعلمين والمعلمات على التحصيل الدراسي عند التلاميذ، وقد اعتمدت الدراسة على تحليل التباين كأسلوب إحصائي، وأسفرت عن الدراسة مجموعة من النتائج أهمها: أنه كلما كان أسلوب المعلم في التدريس يتميز بعدم الرسمية

ويقصد بعدم الرسمية عدم استخدام الشدة والعنف مع التلاميذ، كلما زاد مستوى التحصيل عند التلاميذ.

في حين أنه كلما كان أسلوب المُعلِّم في التدريس يتميز بالرسمية بمعنى أنه يتصف بالشدة واستخدام العنف وعدم وجود مرونة في التعامل مع التلاميذ فإن ذلك يؤدي إلى تدني مستوى تحصيل التلاميذ.⁽¹⁾

دراسة رؤيات أحمد؛ أُجريت هذه الدراسة في مصر عام 1999م، حيث اهتمت بـ«التفاعل الاجتماعي داخل الفصل وعلاقته بالتحصيل الدراسي»، وقد ركزت على هدف عام ألا وهو أن التفاعل الاجتماعي داخل الفصل له علاقة بالتحصيل الدراسي للتلاميذ. واشتملت عينة الدراسة على 347 تلميذاً منهم 226 طالباً بالصف الثاني الثانوي و121 طالباً بالصف الثالث الثانوي، واعتمدت الدراسة في اختيارها لأفراد العينة على العينة العشوائية، وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها:

أ- أن هناك ارتباط بين التوافق النفسي والاجتماعي وكل من مهارات التفاعل اللفظي بين التلاميذ بعضهم البعض، ومهارات التفاعل اللفظي بين التلاميذ ومُعلميهم.

ب- أكدت الدراسة على أهمية التفاعل داخل الفصل سواء بين التلاميذ أو التلاميذ مع مُعلميهم لأن هذا يُسهم في تحسين درجة التحصيل لدى الطلبة.⁽²⁾

دراسة كلاري؛ أُجريت هذه الدراسة عام 1999م في أمريكا، وكان عنوان الدراسة يتعلق بـ«دراسة العلاقة بين السمات الشخصية للمُعلِّم وتحصيل التلاميذ»، حيث كان هدف الدراسة هو معرفة تأثير العلاقة بين المُعلِّم والتلميذ على درجة التحصيل الدراسي. وقد شملت الدراسة على عينة كلية قوامها 85 مُعلِّماً و450 تلميذة في بعض مدارس ولاية كارولينا بالولايات المتحدة الأمريكية، واعتمدت الدراسة على مجموعة من الاختبارات المقننة لقياس التحصيل الدراسي عند التلاميذ، وقد أسفرت الدراسة عن نتائج أهمها:

أن هناك علاقة بين سوء العلاقة بين المُعلِّم والتلميذ وانخفاض مستوى التحصيل عند التلاميذ، كذلك أكدت على أن عامل الشخصية للمُعلِّم يلعب دوراً مهماً في رفع مستوى التحصيل الدراسي، فالمُعلِّم الذي يتميز بالاتزان والتعاون مع تلاميذه كانت نسبة تحقيقهم للنجاح أعلى.⁽³⁾

دراسة جارنر وماريون؛ أُجريت هذه الدراسة عام 2003م، حيث كان عنوان الدراسة يتعلق بـ«عدم المساواة في اتصال المعلم بالتلاميذ». وقد تكونت عينة الدراسة من تلاميذ خمسة فصول في الصف الرابع الابتدائي ومدرسيهم، حيث اعتمد الباحثان على كراس ملاحظة للتلاميذ داخل الفصل وذلك من أجل جمع البيانات المتعلقة بالدراسة، أما فيما يتعلق بهدف الدراسة فقد تركز على كشف العلاقة بين:

أ- العلاقة بين اتصال المُعلِّم بالتلميذ ومدى تأثيرها على الناحية التعليمية عند التلاميذ.

(1) راجيه محمد شكري، تأثير أسلوب التدريس في تحصيل التلاميذ وميولهم نحو الأداء الدراسي، "رسالة ماجستير غير منشورة"، قسم علم الاجتماع، جامعة عين شمس، القاهرة، 1991.

(2) رؤيات أحمد عبد المطلب، العلاقة بين أنواع التفاعل الاجتماعي في الفصل، "رسالة ماجستير غير منشورة"، جامعة عين شمس، القاهرة، 1999.

(3) سلوى محمد درويش، بعض الأساليب المزاجية للمُعلِّمين وأثرها على التحصيل الدراسي لتلاميذ المرحلة الإعدادية، "رسالة ماجستير غير منشورة"، جامعة عين شمس، القاهرة، 2003، ص ص 64-65.

ب- العلاقة بين اتصال المُعلِّم بالتلميذ ومدى تأثيرها على تحقيق النظام داخل الفصل.

وقد توصلت الدراسة إلى نتائج منها ما يلي:

إن الاتصال بين المعلم والتلميذ له دور كبير في نجاح العملية التعليمية إذا كان هذا الاتصال يتميز بالإيجابية. كذلك أكدت الدراسة على أن الاتصال بين المُعلِّم والتلميذ له دوراً كبيراً في تحقيق الجو المناسب للتعلُّم داخل الفصل، فيتم بذلك تجنب المخالفات والانحرافات التي قد تحدث داخل المدرسة أو الفصل والتي من شأنها الانحراف عن النظم والقواعد المدرسية، وبالإضافة إلى ذلك أكدت الدراسة على أن اتصال المُعلِّم بالتلميذ يسهم في تحسين سلوك التلميذ داخل الفصل فيتحسن بالتالي مستوى التحصيل الدراسي.⁽⁴⁾

دراسة إبراهيم بشير الصغير: أجريت هذه الدراسة في ليبيا بإحدى مدن طرابلس عام 2004م، وتركز موضوعها حول «أسباب تدني مستوى التحصيل الدراسي لدى تلاميذ الصف التاسع من مرحلة التعليم الأساسي كما يراها المُعلِّمون بمدينة الزاوية». وقد انطلقت الدراسة من خلال التساؤل العام الذي ينص على الآتي:

* ما أهم أسباب تدني مستوى التحصيل الدراسي لتلاميذ الصف التاسع كما يراها المُعلِّمون؟

وتمحور هدف هذه الدراسة في التعرف على أهم هذه الأسباب، وقد شملت عينة الدراسة حوالي 1036 مُعلِّماً ومُعلِّمة، منهم 140 مُعلِّماً و896 مُعلِّمة بالإضافة إلى الاستفادة من مكاتب التعليم التابعة لمنطقة الزاوية، وقد تم اختيار عينة الدراسة بأسلوب العينة الطبقية النسبية بشكل عشوائي.

أما فيما يتعلق بأداة جمع البيانات فقد اعتمد الباحث على استمارة الاستبيان لجمع المعلومات الخاصة بالدراسة. وقد تلخصت الأساليب الإحصائية التي تم استخدامها في هذه الدراسة في الآتي: المتوسط الحسابي والانحراف المعياري الاختبار التائي Test.T وتحليل التباين. وأسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج أهمها:

إن من أهم أسباب تدني مستوى التحصيل الدراسي هو غياب المُعلِّمين عن حصصهم الدراسية، الغياب المتكرر من قِبَل التلاميذ، كذلك قلة الحزم من قِبَل الإدارة تجاه عمليات الغش في الامتحانات والغياب المستمر، وقلة اهتمام الأسرة بمتابعة دراسة الأبناء في المنزل. كذلك أكدت الدراسة على وجود مجموعة من الأسباب الفرعية التي لها علاقة بتدني مستوى التحصيل الدراسي منها ما يأتي:

صعوبة الامتحانات، وسوء الحالة الاقتصادية للأسرة بالإضافة إلى خوف التلميذ من المُعلِّم بشكل عام وكذلك عمل التلميذ بعد انتهاء اليوم المدرسي، جميع هذه الأسباب كانت وراء تدني مستوى التحصيل الدراسي عند تلاميذ الصف التاسع من التعليم الأساسي بمنطقة الزاوية.⁽⁵⁾

دراسة جمال عائد 2013م بالجزائر، بعنوان «العلاقات الاجتماعية في المدرسة والتحصيل الدراسي»، وانطلقت الدراسة من هدف عام تمثل في التعرف على الدور الذي يمكن أن تلعبه العلاقات الاجتماعية في رفع المستوى التعليمي للتلاميذ، وطبقت الدراسة على عينة بلغ

(4) بليق أحمد، أساليب الاتصال وديناميات الجماعة. مركز التدريس التربوي وزارة التربية والتعليم، عمان، 2005، ص54.
(5) إبراهيم بشير الصغير، أسباب تدني مستوى التحصيل الدراسي لدى تلاميذ الصف التاسع من مرحلة التعليم الأساسي كما يراها المُعلِّمون بمدينة الزاوية في ليبيا، "رسالة ماجستير غير منشورة"، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2004.

قوامها 54 تلميذاً و54 معلماً بمدارس مرحلة التعليم المتوسط بمدينة الجلفة، واعتمد الباحث على استمارة الاستبيان لجمع بيانات الدراسة الميدانية، وتم معالجة بيانات الدراسة وفقاً لبرنامج الرزم الاحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS، ومن أهم الاساليب الاحصائية المستخدمة لتحليل بيانات الدراسة النسب المئوية والانحراف المعياري ومعامل بيرسون، وقد اسفرت عن الدراسة جملة من النتائج أهمها: أن هناك علاقة ارتباطية موجبة بين العلاقات الاجتماعية بين المعلمين والتلاميذ داخل المدرسة و الاداء الوظيفي للمعلمين اثناء الدرس، كذلك أكدت الدراسة أن هناك علاقة ارتباطية موجبة بين العلاقات الاجتماعية بين التلاميذ والمعلمين داخل المدرسة وتحسين مستوى التعليم لدى التلاميذ.⁽⁶⁾

دراسة عزيزة شعباني 2014م بالجزائر، بعنوان: «واقع العلاقات الانسانية في مؤسسات التعليم الثانوي وعلاقتها باتجاهات التلاميذ نحو المناخ المدرسي»، وانطلقت الدراسة من هدف عام تمثل في التعرف على دور العلاقات الانسانية بين التلاميذ ومعلميهم داخل المؤسسات التعليمية في تحقيق الرضى والانسجام لدى التلاميذ، وطبقت الدراسة على 13 مؤسسة تعليمية بواقع عينة بلغ قوامها 1888 تلميذاً وتلميذة، واسفرت عن الدراسة مجموعة من النتائج أهمها أن للعلاقات الانسانية داخل المؤسسات التعليمية دوراً هاماً في تحقيق القبول والاندماج بالنسبة للتلاميذ، وبالتالي يمكن ضمان نجاح العملية التعليمية داخل المؤسسات التربوية برمتها.⁽⁷⁾

دراسة زهرة قطيب 2021م بالجزائر، بعنوان: «العلاقات الاجتماعية في الوسط المدرسي وعلاقتها بالتحصيل الدراسي»، وانطلقت الدراسة من هدف عام تمثل في التعرف على ما إذا للعلاقات الاجتماعية في الوسط المدرسي علاقة بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، وطبقت الدراسة على عينة بلغ قوامها 40 تلميذاً وتلميذة من ثانوية بوعلقة عبدالقادر بتسايبيت بأدوار تم اختيارهم تبعاً لإجراءات العينة العشوائية البسيطة، واعتمدت الباحثة على استمارة الاستبيان كأداة لجمع بيانات الدراسة، واسفرت عن الدراسة مجموعة من النتائج أهمها ما يأتي:

أن العلاقات الاجتماعية بين التلاميذ والمعلمين داخل القسم تخلق المتعة والفرحة وبالتالي تنعكس بشكل إيجابي على التحصيل الدراسي للتلاميذ، كما أن التعاون والتأزر بين التلاميذ داخل القسم يساهم في حل المشاكل والعراقيل التي تحول دون تحسين مستوى التحصيل الدراسي لدى التلاميذ.⁽⁸⁾

دراسة جبريل موسى وعادل محمد 2022م بليبيا «مدينة المرج» بعنوان: انعكاسات طبيعة التواصل الاجتماعي داخل المؤسسات التعليمية على مستوى التحصيل الدراسي للتلاميذ، وانطلقت الدراسة من هدف عام تمثل في التعرف على انعكاسات التواصل الاجتماعي داخل المؤسسات التعليمية على مستوى التحصيل الدراسي للتلاميذ، وطبقت الدراسة على عينة بلغ قوامها 105 تلميذاً وتلميذة من مرحلة التعليم الثانوي، واعتمد الباحثان على إجراءات العينة

(6) جمال عائد، العلاقات الاجتماعية في المدرسة والتحصيل الدراسي، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد الاول، العدد الثاني، جامعة الجزائر، 2013.

(7) شعباني، عزيزة، واقع العلاقات الانسانية في مؤسسات التعليم الثانوي وعلاقتها باتجاهات التلاميذ نحو المناخ المدرسي،

لمزيد من المعلومات أطلع على الموقع التالي: [Permalink'https://m.facebook.com/2024](https://m.facebook.com/2024)

(8) زهرة قطيب، العلاقات الاجتماعية في المدرسة وعلاقته بالتحصيل الدراسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أدرار الجزائر، قسم العلوم الاجتماعية، 2021.

العشوائية الطبقيّة النسبية لتحديد عدد المفردات التي ستسحب من المدارس الأربعة التي شملتهن الدراسة: (مدرسة الحرية، مدرسة عمر المختار، مدرسة القرضابية، مدرسة النهضة)، علماً بأن سحب العينة من كل مدرسة تم وفق إجراءات العينة العشوائية المنتظمة، وتم استخدام استمارة الاستبيان كأداة لجمع بيانات الدراسة، وتحليل بيانات الدراسة اعتمد الباحثان على جملة من الأساليب الإحصائية أهمها النسب المئوية، واختبار X^2 ، ومعامل التوافق، وأسفرت عن الدراسة مجموعة من النتائج أهمها: وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الاحترام المتبادل بين المعلم والتلميذ ومستوى التحصيل الدراسي للتلاميذ، كذلك أكدت الدراسة على وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المشاركة من قبل التلاميذ والمعلمين في الأنشطة الترفيهية والثقافية والرياضية والفنية ومستوى التحصيل الدراسي للتلاميذ.⁽⁹⁾

خامساً: منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الكيفي لتحقيق الأهداف سالفة الذكر، من خلال اتباع أسلوب تحليل المضمون، وذلك بتحليل محتوى الدراسات السابقة والأدبيات التي أمكن الوصول إليها فيما يتعلق بانعكاسات دور المعلم في العملية التعليمية على التحصيل الدراسي واتباع القراءة المنطقية التحليلية المتعمقة.

سادساً: تحليل وتفسير نتائج الدراسة:

من خلال الدراسات السابقة نستخلص جملة من النتائج أهمها ما يلي:

1- أن مهارات وقدرات المعلم في التعامل مع تلاميذه تؤثر في اتجاهات التلاميذ نحو العملية التعليمية وعلى توافقهم الشخصي والنفسي والاجتماعي:

ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء أهمية الدور الذي يقوم به المعلم في نجاح العملية التعليمية والتربوية، فالمعلم هو المرئي قبل أن يكون معلماً، فالتعليم بمعناه المحدد جزء من عملية التربية، وبهذا فإن وظيفة المعلم هي مساعدة التلميذ على أن يوفق بين حاجاته النفسية وقدراته العقلية وبين بيئته الاجتماعية التي يعيش فيها، كذلك يساعده على كيفية التعامل مع الآخرين حتى ينمي قدراته في التفاعل مع الواقع المحيط به، بما فيه من متغيرات ومواقف كثيرة بحيث يحقق الإنسجام والتفاعل الذي يجعله أكثر فعالية، وفي هذا الصدد يقول أحد المربين عن وظيفة المعلم «إن عملية التربية تقوم بين الفرد وعوالمه الثلاث: علم الطبيعية - علم المجتمع - وعلم الأخلاق»، وموقف المعلم من ذلك هو تحقيق التوافق بين الفرد وعوالمه بحيث يتحقق التفاعل المستمر، وبذلك يصبح المعلم هو الذي يشرف ويرشد وينصح حتى يُسهل التفاعل ويوجهه إلى الهدف المنشود ألا وهو خلق التلميذ النموذجي قدر الإمكان.⁽¹⁰⁾

وهو ما تم تأكيده من دراسة (رؤيات أحمد 1999م)، فقد أكدت على أهمية دور المعلم في العملية التعليمية، حيث بينت نتائج دراستها أن هناك علاقة ارتباطية موجبة بين مهارة وشخصية المعلم وتوجهات وانطباعات التلاميذ عن المدرسة والتحصيل، ودراسة (كلاري 1999م) التي أكدت على السمات الشخصية للمعلم ومدى تأثيرها على القدرات الفكرية لدى التلاميذ، فقد بينت أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين قدرات التلاميذ الفكرية والأبداعية داخل

(9) عادل محمد، انعكاسات طبيعة التواصل الاجتماعي داخل المؤسسات التعليمية على مستوى التحصيل الدراسي للتلاميذ، المجلة الليبية العالمية، العدد 65، نوفمبر، 2022.

(10) رمضان القذافي، نظريات التعلم والتعليم، دار العربية للكتاب، القاهرة، 1982، ص 159-160.

غرفة الصف والسمات الشخصية الايجابية التي يتبعها المعلم داخل غرفة الصف، ودراسة (عزيزة شعباني 2014)، التي انتهت إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة بين العلاقات الانسانية الجيدة بين المعلمين وتلاميذهم داخل المؤسسات التعليمية واتجاهات التلاميذ الايجابية تجاه المناخ المدرسي.

2- إن الاتجاهات الايجابية للمعلم واسلوب التدريس الديمقراطي تأثير مهم على اهتمام التلاميذ بالمشاركة في المناقشات العلمية داخل غرفة الصف وأداء الواجبات المدرسية:

يجب أن يتسم المعلم بنوع من المرونة حتى يُنمي نوعاً من العلاقات الإنسانية بينه وبين تلاميذه، وذلك من خلال تطوير أساليب التدريس التي يتبعها حيث يتم إتباع أساليب التربية السليمة والابتعاد عن العقاب المادي «الجسدي» الذي في كثير من الأحيان يولد اتجاهات سلبية نحو العلاقات الإنسانية بين المعلمين والتلاميذ، وفي هذا الصدد يؤكد كل المهتمين بالمسائل التربوية على أهمية إتباع الأسلوب الديمقراطي في التعامل مع التلاميذ؛ ذلك لأنه يتميز بوجود علاقات إنسانية بين المعلم والتلميذ، حيث يسمح هذا الأسلوب بالمشاركة الجماعية في تحمّل المسؤولية من أجل إنجاح العملية التعليمية، حيث يتصف هذا الأسلوب بوجود اتجاه واضح عند التلاميذ وكذلك المعلم من حيث تحقيق الغاية من الدرس وتوفير الوسائل المؤدية إليه.

أما فيما يتعلق بقواعد الضبط داخل الفصل فهي ذاتية تنطلق من التلاميذ أنفسهم على ضوء توقعات معروفة وحدود مرسومة يُشارك فيها المعلم والتلاميذ جنباً إلى جنب لتحقيق النظام وتحسين مستوى التحصيل، ومن أبرز سلوكيات المعلم الديمقراطي ما يلي: (11)

1. الحرص على إيجاد جو مفعم بالمودة والطمأنينة، مما يتيح للتلاميذ فرص القيام بأعمالهم ويكل فعالية.
2. إتاحة الفرص أمام التلاميذ لتقييم أنفسهم مع قيامه بدور توجيهي في هذا المجال.
3. إشراك التلاميذ في وضع الأهداف وصياغتها، وكذلك العمل على مساهمتهم في رسم الخطط والأساليب واتخاذ القرارات.
4. إشراك التلاميذ في المناقشات العلمية، ومن ثم إتاحة الفرص أمامهم لتبادل الآراء ووجهات النظر. (12)

وهذا ما أكدت عليه دراسة (راجية شكري 1991م) التي انتهت إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة بين أسلوب المعلم في التعامل مع تلاميذه والاهتمام بالمشاركة في النقاشات العلمية وأداء الواجبات الدراسية، بمعنى كلما ابتعد المعلم عن الرسمية في التعامل مع تلاميذه- ويقصد بالابتعاد عن الرسمية عدم استخدام الشدة والعقاب في التعامل مع التلاميذ، أي اتباع الأسلوب الديمقراطي المبني على التواصل والتفاهم بين المعلم وتلاميذه كلما انعكس ذلك إيجابياً على معدل التحصيل الدراسي للتلاميذ، ودراسة (جادند ومايون 2003م) التي أكدت على أهمية المساواة بين التلاميذ من قبل المعلم؛ لأن هذا يضمن تحقيق الانضباط والنظام داخل غرفة

(11) عمر بشير الطويبي، "مفهوم الذات وصلته بالتحصيل المدرسي"، مجلة الدراسات التربوية، تصدر عن قسم التربية بكلية التربية، جامعة الفاتح، 1982، ص 40-41.

(12) عبد الرحمن إبراهيم السفاينة، إدارة التعليم والتعلم الصفي، مركز يزيد، عمان، الأردن، 2005، ص 201.

الصف، كذلك يعمل على زيادة رغبة التلاميذ في المشاركة في كافة النشاطات العلمية أثناء الحصص الدراسية.

3- إن للسمات الشخصية للمعلم تأثير مهم في تحقيق النظام والانضباط داخل المؤسسات التعليمية، وهذا بدوره يساهم في تقبل التلاميذ لكافة العناصر المكونة للعملية التعليمية «الإدارة، المنهج، مكان الدراسة».

فنتظراً للدور الفعال الذي يقوم به المعلم، يُشترط أن تكون لديه القدرة على الربط بين المجتمع والمدرسة، وذلك من خلال توظيف البيئة المحيطة لخدمة المناهج الدراسية، وهو أمر يتعلق بتقديم الحقائق والدلائل لجذب انتباه التلميذ، وبالتالي زيادة رغبته في زيادة التحصيل. كذلك يجب أن يتميز بالإخلاص والجدية مع تلاميذه حتى ينمي لديهم الشعور بالمسؤولية تجاه البيئة المدرسية وما تحتويه من مقومات للعملية التعليمية، وبالتالي يساهم ذلك في إدارة الصف بنجاح من قبل المعلم.⁽¹³⁾

ويقصد بإدارة الصف هنا مدى قدرة المعلم على تحقيق النظام داخل غرفة الصف، ويرتبط هذا الأمر بعاملين هامين: الأول يتعلق بقوة شخصية المعلم في تحقيق الضبط، وهو أمر يتحقق عندما يكون المعلم واثقاً من نفسه ثابتاً غير منفعل حتى لا يصبح محل نقاش بين التلاميذ. أما العامل الثاني فيتعلق بقدرات المعلم أي مدى إحاطته بالمادة العلمية التي يقوم بتدريسها. فمن الضروري أن يكون المعلم على دراية كافية ووافيه بكل المناهج التي تُناط إليه بحيث لا يكون موقف حرج لا يحسد عليه إذا ما تقدم أحد الطلبة بسؤال أو استفسار عن شيء غير واضح يتعلق بالمادة العلمية «المدرسة»، فهذه العوامل تؤثر تأثيراً بالغاً على مدى تحقيق النظام داخل الفصل ولها في المقابل انعكاسات أخرى تشمل المستوى التحصيلي للتلاميذ.

وتؤكد دراسة (جمال عائد 2013م) على أهمية دور المعلم في البيئة المدرسية باعتباره أهم العناصر الأساسية للعملية التعليمية، فمن خلال دوره يتم تذليل كافة الصعاب أمام التلاميذ سواء كانت تعليمية تتعلق بالمناهج التعليمية والتحصيل، أو تنظيمية تتعلق باللوائح والقوانين المعمول بها داخل المؤسسات التعليمية، وعليه يصبح للمعلم دوراً فعالاً لحلحلة كافة المشاكل التي قد يتعرض لها التلاميذ داخل البيئة المدرسية، فمن هذا المنطلق يتأسس التفاعل الإيجابي بين المعلم وتلاميذه الذي بدوره ينعكس بشكل إيجابي على اهتمام التلاميذ بالتعليم وزيادة معدلات التحصيل.

4- إن للتواصل والعلاقات الاجتماعية بين المعلم وتلاميذه تأثير مهم في تحقيق التكيف والانسجام داخل البيئة المدرسية، وبالتالي تحسين مستوى التحصيل للتلاميذ.

يعد التواصل الصفّي عملية تفاعلية تبادلية بين طرفين «المعلم والتلميذ»، ووعليه فهي تركز على جملة من المبادئ والأسس التربوية والنفسية، ولكي تحقق عملية التواصل دورها البناء في تنظيم العملية التعليمية، وتحقق الأهداف المنشودة يجب أن تتوافر في التواصل الشرط والخصائص التالية:⁽¹⁴⁾

● وجود لغة مشتركة مفهومة لدى أطراف العملية التواصلية سواء أكانت اللغة لفظية أم غير لفظية.

(13) جمال أبو الوفا، اتجاهات حديثة في الإدارة المدرسية، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، 2000، ص 207.

(14) محمد خميس أبو نمر، إدارة الصفوف وتنظيمها، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2001، ص 102.

- حسن الارسال والاستقبال، وهذا يتطلب مهارات الإصغاء التي تعد من أكثر المهارات فعالية داخل الصف وخارجه. ويتطلب كذلك حسن تفسير الرسائل الصادرة عن الآخرين.
- الثقة المتبادلة والإحساس بمشاعر الآخرين وحاجاتهم، ويتطلب هذا ثقة المعلم بقدرات التلاميذ، وثقة التلاميذ بما يصدر عن المعلم من أقوال وأفعال.
- وضوح الهدف لكل من المرسل والمستقبل، ويتطلب هذا التحديد الدقيق لأهداف الموقف التواصلية ووضوحها لجميع الأطراف المشاركة بحيث يتحقق الانسجام والتوافق بينهم⁽¹⁵⁾.
- عموماً، يمكن القول إن التواصل الصفّي الفعال بين المعلم وتلاميذه يؤدي وظائف مختلفة تتصل بالعملية التعليمية، ولعل أهمها تحسين مستوى التحصيل الدراسي لدى التلاميذ.
- وهو ما أكدت عليه دراسة (على الإحسان 2015)، والتي أكدت على أهمية دور المعلم في العملية التعليمية، حيث بينت أن هناك علاقة ارتباطية موجبة بين مهارة وشخصية المعلم وتوجهات وانطباعات التلاميذ عن المدرسة والتحصيل، ففي ضوء هذه النتيجة والنتائج السابقة للدراسة يمكن القول أن مسار الدراسة يتفق مع تفسيرها النظرية التفاعلية الرمزية، والتي تبدأ تفسيراتها بتركيزها على التفاعل الرمزي بمكان حدوث الفعل الاجتماعي، وهذا يتضح من خلال موضوع الدراسة التي نحن بصدها العملية التعليمية «دور المعلم أنموذجاً» في التفاعل الرمزي الذي يبدأ داخل غرفة الصف، وبالتالي يتركز جل اهتمامها على العلاقات الاجتماعية بين المعلم وتلاميذه داخل الصف الدراسي، فهي تنظر لتلك العلاقة على أنها حاسمة، لأنه يمكن التفاوض حول الحقيقة داخل الصف إذ يدرك التلاميذ كونهم متفوقين أو العكس بناءً على التفاعل الذي يحدث بينهم وبين المعلم حيث يحققون في النهاية نجاحاً أو فشلاً تعليمياً.

بهذا يمكن القول إن لطبيعة العلاقة التي يتبناها المعلم تجاه تلاميذه داخل غرفة الصف دوراً بارزاً في تحقيق الأهداف المنشودة للعملية التعليمية برمتها، وفي هذا الصدد تؤكد تفسيرات التفاعلية الرمزية في هذا المجال على جملة من القيم التي يجيب أن تسود العلاقة بين المعلم وتلاميذه داخل غرفة الصف أهمها:

أ- التفاهم المتبادل بين المعلم وتلاميذه.

ب- الثقة والاحترام ويحقق ذلك من خلال الايجابية في التفاعل.

ج- الانتماء والولاء الذي بدوره يخلق الانضباط الذاتية للتلاميذ.

د- التحفيز والإنجاز وهذا بدوره يضمن تحقيق التفوق والإنجاز الأكاديمي.⁽¹⁶⁾

سابعاً: النتائج السلبية لضعف التحصيل الدراسي:

تترتب على ضعف التحصيل الدراسي للتلاميذ جملة من السلبيات المترابطة والمتداخلة فهي لا تقتصر في مضارها على التلميذ نفسه أو أسرته، بل تتعدى ذلك لتصل إلى النظام التعليمي بكافة جوانبه وبذلك تترتب عليها آثار شاملة قد تصل إلى البرامج والمشاريع التنموية في المجتمع ككل. ويمكن تحديد الآثار السلبية لضعف التحصيل الدراسي للتلاميذ

(15) نادر أبو شيخة، إدارة الوقت، دار مجد للنشر والتوزيع، عمان، 1990. ص101.

(16) عبدالعزيز بن علي الغريب، نظريات علم الاجتماع، دار الزهراء، الرياض، 2012، صص 289- 290.

في النفاط التالية:

1. زياد نسبة الرسوب، وهو ما يترتب عليه إهدار للموارد المالية وللجهد البشري، فعملية الرسوب يُمكن تعريفها بأنها تلك النتائج السلبية التي يتحصل عليها التلميذ في الامتحانات والتي تعيق تقدمه لمراحل متقدمة، فتكرار الرسوب يمنع تدفق التلاميذ من صف دراسي إلى آخر ومن مرحلة تعليمية إلى أخرى. ويعتبر الرسوب أحد الأسباب التي تؤدي إلى إهدار في التعليم أي زيادة الإنفاق على العملية التعليمية وفي المقابل انخفاض النتائج الايجابية.

2. التسرب من المدارس، ويترتب على هذه الظاهرة ترك التلميذ للمدرسة قبل نهاية السنة الأخيرة من المرحلة الدراسية، أو هو انقطاع التلميذ عن المدرسة جزئياً أو نهائياً، وبشكل عام نعني بظاهرة التسرب الدراسي ترك التلميذ للدراسة في أي مرحلة من مراحل التعليم. وتعتبر هذه الظاهرة امتداداً لظاهرة الرسوب المتكرر فهما وجهان لعملة واحدة وكلاهما يُعطل بلوغ الأهداف التعليمية المنشودة.

وتعد مشكلة التسرب من المشكلات البارزة التي تشكو منها جميع الأقطار العربية، حيث أكدت الدراسات التي أجريت حول هذه الظاهرة أن الوطن العربي يعاني من ارتفاعاً كبيراً في نسبة التسرب بالنسبة للتلاميذ من المدارس، وقد أرجعت هذه الدراسات أسباب التسرب بالدرجة الأولى إلى ضعف التحصيل الدراسي.

1. الآثار النفسية، والتي تظهر عند التلميذ الذي يعاني من ضعف في مستوى التحصيل، حيث تبرز هذه الآثار في شكل شعور بالفشل والإحباط واليأس، وكذلك الشعور بالقلق وبالانقص وضعف الثقة بالنفس.⁽¹⁷⁾ كل هذه الآثار هي نتيجة لضعف التحصيل عند التلميذ، وقد تتزايد هذه الآثار إذا لم تجد تسامحاً من قبل الأسرة والمدرسة حيث قد تصل إلى حالات انفصام والتي قد تدفع التلميذ في بعض الأحيان إلى محاولة الانتحار.

2. ارتفاع نسبة الأمي، التي بدورها تترتب عليها كثير من السلبيات في كافة الأصعدة، فكل النظم والأنشطة والبرامج التنموية بمختلف أنواعها وأشكالها تتوقف على مدى الوعي والتقدم العلمي، فإذا حدث خلل في هذه العناصر فإن هذا يعني وبدون شك تعطّل عجلة التقدم والتطور في المجتمع وهذا الأمر بدوره يجعل هذا المجتمع تابعاً اقتصادياً وسياسياً لمجتمعات أخرى متقدمة علمياً، حيث تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه التبعية هي من أخطر النتائج التي قد تترتب عن ضعف التحصيل الدراسي وارتفاع معدلات الرسوب والتسرب المدرسي.

فمن خلال العرض السابق للنتائج السلبية لضعف التحصيل الدراسي يتضح لنا أنه من الضروري التركيز على العملية التعليمية خاصة فيما يتعلق بدور المعلم فيها، عليه يؤكد على أهمية التفاعل والتواصل الايجابي في التعامل مع التلاميذ حتى يتحقق لهم المستوى التحصيلي المنشود، لأن إهمال هذا الجانب يترتب عليه كثير من المشاكل، من أبرزها كما سلف الذكر عمليات الرسوب والتسرب الدراسي بالإضافة إلى الآثار النفسية التي غالباً ما تكون لها انعكاسات بعيدة المدى وخاصة فيما يتعلق بالعمليات التنموية المستقبلية، فنجاح مثل هذه العمليات متوقف على مدى تعليم ووعي وثقافة أبناء المجتمع الذي توجد فيه تلك العمليات.

(17) عمر التومي الشيباني، التعليم وقضايا المجتمع المعاصرة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1990، ص 38-39.

ثامناً: سبل علاج ضعف التحصيل الدراسي:

بعد أن تعرفنا على الآثار السلبية لضعف التحصيل الدراسي عند التلاميذ، يمكن تحديد سبل علاج ضعف التحصيل الدراسي في ضوء ما تم عرضه وتحليله في جملة من النقاط أهمها:

- 1- توفير المعلم القادر على الشرح والتفسير والعطاء، بحيث يكون معد إعداداً جيداً للتعامل مع تلاميذه، كذلك يجب أن تكون لدية القدرة على تفهم مشاكل التلاميذ من خلال بناء جسور للعلاقات الايجابية بينه وبين تلاميذه داخل غرفة الصف، فيراعي مشاعرهم ولا يقلل من شأن أحدهم أمام الآخرين وبذلك يسهم في تحسين مستوى التحصيل الدراسي عند التلاميذ.
- 2- تحسين المناهج الدراسية وتطويرها ومحاولة ربطها بالبيئة المحيطة بالتلاميذ، وأن يراعى فيها التسلسل والترابط حتى لا يجد التلميذ صعوبة في فهم واستقبال المعلومات الجديدة.
- 3- عدم الاعتماد على الامتحانات التقليدية كوسيلة وحيدة للتقييم، لأن هذا قد يجعل التلميذ يشعر بالتوتر والقلق وتشتت الانتباه والتركيز.
- 4- أن تكون الامتحانات واضحة لا تعاني الغموض أو التعقيد وأن تتسلسل من السهل إلى أن تصل إلى الأسئلة التي تحتاج إلى التفكير والمهارات الخاصة بحيث تعطي مجالاً للتفوق والإبداع.

التوصيات:

- توصل الباحث من خلال هذه الدراسة ونتائجها إلى مجموعة من التوصيات أهمها ما يلي:
1. التأكيد على أهمية العلاقة الايجابية بين المعلم والتلميذ، بمعنى إنه يجب أن يسودها الاحترام المتبادل بين كلا الطرفين؛ لأن هذا الأمر له انعكاسات إيجابية على العملية التعليمية برمتها.
 2. الاهتمام بالبرامج الترفيهية سواء كانت ثقافية أو رياضية أو اجتماعية... الخ، داخل المؤسسات التعليمية، بحيث يتم تضمينها ضمن الجداول العامة للخطة الدراسية، باعتبارها تسهم في تبديد الملل والروتين الذي قد يشعر به التلاميذ إزاء تزامن الجدول الدراسي بالحصص الدراسية.
 3. الابتعاد عن اتباع أساليب العقاب والتهديد والوعيد من قبل الإدارة والمعلمين في التعامل مع التلاميذ.
 4. تفعيل دور الاخصائي الاجتماعي داخل المؤسسات التعليمية؛ لأن هذا من شأنه أن يسهم في حلحلة كافة المشاكل التي يعاني منها التلاميذ سواء داخل المدارس أو خارجها، وكذلك يسهم دور الاخصائي الاجتماعي في مد جسور الود بين التلاميذ ومعلميهم.
 5. يجب أن يتحلى المعلم بالذكاء الاجتماعي في تعامله مع تلاميذه بحيث يشعر التلاميذ بأهميتهم داخل غرفة الصف، وذلك من خلال تحفيزهم على المشاركة في النقاش داخل غرفة الصف الدراسي.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم بشير الصغير، أسباب تدني مستوى التحصيل الدراسي لدي تلاميذ الصف التاسع من مرحلة التعليم الأساسي كما يراها المعلمون بمدينة الزاوية في ليبيا، «رسالة ماجستير غير منشورة»، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2004.
2. بلقيس أحمد، أساليب الاتصال وديناميات الجماعة، مركز التدريس التربوي وزارة التربية والتعليم، عمان، 2005.
3. جمال أبو الوفا، اتجاهات حديثة في الإدارة المدرسية، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، 2000.
4. جمال عائد، العلاقات الاجتماعية في المدرسة والتحصيل الدراسي، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد الأول، العدد الثاني، جامعة الجزائر، 2013.
5. راجيه محمد شكري، تأثير أسلوب التدريس في تحصيل التلاميذ وميولهم نحو الأداء الدراسي، «رسالة ماجستير غير منشورة»، قسم علم الاجتماع، جامعة عين شمس، القاهرة، 1991.
6. رمضان القضاة، نظريات التعلم والتعليم، الدار العربية للكتاب القاهرة، 1982.
7. رؤيات أحمد عبد المطلب، العلاقة بين أنواع التفاعل الاجتماعي في الفصل، «رسالة ماجستير غير منشورة»، جامعة عين شمس، القاهرة، 1999.
8. زهرة قطيب، العلاقات الاجتماعية في المدرسة وعلاقته بالتحصيل الدراسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أدرار الجزائر، قسم العلوم الاجتماعية، 2021.
9. سلوى محمد درويش، بعض الأساليب المزاجية للمُعَلِّمين وأثرها على التحصيل الدراسي لتلاميذ المرحلة الإعدادية، «رسالة ماجستير غير منشورة»، جامعة عين شمس، القاهرة، 2003.
10. عبد الرحمن إبراهيم السفاسفة، إدارة التعليم والتعلم الصفي، مركز يزيد، عمان، الأردن، 2005.
11. عبدالعزيز بن علي الغريب، نظريات علم الاجتماع، دار الزهراء، الرياض، 2012.
12. عزيزة شعباني، واقع العلاقات الانسانية في مؤسسات التعليم الثانوي وعلاقتها باتجاهات التلاميذ نحو المناخ المدرسي، 2020، لمزيد من المعلومات أطلع على الموقع التالي: [Permalinkhttps://m.facebook.com](https://m.facebook.com)
13. عادل محمد، انعكاسات طبيعة التواصل الاجتماعي داخل المؤسسات التعليمية على مستوى التحصيل الدراسي للتلاميذ، المجلة الليبية العالمية، العدد 65، نوفمبر، 2022.
14. عمر التومي الشيباني، التعليم وقضايا المجتمع المعاصرة، منشورات جامعة قارون، بنغازي، 1990.
15. عمر بشير الطويبي، مفهوم الذات وصلته بالتحصيل المدرسي، مجلة الدراسات التربوية، تصدر عن قسم التربية بكلية التربية، جامعة الفاتح، 1982.
16. محمد خميس أبو نمر، إدارة الصفوف وتنظيمها، دار يابا للنشر والتوزيع، عمان، 2001.
17. نادر أبو شيخة، إدارة الوقت، دار مجد للنشر والتوزيع، عمان، 1990.

حرية اختيار تصميم المنهاج في مساقات اللغة العربية في جامعة زايد (التأثيرات والتحديات)

د. سناء زكريا المجيدة

قسم اللغة العربية- كلية الدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة زايد/ الإمارات العربية المتحدة

تاريخ القبول: 17.10.2024

تاريخ الاستلام: 2024/9/15

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى استكشاف تفضيلات طلبة جامعة زايد في مساقات اللغة العربية فيما يتعلق بتصميم المنهاج من جوانب مختلفة مثل المحتوى العلمي، أساليب التدريس، الأنماط التعليمية، وطرق التقييم. كما سعت إلى تحديد منافع إشراك الطلبة في تصميم المنهاج والتحديات المحتملة المصاحبة لذلك. شملت الدراسة 652 طالباً وطالبة، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة خلال الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي 2022/2023. تم استخدام استبانة مكونة من 48 عبارة موزعة على سبعة محاور رئيسية. أظهرت النتائج فروقاً ذات دلالة إحصائية لصالح الذكور في الأبعاد المتعلقة بالمحتوى العلمي وأساليب التدريس، إضافة إلى منافع إشراك الطلبة. في المقابل، لم تظهر فروق إحصائية فيما يتعلق بالتحديات المحتملة لمشاركة الطلبة في تصميم المنهاج. وخلصت الدراسة إلى توصيات، من بينها تعزيز إشراك الطلبة في تصميم المناهج بما يتناسب مع تفضيلاتهم، والتركيز على تضمين القصص والموضوعات الثقافية لتحفيزهم على التعلم.

الكلمات المفتاحية: حرية اختيار، تصميم المنهاج، مساقات اللغة العربية، جامعة زايد، التأثيرات والتحديات.

Abstract:

participation. The study included 652 students selected through simple random sampling during the first semester of the 2022/2023 academic year. A 48-item questionnaire covering seven main dimensions was used. The results showed statistically significant differences favoring males in dimensions related to content, teaching methods, and the benefits of student involvement. On the other hand, there were no significant differences regarding the potential challenges of student participation in curriculum design. The study concluded with recommendations, including enhancing student involvement in curriculum design to align with their preferences and including stories and cultural topics to motivate them toward learning.

Keywords: Freedom of choice, curriculum design, Arabic language courses, Zayed University, impacts, challenges. challenges

المقدمة:

في ظل التحولات السريعة التي يشهدها التعليم العالي، تتزايد الحاجة إلى تبني استراتيجيات تعليمية مبتكرة تلبى احتياجات وتطلعات الطلبة المتغيرة. من بين هذه الاستراتيجيات، تبرز فكرة منح الطلبة حرية اختيار المواد التعليمية كمحور مهم لتحسين تجربة التعلم وزيادة دافعيتهم. هذه الحرية لا تسهم فقط في تعزيز رضا الطلبة، بل يمكنها أيضاً أن تؤدي إلى تحسين تحصيلهم الأكاديمي وتفاعلهم الإيجابي مع المناهج الدراسية. يعد منح الطلبة حرية اختيار المواد الدراسية أحد العوامل التي تزيد من دافعيتهم نحو التعلم. فالطلبة الذين يتمكنون من اختيار المحتوى الدراسي وفقاً لميولهم واهتماماتهم الشخصية يكونون أكثر حماساً للمشاركة الفعالة في العملية التعليمية. الدراسات التربوية تشير إلى أن تلك الحرية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتحسين الأداء الأكاديمي. على سبيل المثال، أظهرت دراسة قام بها الباحث بليغ إسماعيل أن الطلبة الذين يتاح لهم اختيار المواد التعليمية التي تناسب اهتماماتهم يظهرون اهتماماً أكبر بالدراسة، ويحققون نتائج أفضل في الاختبارات التقييمية مقارنة بالطلبة الذين لا يمتلكون هذا الخيار⁽¹⁾.

على الرغم من الأهمية الثقافية والتاريخية للغة العربية، إلا أن هناك تحديات كبيرة تواجه الطلبة في تعلمها، خاصة في الجامعات. تشير الدراسات إلى أن من بين الأسباب الرئيسية لضعف تعلم اللغة العربية هو عدم توافق المواد الدراسية مع اهتمامات الطلبة أو الصعوبات المرتبطة بتفاعلهم مع المحتوى التعليمي التقليدي⁽²⁾. في هذا السياق، أشارت دراسة قام بها الباحثان سعد الزاير وإيمان عايز، إلى أن تعقيد المناهج الدراسية الجافة يزيد من شعور الطلبة بالعزوف عن تعلم اللغة العربية، وهو ما يعزز من الفجوة بين الطلبة واللغة التي تمثل جزءاً أساسياً من هويتهم الثقافية⁽³⁾.

إضافة إلى ذلك، يلعب انتشار تعلم اللغات الأجنبية، مثل الإنجليزية، دوراً في تقليص الاهتمام بتعلم اللغة العربية، فالمكانة الاجتماعية والاقتصادية للغة الإنجليزية جعلت منها خياراً مفضلاً لدى العديد من الطلبة، مما أدى إلى تراجع الرغبة في تعلم اللغة العربية⁽⁴⁾. ويرى العديد من الباحثين أن التركيز المفرط على التعليم القائم على التلقين، خاصة فيما يتعلق بالقواعد النحوية والصرفية، يؤدي إلى تراجع دافعية الطلبة نحو تعلم اللغة العربية. وأن التدريس التقليدي الذي يركز بشكل رئيسي على القواعد دون إتاحة الفرصة لتطبيقها في مواقف عملية جعل من تعلم اللغة عملية مملة ومرهقة، وهو ما أدى إلى تراجع مستوى الطلبة في هذا المجال⁽⁵⁾.

في ضوء هذه التحديات، يأتي السؤال المهم: هل يمكن أن يؤدي إشراك الطلبة في تصميم المناهج واختيار المواد التعليمية إلى خلق بيئة تعليمية أكثر جاذبية وتفاعلاً؟ تشير الأدبيات

- (1) إسماعيل، بليغ. (2011). استراتيجيات تدريس اللغة العربية. عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع.
- (2) الشجرأوي، عزام. (2013). ضعف طلبة الجامعات في اللغة العربية: أسبابه وعلاجه. دبي: المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية.
- (3) زاير، سعد وعايز، إيمان. (2014). مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- (4) زاير، سعد وداخل، سماء. (2015). اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية. عمان: الدار المنهجية للنشر والتوزيع.
- (5) عون، فاضل والمحنه، علي. (2018). شغف طلبة أقسام اللغة العربية في التحدث باللغة العربية الفصحى. مجلة كلية التربية جامعة بابل، (37)، 674-695.

التربوية إلى أن منح الطلبة فرصة المشاركة في تصميم المناهج يمكن أن يكون له تأثير إيجابي كبير على دافعتهم نحو التعلم. فالطلبة الذين يشعرون بأن لديهم القدرة على التحكم في محتوى دراستهم يكونون أكثر انخراطاً وإبداعاً في العملية التعليمية.

علاوة على ذلك، يمكن أن يؤدي هذا النهج إلى تحسين تحصيل الطلبة في مساقات اللغة العربية. فالطلبة الذين يختارون المحتوى الذي يناسب اهتماماتهم يكونون أكثر قدرة على تطوير مهاراتهم اللغوية والإبداعية. كما أن هذه الاستراتيجية قد تسهم في تقليل الفجوة بين ما يدرسه الطلبة وما يحتاجون إلى تعلمه فعلياً في الحياة العملية.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

يعاني العديد من الطلبة في الجامعات العربية، بما في ذلك جامعة زايد، من ضعف الميل نحو تعلم اللغة العربية، على الرغم من كونها لغتهم الأم. تشير الدراسات إلى أن هذا الضعف قد يرتبط بعدة عوامل، منها الفجوة بين الأجيال بين مؤلفي المناهج التعليمية والطلبة الذين يتلقونها، حيث لا تعكس هذه المناهج اهتمامات الطلبة واحتياجاتهم الفردية. هذه الفجوة تجعل تعلم اللغة العربية يأتي مفروضاً على الطلبة، ما يؤدي إلى شعورهم بأنهم غير مرتبطين بما يدرسون. بالإضافة إلى ذلك، ينتشر بين الطلبة تصور بأن تعلم اللغات الأجنبية، وخاصة اللغة الإنجليزية، أكثر فائدة من حيث ارتباطها بسوق العمل ومتطلبات العصر.

وتشير عديد من التقارير والدراسات، مثل تقرير اليونسكو، إلى أن الازدواجية اللغوية (Diglossia) أصبحت سمة بارزة في المجتمعات العربية، حيث تتجه العديد من المدارس والجامعات نحو استخدام اللغات الأجنبية في التعليم، ما ينعكس سلباً على الاهتمام باللغة العربية⁽⁶⁾. وبالرغم من المبادرات الكثيرة لدعم اللغة العربية، لا يزال هناك عزوف واضح عن دراستها، مما يؤدي إلى تراجع مستوى الطلبة فيها.

وتتمثل مشكلة الدراسة بكيفية تعزيز دافعية الطلبة نحو تعلم اللغة العربية من خلال إتاحة الفرصة لهم لاختيار المواد التعليمية التي تتماشى مع ميولهم واهتماماتهم الشخصية. إذ يطرح البحث التساؤلات التالية: هل يمكن لهذه الحرية أن تسهم في تحسين تجربة التعلم وجعل البيئة التعليمية أكثر جذباً وتحفيزاً؟ هل سيؤدي إشراك الطلبة في اختيار المواد إلى تحسين تحصيلهم الأكاديمي في اللغة العربية وزيادة تفاعلهم معها؟ وكيف يمكن أن يساعد ذلك في تعزيز قدراتهم الإبداعية وتطوير مهاراتهم في استخدام اللغة؟

مما سبق؛ تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف تأثير إتاحة حرية الاختيار للطلاب في مساقات اللغة العربية على مستوى رضاهم عن التجربة التعليمية وجودة أدائهم الأكاديمي. كما تهدف إلى فهم كيفية تأثير هذه الحرية على تحسين دافعية الطلبة للتعلم، ومدى ارتباط ذلك بتفاعلهم مع المحتوى الدراسي، بما يسهم في تحسين تجربة تعلم اللغة العربية بشكل عام.

أسئلة الدراسة:

السؤال الأول: ما الموضوعات والخبرات اللغوية التي يفضل الطلبة تضمينها في مساقات اللغة العربية؟

السؤال الثاني: ما أساليب التدريس التي يفضلها الطلبة في مساقات اللغة العربية؟

(6) اليونسكو. (2019). تقرير: بناء مجتمعات المعرفة في المنطقة العربية. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.

- السؤال الثالث: ما الأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة في مساقات اللغة العربية؟
- السؤال الرابع: ما طرق التقييم التي يفضلها الطلبة في مساقات اللغة العربية؟
- السؤال الخامس: ما الممارسات التقويمية التي يفضل الطلبة تضمينها في منهاج مساقات اللغة العربية؟
- السؤال السادس: ما تأثير مشاركة الطلبة في تصميم منهاج مساقات اللغة العربية على دافعيتهم وتحصيلهم الأكاديمي؟
- السؤال السابع: ما التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة في تصميم منهاج مساقات اللغة العربية؟
- السؤال الثامن: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في تقديرات الطلبة لحرية اختيار تصميم المنهاج في مساقات اللغة العربية في جامعة زايد تُعزى لمتغير النوع الاجتماعي؟
- أهداف الدراسة:

1. التعرف إلى الموضوعات والخبرات اللغوية المفضلة لدى الطلبة في مساقات اللغة العربية.
2. استكشاف أساليب التدريس التي يفضلها الطلبة في مساقات اللغة العربية.
3. التعرف إلى الأنماط التعليمية المفضلة لدى الطلبة في مساقات اللغة العربية.
4. التعرف إلى طرق التقييم التي يفضلها الطلبة في مساقات اللغة العربية.
5. استكشاف الممارسات التقويمية التي يفضل الطلبة تضمينها في منهاج مساقات اللغة العربية.
6. دراسة تأثير مشاركة الطلبة في تصميم منهاج مساقات اللغة العربية على دافعيتهم وتحصيلهم الأكاديمي.
7. استكشاف التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة في تصميم منهاج مساقات اللغة العربية.
8. الكشف فيما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلبة والطالبات في تقديراتهم لمفهوم حرية اختيار تصميم المناهج، وتأثير هذه الحرية على تجربتهم التعليمية.

أهمية الدراسة:

تأتي الدراسة في سياق الجهود المتزايدة لتعزيز استراتيجيات تعليمية تتمحور حول الطالب، مما يجعلها ذات أهمية كبيرة من الناحيتين النظرية والعملية. من الناحية النظرية، تسهم الدراسة في تطوير المفاهيم التربوية الحديثة التي تتعلق بالحرية التعليمية، حيث تقدم رؤى حول كيفية تأثير منح الطلبة حرية اختيار المواد التعليمية على دافعيتهم وتحصيلهم الأكاديمي. إذ إن تركيز هذه الدراسة على حرية الاختيار يعزز الأدبيات التربوية المتعلقة بتصميم المناهج المخصصة التي تراعي الفروق الفردية بين الطلبة وتلبي اهتماماتهم المتنوعة. كما أن تحليل العلاقة بين تفاعل الطلبة مع المحتوى الدراسي ومدى توافقه مع اهتماماتهم يُعد إضافة مهمة للأبحاث السابقة في هذا المجال. كما تأتي أهمية هذه الدراسة في تقديم

تحليل شامل للتحديات التي قد تنشأ نتيجة إشراك الطلبة في تصميم المناهج، مما يثري النقاش النظري حول كيفية تحقيق التوازن بين الحرية الأكاديمية وضبط الجودة التعليمية. من خلال تسليط الضوء على هذه التحديات، وتقدم الدراسة إطاراً نظرياً أوسع لدراسة التفاعل بين حرية الطلبة في اختيار المحتوى والجودة التعليمية المطلوبة.

أما من الناحية العملية، فإن الدراسة الحالية تسعى إلى تحسين دافعية الطلبة والتزامهم الأكاديمي من خلال تمكينهم من اختيار النصوص والموضوعات التي تتناسب مع اهتماماتهم. إن هذا النهج قد يؤدي إلى زيادة التفاعل مع المحتوى الدراسي وتحفيز الطلبة على المشاركة النشطة في العملية التعليمية، مما ينعكس إيجابياً على تحصيلهم الأكاديمي. كذلك، تقدم الدراسة توصيات عملية لتطوير المناهج الدراسية في جامعة زايد وغيرها من المؤسسات التعليمية، بحيث تصبح أكثر توافقاً مع متطلبات واحتياجات الطلبة. كما يتوقع أن تفتح الدراسة آفاقاً لتوجيه تطوير البيئة التعليمية، من خلال تقديم استراتيجيات تعليمية مبتكرة تعتمد على الحرية الأكاديمية الموجهة. ويتوقع أن تقدم الدراسة توصيات ذات فائدة كبيرة لأعضاء هيئة التدريس والمصممين الأكاديميين، مما يمكنهم من تعزيز بيئات تعليمية تدعم استقلالية الطلبة وتعزز من تحفيزهم. كما تقدم الدراسة رؤى مهمة لصناع القرار في الحقل الأكاديمي حول كيفية تنفيذ هذه الاستراتيجيات بشكل يحقق التوازن بين تلبية اهتمامات الطلبة وضمان الجودة التعليمية.

حدود الدراسة:

تم الالتزام بالحدود التالية:

الحدود الموضوعية: حرية اختيار تصميم المنهج في مساقات اللغة العربية في جامعة زايد: التأثيرات والتحديات.

الحدود البشرية: طلبة مساق مفاهيم عربية ويرمز له في جامعة زايد ب (ARA130) من الجنسين (الذكور والإناث)، ومن مختلف التخصصات والكليات الموجودة في الجامعة.

الحدود المكانية: طلبة جامعة زايد بدولة الإمارات العربية المتحدة في كلا الحرم الجامعيين: أبوظبي ودبي.

الحدود الزمانية: خلال الفصل الدراسي الأول للعام الجامعي 2022/2023

مصطلحات الدراسة وتعريفاتها الإجرائية

حرية اختيار تصميم المنهج: وتعرف إجرائياً بأنها حرية الطلبة في جامعة زايد لاختيار المواد والمحتويات، وتحديد الأنشطة التعليمية المناسبة ضمن مساقات اللغة العربية، بما يسمح لهم بتكييف المنهج وفق احتياجاتهم التعليمية.

مساقات اللغة العربية: وتعرف إجرائياً بأنها المساقات التي تهدف إلى تعزيز مهارات اللغة العربية لدى الطلبة في جامعة زايد ذوي المعرفة المسبقة في اللغة العربية، مع التركيز على تنمية مهاراتهم في التحليل اللغوي والكتابة النقدية.

التأثيرات: وتعرف إجرائياً بأنها التغييرات التي تنتج عن حرية اختيار تصميم المنهج في مساقات اللغة العربية في جامعة زايد، بما في ذلك التحسينات أو التحديات التي تؤثر على أداء الطلبة.

التحديات، وتعرف إجرائياً بأنها المشكلات أو العوائق التي تواجه طلبة مساقات اللغة العربية في جامعة زايد أثناء ممارسة حرية تصميم المنهاج.

الدراسات السابقة:

تعد مرحلة تحليل الحاجات (Need Analysis) أولى مراحل عملية تطوير المناهج عامة، وقد قسمت الحاجات إلى نوعين، حاجات موضوعية، وأخرى ذاتية، والحاجات الذاتية هي ما يريده المتعلم وما يرغب فيه، وتبدو أشد صعوبة في تحديدها من النوع الأول⁽⁷⁾. فقد اتفق عدد كبير من الباحثين على أن البحث عن ميول الطلبة وتوجهاتهم يزيد من دافعيتهم للتعلم بشكل عام، ففي دراسة على مجموعة من الطلبة ذوي الميول الرياضية أكد فيها أن طلبته أظهروا شغفا واضحا حين فتح لهم باب حرية اختيار الروايات ذات الموضوعات الرياضية أكثر من الروايات التي كان يختارها الأستاذ الباحث بنفسه⁽⁸⁾، وأثبتت دراسة أنه كلما كانت المادة التعليمية قريبة من ميول الطلبة واهتماماتهم كانت دافعية الطلبة للدراسة أكبر، وزاد إدراكهم لواقعهم المعاش، لذا وجب على واضعي المناهج التعرف أولا إلى تلك الاهتمامات وتضمينها في المناهج الدراسية⁽⁹⁾، أما الباحث (مارزانو) فينصح المدرسين لتحقيق علاقات جيدة وفعالة مع الطلبة والمحافظة عليها بـ «الاستجابة لاهتمامات الطلبة في الدرس بقدر الإمكان»⁽¹⁰⁾.

وفي دراسة أجراها (Murphy) وآخرون لوحظ أن تأثير الاقتراح الذاتي للموضوعات التي يود الطلبة دراستها في المنهاج في أدائهم الأكاديمي قد يكون ضئيلا، وأن الطلبة المتميزين وحدهم القادرون على تصميم وحداتهم الخاصة. إلا أن هذه الدراسة لم تنف أن اختيار الطالب قد يكون له فوائد تعليمية، لكن من غير تقديم أدلة مقنعة على أن ذلك يحسن الأداء الأكاديمي⁽¹¹⁾. أكدت منظمة هانوفر للأبحاث أن اختيار الطلاب للمحتوى التعليمي الذي يتناسب مع ميولهم واحتياجاتهم يزيد من رضاهم عن العملية التعليمية، مما يؤثر إيجابيا على تحصيلهم الدراسي في الاختبارات التقييمية⁽¹²⁾. ورغم ذلك، فإن الدراسات العربية التي تربط بشكل مباشر بين معرفة توجهات الطلاب وزيادة دافعيتهم للتعلم في أي مجال، بما في ذلك اللغة العربية، ما زالت نادرة ولم تحظ بالبحث الكافي حتى الآن⁽¹³⁾. فقد أشار الباحث عادل سلامة باختصار إلى أهمية تلبية احتياجات المتعلم واهتماماته⁽¹⁴⁾، بينما تناولت الباحثة مرفت محمود في كتابها تطوير المناهج أهمية تحسين مستوى المتعلم وتجهيزه بما يتناسب مع

(7) السعافين، إبراهيم. (2008). اللغة العربية والتعليم، رؤية مستقبلية للتطوير. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. ص 201-236.

(8) Broz, Bill & Dunn, Susan. (2003). Supporting and Teaching Student Choice: Offering Students Self-Selected Reading. The ALAN Review, 31, 23-28.

(9) Bello, Babatunde Paul. (2016). Factors influencing the use of instructional materials. Retrieved from <https://www.academia.edu/30636806/FACTORS>

(10) مارزانو، روبرت جيه. (2007). فن وعلم التدريس: إطار شامل للتدريس الفعال. ترجمة ونشر: النوحه: المجلس الدولي لإصلاح التعليم والتنمية (ICERD).

(11) Murphy, M.J., Seneviratne, R.D., Cochrane, L. et al. (2013). Impact of student choice on academic performance: cross-sectional and longitudinal observations of a student cohort. BMC Med Educ, 13, 26. Retrieved from <https://doi.org/10.1186/1472-6920-13-26>

(12) Hanover Research Organization. (2014, November). Impact of Student Choice and Personalized Learning.

(13) Taha, H. (2019). Arabic Language Education in the UAE. In: Gallagher, K. (ed), Education in the UAE: Innovation and transformation. Springer. doi:10.1007/978-981-13-7736-5_5

(14) سلامة، عادل. (2006). تخطيط المناهج وتنظيمها، بين النظرية والتطبيق. ط 2. عمان: دبيونو للطباعة والنشر والتوزيع.

متطلبات العصر، داعيةً المطورين إلى أخذ طبيعة المتعلم وخصائصه واحتياجاته واتجاهاته بعين الاعتبار في عمليات تطوير المناهج⁽¹⁵⁾.

منهج الدراسة:

استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي لمناسبته وأهداف الدراسة وذلك بتصميم استبانته لجمع البيانات لقياس حرية اختيار تصميم المنهاج في مساقات اللغة العربية في جامعة زايد: التأثيرات والتحديات.

مجتمع وعينة الدراسة:

تكوّن مجتمع الدراسة الحالية من جميع طلبة جامعة زايد الذين يدرسون مساق مفاهيم عربية والبالغ عددهم (9290) طالب وطالبة، لعام الدراسي 2022/2023 م، للفصل الدراسي الأول، وفقاً لإحصائية جامعة زايد لعام (2022) م والمنشورة على موقعها الرسمي. وتم تطبيق الدراسة على عينة عشوائية بسيطة ممثلة للمجتمع الكلي للدراسة، وقد تم اختيار عينة مكون من (652) طالباً وطالبة ممثلين لمجتمع الدراسة.

وفيما يلي الوصف الإحصائي لعينة الدراسة:

الجدول (1): توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغير النوع الاجتماعي

المتغير	المستويات	العدد	النسبة المئوية (%)
النوع الاجتماعي	ذكر	447	68.6%
	أنثى	205	31.4%
مجموع العينة		652	100.0

أداة الدراسة:

بعد الاطلاع على عدد من الأدبيات التربوية، والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة الحالية، ولتحقيق أهداف الدراسة تم تصميم استبانة من قبل الباحثة لقياس حرية الاختيار في تصميم المنهاج الموصى به لمساقات اللغة العربية في جامعة زايد: دراسة تأثيرات وتحديات، وتكونت الاستبانة من ثلاثة أجزاء، وفيما يلي عرض للأداة، والإجراءات التي اتبعتها الباحثة للتحقق من صدقها وثباتها:

1. القسم الأول: يحتوي على مقدمة تعريفية بأهداف الدراسة، ونوع البيانات والمعلومات التي تود الباحثة جمعها من أفراد عينة الدراسة، مع تقديم الضمان بسرية المعلومات المقدمة، والتعهد باستخدامها لأغراض البحث العلمي فقط.
2. القسم الثاني: يحتوي على البيانات الديموغرافية لأفراد عينة الدراسة، وهي على النحو الآتي: (النوع الاجتماعي).
3. القسم الثالث: يتكون هذا القسم من (48) عبارة، موزعة على سبعة أبعاد رئيسية، والجدول (2-3) يوضح عدد عبارات المقياس، وكيفية توزيعها على الأبعاد.

(15) علي، ميرفت. (2015). تطوير وتصميم (3) توزيع الفقرات على أبعاد الاستبانة

عدد الفقرات	البعد
13	البُعد الأول: المحتوى العلمي والخبرات اللغوية.
11	البُعد الثاني: أساليب التدريس التي يفضلها الطلبة.
3	البُعد الثالث: الأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة.
7	البُعد الرابع: طرق التقييم التي يفضلها الطلبة.
4	البُعد الخامس: الممارسات التقييمية التي يفضلها الطلبة.
7	البُعد السادس: منافع إشراكية الطالب.
3	البُعد السابع: التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة.
48	المجموع

يستجيب المفحوص على فقرات الاستبانة من خلال اختيار إحدى الخيارات وفق نظام ليكرت الخماسي البدائل لقياس حرية اختيار تصميم المنهاج في مساقات اللغة العربية في جامعة زايد: التأثيرات والتحديات وتتمثل بـ (أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق بشدة)

تصحيح الاستبانة:

تم اعتماد سلم ليكرت الخماسي لتصحيح أدوات الدراسة، بإعطاء كل فقرة من فقراته درجة واحدة من بين درجاته الخمس (أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق بشدة)، وهي تمثل رقمياً (4، 3، 2، 1) على الترتيب، وقد تم اعتماد المقياس التالي لأغراض تحليل النتائج حسب مقياس ليكرت الخماسي:

جدول رقم (3) تقسيم فئات مقياس ليكرت الخماسي (حدود متوسطات الاستجابات)

م	الفئة	حدود الفئة	
		من	إلى
1	أوافق بشدة (بدرجة كبيرة جداً)	أكبر من 4.20	5.00
2	أوافق (بدرجة كبيرة)	أكبر من 3.40	4.20
3	محايد (بدرجة متوسطة)	أكبر من 2.60	3.40
4	لا أوافق (بدرجة قليلة)	أكبر من 1.80	2.60
5	لا أوافق بشدة (بدرجة قليلة جداً)	1.00	1.80

وتجدر الإشارة إلى استخدام طول المدى للوصول لحكم موضوعي على متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة، بعد معالجتها إحصائياً.

صدق أداة الدراسة:

تم التأكد من صدق أداة الدراسة من خلال:

أ- الصدق الظاهري لأداة الدراسة (صدق المحكمين):

للتعرف على مدى الصدق الظاهري للاستبانة، والتأكد من أنه يقاس ما وضع لقياسه، تم عرضها بصورتها الأولية على عدد من المحكمين المختصين في مجال أصول التربية، واللغة العربية، حيث بلغ عدد المحكمين (4) محكمين، وطلبت الباحثة من السادة المحكمين تقييم جودة الاستبانة، من حيث قدرتها على قياس ما أعدت لقياسه، والحكم على مدى ملاءمتها لأهداف الدراسة، وذلك من خلال تحديد مدى وضوح كل عبارة، ومدى ارتباط كل عبارة ببعدها، وأهميتها، وسلامتها لغوياً، إضافةً إلى إبداء رأيهم في حال وجود أي تعديل، أو حذف، أو إضافة عبارات للاستبانة، وبعد استرداد المقاييس، قامت الباحثة باعتماد الفقرات التي أجمع (80%) فأكثر من المحكمين على ملاءمتها، أو التعديل عليها، ومن ثم إجراء التعديلات اللازمة التي اتفق عليها غالبية المحكمين والتي كانت في مجملها تعديل على الصياغة، وتم إخراج الاستبانة بالصورة النهائية.

ب- صدق الاتساق الداخلي للأداة:

للتحقق من صدق الاتساق الداخلي للأداة، تم اختيار عينة استطلاعية مكونة من (32) فرد من مجتمع الدراسة وجميعهم من خارج عينة الدراسة الأساسية، ووفقاً للبيانات تم حساب معامل ارتباط بيرسون (Pearson's Correlation Coefficient)؛ وذلك بهدف التعرف إلى درجة ارتباط كل عبارة من عبارات الاستبانة بالدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه. جدول رقم (4) معاملات ارتباط بيرسون لعبارات الاستبانة مع الدرجة الكلية للبعد

معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	الْبُعد
0*350.	8	0**675.	1	الْبُعد الأول: المحتوى العلمي والخبرات اللغوية
0*367.	9	0*421.	2	
0**549.	10	0**541.	3	
0*350.	11	0**473.	4	
0**521.	12	0**713.	5	
0**846.	13	0*442.	6	
-	-	0*407.	7	

0**662.	7	0**495.	1	البُعد الثاني: أساليب التدريس التي يفضلها الطلبة
0**606.	8	0**487.	2	
0**550.	9	0**618.	3	
0**494.	1	0**466.	4	
0**510.	11	0*412.	5	
-	-	0**586.	6	
0**522.	3	0**638.	1	البُعد الثالث: الأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة
-	-	0**562.	2	
0*351.	5	0**594.	1	البُعد الرابع: طرق التقييم التي يفضلها الطلبة
0**461.	6	0**670.	2	
0*393.	7	0**512.	3	
-	-	0*357.	4	
0*3652.	3	0**730.	1	البُعد الخامس: الممارسات التقويمية التي يفضلها الطلبة
0*379.	4	0**650.	2	
0*374.	5	0**549.	1	البُعد السادس: منافع إشراكية الطالب
0*398.	6	0**478.	2	
0**530.	7	0**602.	3	
-	-	0*3652.	4	
0**539.	3	0**658.	1	البُعد السابع: التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة
-	-	0*440.	2	

* دال عند مستوى الدلالة 0.05 فأقل

** دال عند مستوى الدلالة 0.01 فأقل

يتضح من الجدول (4) أن قيم معامل ارتباط كل عبارة من العبارات مع الدرجة الكلية للبعد موجبة، ودالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05) فأقل؛ مما يشير إلى صدق الاتساق

الداخلي بين عبارات الاستبانة، ومناسبتها لقياس ما أعدت لقياسه.

ثبات أداة الدراسة:

تم التأكد من ثبات أداة الدراسة من خلال استخدام معامل الثبات ألفا كرونباخ (معادلة ألفا كرونباخ) (α Cronbach's Alpha)، بالإضافة إلى استخدام طريقة التجزئة النصفية، ويوضح الجدول رقم (5) قيم معاملات الثبات لكل بُعد من أبعاد الاستبانة وللدرجة الكلية للاستبانة.

جدول رقم (5) معاملات ثبات أداة الدراسة

التجزئة النصفية	ألفا كرونباخ	عدد العبارات	البُعد
0.948	0.936	13	البُعد الأول: المحتوى العلمي والخبرات اللغوية.
0.922	0.914	11	البُعد الثاني: أساليب التدريس التي يفضلها الطلبة.
0.729	0.711	3	البُعد الثالث: الأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة.
0.899	0.890	7	البُعد الرابع: طرق التقويم التي يفضلها الطلبة.
0.792	0.766	4	البُعد الخامس: الممارسات التقويمية التي يفضلها الطلبة.
0.842	0.6528	7	البُعد السادس: منافع إشراكية الطالب.
0.764	0.702	3	البُعد السابع: التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة.
0.839	0.813	48	الثبات العام

يتضح من الجدول رقم (5) أن معامل ثبات ألفا كرونباخ العام عالٍ حيث بلغ (0.813)، وبلغ معامل الثبات من خلال طريقة التجزئة النصفية (0.839)، وهذا يدل على أن الاستبانة تتمتع بدرجة ثبات مرتفعة يمكن الاعتماد عليها في التطبيق الميداني للدراسة، كما أن معامل الثبات عالٍ لكل بُعد من أبعاد الاستبانة.

الصورة النهائية لأداة الدراسة:

وبذلك تكون الاستبانة في صورتها النهائية مكونة من (48) فقرة موزعة على سبعة أبعاد، البُعد الأول: المحتوى العلمي والخبرات اللغوية ويشمل على (13) فقرة، والبُعد الثاني: أساليب التدريس التي يفضلها الطلبة ويشمل (11) فقرة. والبُعد الثالث: الأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة ويشمل (3) فقرات. والبُعد الرابع: طرق التقويم التي يفضلها الطلبة ويشمل (7) فقرات. والبُعد الخامس: الممارسات التقويمية التي يفضلها الطلبة ويشمل (4) فقرات.

والبُعد السادس: منافع إشراكية الطالب ويشمل (7) فقرات. والبُعد السابع: التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة ويشمل (3) فقرات.

إجراءات تطبيق أداة الدراسة:

بعد الانتهاء من كافة التعديلات والتأكد من صلاحية الاستبانة للتطبيق، قامت الباحثة بتطبيقه ميدانياً باتباع الخطوات الآتية:

1. تم إعداد أداة الدراسة، عن طريق الرجوع للأدب النظري والدراسات السابقة.
2. التحقق من صدق أداة الدراسة عن طريق عرضها على عدد من المحكمين المختصين وتم إجراء التعديلات اللازمة، وإخراج الأداة بصورتها النهائية.
3. تم التأكد من ثبات أداة الدراسة عن طريق تطبيقها على عينة استطلاعية.
4. توزيع الاستبانة على عينة الدراسة.
5. جمع الردود على الاستبانات بعد تعبئتها، وقد بلغ عددها (652) رد.
6. مراجعة نتائج الاستبانات للتأكد من مدى صلاحيتها للتحليل الإحصائي.
7. تحليلها إحصائياً باستخدام برنامج (SPSS).
8. التوصل إلى النتائج ومناقشتها ومقارنتها بالدراسات السابقة.
9. وضع عدد من التوصيات ومقترحات للدراسات مستقبلية.

المعالجات الإحصائية:

تمت معالجة البيانات باستخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية «SPSS» والمعروفة بـ Statistics Package For Social Science باستخدام الحاسوب، بهدف الإجابة عن أسئلة الدراسة وفحص فرضيات الدراسة وذلك بالطرق الإحصائية التالية:

- المتوسط الحسابي الموزون «Weighted Mean»؛ وذلك للتعرف على متوسط استجابات أفراد عينة الدراسة على كل عبارة من عبارات الأبعاد، وترتيب العبارات حسب أعلى متوسط حسابي موزون.
- المتوسط الحسابي «Mean»؛ وذلك لمعرفة مدى ارتفاع، أو انخفاض استجابات أفراد عينة الدراسة عن الأبعاد الرئيسية.
- الانحراف المعياري «Standard Deviation»؛ للتعرف على مدى انحراف استجابات أفراد عينة الدراسة لكل عبارة من عبارات متغيرات الدراسة، ولكل بعد من الأبعاد الرئيسية عن متوسطها الحسابي.
- اختبار (ت) لعينتين مستقلتين «Independent Samples T Test»؛ بهدف التعرف إلى الفروق بين اتجاهات عينة الدراسة باختلاف متغيراتهم التي تنقسم إلى فئتين.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول ومناقشتها:

وينصُّ السؤال الأول من أسئلة الدراسة على: ما الموضوعات والخبرات اللغوية التي يفضل الطلبة تضمينها في مساقات اللغة العربية؟

لتحديد الموضوعات والخبرات اللغوية التي يفضل الطلبة تضمينها في مساقات اللغة العربية، تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات بُعد (المحتوى العلمي والخبرات اللغوية)، وجاءت النتائج كما يلي:

جدول رقم (6) استجابات أفراد عينة الدراسة حول الموضوعات والخبرات اللغوية التي يفضل الطلبة تضمينها في مساقات اللغة العربية

م	العبارات	المتوسط الحسابي الموزون		الترتيب
		الانحراف المعياري	قيمة المتوسط	
1	أتمنى أن نتاح لي الفرصة لاختيار الموضوعات التي يضمها المنهاج	0.972	3.78	10
2	الموضوعات العلمية المتخصصة	0.906	3.78	8
3	الموضوعات الثقافية العامة	0.849	4.02	2
4	المقالات الأدبية	0.942	3.81	7
5	المقالات العلمية العامة	0.957	3.78	9
6	النصوص التراثية	0.939	3.94	4
7	النصوص القديمة	0.988	3.84	6
8	النصوص الحديثة	0.945	3.93	5
9	القصص	0.907	4.1	1
10	الروايات	0.976	3.98	3
11	المسرحيات	1.062	3.75	11
12	القصائد الشعرية	1.143	3.58	13
13	السير الذاتية/ الغيرية	1.027	3.68	12
-	الدرجة الكلية	0.671	3.849	-

يتضح في الجدول (6) أن مستوى الموضوعات والخبرات اللغوية التي يفضل الطلبة تضمينها في مساقات اللغة العربية من وجهة نظر عينة الدراسة بلغت بمتوسط حسابي (3.849)، وهو بدرجة كبيرة حسب المعيار المستخدم في الدراسة. كما تبين أن تقدير عينة الدراسة لعبارة « أتمنى أن تتاح لي الفرصة لاختيار الموضوعات التي يضمها المنهاج » كانت بمتوسط (3.78) وهي بدرجة كبيرة.

ويتضح من النتائج في الجدول (6) أن جميع عبارات المحتوى العلمي والخبرات اللغوية كانت بدرجة كبيرة وتم ترتيب أعلى عباريتين تنازلياً حسب موافقة أفراد عينة الدراسة عليها، وتتمثل بالآتي:

- جاءت العبارة رقم (3) وهي: « أتمنى أن يراعى في موضوعات المنهاج تفضيلي القرائي المتمثل ب: القصص » بالمرتبة الأولى من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (4.1)، وهي بدرجة كبيرة.

- جاءت العبارة رقم (3) وهي: « أتمنى أن يراعى في موضوعات المنهاج تفضيلي القرائي المتمثل ب: الموضوعات الثقافية العامة » بالمرتبة الثانية من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (4.02)، وهي بدرجة كبيرة.

ويتضح من النتائج في الجدول (6) أن أقل عبارات المحتوى العلمي والخبرات اللغوية تتمثل في العبارة رقم (12)، وقد كانت بدرجة كبيرة وهي: « أتمنى أن يراعى في موضوعات المنهاج تفضيلي القرائي المتمثل ب: القصائد الشعرية » بالمرتبة الأخيرة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (3.58).

وقد يعود السبب في ذلك إلى أن تفضيل الطلبة للموضوعات التي تجمع بين التنوع الثقافي والأدبي، حيث يتصدر تفضيل القصص كمحتوى تعليمي بسبب قدرتها على جذب الانتباه وتقديم المعلومات بطريقة مشوقة. كما يعكس هذا التفضيل رغبة الطلبة في الحصول على تجارب تعليمية تشمل جوانب متعددة من الأدب والثقافة، مما يعزز من مشاركتهم الفعالة في العملية التعليمية. كما يتضح من النتائج أن النصوص الحديثة والنصوص التراثية تحظى بتقدير عال أيضاً، مما يشير إلى اهتمام الطلبة بالتوازن بين النصوص القديمة والحديثة لاستيعاب تطورات اللغة والتفاعل مع التراث الثقافي في الوقت نفسه. وتبرز المقالات الأدبية والعلمية والقصائد الشعرية كمحتويات تعليمية ذات تفضيل متوسط، مما يدل على رغبة الطلبة في استكشاف أنماط متعددة من الكتابة لتحسين مهاراتهم اللغوية والأدبية. ويمكن عزو هذه النتيجة إلى أن الطلبة يسعون إلى تطوير قدراتهم اللغوية من خلال التعرض لمحتوى متنوع بين الأدب، الثقافة، والعلم، وهو ما يوفر لهم فرصاً واسعة لتوسيع معارفهم وتحسين مهاراتهم اللغوية. بالتالي، يُوصى بتصميم المناهج الدراسية بما يتماشى مع تفضيلات الطلبة لضمان تحقيق تجربة تعليمية غنية ومثرية.

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني ومناقشتها:

وينصُّ السؤال الثاني من أسئلة الدراسة على: ما أساليب التدريس التي يفضلها الطلبة في مساقات اللغة العربية؟

لتحديد أساليب التدريس التي يفضلها الطلبة في مساقات اللغة العربية، تم حساب

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات بُعد (أساليب التدريس التي يفضلها الطلبة):
وجاءت النتائج كما يلي:

جدول رقم (7) استجابات أفراد عينة الدراسة حول أساليب التدريس التي يفضلها الطلبة في مساقات اللغة العربية

م	أتمنى دراسة محتوى المنهاج من خلال:	المتوسط الحسابي الموزون		الترتيب
		قيمة المتوسط	المستوى	
1	لعب الأدوار	4.55	كبيرة جدًا	1
2	الاستقصاء وحلّ المشكلات	3.94	كبيرة	3
3	الحوار والعصف الذهني	3.91	كبيرة	5
4	إعداد المشاريع	3.7	كبيرة	10
5	الحوار والعصف الذهني	3.93	كبيرة	4
6	العمل ضمن مجموعات صغيرة.	3.86	كبيرة	7
7	العمل ضمن مجموعات كبيرة.	3.47	كبيرة	11
8	العمل فردياً.	3.77	كبيرة	9
9	الأسلوب التقليدي (المحاضرة المباشرة)	3.79	كبيرة	8
10	توظيف التكنولوجيا	4.05	كبيرة	2
11	الألعاب التعليمية.	3.91	كبيرة	6
-	الدرجة الكلية للبُعد	3.898	كبيرة	2.066

يتضح في الجدول (7) أن مستوى أساليب التدريس التي يفضلها الطلبة في مساقات اللغة العربية

العربية من وجهة نظر عينة الدراسة بلغت بمتوسط حسابي (3.898)، وهو بدرجة كبيرة حسب المعيار المستخدم في الدراسة.

ويتضح من النتائج في الجدول (7) أن معظم عبارات أساليب التدريس التي يفضلها الطلبة

كانت بدرجة كبيرة وتم ترتيب أعلى عباريتين تنازلياً حسب موافقة أفراد عينة الدراسة عليها، وتمثل بالآتي:

- جاءت العبارة رقم (1) وهي: « أتمنى دراسة محتوى المنهاج من خلال: لعب الأدوار. » بالمرتبة الأولى من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (4.55)، وهي بدرجة كبيرة جداً.

- جاءت العبارة رقم (10) وهي: « أتمنى دراسة محتوى المنهاج من خلال: توظيف التكنولوجيا » بالمرتبة الثانية من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (4.05)، وهي بدرجة كبيرة.

ويتضح من النتائج في الجدول (7) أن أقل عبارات أساليب التدريس التي يفضلها الطلبة تتمثل في العبارة رقم (7)، وقد كانت بدرجة كبيرة وهي: « أتمنى دراسة محتوى المنهاج من خلال: العمل ضمن مجموعات كبيرة. » بالمرتبة الأخيرة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (3.47).

وقد يُعزى ارتفاع تفضيل أسلوب لعب الأدوار إلى كونه يتيح للطلبة فرصة تجربة المواد التعليمية في سياقات واقعية، مما يعزز الفهم العميق والتفاعل النشط. كما أن استخدام التكنولوجيا يُعتبر من العوامل المحفزة التي توفر بيئة تعلم متعددة الوسائط وتدعم تقديم محتوى تعليمي بشكل جذاب ومبتكر. أما تفضيل أسلوب الاستقصاء وحل المشكلات، فهو يعكس رغبة الطلبة في الانخراط في عمليات تعلم تعزز التفكير النقدي والاستقلالية، وهو ما يدعم تطور مهارات التحليل وحل المشكلات لديهم. وقد يكون انخفاض التفضيل للأساليب التقليدية مثل المحاضرات المباشرة ناتجاً عن تزايد الطلب على أساليب تعليمية أكثر تفاعلاً، حيث يفضل الطلبة الابتعاد عن طرق التعليم التي تقتصر على الإلقاء المباشر دون مشاركة فعالة.

ثالثاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث ومناقشتها:

وينصُّ السؤال الثالث من أسئلة الدراسة على: ما الأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة في مساقات اللغة العربية؟

لتحديد الأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة في مساقات اللغة العربية، تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات بُعد (الأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة)، وجاءت النتائج كما يلي:

جدول رقم (8) استجابات أفراد عينة الدراسة حول الأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة في مساقات اللغة العربية

الترتيب	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي الموزون		أتمنى دراسة محتوى المنهاج من خلال:	م
		المستوى	قيمة المتوسط		
3	991.	كبيرة	4.02	النمط السمعي	1
1	902.	كبيرة	4.13	النمط السمعي البصري	2
2	982.	كبيرة	4.06	النمط الحركي الأدائي	3
-	0.801	كبيرة	4.072	الدرجة الكلية للبعد	

يتضح في الجدول (8) أن مستوى الأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة في مساقات اللغة العربية من وجهة نظر عينة الدراسة بلغت بمتوسط حسابي (4.072)، وهو بدرجة كبيرة حسب المعيار المستخدم في الدراسة.

ويتضح من النتائج في الجدول (8) أن جميع عبارات الأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة كانت بدرجة كبيرة، حيث جاءت العبارة رقم (2) وهي: «أتمنى دراسة محتوى المنهاج من خلال: النمط السمعي البصري.» بالمرتبة الأولى من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (4.13)، وهي بدرجة كبيرة. بينما تبين أن أقل عبارات الأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة تتمثل في العبارة رقم (1)، وقد كانت بدرجة كبيرة وهي: «أتمنى دراسة محتوى المنهاج من خلال: النمط السمعي.» بالمرتبة الأخيرة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (4.02).

وقد تُعزى نتيجة تفضيل الطلبة للأنماط التعليمية في مساقات اللغة العربية إلى تنوع أساليب التعلم التي تلبى احتياجاتهم الفردية. يتضح من النتائج أن الطلبة يفضلون النمط السمعي البصري بشكل ملحوظ، حيث يجمع هذا النمط بين السمع والرؤية، مما يوفر تجربة تعلم أكثر تفاعلاً وغنى. هذا التفضيل يعكس قدرة النمط السمعي البصري على تعزيز فهم الطلبة من خلال دمج المعلومات السمعية مع المرئية، وهو ما يعزز الذاكرة والفهم. يأتي النمط الحركي الأدائي في المرتبة الثانية، مما يشير إلى أن الطلبة يفضلون الأنشطة التي تتطلب حركة وتفاعل جسدي، حيث تساعد هذه الأنشطة في تعزيز التعلم عبر التجربة العملية والمشاركة الفعلية. بينما يفضل الطلبة النمط السمعي أيضاً، إلا أنه يأتي في المرتبة الثالثة، مما يدل على أن التعلم من خلال الاستماع فقط يعتبر أقل جذباً مقارنة بالأنماط التي توفر تفاعلاً أكبر. هذه النتائج تعكس رغبة الطلبة في التعلم من خلال أساليب تعليمية متعددة الحواس، مما يساهم في تعزيز عملية التعلم وجعلها أكثر فعالية وجاذبية.

رابعاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الرابع ومناقشتها:

وينصُّ السؤال الرابع من أسئلة الدراسة على: ما طرق التقييم التي يفضلها الطلبة في مسابقات اللغة العربية؟

لتحديد طرق التقييم التي يفضلها الطلبة في مسابقات اللغة العربية، تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات بُعد (طرق التقييم التي يفضلها الطلبة)، وجاءت النتائج كما يلي:

جدول رقم (9) استجابات أفراد عينة الدراسة حول طرق التقييم التي يفضلها الطلبة في مسابقات اللغة العربية

م	أتمنى أن يكون تقييمي من خلال:	المتوسط الحسابي الموزون		الترتيب
		الانحراف المعياري	قيمة المتوسط	
1	الأسئلة المقالية القصيرة	3.87	كبيرة	2
2	الأسئلة المقالية المفتوحة	3.75	كبيرة	4
3	أسئلة اختيار من متعدد	3.99	كبيرة	1
4	أسئلة التعبير الحر	3.84	كبيرة	3
5	أسئلة ملء الفراغات	3.68	كبيرة	5
6	الأسئلة الشفوية	3.63	كبيرة	7
7	الاختبارات بعد كل فترة زمنية قصيرة	3.65	كبيرة	6
-	الدرجة الكلية للبُعد	3.774	كبيرة	0.725

يتضح في الجدول (9) أن مستوى طرق التقييم التي يفضلها الطلبة في مسابقات اللغة العربية من وجهة نظر عينة الدراسة بلغت بمتوسط حسابي (3.774)، وهو بدرجة كبيرة حسب المعيار المستخدم في الدراسة.

ويتضح من النتائج في الجدول (9) أن جميع عبارات طرق التقييم التي يفضلها الطلبة كانت بدرجة كبيرة وتم ترتيب أعلى عباريتين تنازلياً حسب موافقة أفراد عينة الدراسة عليها، وتمثل بالآتي:

- جاءت العبارة رقم (3) وهي: « أتمنى أن يكون تقييمي من خلال: أسئلة اختيار من متعدد.» بالمرتبة الأولى من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (3.99)، وهي بدرجة كبيرة.

- جاءت العبارة رقم (1) وهي: « أتمنى أن يكون تقييمي من خلال: الأسئلة المقالية القصيرة.» بالمرتبة الثانية من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي

(3.87)، وهي بدرجة كبيرة.

ويتضح من النتائج في الجدول (9) أن أقل عبارات طرق التقييم التي يفضلها الطلبة تتمثل في العبارة رقم (1)، وقد كانت بدرجة كبيرة وهي: « أتمنى أن يكون تقييمي من خلال: الأسئلة الشفوية.» بالمرتبة الأخيرة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (3.63).

ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن الطلبة يفضلون طرق التقييم التي تمنحهم فرصاً للتعبير عن أفكارهم بطريقة مرنة وشاملة. وتفضيلهم للأسئلة المقالية القصيرة والمفتوحة وأسئلة التعبير الحر قد يكون نتيجة لأن هذه الأنواع من الأسئلة تسمح لهم بالتعبير عن معارفهم وفهمهم بطريقة أعمق، بعيداً عن القيود الصارمة التي قد تفرضها الأسئلة المغلقة. أما تفضيلهم لأسئلة الاختيار من متعدد فقد يكون نتيجة لأنها توفر لهم فرصة لتقييم معرفتهم بشكل سريع ومباشر مع تقليل مستوى الغموض في الإجابات. كما يمكن قد يرغب الطلبة في التنوع في طرق التقييم، حيث تتيح لهم فرصة إظهار مهاراتهم المختلفة سواء في التذكر والفهم أو التحليل والتعبير، وهو ما يساهم في تحسين تحصيلهم الأكاديمي وتعزيز دافعيتهم نحو التعلم.

خامساً: النتائج المتعلقة بالسؤال الخامس ومناقشتها:

وينص السؤال الخامس من أسئلة الدراسة على: ما الممارسات التقييمية التي يفضل الطلبة تضمينها في منهاج مساقات اللغة العربية؟

لتحديد الممارسات التقييمية التي يفضل الطلبة تضمينها في منهاج مساقات اللغة العربية، تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات بعد (الممارسات التقييمية التي يفضلها الطلبة)، وجاءت النتائج كما يلي:

جدول رقم (10) استجابات أفراد عينة الدراسة حول الممارسات التقييمية التي يفضل الطلبة تضمينها في منهاج مساقات اللغة العربية

م	أتمنى أن يحوي المنهاج الممارسات التقييمية الآتية:	المتوسط الحسابي الموزون		الترتيب
		قيمة المتوسط	المستوى	
1	تقديم تغذية راجعة بعد كل اختبار تطل مهاراتي اللغوية	3.95	كبيرة	2
2	الإفادة من نتائج الأدوات التقييمية في تعديل الأساليب التدريسية	3.94	كبيرة	3
3	إشراكي في بناء بعض الأدوات التقييمية	3.82	كبيرة	4

4	حفز القدرة على التقييم الذاتي لدي	3.95	كبيرة	0.87	1
	الدرجة الكلية للبعد	3.913	كبيرة	0.751	-

يتضح في الجدول (10) أن مستوى الممارسات التكوينية التي يفضل الطلبة تضمينها في منهاج مساقات اللغة العربية من وجهة نظر عينة الدراسة بلغت بمتوسط حسابي (3.913)، وهو بدرجة كبيرة حسب المعيار المستخدم في الدراسة. كما تبين أن تقدير عينة الدراسة لعبارة « أتمنى أن تتاح لي الفرصة لاختيار الموضوعات التي يضمها المنهاج » كانت بمتوسط (3.78) وهي بدرجة كبيرة.

ويتضح من النتائج في الجدول (10) أن جميع عبارات الممارسات التكوينية التي يفضلها الطلبة كانت بدرجة كبيرة وتم ترتيب أعلى عباريتين تنازلياً حسب موافقة أفراد عينة الدراسة عليها، وتمثل بالآتي:

- جاءت العبارة رقم (4) وهي: « أتمنى أن يحوي المنهاج الممارسات التكوينية الآتية: حفز القدرة على التقييم الذاتي لدي. » بالمرتبة الأولى من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (3.95)، وهي بدرجة كبيرة.

- جاءت العبارة رقم (1) وهي: « أتمنى أن يحوي المنهاج الممارسات التكوينية الآتية: تقديم تغذية راجعة بعد كل اختبار تطل مهاداتي اللغوية. » بالمرتبة الثانية من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (3.95)، وهي بدرجة كبيرة، وهي بنفس المتوسط الحسابي للفقرة السابقة، ولكن بانحراف معياري أكبر.

ويتضح من النتائج في الجدول (10) أن أقل عبارات الممارسات التكوينية التي يفضلها الطلبة تتمثل في العبارة رقم (3)، وقد كانت بدرجة كبيرة وهي: « أتمنى أن يحوي المنهاج الممارسات التكوينية الآتية: إشراكي في بناء بعض الأدوات التكوينية. » بالمرتبة الأخيرة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (3.82).

وتعزو الباحثة النتيجة إلى أن الطلبة يفضلون الممارسات التكوينية التي تعزز من مشاركتهم النشطة وتساعدهم على تحسين أدائهم من خلال تغذية راجعة مستمرة وشخصية. وتقديم التغذية الراجعة بعد كل اختبار يتيح للطلبة فرصة التعرف إلى نقاط القوة والضعف في مهاراتهم اللغوية، مما قد يساهم في تطويرهم الأكاديمي بشكل أفضل. كما أن الإفادة من نتائج الأدوات التكوينية في تعديل الأساليب التدريسية تلبى احتياجات الطلبة الفردية وتعزز من شعورهم بأن التعليم موجه نحو تحسين أدائهم. إضافة إلى أن إشراك الطلبة في بناء بعض الأدوات التكوينية قد يعزز من إحساسهم بالمسؤولية والمشاركة في العملية التعليمية، ويحفز قدرتهم على التقييم الذاتي، وهو أمر مهم في تعزيز استقلالية التعلم وتنمية مهارات التفكير الناقد.

سادساً: النتائج المتعلقة بالسؤال السادس ومناقشتها

وينصُّ السؤال السادس من أسئلة الدراسة على: ما تأثير مشاركة الطلبة في تصميم منهاج مساقات اللغة العربية على دافعيتهم وتحصيلهم الأكاديمي؟

لتحديد تأثير مشاركة الطلبة في تصميم مناهج مساقات اللغة العربية على دافعيتهم وتحصيلهم الأكاديمي، تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات بُعد (منافع إشراكية الطالب)، وجاءت النتائج كما يلي:

جدول رقم (11) استجابات أفراد عينة الدراسة حول تأثير مشاركة الطلبة في تصميم مناهج مساقات اللغة العربية على دافعيتهم وتحصيلهم الأكاديمي

الترتيب	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي الموزون		م	أعتقد أن تمكين الطلبة من المشاركة في اختيار محتوى مساقات اللغة العربية وأساليب تدريسها وتقييمها سيؤدي إلى:
		المستوى	قيمة المتوسط		
3	0.945	كبيرة	4.02	1	زيادة الدافعية للدراسة.
2	0.864	كبيرة	4.02	2	المزيد من الإتقان اللغوي.
1	0.886	كبيرة	4.08	3	رفع اتجاهاتهم الإيجابية نحو تعلم اللغة.
5	0.919	كبيرة	3.99	4	زيادة القراءة والاطلاع في المراجع العربية.
6	1.883	كبيرة	3.92	5	رفع إحساس الطلبة بتحمل مزيد من المسؤولية وزيادة الثقة بالنفس.
7	0.975	كبيرة	3.86	6	زيادة فاعلية الدروس.
4	0.941	كبيرة	4.01	7	إضفاء المتعة والتشويق على المنهاج
-	0.769	كبيرة	3.986		الدرجة الكلية للبعد

يتضح في الجدول (11) أن مستوى تأثير مشاركة الطلبة في تصميم مناهج مساقات اللغة العربية على دافعيتهم وتحصيلهم الأكاديمي من وجهة نظر عينة الدراسة بلغت بمتوسط حسابي (3.986)، وهو بدرجة كبيرة حسب المعيار المستخدم في الدراسة.

ويتضح من النتائج في الجدول (11) أن جميع عبارات منافع إشراكية الطالب كانت بدرجة كبيرة وتم ترتيب أعلى عباريتين تنازلياً حسب موافقة أفراد عينة الدراسة عليها، وتتمثل بالآتي:

- جاءت العبارة رقم (3) وهي: « أعتقد أن تمكين الطلبة من المشاركة في اختيار محتوى مساقات اللغة العربية وأساليب تدريسها وتقييمها سيؤدي إلى: رفع اتجاهاتهم الإيجابية نحو تعلم اللغة..» بالمرتبة الأولى من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (4.08)، وهي بدرجة كبيرة جداً.

- جاءت العبارة رقم (10) وهي: « أعتقد أن تمكين الطلبة من المشاركة في اختيار محتوى مساقات اللغة العربية وأساليب تدريسها وتقييمها سيؤدي إلى: المزيد من الإتقان

اللغوي». بالمرتبة الثانية من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (4.02)، وهي بدرجة كبيرة.

ويتضح من النتائج في الجدول (11) أن أقل عبارات منافع إشراكية الطالب تتمثل في العبارة رقم (6)، وقد كانت بدرجة كبيرة وهي: « أعتقد أن تمكن الطلبة من المشاركة في اختيار محتوى مساقات اللغة العربية وأساليب تدريسها وتقييمها سيؤدي إلى: زيادة فاعلية الدروس». بالمرتبة الأخيرة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (3.86).

ويمكن عزو هذه النتيجة إلى أن مشاركة الطلبة في تصميم منهاج مساقات اللغة العربية تمنحهم شعوراً بالمسؤولية والانتماء للعملية التعليمية، مما يزيد من دافعيتهم نحو الدراسة. فعندما يشعر الطلبة بأن لديهم القدرة على التأثير في محتوى وأساليب التدريس، فإنهم يصبحون أكثر اندماجاً وتحفيزاً لتحسين أدائهم الأكاديمي. وهذه المشاركة تعزز أيضاً مهاراتهم اللغوية والإتقان اللغوي من خلال تجربة تعلم تشاركية تعتمد على اهتماماتهم واحتياجاتهم الشخصية. كما أن إضفاء المتعة والتشويق على المنهاج يعزز الإيجابية نحو تعلم اللغة، ويشجعهم على القراءة والاطلاع على المراجع المتاحة، مما يزيد من تحصيلهم الأكاديمي.

سابعاً: النتائج المتعلقة بالسؤال السابع ومناقشتها:

وينصُّ السؤال السابع من أسئلة الدراسة على: ما التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة في تصميم منهاج مساقات اللغة العربية؟

لتحديد التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة في تصميم منهاج مساقات اللغة العربية، تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات بُعد (التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة)، وجاءت النتائج كما يلي:

جدول رقم (12) استجابات أفراد عينة الدراسة حول التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة في تصميم منهاج مساقات اللغة العربية

الترتيب	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي الموزون		أعتقد أن إشراك الطلبة في تصميم محتوى مساقات اللغة العربية، واختيار أساليب التدريس والتقييم قد يؤدي إلى:	م
		المستوى	قيمة المتوسط		
1	980.	كبيرة	3.62	قلة فاعلية المناهج.	1
3	1.062	كبيرة	3.48	ضعف مهارات اللغة العربية لدى الطلبة.	2
2	1.091	كبيرة	3.49	زيادة الأعباء على الطلبة.	3
-	0.884	كبيرة	3.531	الدرجة الكلية للبُعد	

يتضح في الجدول (12) أن مستوى التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة في تصميم منهاج مساقات اللغة العربية من وجهة نظر عينة الدراسة بلغت بمتوسط حسابي

(3.531)، وهو بدرجة كبيرة حسب المعيار المستخدم في الدراسة.

ويتضح من النتائج في الجدول (12) أن جميع عبارات التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة كانت بدرجة كبيرة، حيث جاءت العبارة رقم (3) وهي: «أعتقد أن إشراك الطلبة في تصميم محتوى مساقات اللغة العربية، واختيار أساليب التدريس والتقييم قد يؤدي إلى قلة فاعلية المناهج.» بالمرتبة الأولى من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (3.62)، وهي بدرجة كبيرة.

بينما تبين أن أقل عبارات التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة تتمثل في العبارة رقم (1)، وقد كانت بدرجة كبيرة وهي: «أعتقد أن إشراك الطلبة في تصميم محتوى مساقات اللغة العربية، واختيار أساليب التدريس والتقييم قد يؤدي إلى ضعف مهارات اللغة العربية لدى الطلبة.» بالمرتبة الأخيرة من حيث موافقة أفراد عينة الدراسة عليها بمتوسط حسابي (4.48).

وقد تُعزى هذه النتيجة إلى قد يكون لدى الطلبة مخاوف بشأن المسؤوليات الإضافية التي قد تأتي مع مشاركتهم في تصميم المناهج. فقد يشعرون بأن هذه المشاركة قد تؤدي إلى ضعف فاعلية المناهج، وهو ما قد يعود إلى شعورهم بعدم امتلاك الخبرة أو المهارات الكافية لاتخاذ قرارات مؤثرة في المحتوى التعليمي وأساليب التدريس. كما قد يكون لديهم مخاوف بشأن ضعف مهاراتهم اللغوية، مما يعزز شعورهم بعدم الثقة في قدرتهم على المساهمة بشكل فعال في تطوير المناهج. كما قد يخشى الطلبة من زيادة الأعباء الأكاديمية والنفسية التي قد تنشأ عن هذه المشاركة، مما قد يؤثر سلباً على تجربتهم الدراسية. وبالتالي، رغم إدراكهم للفوائد المحتملة، إلا أنهم يرون في هذه المشاركة تحديات يمكن أن تؤثر على أداؤهم الأكاديمي.

ثامناً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثامن ومناقشتها

وينصُّ السؤال الثامن من أسئلة الدراسة على: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في تقديرات الطلبة لحرية اختيار تصميم المنهج في مساقات اللغة العربية في جامعة زايد. في جامعة زايد، يمكن أن تعزى لمتغير النوع الاجتماعي؟»

وللإجابة عن السؤال تم صياغة الفرض الصفري الآتي:

- «لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في تقديرات الطلبة لحرية الاختيار حرية اختيار تصميم المنهج في مساقات اللغة العربية في جامعة زايد، يمكن أن تعزى لمتغير النوع الاجتماعي.»

استخدمت الباحثة اختبار «ت لعينتين مستقلتين»: Independent Sample T-test، للتعرف على الفروق في استجابات عينة الدراسة حرية اختيار تصميم المنهج في مساقات اللغة العربية في جامعة زايد تعزى لمتغير النوع، حيث جاءت النتائج كما يوضحها الجدول الآتي:

جدول رقم (4-9): نتائج اختبار «ت لعينتين مستقلتين»: tset-TelpmaS tnednepdnl
«للفروق بين استجابات أفراد عينة الدراسة في تقديرات الطلبة لحرية اختيار تصميم المنهج في مساقات اللغة العربية في جامعة طبقاً لاختلاف متغير النوع الاجتماعي

التعليق		قيمة T	الانحراف المعياري	المتوسط	العدد	النوع	البُعد
دالة إحصائيًا	000.	3.984	58425.	3.9186	447	ذكر	البُعد الأول: المحتوى العلمي والخبرات اللغوية.
			75338.	3.6818	205	أنثى	
دالة إحصائيًا	010.	2.601	60456.	3.9239	447	ذكر	البُعد الثاني: أساليب التدريس التي يفضلها الطلبة.
			77286.	3.6862	205	أنثى	
دالة إحصائيًا	000.	3.796		4.0028	447	ذكر	البُعد الثالث: الأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة.
			79864.	3.6705	205	أنثى	
دالة إحصائيًا	005.	2.850	73415.	4.1581	447	ذكر	البُعد الرابع: طرق التقييم التي يفضلها الطلبة.
			90400.	3.8846	205	أنثى	
دالة إحصائيًا	000.	4.313	68001.	3.8316	447	ذكر	البُعد الخامس: الممارسات التقويمية التي يفضلها الطلبة.
			80260.	3.6474	205	أنثى	
دالة إحصائيًا	000.	5.069	68954.	4.0039	447	ذكر	البُعد السادس: منافع إشراكية الطالب.
			83924.	3.7146	205	أنثى	
غير دالة إحصائيًا	285.	1.071	69801.	4.0949	447	ذكر	البُعد السابع: التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة.
			85917.	3.7477	205	أنثى	

توصلت الباحثة إلى أن قيمة (Sig) لتقديرات الطلبة لحرية الاختيار في تصميم (المحتوى العلمي والخبرات اللغوية، وأساليب التدريس التي يفضلها الطلبة، والأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة، وطرق التقييم التي يفضلها الطلبة، والممارسات التقويمية التي يفضلها الطلبة، ومنافع إشراكية الطالب) لحرية اختيار تصميم المنهاج في مساقات اللغة العربية في جامعة زايد تعزى لمتغير النوع الاجتماعي هي أقل من مستوى الدلالة الاحصائية (0.05)؛ مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05=\alpha$) في تقديرات المعلمين لـ ((المحتوى العلمي والخبرات اللغوية، وأساليب التدريس التي يفضلها الطلبة، والأنماط التعليمية التي يفضلها الطلبة، وطرق التقييم التي يفضلها الطلبة، والممارسات التقويمية التي يفضلها الطلبة، ومنافع إشراكية الطالب) تعزى لمتغير النوع لصالح الذكور، حيث تبين أن المتوسط الحسابي للذكور أعلى منه للإناث في كل بُعد من هذه الأبعاد.

ويمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى أنه قد يكون لدى الطلبة الذكور والإناث اهتمامات

واحتياجات تعليمية مختلفة، حيث قد يشعر الذكور بارتياح أكبر في اتخاذ القرارات المتعلقة بتصميم المناهج، مما يعكس مستوى أعلى من الثقة بالنفس في مواجهة القرارات الأكاديمية مقارنة بالإناث. كما أن التوقعات الاجتماعية والثقافية قد تؤدي دوراً في تشكيل هذه الفروق، حيث قد يشعر الذكور بقدرة أكبر على المبادرة والمشاركة الفعالة في تصميم المناهج نتيجة لتشجيع المجتمع لهم على الاستقلالية. كما يمكن أن تكون طرائق التدريس المتبعة أكثر توافقاً مع أساليب التعلم التي يفضلها الذكور، والتي تركز على الاستقلالية والمشاركة الفردية. بينما توصلت الباحثة إلى أن قيمة (Sig) لتقديرات الطلبة حول (التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة) في حرية اختيار تصميم المنهاج في مساقات اللغة العربية في جامعة زايد تعزى لتغير النوع الاجتماعي تساوي (0.285)، وهي أكبر من مستوى الدلالة الاحصائية (0.05)؛ مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $(\alpha=0.05)$ لتقديرات الطلبة حول (التحديات والسلبيات المحتملة لمشاركة الطلبة) في حرية اختيار تصميم المنهاج في مساقات اللغة العربية في جامعة زايد في جامعة زايد تعزى لتغير النوع الاجتماعي. وقد يعود السبب في ذلك إلى أن كلا الجنسين من الطلبة الذكور والإناث يواجهون تحديات وسلبيات متشابهة فيما يتعلق بالمشاركة في تصميم المنهاج. كما قد يشترك الذكور والإناث في التحديات المتعلقة بالوقت، أو الضغط الأكاديمي، أو نقص الخبرة في تصميم المناهج، ما يؤدي إلى توافق استجاباتهم في هذا الجانب.

التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة الحالية، توصي الباحثة بما يلي:

1. تعزيز إشراك الطلبة في تصميم مساقات اللغة العربية، مع مراعاة تفضيلاتهم في المحتوى، مثل تضمين القصص والموضوعات الثقافية العامة، لضمان توافق المناهج مع اهتماماتهم وزيادة الدافعية نحو التعلم.
2. تنوع أساليب التدريس لتشمل أساليب مثل لعب الأدوار وتوظيف التكنولوجيا، والتي أظهرت الدراسة تفضيل الطلبة لها بشكل كبير، مما يعزز من تفاعلهم مع المحتوى الأكاديمي.
3. التركيز على استخدام الأنماط السمعية والبصرية والحركية الأديائية في التعليم، حيث أظهرت الدراسة تفضيل الطلبة لهذه الأنماط، مما يساهم في تحسين استيعابهم للمحتوى وزيادة مشاركتهم.
4. استخدام أساليب تقييم متنوعة، مثل أسئلة الاختيار من متعدد والأسئلة المقالية القصيرة، والتي أظهرت الدراسة تفضيل الطلبة لها، وذلك لتقييم أدائهم بشكل شامل وفعال.
5. تطوير برامج موجهة تأخذ بعين الاعتبار الفروق بين الذكور والإناث التي أظهرتها الدراسة، بحيث يتم تصميم محتوى تعليمي وأساليب تدريس وأساليب تقييم تتناسب مع احتياجات كل فئة بشكل خاص، مما يساهم في تحسين تجربتهم التعليمية وزيادة فاعلية المناهج.

المراجع:

- إسماعيل، بليغ. (2011). استراتيجيات تدريس اللغة العربية. عمّان: دار المناهج للنشر والتوزيع.
- السعافين، إبراهيم. (2008). اللغة العربية والتعليم، رؤية مستقبلية للتطوير. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. ص 201-236.
- سلامة، عادل. (2006). تخطيط المناهج وتنظيمها، بين النظرية والتطبيق. ط 2. عمّان: ديونو للطباعة والنشر والتوزيع.
- الشجراوي، عزام. (2013). ضعف طلبة الجامعات في اللغة العربية: أسبابه وعلاجه. دبي: المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية.
- زاير، سعد وعائز، إيمان. (2014). مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها. عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- زاير، سعد وداخل، سماء. (2015). اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية. عمّان: الدار المنهجية للنشر والتوزيع.
- علي، ميرفت. (2015). تطوير المناهج. عمّان: ديونو للطباعة والنشر والتوزيع.
- عون، فاضل والمحنة، علي. (2018). شعف طلبة أقسام اللغة العربية في التحدث باللغة العربية الفصحى. مجلة كلية التربية جامعة بابل، (37)، 674-695
- مارزانو، روبرت جيه. (2007). فن وعلم التدريس: إطار شامل للتدريس الفعال. ترجمة ونشر: الدوحة: المجلس الدولي لإصلاح التعليم والتنمية (ICERD).
- اليونيسكو. (2019). تقرير: بناء مجتمعات المعرفة في المنطقة العربية. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة
- Bello, Babatunde Paul. (2016). Factors influencing the use of instructional materials. Retrieved from <https://www.academia.edu/30636806/FACTORS>
- Broz, Bill & Dunn, Susan. (2003). Supporting and Teaching Student Choice: Offering Students Self-Selected Reading. The ALAN Review, 31, 2328-.
- Hanover Research Organization. (2014, November). Impact of Student Choice and Personalized Learning.
- Murphy, M.J., Seneviratne, R.D., Cochrane, L. et al. (2013). Impact of student choice on academic performance: cross-sectional and longitudinal observations of a student cohort. BMC Med Educ, 13, 26. Retrieved from <https://doi.org/10.1186-6920-1472/26-13>
- Taha, H. (2019). Arabic Language Education in the UAE. In: Gallagher, K. (ed), Education in the UAE: Innovation and transformation. Springer. doi:10.1007-978/5_5-7736-13-981

دلالات البعد المكاني وتأثيره على العلاقات في المسرح الأوروبي (نماذج مختارة من النصف الثاني للقرن العشرين)

د. نورة العتال

أستاذ مساعد بقسم النقد والأدب المسرحي المعهد العالي للفنون المسرحية / الكويت

القبول: 25.11.2023

الاستلام: 14.10.2023

مستخلص:

تناقش هذه الدراسة المقارنة فلسفة العلاقات في المجتمع الأوروبي في مسرح كل من هارولد بينتر ويونسكو، وجراهام جرين، هيننغ مانكل وذلك ضمن زمن الحدث بأبعاده المختلفة، وطبيعة المكان الواقع فيه الحدث ومدى تأثير هذا المكان على أعماقهم النفسية، وطبيعته المؤثرة على دوافع الشخصيات، والصلة بينهم وبين المحيط الخارجي المترقب، والعلاقات الإنسانية المختلفة التي تجمع الشخصيات فيما بينها، وذلك من خلال ارتباطها بالماضي وتفصيله وارتباط مصيرها به، وأيضاً بارتباط هذه الشخصيات بمكان محدد في الحدث وبناءً علىه تتم مجريات الفعل المسرحي، وكذلك الجو العام المجازي في كل نص

استخدمت المنهج التحليلي والسيميولوجي والمنهج المقارن حتى يتم الوصول إلى مقارنات بين النصوص للكتاب المختلفين للوصول إلى السمات المشتركة.

الكلمات المفتاحية: دلالات - المكان - الثنائيات - الأعراف المجتمعية - العزلة

Summary:

Implications of spatial dimension and its impact on relations in the European theatre (selected models from the second half of the twentieth century) This comparative study discusses the philosophy of relations European society in the theater of Harold Pinter, Ionesco, Graham Greene, and Henning Mankell within the time of the event with its various dimensions, the nature of the place where the event takes place and the extent of the impact of this place on their psychological depths, its influential nature on the characters' motivations, the connection between them and the anticipated external environment, and the various human relationships that bring the characters together, through their connection to the past and its details and the connection of their fate to it, and also through the connection of these characters to a specific place in the event and based on it the course of the theatrical action takes place, as well as the general metaphorical atmosphere in each text The analytical, semiological, and comparative approaches were used in order to reach comparisons between the texts of different writers to reach common features.

مقدمة:

تناقش هذه الدراسة المقارنة فلسفة العلاقات في المجتمع الأوروبي في مسرح كل من هارولد بينتر ويونسكو، وجراهام جرين، هيننغ مانكل وذلك ضمن زمن الحدث بأبعاده المختلفة، وطبيعة

المكان الواقع فيه الحدث ومدى تأثير هذا المكان على أعماقهم النفسية، وطبيعته المؤثرة على دوافع الشخصيات، والصلة بينهم وبين المحيط الخارجي المترقب، والعلاقات الإنسانية المختلفة التي تجمع الشخصيات فيما بينها، وذلك من خلال ارتباطها بالماضي وتفصيله وارتباط مصيرها به، وأيضا بارتباط هذه الشخصيات بمكان محدد في الحدث وبناءً علىه تتم مجريات الفعل المسرحي، وكذلك الجو العام المجازي في كل نص منها، وهذه النصوص الستة هي: نص الغرفة \ الأيام الخوالي \ خيانة \ غرفة المعيشة \ الكراسي \ ظلمات، وتدور الدراسة حول تأثير البعد المكاني وبالتالي الزمني على تشكيل فلسفة هذه العلاقات بين شخصيات في هذه النصوص، وتأثيرها أيضا على مفهوم العلاقة سواء كانت بين الزوجين، أو الأشقاء أو الأصدقاء، أو حتي العشاق وذلك من خلال علاقة التواصل فيما بينهم من منطلق البعد المكاني والزمني ومن ثمة النفسي والنهائيات التي تصل اليها مصائرهم خلال الحدث.

ولأن كل هذه النصوص لها صلة بأبعاد عدة سواء بزمن ما غير آن، والتي تبرزه عبر الحدث في الحاضر والجو العام المجازي سواء للمكان الذي تدور فيه الأحداث وتتفاعل من خلاله العلاقات، أذن فما الذي يحرك تلك الأزمنة المتباينة - الماضي والحاضر والمستقبل من خلال المكان غرفة كانت أو حانة؟ وماهي الحالة الشعورية السائدة عند الشخصيات هل هو الخوف، التوتر، القلق من المستقبل، أم التجرد في الماضي باختيارهم المحض، أم رهبة التقدم في الحياة ورهبة الموت؟

ما نسبة عدم منطقية الماضي وهيمنته على الأحداث التي تليه؟ فكرة اختيار العزلة القسرية أو الاختيارية في مكان منعزل وموحش، وفرضية سهولة استرجاع الماضي في زمان ومكان محدود؟

هل الشخصيات كروية (متعددة المظاهر) تبدأ وتنتهي راجعة للنقطة الأولى لمحكومية المكان؟ هل سلوكها متوقع بحسب سياق الحدث أم أنه مفاجئ وصادم للقارئ وللشخصية ذاتها أيضا؟ وهل يوجد مواجهة حقيقية تشبه الاعتراف الكنسي؟

هل اللغة قادرة على القيام بمهمتها كأداة من أدوات التوصيل أم أنها أحيانا تتعطل؟ ماهي فكرة الزواج في المجتمعات الأوروبية المختلفة؟ وهل هناك شخصيات مهمشة ومنسية وتقع في ظروف تحاصرها وتدفعها للانغلاق واليأس؟

من ضمن هؤلاء الكتاب يتم التطبيق على أربعة نصوص للكاتب الإنجليزي هارولد بنتر لما مسرحه من طبيعة خاصة، ومتفردة يمكن القول بأنه صاحب الشرارة الأولى في اختياري لثيمة هذه الدراسة ولأن النقد يعدونه من كتاب العبث المتأخرين، ونصوص لكتاب آخرين مثل يونسكو، وهينغ مانكل، وجراهام جرين وهم ينتمون لكتاب العبث إلا الأخير الذي وجدت أن في نصه غرفة المعيشة نقاطا تتلامس مع النصوص الأخرى رغم بنائها التقليدي محكم الصنع، واشتراكها في البعد المكاني ومدري تأثيره على البناء والعلاقات ومصير الشخصيات في النهاية، وسيتم في هذه الدراسة التطبيق على هذه النصوص للمقارنة بين طبيعة العلاقات /الشخصيات في ظل البعد الزمني ضمن تلك الأعمال محل الدراسة.

لقد دأب بنتر في معظم مسرحياته على حصر شخصياته في مكان واحد فقط يتم فيه زمن الحدث منذ البداية وحتى النهاية - والذي يتشابه فيه مع كتاب تيار الوعي مثل كافكا وجيمس جويس - في التلاعب بالزمن وتجلياته في الوعي الذاتي، وغالبا ما تكون لأثنين

يعيشان في غرفة في منزل بالإضافة الي فكرة غامضة تدور حولها الحوارات بين الشخصيات بين الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، « وتنفك هذه الفكرة مع سير المسرحية، ويحدث لها بعد تجريدي بدرجة أو بأخري يتخللها الغموض وينكشف مع الوقت كشيء أشبه بالغز، فهذا نص الأيام الخوالي مثلاً ومحل الدراسة «يقوم على عرض فكرة نسبية الزمن وان أتسقت الحوادث وتسلسلها الزمني كما نعرفه ليس إلا ما يخيل لنا نحن أنه في الواقع ولكن ليس من الضروري أن يكون كذلك»⁽¹⁾. وكذلك باقي النصوص - محل الدراسة - تعتمد أيضا على اختيار هؤلاء الكاتب لمكان محدد يدور بها الحدث ويؤثر بالتالي على العلاقات الدرامية بين الشخصيات أما باختيار غرفة ذات أثاث بسيط أو أخري ذات أثاث مزدحم أو حانة أو غرفة نوم ! إذن ما الذي يتكون في أذهان المتلقي بعد أن تتكون في أذهان الشخصيات وهم معزولون في هذه الأمكنة؟

هل الشخصيات عاجزة عن فهم نفسها لأنها عاجزة عن فهم العالم خارج تلك الغرفة؟ وهل تبدأ بفهم نفسها من خلال فكرة طارئة ما تلبث أن تكون ملحة ومغرية؟ فينكشف لنا قناع ينتمي لخيال الشخصية الخارجي، وليس بالضرورة تمثل الحقيقة؟ هل هم أشخاص عاديون يعيشون ظروفًا غير عادية لذلك تم اختيارهم لمكان منزلي؟ هل لأنه تسيطر على أفعالهم في الماضي؟ هل يمثلون مخاوف الطبقة المتوسطة في دول تهيمن عليها الرأسمالية من أعقاب الثورة الصناعية أو الحرب العالمية الثانية؟ هل كل ما يخطون له لا يجدون نتائج على أرض الواقع؟ هل هذه النصوص تركز على الضغوط التي يتعرض لها الفرد دون قدرته على تغييرها لأنهم سجناء؟ ماهية السعادة والشقاء من خلال تشكل علاقة الذكر والأنثى، هنا نستطيع الدخول من خلال العلاقات الأثنية وفلسفة العلاقة بينهما في هذا المكان الذي حدده النص أو ذلك، ومن خلال نقاط متعددة جمعت أو فرقت بين النصوص الستة كنماذج مختارة في دراسة مقارنة بين تلك النصوص. لذلك استخدمت المنهج التحليلي والسيميولوجي والمنهج المقارن حتى يتم الوصول إلى مقارنات بين النصوص للكاتب المختلفين للوصول إلى السمات المشتركة.

أولاً: الثنائيات:

فيما يتعلق بجزئية الثنائيات في هذه الدراسة وهي ثنائيات العلاقة بين الشخصيات المسرحية في تلك النصوص - عينة الدراسة - ووجودها ضمن نطاق مكاني محدود، فبنتر دائماً ما كان يستخدم ثنائي الرجل والمرأة سواء كانوا أزواجاً أو عشاقاً أو أصدقاء، تجمع هذين الأثنين أحياناً علاقة حب أو نية انفصال لسبب ما تتكشف مع الوقت للقارئ لعلاقة أبدية - بحسب الفكر المسيحي الذي يحرم الطلاق ويعتبر الزواج علاقة أبدية مطلقة -، فبرغم وجود الأسباب الجوهرية والعميقة لعدم استمرارها، وفيها ما فيها من كل موجبات الانفصال والفراق إلا أنه لا يتم أو لا تقوي الشخصيات على الإقدام عليها أبداً لأنه يوجد دائماً معوقات حاضرة، ومستمرة تتضح جلياً عند بدء الحدث تماماً مثل أن يكون هناك طرفاً ثالثاً معيقاً أو محفزاً (عنصر تهذيب للأبطال) أو عنصر لحدوث الخيانة، فلقد كان ظهور أنا - كمثل مبدئي للدلالة - في ذلك اليوم قد جعل عقل ديلي محاطاً بالتساؤلات عن صحة ما دار بين المرأتين في الماضي هل كانت علاقة طبيعية أم شاذة في تلك الغرفة في السكن الجامعي أيام الدراسة؟ لقد ظهرت لهم تلك الصديقة القديمة بعد سنوات طويلة قضياها في بيت منزلي ملبد بالغيوم وبحر في

(1) أنظر فريريك جيمسون، التحول الثقافي كتابات مختارة فيما بعد الحداثة (1983-1998) ت \ محمد الجندي، إصدارات أكاديمية الفنون دراسات نقدية 2، ص 10

الخارج متلاطم في أحدي المدن الانجليزية. وهذا يمثل غلى صعيد البُعد المكاني الاضطراب في عالم الشخصيات الداخلي ويمثل دواخل الشخصيات ومدى القتامة فيها وما يهمن عليها من خوف وترقب وحزن، فقد تحدد الماضي بالنسبة لآنا وكيت في غرفة جمعتهما في ذكريات لمراهقتين بالجامعة، وأيضا حين التقيا في غرفة كامراتين بالغتين أيضا في الحاضر، واكتشفنا علاقتهما بين الماضي والحاضر وهذه النقطة الرئيسية الزمن هو المشكلة الفلسفية التي أوحث للمؤلف بهذه المسرحية كما ذكر في مقدمة النص، لقد حضرت الصديقة آنا في هذا اليوم ليكتشف الثلاثة الزوج ديلي والزوجة كيت وصديقتها القديمة آنا الملل الذي يعم النفوس، ولتأكد فكرة عدم جدوي الاستمرارية معا في هذه العلاقة الزوجية، وكأن هذا الشعور قد تضجر للتو لوجود الشخص الثالث آنا والقادمة من الماضي، وقد تم من خلالها استعادة الذكريات التي تقوم بها الشخصيات بفضل اللقاء بعد فراق طويل لإتمام هذا الانفصال أكثر وأكثر، ورغم استحالة البقاء في وجود شعور التشظي وعدم الجدوى، إلا أن العلاقة في حدود النص قائمة رغم المهددات القادمة من خارج هذه الغرفة ومن خارج العلاقة أيضا، وكما ذكر الدكتور محسن مصيلحي في مقالته عن مسرح هارولد بنتر «أنه من الصعب أن يفهم الانسان نفسه، أو دوافعه الذاتية، فكيف به ن يفهم الآخرين أو دوافعهم» ويقول أيضا «(2)». يمكن الاعتبار بأنها شخصيات ملقاة في فراغ الكون، وأحيانا في فراغ المستقبل كشخصية كيت الضائعة والمستسلمة لواقعها مع ديلي.

ديلي: أكانت أفضل صديقة لك؟

كيت: كلمة صديقة عندما تسترجعها بعد هذا الوقت

ديلي: الا تستطيعين أن تتذكرتي ما كنت تشعرين به؟

(فترة صمت)

كيت: لقد مضي وقت طويل غلى ذلك وأعتقد أنها لا تتذكرتي

ديلي: لكنك تذكرينها وحي تذكرك والا لماذا تحضري هنا هذا المساء؟ (3).

لقد حضرت آنا تلك الليلة لمنزلهما المنعزل في أحد الشواطئ بعد كل هذا الزمن كي تكشف لهما هشاشة العلاقة التي تجمعهما، وأيضا تكشف لكيت مشاعرها الحقيقية الخفية التي تفسد عليها حياتها، أما بالنسبة للعضو الثالث أو الآخر الذي يمثل أولا الخطر الآتي من الخارج خارج هذا البعد المكاني المنعزل والقادم الذي يشكل تهديداً لكيان العلاقة، والتي تكونت خارج أطار الزواج كنص خيانة - كمثال آخر- لنفس الكاتب، ويمثل العلاقة الأثنية الزوجة العاشقة، والخائن أو الزوج الخائن \ العاشق أيضا مثل جيرري، فهو يخون أيما مع نساء أخريات طوال علاقتهما الغرامية، ويخون زوجته جوديت أيضا في نفس الوقت، ومما يثير الغرابة في النفس أن جيرري وروبرت يتحدثان حول الخيانة وكأنها هي أمر اعتيادي أما أيما، فتحون روبرت الزوج مع جيرري شريكه في دار النشر وصديقه المقرب وتخونهما معا مع الروائي كيسي أيضا، علاقات خيانة مركبة تدور بعيداً عن أعين الناس في حانة أو شقة بعيدة في ضواحي المدينة، في زمن يدور بشكل عكسي لسنوات مرة في الماضي ثم يعود للحاضر وهكذا.

(2) محسن مصيلحي، مسرحية البداية ومسرحية النهاية، admin.cg.eg.

(3) هارولد بنتر، نص الايام الخوالي، سلسلة المسرح العالمي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 222، 1988 ص 22.

أما الزوج روبرت فيصمت ويغض البصر لأنه يخونها أيضا معتقدة أن علاقتها مع «جيري» سرية وبعيدة عن أعين الناس لأنهما كانا يلتقيان في مكان بعيد وسري، وأيما أيضا تخونه مع «زبزن» في دار النشر التي يملكانها حيث أن هذا يصب في مصلحتهما لأنه روائي مبدع، ومن الممكن أن يحقق للشركة ربحاً في مبيعات رواياته فهم شركاء في العمل وكل منهم شريك في امرأة واحدة، وهذا يفسر تضخ العلاقات في المجتمع الأوروبي الحديث، حيث تتم العلاقات الزائفة والخيانات الفجة بسهولة، « فالمتفحص لجوهر نصوص بنتر يجد خيطاً يربطهم جميعاً سواء في استخدام القوة المادية أو المعنوية لقهر الفرد أو فرض الرأي عليه بحيث يتم تحويله في النهاية الي مجرد تابع لنظام سياسي أو اجتماعي أو ديني أو أسلوب فني شائع»⁽⁴⁾.

«روبرت: يبدو عليك التوتر، (وقفة) ما المشكلة؟ هل يتعلق فيما بينك وبين أيما؟) وقفة (أعرف الموضوع كله»⁽⁵⁾.

إن بنتر يحاول أن ينقل وعي مجتمعه بشكل مميز وعميق وينقل حياته وتجاريه الخاصة الي المسرح كأنه يؤرخ علاقاته مع النساء، وخياناته الحقيقية في الحياة فوق خشبة المسرح « الفن نشاط إنساني يتكون من ان يحاول واحد من الناس أن ينقل الوعي، مستخدماً اشارات خارجية معينة، يحاول أن ينقل إحساسات معينة، عاشها هو، ثم يتأثر الآخرون بهذه الاحساسات ويعيشونها هم أيضا»⁽⁶⁾. وهذا ما يحدث حتي في النصوص الأخرى للكتاب الآخرين موضوع الدراسة، فهل كان ديلي هو المخلص لكيت، أم أنه كان كاشفاً للماضي بينهما ومشتركا معهما في صنعه وهما لم يدركا ذلك؟ فقد كانت كل افعالهما في الماضي سرية وضمن حيز مكاني مغلق يترتب عليه أفعال تتم بتأثير القهر ووجود ضحية وشخصية متسلطة تحت سقف واحد ولا يتم التحرر إلا بوجود المخلص \ المُحرر « دعونا لا ننسى أنه في بعض الحكايات الخرافية تكون مهمة البطل (الأمير) هو تخليص البطلة من مضطهديها النساء كسندريلا مثلاً»⁽⁷⁾.

ديلي : أنا أسعي لرؤيتها سأكون مهتماً بذلك

كيت : بماذا؟

ديلي: بك أنت سوف أراقبك

كيت : أنا؟ لماذا؟

ديلي: لأري ما اذا كانت نفس الشخص

كيت : هل تعتقد أنك سوف تعرف ذلك من خلالي

ديلي : بالتأكيد »⁽⁸⁾.

ونجد أيضا شخصية الأب مثلا والد روز الغائب، أو ذلك الشخص المجهول وهو الزنجي القادم من خارذ الغرفة في نص (الغرفة) الذي يهدد الزوجة «روز» ويهدد عزلتها فيها ، وهو

(4) محسن مصليحي، هارولد بنتر، مسرحية البداية ومسرحية النهاية، مرجع سابق، ص 4

(5) هارولد بنتر، المسرحيات الكبرى ج 2، نص خيانة، ت \ محمد عناني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الجوائز ص 305

(6) هيربرت ريد، معنى الفن، ت \ سامي خشبة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986، ص 275

(7) جانيت تود : ،دفاعا التاريخ الأدبي النسوي، ت \ ريهام ابراهيم، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة العدد 386، 2002/ ص 23

(8) هارولد بنتر، الأيام الخوالي، مصدر سابق، ص 24

يمثل بالنسبة لها الشخص الثالث ومصدر خطر يهددها من الماضي وهي هاربة منه كل هذا الزمن وقد اختارت معتزلاً آمناً هي وزوجها ليعيشا حياتهما معاً في سلام، بدل الخوف والترقب من السلطة الذكورية لوالدها الذي هربت منه منذ زمن بعيد ولسبب نجهله كقراء مما جعلها شخصية متوترة ومتربصة، وتنتابها الشكوك والوساوس من الخارج.

روز : ماذا تريد .

رايلي : أريد أن أراك

روز : ليس بوسعك أن تراني أنت رجل أعمى، وعجوز مسكين لا تستطيع أن تري طائراً صغيراً أما أنك تدعي أنك تعرفني، فما معنى الحرية كيف عرفت اسمي واسم زوجي؟

أخرج من هنا ماذا تريد؟

رايلي : ماذا تريد؟؟

(أنه يمثل المعادل الموضوعي لشخصية العراف الأعمى في الميثولوجيا الاغريقية محرك الأحداث الذي يأتي ليقلب الحدث رأساً على عقب..)

رايلي : معي لك رسالة

روز أي رسالة؟ ممن حصلت عليها؟

رايلي : أباك يريدك أن تعود الي المنزل عودي الي المنزل يا سال⁽⁹⁾.

يتضح لنا أنه عالم يتحامل على الشخصيات ولا يتركهم يمضون بقية حياتهم بسلام في مكانهم المنعزل والذي اختاروا البقاء فيه كمكان آمن حتي لو كان وهماً أم أنهم لا يخافون من شيء سوى ما يتوهمونه. إن كل الشخصيات الموجودة مع روز كانت في رأسها هي فقط؟

كما هو الحال في نص (غرفة المعيشة) ممثلة بشخصية الزوجة للوصي ميشيل والتي تهدد مصير علاقة القاصر روز مع عشيقها معه.

مسز دينيس : قرأت لأحد خطاباتك التي سقطت من جيبه

روز : ويعد؟

مسز دينيس : دائماً ما يتركب تلك الحماقات الساذجة

روز، وهل هذا كل ما اردت ان تقوليئه؟

مسز دينيس : (بحقد) أحسست أن خطابك مؤثر جداً أنت تثقين به جداً

روز : نعم هذا صحيح

مسز دينيس : لا ينبغي أن تفعل، كان لديه مشاكل مع طلبته انه يقرأ معهم فرويد وفي العالم الثالث من زواجنا بعد أن مات طفلنا كان باستطاعتي أن أطلقه

روز : ولماذا لم تفعل؟؟

مسز دينيس : (بحقد) لأنه سيكون أكثر سعادة معي وسأغفر له كل شيء⁽¹⁰⁾

(9) هارولد بنتر، نص الغرفة، ت : محسن مصيلحي، من مقالة هارولد بنتر مسرح البداية ومسرح النهاية ص 69
(10) جراهام جرين، غرفة المعيشة، ن \ ميخائيل رومان، المسرح العالمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 71 ص 117

ثانياً: الهروب من الأعراف المجتمعية السائدة:

فالعلاقات في مسرح هؤلاء الكتاب كطبيعة الشخصيات في مسرح العبث تؤمن بأن الأنسان سيد مستقبله ولا يحتاج توصية من المجتمع، فهو الذي يتحكم بذاته لذلك هو في هروب دائم من الأعراف السائدة المتوارثة بين الناس والذي أثبت فشلها في الماضي، فمن المؤكد أنها غير صالحة للحاضر، ولكن هل هذا يتحقق فعلاً في هذه النصوص هل الشخصيات حرة وسيدة أفكارها؟ ربما نجد هذا في مسرحية لا تنتمي لمسرح العبث، وإنما مسرحية تقليدية مثل شخصية الفتاة القاصر روز في نص غرفة المعيشة لجراهام جرين التي تمردت على كل تقاليد العائلة الكاثوليكية المتزمتة، والتي تفكر بالموت أكثر من الحياة وتجلس في مكان واحد في غرفة معيشة تمثل لهم طوق النجاة بعيداً عن غرف النوم المنبعث منها رائحة الموت، شخصيات متعلقة بتعاليم الإنجيل أكثر مما تتطلبه الحياة العصرية في مسألة الحب، والزواج والعلاقة بين الرجل والمرأة وغرقها في أفكار كلاسيكية عقيمة يرفضها الجيل المعاصر..

روز: ليس هذا الأسلوب الذي يجري به القدر، أنظر الي العالم من حولك هذه الأيام، يبدو وكأنه يطلب أبطالاً وأنا لست بطله، أنا جبابه أنا لا أستطيع أن أحتمل الكثير من الألم نحن نقرأ عن انتصارات الحق ونحن لا نقرأ عن هزائمه السعيدة، لا أريد إلا قدراً محدوداً من الراحة الإنسانية»⁽¹¹⁾.

وفي موقع آخر من النص تقول: أنا لا أؤمن بالقدر الذي أخذ منك ساقيك، ويريد أن يأخذ مني ميشيل، أنا لا أؤمن، تمنيت أن لا أشعر بالوحدة الي هذا الحد»⁽¹²⁾.

« يا لها من متعة يجدها العبد المسيحي في احتقاره للعالم، وتمتعه بالحرية الحق، وطهر الضمير والقناعة بالقليل وعدم خشية الموت»⁽¹³⁾. هذا الفكر نجده لدي روز على عكس أخوالها الثلاثة الذين يمثلون الجيل المتمسك بالتعاليم المسيحية، وفكرة الموت حاضرة في أذهانهم وتنغص عليهم الحياة والمستقبل، فيحسبون أنفسهم في ركن ضيق كغرفة المعيشة في المنزل ذي الثلاثة أدوار تلك الغرفة التي تحجب عنهم وسع العالم الفسيح وفسحة الأمل وبتفضيلهم العيش في غرفة المعيشة وحدها بدل منزلهم الواسع متعدد الأدوار، مقتنعين بفكرة عدم ضرورة الموت أي أن يموتوا في نهاية حياتهم، وهذا يخالف عقيدتهم الكاثوليكية المتزمتة، وطبيعة حياة الإنسان من نقطة بداية الي نقطة نهاية محددة «لأنه بضياح معالم القيم وانهدام اركان المجتمع وتفتت الأهداف وتبعثرها وانسداد مجري الحياة الاعتيادية تدهور الواقع بصفته كيانا قائماً على أسس معروفة واستبدله مسرح العبث بأغوار اللاشعور»⁽¹⁴⁾. ثم أن روز تشعر بعدم الأمان وغرابة المنزل المنغلق بالأفكار، والخوف والترابفة فهي منطلقة وحررة ومحبة للحياة خارج البعد المكاني الذي اختارته باقي الشخصيات، والأخرين اللذين يفرضون عليها نظامهم السوداوي الكئيب لإحساسهم أن هذا الانغلاق يشكل حماية لهم من تغيرات ومفاجآت الحياة، ويشعرهم بالأمان والألفة وأكثر قدرة على المواجهة مع الموت، أو تغيرات الحياة في الخارج «نحن غير مستعدين (بصورة طبيعية) لقراءة تاريخنا ولا طابعا الاجتماعي، ولا محيطنا العاطفي والأخلاقي، ما دمنا نغلق على كل شيء داخل أسوار الأمان»⁽¹⁵⁾. لأن الصراع القائم في هذا النص

(11) جراهام جرين، المصدر السابق ص 114

(12) جراهام جرين مصدر سابق، ص 130

(13) أوديت أصلان، فن المسرح، ج1، ت، إسامية أحمد أسعد، مكتبة الأنجلو للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك، 1970، ص 31

(14) يوسف عبدالمسيح ثروت، معالم الدراما في العصر الحديث، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ص 270

(15) مجموعة كتاب، مدخل الي مناهج النقد الأدبي، ت ارضوان ظاظا، ع. م، العدد 221، ص 204

يدور حول العلم والأيمان والرغبات الإنسانية للشخصيات، ولقد أعلنت روز في عدة مواقع من النص أن الحياة أبسط بكثير من عقد القس جيمس المقعد على كرسي متحرك يحتم عليه صعوبة التنقل واختيار باقي الشخصيات مكانا واحدا للنوم وباقي نشاطهم اليومي، وعشيقها أستاذ علم النفس ميشيل الذي يري العالم ويفسر الحياة من منطلق النظريات النفسية لفرويد، وأيضا من تعاليم الكنيسة التي لا تتواكب مع متطلبات الإنسان العصرية وتحصره في تعاليم محددة وعصية على التطبيق، وفي النهاية استسلمت كل الشخصيات وتطهرت بالاعتراف بالأخطاء حينما تقبلت فكرة الموت كنهاية حتمية لهذه الحياة بخلاف هيلين التي لم تستسلم أبدا، وظلت على افكارها المسحية التقليدية

جيمس : لا تتحدث عن القدر بمثل هذه الكراهية

ميشيل : لقد فات الوقت

جيمس : تمنيت أن تفهم أن أملك وحده هو الذي يتكلم اليوم ثمة رجل هناك في آخر الشارع يموت من السرطان، وألمه يتكلم وأيضا نحن نتألم هل تريد أن تكون هذا الاستثناء في عالم من الألم؟

ميشيل : نعم وهل تؤمن أن الله صنع العالم هكذا؟

جيمس : نعم انه صنع العالم أيضا وصنع الأبدية الالم مشكلة بالنسبة لنا، ولكنه لا يبدو مشكلة كبيرة للمرأة التي تضع وليدها، الموت هو طفلنا، أن علينا أن نعبر الألم ميشيل : أنك تتكلم وكأنها مازالت حية ولم تمت بتلك الأقراص المنومة للعينه التي أعطتها لها زوجتي»⁽¹⁶⁾.

وهذا يوضح لنا أن الإنسان بطبعه بحاجة إلى (الإيمان)، ولم يشبع هذه الرغبة في نفسه ما كان وما زال سائدا من المعتقدات الأيديولوجية الأوروبية خاصة الماركسية، والنظرية النفسية الفرويدية التي سلط جراهام جرين الضوء عليها في هذا النص وأشار إليها من خلال حوار ميشيل باعتباره دكتور نفسي وأستاذ جامعة كان متأثراً بنظريات فرويد التي كانت سائدة يومذاك.

إن افتقار مثل تلك المذاهب إلى الشمول الكافي لتفسير الظواهر عامة- لذلك كانت شخصية روز وميشيل وبينهما جيمس على وجه الخصوص - تدور في حيرة حول مبدأ الأيمان كمسيحيين، وبين متطلبات الإنسان العصرية حتي القس جيمس كان من المفترض أن يكون على دراية تامة بهذا المبدأ الا ان القارئ يفاجأ أن روز جاءت لتقوض وتشكك بهذا المبدأ وتعيد مناقشته في النص وتجعل الشخصيات تعيد النظر في ايمانها ، وهذا ما نادى به البنيوية التي كانت قد ظهرت في تلك الأثناء و طرحها المؤلف خلال النص. وكذلك في نص (خيانة) نجد أيما زوجة لروبرت وكذلك عشيقه لجيري التي ترفض العلاقة الزوجية بينها وبين زوجها الخائن رغم أنها قد وقعت في نفس الخطأ مع جيري، فهي تخون زوجها معه لسنوات ويمثل هؤلاء الثلاثة مثلث الخيانة والانفتاح على العلاقات الجنسية المفتوحة السرية في نقلات زمنية بين الحاضر والماضي، ضمن بعد مكاني محدود كمتطلب أساسي يعزز فكرة النص عن الخيانة والثلاثة، بالإضافة الي أن الثلاثة يرفضون اطار الزوجية ويرحبون بالعلاقات الجنسية المفتوحة، والغريب أنهم يتحدثون عن الخيانة كأمر اعتيادي للغاية رغم أنه أمر مستهجن

(16) جراهام جرين، المصدر السابق ص 139

حتى في الغرب!

أيما: أظن أننا سوف ننفضل

جيري: حقا؟

أيما: لقد دأب على خيانتني سنوات طويلة ولقد أقام علاقات مع نساء أخريات»⁽¹⁷⁾.

وكما يوجد هناك احتجاج آخر واضح في نص الكراسي ليوجين يونسكو الذي دفع المرأة العجوز لدخول حالة من إنكار الواقع وتوهم وجود حفلة وحضور الضيوف لأجل إعلان الزوج العجوز للعالم رسالته في الحياة قبل قدوم الأجل فهما على مشارف نهاية حياتهما في هذا العزلة الاختيارية في غرفة تحيطها المياه وغلى وشك الغرق، فهي تقوم طوال الوقت بإقناع الزوج أنه يستحق الأفضل بين أفراد المجتمع، وخاصة أنه لم يأخذ فرصته في مرحلة الشباب فعلى الأقل يمكنه أن ترتقي مكانته حتى لو كان على مستوي الوهم والخيال في شيخوخته...

الرجل العجوز: يا الهي، أنا أعاني مشقة كبرى في التعبير ليس ثمة ما يسهل الأمر على المرأة العجوز: يسهل الأمر عندما تبدأ، يعثر المرء على الأفكار حين يتحدث، والكلمات ثم يعثر على نفسه في كلماته ذاتها

الرجل العجوز: لن اتكلم انا استأجرت خطيبا مفوهاً سيتكلم باسمي سترين.

المرأة العجوز: أذن سيتم الأمر الليلة حقا؟ هل دعوت الجميع؟ كل الشخصيات وكل العلماء كل الملاك وكل العلماء؟»⁽¹⁸⁾.

لقد كان البُعد المكاني لغرفة في منزل العجوزين دلالات عدة على المستوي المكاني والزمني ومن ثمة النفسي أيضا، لقد لجأ كلاهما إلى اللعبة التي قبل عقلهما أن يتقبلها، ويصنعان عالما افتراضيا يهون عليهما الخيبة بحلم يقظة مفاجئ لشخصين عاصرا حربا عالمية كباقي سكان أوروبا في الأربعينيات من القرن العشرين، وقد فقدوا عبر زمن طويل مضي التواصل الإنساني مع المجتمع في الخارج، وشعرت الزوجة العجوز اليوم بالرغبة في تحقيق قيمة لزوجها الذي طالما كان نكرة طوال حياته، ولم يكن مؤثرا بين الناس في شبابه، ولقد كان بواباً لبنانية، وهذه مهنة متواضعة لم تصنع له قيمة بين الناس، فتقوم بأيهامه أنه يمكنه بعد هذا العمر أن يقدم شيئا للإنسانية جمعاء حتى لو كان وهما وخداعا للنفس داخل هذه الغرفة المليئة بالكراسي والمتهالكة التي توشك على الغرق، حيث نجد سميراميس أو المرأة العجوز وهي تقنعه وتدخله داخل لعبة الكراسي: تلك صفات هائلة يا مارشالي العزيز ستقول لهم كل شي أن لديك رسالة يجب أن تكافح من أجل رسالتك»⁽¹⁹⁾.

أما في نص الأيام الخوالي لهارولد بنتر فيبدو للقارئ أن شخصية أنا شخصية عصابية سيكوباتية مركبة فلديها خلق ذكورية مسترجلة تسمى (متلازمة كوشينج) وهو اضطراب هرموني ناتج عن مستويات عالية من الكورتيزول يرافقه زيادة في الأندروجين والذي يسبب في ظهور خصائص ذكورية ثانوية لدي النساء»⁽²⁰⁾. ودلالاته هي اختيار تعدد العلاقات الاجتماعية المنفتحة ضمن الغرف المغلقة مختلفة عن شخصيتها خارجها والتي تبدو سوية أمام الناس

(17) هارولد بنتر، المسرحيات الكبرى، ج 2 ت\ محمد عناني، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 2009، ص 299

(18) يوجين يونسكو، نص الكراسي، ت\ رحاب عكاوي، بيروت، دار الحرف العربي، 2010 ص 44

(19) يوجين يونسكو، النص السابق، ص 40

(20) altibbi.com

وسيكوباتية داخل غرفة، «فهل هذا من نتائج تأثير النظام الأبوي يتغذى على خضوع ضحاياه من النساء، ويستمد استمراريته وشرعيته من توأطهن معه لكن الي أي مدي توافق النساء على الانخراط في هذه المنظومة؟»⁽²¹⁾.

ثالثاً: تفكك العلاقات؛

ما الذي يجعل العلاقة بين الثنائي هذا أو ذاك تتصدع بالفتور وخاصة أنهما مستقران في مكان واحد يشكل لهما السكن والمصير في أن معا وهو أيضا مسرح الأحداث، هل هم الآخرون سواء كانوا أطرافاً ماضوية لعلاقات سابقة أم هي الغيرة، أم الشك، أم انتهاء المصلحة، أم حب السيطرة؟ أم أنه المكان الذي يؤثر عليهما ويحمل في أركانه الألم والعزلة والهروب؟ لقد أرتبط المكان الذي يحمل أبعاداً ملموسة ديكور وتفصيل سينوغرافيا متوافقة، أو ابعاداً زمنية، أو أبعاداً نفسية تتكشف من خلال الحوار، واللغة التي تتسم بعدم التواصل في غالب الأحيان والذي تكون به شخصيات هذه النصوص ومرتبطة ارتباطاً ذا دلالات متعددة منها الذي سبق وذكرته بالإضافة الي أنه مرتبط بماضيهما الذي دفعهما للاستقرار في غرفة أشبه ما تكون بالمخبأ أو غرفة احتجاز طوعية أو قسرية ويرتبط هذا بأفعالهم وردود افعالهم اليومية خلال الحدث الدرامي الفعلي في النص وأحيانا يكون مرتبطاً بمكان جرت فيه احداثا سابقة على الزمن الفعلي للحدث فدفعتهم للانتقال إلي مكان الزمن الفعلي والأنى. هذا من جانب مبدئي خالص ولكن من وجهة نظر كتاب العبث، ومنهجهم التقني بالكتابة، فإن الشخصيات تبدو مفككة العلاقات ف «كيت» مثلاً في نص الأيام الخوالي لهارولد بنتر تشعر بالضجر والملل في علاقتها الزوجية، فعلاقتها مع «ديلي» علاقة غريبة تشعر القارئ بمدى الفجوة بينهما، وكذلك في نص خيانة نجد هذا مكرراً بين الشخصيات الثلاثة كيت وديلي وأنا في النص الأول ول «روبرت» و«جيرري» و«ايماء» في النص الثاني، حيث لا تواصل بينهم وبين الآخر وهو ما يظهر عبر الحوار حيث نجد وقفات أحيانا لا تتناسب مع استرسال الحوار الدائر بين الشخصيات، كذلك في نص الغرفة ها هي روز الزوجة الستينية تحدثت مع زوجها منذ بدء الحدث عن وجبة الافطار والشاي وتسأل طوال الوقت عما يحدث في خارج الغرفة عن الجيران والطقس الغائم الكئيب، والزوج صامت لا يتفاعل معها بأي كلمة وكل ما يفعله هو تصفح الجريدة، وكذلك مع المستر كيد الجار في نفس البناية يقفز من موضوع الي آخر في عدم تواصل حقيقي معها كل منهما يتحدث من ناحية في غرفتهما السفلية فالزوجة روز معزولة مكانيا ولا تتواصل مع شريك حياتها، أما في نص الكراسي ليونسكو فكذلك نجد الحوارات، والجمل الفارغة غير المنطقية للمرأة العجوز، فرغم أنها تعلم حقيقة زوجها الطاعن في السن والمتقاعد ومهنته القديمة إلا أنها تصر عليه أن ينتظر الضيوف الوهميون المدعوون للحفلة كي يبلغ رسالته أمامهم ومن ثم للعالم أجمع!

الرجل العجوز: عندي صفات طبيعية هائلة، لكن ما من تسهيلات تقدم لي فقد قمت بما يطلبه مركزي بكل شهامة

المرأة العجوز: الأمر مختلف فأنت لست كالأخرين أنت أعظم منهم بكثير»⁽²²⁾.

الرجل العجوز بلا علاقات اجتماعية في عزلة معها كأنهما خارج العالم كله في غرفة

manshor.com (21)

(22) يوجين يونيسكو - النص السابق، ص 41

يحيطها الماء وشبه غارقة كأنهما في حلم يقظة وهذه المعطيات تشي بعمق الدلالات المكانية في النص غرفة في مبني بنفس عمرهما قضيًا فيه ما يقارب السبعون عاما ويحمل كل ذكرياتهما وخيباتهما الذي تشبه خيبات فرنسا في الحرب العالمية الثانية وما عاناه الشعب آنذاك من الاحتلال الألماني، وكذلك اختيار الكراسي التي يعد به هذا المكان ينتظر ضيوفا وهميون وكذلك الماء الذي يحيط بالمسكن الصغير مهددا إياهم بالغرق في آخر الأمر.

يقول أوجين يونسكو: "يبدو لي العالم أحيانا معينة وكأنه مفرغ من الدلالات، فالواقع غير واقعي، إن هذا الإحساس باللاواقعية، والبحث عن واقع جوهرى منسى، وغير مسمى - حيث لا أحس بكياني خارجة- ما أود التعبير عنه عبر شخصياتي، التي تهيم في المتهافت، دون أن تملك شيئا، سوى غمها وندمها، وإخفاقها وخواء حياتها".

إن وجودهما في هذه العزلة المكانية والنفسية تعبر عن عالم فقد معناه وولد قناعات لدي كتاب العبت والمرحلة التي أعقبت الحرب العظمى بأنها أفقدت جيلا كاملا معني الحياة خارج المنزل، وتطويع هذه الظروف للكشف عن مكامن النفس وسط هذه الدلالات المكانية العميقة مما يثير التساؤل هل هذه الشخصيات تعيش الواقع أم تتعمد الدخول في لعبة تشبه الحلم ربما لأنهما بذلك يمكنهما استرجاع إنسانيتهم بدلا من هذا الواقع الذي يبعث على اليأس وهذا الشعور الطاغى كان مرتبطا بالتيار الذي ساد أوروبا حينذاك حيث تلاشي الأيمان بالله، وكذلك العامل الثاني وهو طغيان الآلة على الإنسان، وفقدان الإنسان لهويته الحقيقية والعملية في هذه الحياة.

أما في مسرحية خيانة حينما يعود الزمن المسرحي الي سنتين مضيا وهو عام 1975 كفلاش باك وهي من سمات مسرح بنتر ترحزح الزمن الي الأمام أو الي الوراء (الزمن العكسي) ليين أصل المشكلة بينهما بين جيرى وأيما - العشيقان - هو الضجر والفتور في علاقتهما بسبب سفره الدائم للعمل والذي أحدث فجوة في العلاقة بينهما فالبعد المكاني في هذا النص واختيارات بنتر للغرفة والحانة والاحداث المرتبطة دائما بالمكان المنعزل في وجود عدد اثنين من الشخصيات فقط..

أيما : كما تري في الماضي كنا نستطيع الابتكار وكان لدينا التصميم كان التلاقي يبدو مستحيلا ولكن رغم ذلك كنا نتلاقى لأن هذا ما أردناه⁽²³⁾.

ثم أن جو التوتر والقلق الذي يغمر العلاقات في هذه النصوص، والخوف وعدم وجود تواصل شعوري، ومن ثمة بالحوار بين الشخصيات كان عاملاً مشتركاً فيها، فالمكان واللغة عاملان أساسيان لتكون العلاقات الأثنية ودوافع عزلتهما في مكان يشبه اعماقهما الضيقة والحزينة فالغرف هنا تعكس الضيق والسرية التي تحرص الشخصيات علىها لضمان استمرار العلاقة او الذكريات على أقل تقدير.

رابعا: عدم التواصل:

في نص ظلمات ل «هيانج مانكل» لا يوجد تواصل بين الأب وابنته فالأب يطرح سؤالا ولا ينتظر الإجابة مطلقا، وهذا ملمح عبثي واضح في هذا النص،. كما هو في باقي النصوص - فالأب يشعر بالضياء والحيرة ويخاف المصير المجهول لمهاجرين بلا أوراق رسمية تثبت هويتها

(23) هارولد بنتر، نص خيانة، مصدر سابق، ص 317

أمام السلطات المعنية فهو يحبس نفسه في صالة الشقة التي يسكنان بها في أحدي مدن السويد حيث تمثل المهجر الذي اضطررا للجوء اليه هربا من بطش السلطة في بلديهما، وفحوى الحوار يوحي بأن ما يتحدثان عنه حدث في الماضي وهم يتحدثان عن أمور ماضوية، كذكرياته مع زوجته المتوفية والتي فقدت في البحر أثناء الرحلة، فالبحر أيضا يحمل بعدا مكانيا يعبر عن الظلامية، والخوف والغربة والضياع في بلد غريب، ومخاوفه التي تنتابه حيال ضلوعه في موتها والشكوك في الآخرين، ومصاعب الحياة التي يواجهها في الغربة.

الأب: ذهبت لرؤية تلك الأرض

البتت: لم تغادر البيت؟ أليس كذلك؟

الأب: هناك رائحة غريبة لدي جيراننا لماذا تأخرتي كثيرا؟

الم تلاحظي وجود أي شخص على الدرج؟

البتت: لم ألحظ أي أحد

الأب: يجب أن تكوني حذرة..

أنه يشعر بشعور الارتياح المربك لقواه العقلية.. والرهاب الاجتماعي»⁽²⁴⁾.

ثم أنهما لا يحملان أسماء بعينها وإنما ما يصف علاقتهما ببعضهما البعض أب وابنة وهذا ملمح تعبيري كدلالة على شريحة اجتماعية معينة بعينها (شريحة المهجرين)، ويبحث عن هويته الضائعة في هذا البلد الغريب، ويهرب من احساسه بالذنب تجاه تقصيره في انقاذ زوجته التي غرقت في رحلة الهروب، «هذا المسرح اذن مسرح ازدواج والمعروف أن الازدواج في حد ذاته ليس بالظاهرة المطمئنة، اذن هو مسرح القلق نحو الوجود «حيث تحمل الذات حمل الحياة الفردية المنعزلة الثقيل بأكمله، وواضح أنه مسرح يتحول الي اتجاه وجودي»⁽²⁵⁾.

أما في نص غرفة المعيشة، وهو نص تقليدي يحمل دلالات عبثية في فكرته الأساسية، فالأشقاء الثلاثة القس جيمس وهيلين وتيريزا فالأمر مختلف بعض الشيء، فهناك حوار واقعي متواصل لمسرحية محكمة الصنع والذي يمتاز به مسرح جراهام جرين، فحوار هيلين يبدو غير متوافق مع روز، فجيل الكبار الممثل في الخال القس جيمس وشقيقته ينبع من تعاليم الكتاب المقدس بينما الفتاة روز تتطلع للتحرر، ونبد سطوة الدين والتقاليد. فهل كان جراهام جرين يشير في نصه هذا ومن خلال شخصية الفتاة التي تحرر جيل الشباب آنذاك؟ لذلك استخدم الكاتب مكان الحدث بشكل عام كغرفة المعيشة التي تعبر عن الاستمرار بالحياة ومكان التقاء الأحياء في الأسرة أما غرف النوم فتحمل بعداً آخرأ وهو الموت لأنه قد سبق أن مات أقربائهم على أسرته.

ولكن ربما نستطيع القول أن لغة التواصل الفكري بين جيلين كجيل الخال جيمس القس المقعد وبين ابنة أخته روز بين جيل الشيخوخة وجيل الشباب يشكل عائقا للتواصل بينهما هو يتحدث بلغة الدين الكاثوليكي وتعاليمه الصارمة وهي تتحدث عن روح الشباب العصرية والتي يتطلع للحرية وتحقيق الانفتاح في العلاقات خارج الزواج وهذا يتنافى مع تقاليد عائلتها ومع القانون الذي يجرم العلاقة الجنسية مع فتاة دون السن القانوني، لقد رجعت روز الي بيت ملئ بالخوف وليس الحب، شاب فدلالة الاماكن لدي الشخصيات هنا مختلفة، فجيل

(24) هينغ مانكل، ظلمات، ت/ سعيد بوكرامي، سلسلة المسرح العالمي العدد 412/2022، الكويت، ص 19

(25) أوديت اصلان، مرجع سابق، ص 337

الشيوخ يفضل المنزل وغرفة المعيشة بينما الجيل الشاب يفضل أن يستخدم كل الغرف وخارج المنزل بحية مطلقة.

هيلين : تمنيت لو أن هذه الفتاة لم تأت الي هنا..

جيمس : أوه، وكذلك أنا وك، ذلك أنا، لقد حطمتها فيما بيننا

هيلين : اللوم لا يقع علينا ذلك الرجل بكل خبثه

جيمس : لا تلومينه لومي الخير الذي كان فينا ومات ألا تعتقدين لو أنها جاءت الي بيت فيه حب ألم تكن ترددت قليلا وفكرت مرتين؟⁽²⁶⁾.

وفي مسرحية الكراسي اللغة شعرية مجازية تصور علاقة الأنسان بنفسه وبالعالم المحيط به فيستخدم الكناية، والاستعارة اللغوية ويعبر بها عن آلامه دون توجه لخيال الكاتب.. سوي أحاديث ليس يتخللها تواصل شعورياً قط..» يقول يوجين يونسكو عن كيفية استخدامه للغات شخصياته في مسرحية (المغنية الصلحاء) مثلا «المكون من بعض العبارات الجاهزة، وأكثر الكليشيهات استهلاكاً يكشف لي عن أتوماتيكية الكلام وسلوك الناس والحديث الذي لامعني له»⁽²⁷⁾. كما حدث كذلك في حوار العجوزين في مسرحيته (الكراسي). أما في نص الغرفة فالزوج السيد بيرت هارد صامت، ويمسك بيده مجلة و الزوجة روز تتحدث طوال الوقت عن الطعام والطقس في خارج المنزل ذو الطقس البارد المكفهر!

روز : لا أعرف كيف يعيشون في الدور السفلي، إذا كنت ترغب في الخروج فمن الأفضل أن تضع شيئاً في معدتك، لأنك ستشعر بذلك حين تخرج»⁽²⁸⁾

البعد المكاني في هذه الجزئية من النص يصف مستويات المبني الذي يسكنان فيه هما يسكنان في القبو والخارج ملبد بالغيوم في جو شتوي بارد جدا، فقد كانت تثرثر قرابة الثلاثة صفحات من النص وهو يلتزم الصمت، وهذا ما يشير إلي الشعور بالقلق والاضطراب وعدم الشعور بالأمان رغم اعتقادهما أن المكان منعزل وآمن من ازدحام الناس، ثم يظهر في مشهد آخر من النص الزوجان السيد ساندرز وحرمة دون ترتيب يظهران فجأة أمام السيدة روز محاولين مقابلة المالك لإيجاد سكن خاص وهما يمثلان البشر الفضوليين الذين يقتحمون خلوة الهارين من الواقع..

السيدة ساندرز : كنا نصدد السلالم توا، لكن ليس بوسع المرء أن يري أي شي في هذا المكان هل تستطيع يا تودي؟؟

السيد ساندرز : ولا شي

روز : عما كنتما تبحثان؟

السيدة ساندرز :الرجل القائم على أمور المنزل

السيد ساندرز : المالك نحن نحاول ان نقابل المالك»⁽²⁹⁾.

لكن الغريب ان الثلاثة لا يعرفون الاسم الحقيقي للمالك فهم في دائرة مفرغة من سوء

(26) جراهام جرين، مصدر سابق، ص 10

(27) أوديت اصلان، مرجع سابق، ص 414

(28) هارولد بنتر، نص الغرفة، مصدر سابق، ص 50

(29) هارولد بنتر، مصدر سابق، ص 55

الفهم، فغموض المكان وعزلته تنعكسان على اللغة أيضا فهي عند بنتر أداة عظيمة توهم الإنسان بالتواصل مع الآخر، ولكنه في هذا النص مثلا - محل البحث - ليست أداة للتواصل، وإنما أداة لاجترار الماضي فقط واحضاره إلي هنا في الحاضر وجعله بنفس وقع الحاضر أو ثرثرة عظيمة للهروب من الخوف والملل، وهي أداة استخدمها المؤلف للقهر والتسلط الذكوري من الزوج مرة، ثم لتأكيد أن مضي كل هذه السنوات ليست كافية لطمس تلك الذكريات، ففي الفكر المسيحي يحتاج المرء لذكر خطاياها معترفا بها كشرط للتطهير «كلنا في غرفة وفي الخارج يوجد العالم المخيف» كما قال هارولد في أحد المرات. فلم تستطع الشخصيات تجاوز الماضي ولا تركت للقارئ نهاية فاصلة للحدث وانما تركت له نهاية مفتوحة، وتكهنت مبهمة حول مصير الزوجين مثلا!

خامسا: لحظات الصمت:

أما في لحظات الصمت فلا يمكن فهم ما يدور بين الشخصيات حيث أن على القارئ تخمين المعنى، وتخمين المشاعر وردود الأفعال، وربما يصدق معك التخمين أو يخطئ. إن لحظات الصمت التي تعكس التعاسة وقلة الحيلة، وجفاف العاطفة بين الزوجين هي تأكيد لتلك الحياة اليومية الطافحة بالملل وأيضا في تملص من المواجهة أو تذكر الماضي كما في الأيام الخوالي «حيث تعبير لغة الجسد bodily action، نري الشخصيات في مسرحية عما لا تستطيع التعبير عنه بالحوار» فقد تخلل الصمت حديث ديلي وكيت في مرات متعددة منذ بداية الحدث وحينما بدأ الحديث عن الزائرة الصديقة، فقد كانت أنا صديقة كيت الوحيدة والمفضلة وتكاد تكون كل عالمها قبل الزواج وربما أستمتر هذا بعده وقد جاءت لتكسر حاجز الصمت بين الزوجين من خلال إعادة التعرف على نفسيهما بواسطة الذكريات في ذلك المكان البعيد المنعزل وسط غرفة في منزل.

كيت : كانت صديقتي الوحيدة

ديلي : صديقتك الوحيدة والمفضلة

كيت : هم (فترة صمت)

ديلي : وكانت لا تقارن⁽³⁰⁾.

ثمة علاقات مكررة في أعمال بنتر المسرحية أو السينمائية، لنقل أن في تأليفه اهتماماً خاص بفكرة الزواج، الزواج من رجل بين اثنين أو فكرة التزاوج بين الذاكرة والحاضر أو طرح فكرة العلاقة الشاذة بين امرأتين كما ورد في نص (الأيام الخوالي) سالف الذكر⁽³¹⁾. التي كان يتخللها الفراغ الروحي ودليله هو الصمت المتكرر- (وقفات الصمت) كما في نص الغرفة، فالزوج مستر بيرت هارد صامت طوال المسرحية، وعلى النقيض منه السيدة روز التي كانت تتحدث طول الوقت ويتخلل حوارها مشاعر القلق والخوف والحرص، وبهذا المنطلق يمكنولوج الي عالم هارولد بنتر والي شخصياته المسرحية بالطبع والتي هي محل الدراسة في الأعمال الثلاثة سالف الذكر، وعلاقة شخصيات الأزواج في هذه النصوص ببعضها البعض، وكذلك بعلاقتها بالمكان وبالماضي وتفصيله، وامتزاجه بالحاضر عن طريق استحضاره للاعتراف كما حدث في نص الأيام الخوالي، أو للحنين للماضي كما في نص خيانة، أو للتحقيق الذي جاء وقته ليتطهر كل منهما من آثامه أو أفعاله التي ارتكبتها في حق الآخر

(30) هارولد بنتر، الأيام الخوالي، ص23

(31) Alaraby.com.uk

! في نص الأيام الخوالي يدور مجمل الحدث في خدمة سرد للماضي، فالحوار عبارة عن ثرثرة، أو بوح يدور حول ماضي الشخصيات لأحداث مضيت قبل عشرون عاماً، ويتخلل الحوار لحظات صمت كثيرة وظفها بنتر بشكل مدروس « تقنية هارولد بنتر الدرامية تشتهر بتأكيداتها على الصمت في الحوار وأصبحت الوقفة علامة مميزة في مسرحياته يكشف عن شخصياته من خلال التهرب المقصود على وجه التحديد من الكلام، ورغم ذلك فالصمت بين الشخصيات غني جداً ثري بدلالات فائقة المعاني»⁽³²⁾.

في نص ظلمات نجد البنت حاملة ولكنها واعية للواقع أيضاً، وتواصلها مع والدها سليم ووالدها منسحب لماضيه مع زوجته التي غرقت خلال رحلة الهجرة ولا يقبل في ادراكه أن يعيش في بلد أوروبي بلا هوية أو أوراق ثبوتية تؤهله للعيش الكريم والقانوني. كذلك لحظات الصمت التي تتخلل حوار الأب وابنته في نص ظلمات تعبيراً عن عدم التواصل والشعور المضطرب للأب، والتي تشي بأحاسيس الزوج المكلوم الذي يشعر بالذنب والذي ترك تاريخه السياسي في بلده وأصبح في مهجره مهمشاً ومحطماً.

إن استخدام أسلوب الصمت ضمن سياق الحوار، جزء مهم من الحوار في نصوص مسرح العبث على اختلاف فتراته القديمة والحديثة والتي تجمعهم أغلب نصوص هذا المسرح تحت هذه الصفة. ففي نص (خروج ودخول) لصمويل بيكيت نجد الصمت يشكل دوراً فعالاً في الحوار والمسافة بين الشخصية والأخرى، وعالمهم النفسي، وتشكل أحياناً فكرة الجحيم هو الآخر، ففي الأيام الخوالي ديلي يمثل الجحيم بالنسبة لكيت، وفي الكراسي كلا العجوزين جحيم للآخر ومجتمع الخارج جحيم لهما، وهما مجبران أيضاً على المكوث في هذا المكان المحاط بالماء سنوات طويلة دون القدرة على الخروج منه ومواجهة العالم، في نص ظلمات تمثل الغربة والمجهول جحيماً من نوع خاص حيث سلب «مانكل» على حياة المهاجرين الي السويدي والمهمشين والعالقين خوفاً من الفقر أو السجن والترحيل.

سادساً: البعد الزمني:

يلجأ بنتر الي أسلوب التمني بشكل متوازي مع اجترار ذكريات ماضي الشخصيات وارتباطهما بالمكان غرفة، وذلك بهدف ابقاء العلاقة قائمة قدر الإمكان باستخدام الماضي ربما لبث الطمأنينة في العلاقة وتجنب تلفها، أو لتركيـز الفهم على أن العلاقات الزوجية غير مجدية فبالإضافة الي استخدام الاعتراف البعد الماضي في المستوى الزمني للحدث، فتتفنن الشخصيات باستخدام حوار متصاعد في التذكر بأسلوب سردي في الذكريات المستعارة من ذلك البعد يمكن صنع ثلاثة أزمنة معا ماضي أحاضر ومستقبل، ومن خلال عملية التذكر واجترار الماضي المشترك بينهما تستخدمه الشخصيات كحيلة في تقديم أو تأخير مشاعر معينة أو قرار ما، النص (الأيام الخوالي) كله عبارة عن تذكر الزوجين ديلي وكيت وهما ينتظران الصديقة القديمة في منزلهما الريفي في احدي ليالي الخريف، تبدأ كيت لعدم التيقن من أنها تتذكر تلك الصديقة المدعوة أنا والتي تشعر أن الزمن الذي مضى عليه عشرون عاماً قد مُحي أغلب ذكرياته وأحداثه من الذاكرة حينما كانتا زميلتا دراسة في السكن الجامعي.

كيت : لقد مضى وقت طويل على ذلك

ديلي : لكنك تذكرينها، وهي تذكرتك والا فلماذا تحضر الي هنا هذا المساء؟

(32) أماتي الصاوي، الصمت البالغ في مسرحية هارولد بنتر، (حوليات) آداب عين شمس 2022

كيت : أعتقد لأنها تتذكرني (فترة صمت)

ديلي: صديقتك الوحيدة والمفضلة.

كيت : صديقتي الوحيدة وليس لي سواها (فترة صمت)

إذا كان لديك شيء فريد من نوعه فليس باستطاعتك الادعاء بأنه أفضل الأشياء ⁽³³⁾.

فالتلاعب بالزمن مع ثبات المكان في حدث هذا النص نجده بالنسبة للشخصيات الثلاثة موجود على ثلاثة مستويات حاضر بالجسد ومنسحب للزمن الحاضر وذكرياته واكتشافاته « إن افتتاحيته غالباً ما تخرج من الأحداث الماضية المسجلة بالأحداث الجارية في العالم الدرامي الواقعي الذي تظهر لنا، أن الطبقات الروائية أو القصصية الخاصة بالماضي تنسج اهتمامات الحاضر»⁽³⁴⁾.

أنا : الوقوف طوال الليل والمطري في الطابور، هل تذكرين؟ يا ألهي قاعة ألبرت والكوفنت جاردن، وماذا كنا نأكل؟ أن تتذكرني تلك الأيام ان نظل ساهرين حتى منتصف الليل أن نفعّل الأشياء التي نحبها حتي الصباح ثم نذهب في نفس الليلة إلي الكونسير أو الأوبرا. كيت : أجل أنا أتذكر ⁽³⁵⁾.

يدور الحدث كله حول سرد الشخصيات للماضي اذا يمكنهم الانتقال عبر الزمان والمكان عبر الذكريات بالماضي، فالحوار عبارة عن ثثرة، أو بوح يدور حول ماضي الزوجين والصديقة قبل عشرون سنة مضت، تجترها الشخصيات كذكريات في البداية لكن سرعان ما تسفل اليهم الشكوك لتبدأ جلسة الاعتراف والمكاشفة لهذه الاحداث السابقة التي جمعتهم في مناسبات عديدة خلال فترة الدراسة الجامعية وكأن القدر لم يحن لها لكي تظهر الا بتلك الزيارة المتأخرة ل أنا « أبرزت المسرحية الطريقة التي يمكن أن تصوغ بها الماضي وفقاً لمستلزمات الحاضر النفسية، لذا تبدو مرونة الذاكرة الموضوعية حاملاً أساسياً للغز المسرحية ذات التفسيرات المتعددة، فتستخدم الشخصيات الذاكرة الانتقائية ونطرح أسئلة حول ما حدث وما لم يحدث بين الشخصيات الثلاث قبل عشرين عاماً ⁽³⁶⁾ كيت لم تتعرف على أحد سواها والتي أصبحت فيما بعد صديقتها الأثير، ويبدو أن عالم كيت كان محدود المعارف طوال حياتها، وأن أنا تمثل الماضي بالنسبة لكيت وديلي يمثل الحاضر وكيت منقسمة بينهما فالعلاقات في مسرح بنتر محدودة وناقصة وغير مكتملة يعيها شيء مشين دائماً كي يعطل مسارها نحو التقدم الطبيعي للحياة.

كيت : لم يكن لدي العديد من الأصدقاء فيما عداها ⁽³⁷⁾.

رغم أن أنا عيباً مزعجاً وخطيراً وهو السرقة، وهو داء يكتسبه بعض الأشخاص رغم عدم حاجتهم المادية ورغم هذا استمرت علاقتهما طوال أيام الدراسة، فأنا مصابة بهوس السرقة وهو عجز متكرر عن مقاومة الرغبات في سرقة ممتلكات الآخرين وحتى التي لا يحتاجها أساساً، وهو اضطراب عقلي نادر، ولكنه خطير يمكن أن يسبب الكثير من الألم والعار لصاحبه

(33) هارولد بنتر. نص الأيام الخوالي، مرجع سابق ص 22

(34) الين أستون وجورج سافونا، المسرح والعلامات، تاسياعي السيد، اصدارات أكاديمية الفنون بالقاهرة، ص 42

(35) هارولد بنتر، الأيام الخوالي، مرجع سابق ص 27

(36) رشيدة ملحم ، جريدة البناء، مقالة " الأيام الخوالي لهارولد بنتر على مسرح سعد الله ونوس. WWW. AL. BINNA

COM LRHG

(37) هارولد بنتر، الأيام الخوالي، مصدر سابق ص 23.

ولآخرين، ويسمى في علم النفس kleptomania جنون السرقة ومن أبرز مسبباته القلق والاكتئاب وهوداء قد يكون مكتسب من أيام المراهقة وقد وظفه بنتر في هذا النص جيداً بحيث كان موفقاً لكي تأتي كيت لتسرق من ديلى والهدف استرجاعها تحت هيمنتها ودائرة استحواذها.

ديلى: ممن؟

كيت: مني

ديلى: أي أشياء؟

كيت: بعض الأشياء الصغيرة... الملابس الداخلية!!⁽³⁸⁾.

إنها رغبة استحواذ تنتاب المريض ويمكن القول أن قدومها الي منزل كيت كان دافعه الشعور بالقلق الدائم وليس له علاج سوي الحضور للابتزاز، وسرقة لحظات حميمة كانت تجمعهما معاً أو شكت على انتهاء صلاحيتها ونسيانها!

وعلى الجانب الآخر لم تكن كيت راغبة بلقاء أنا التي يبدو من سياق الحوار أنها حاولت التخلص من مخزون الذكريات كحيلة دفاعية، فلم تكن تريد الرجوع الي الوراء بالزمن لأن الماضي بالنسبة لها قد أنتهي في الحرم الجامعي.. وفيه ما فيه من أحداث، وتكشف لهم أن حتى هذا المكان البعيد المنعزل لم يغنيها عن هذه الصديقة التي جاءت من الماضي.

ديلى: هل تسعين لرؤيتها؟

كيت: كلا

ديلى: أنا أسعي لرؤيتها، سأكون مهتما لذلك

كيت: بماذا؟

ديلى: بك أنت سوف اراقبك

كيت: أنا؟ لماذا

ديلى: لأري ما إذا كنتِ نفس الشخص

كيت: هل تعتقد أنك سوف تعرف ذلك من خلالي؟⁽³⁹⁾.

ديلى أراد التعرف على أمور خفية في ماضي زوجته كيت، وكلاهما لديه الرغبة في إخفاء الأمور التي حدثت في الماضي «والحوار في هذا كله يخلق الأثر العام المطلوب بدقة يصفه بعض النقاد بأنه يسبب الرعب، والخوف، والتوجس في نفس المتفرج»⁽⁴⁰⁾. فالماضي يطارده الشخصيات رغم تغير الأماكن بين الماضي والحاضر في أغلب مسرحيات بنتر: « لذلك ظلت مسرحياته تظهر الفرد مطاردًا من المجهول الذي يأتي لامحالة مقتحماً نضرده وعزلته»⁽⁴¹⁾. وهذا العامل يبدو مشتركاً في باقي النصوص عند كل الكتاب محل الدراسة، وكذلك هو الزمن الدرامي سمة مشتركة بين بنتر وبيكيت « ان عالمه الدرامي الخاص – بهنا والآن – مشحون بشخصيات مهتمة بعبور الزمن أو بالأحرى الفشل في تجاوزه»⁽⁴²⁾. وكما في مسرحية (خيانة) نجد في

(38) هارولد بنتر، المصدر السابق ص 23

(39) هارولد بنتر، مصدر السابق ص 23

(40) محسن مصيلحي، هارولد بنتر. مسرح البداية ومسرح النهاية ص 3

(41) محسن مصيلحي، المرجع السابق ص 5

(42) الين أستون، مرجع سابق، ص 48.

بعض حوارات النص أن هناك ترقباً لما يمكن أن يحدث للزوجة إيما من رد فعل روبرت حينما عرف أنها تخونه مع جيرري الذي توقفت لقاءاتهما معاً ما يقارب العشر سنوات، فلم تكن رد فعله اعتيادياً أو تشبه ما يحدث في الواقع من موقف الزوج المخدوع في تلك الحالة، كزوج تمت خيانتها مع زوجته مع أقرب أصدقائه، وشريكه في العمل، نستنتج أن الإخلاص كقيمة أخلاقية في مسرح بنتر معدوم، ومن خيانات حدثت في الماضي ورغم أنه ماضي إلا أنه لا يمكن تمريره عبر الزمن دون انكشافه بل، وطمسه رغم كل معطياته الواقعية الظاهرة في واقع الشخصيات التي يصمم بنتر كشفه رغم السنين.

جيرري: من المحال أن أغار من كيسي وعلى أية حال، فليست بيننا الآن علاقة غرامية صحيحة؛ ولم نلتق أنا وأنت منذ سنين وماذا عن روبرت؟
إيما: يعني أظن أننا سننفضل... لقد دأب على خيانتني سنوات وسنوات أقام علاقات مع نساء أخريات سنوات وسنوات⁽⁴³⁾.

مثلما في نص (خيانة) العشيق جيرري لصديقه روبرت وانخراط «إيما» في الخيانة أيضاً دون إيجاد مبرر في النص لحصول هذه الخيانة يبرر الفعل، وروبرت أيضاً ورد فعله السلبي تجاه ما فعله الأثنان في حقه، فهذه الشخصيات مجردة مبهمة لا تشبه الشخصيات الحقيقية في الواقع في صورتها الطبيعية «لأن البناء في مسرحياته تفتقد المشاكل التي تسبب الصراع التقليدي المروع بين الفرد والمجتمع أو الكون لأنها في مجملها أسباب فلسفية تتعلق بالوجود/ الحياة/ العقائد / والميلاد والموت وإنما ما يحدث هنا مجرد صدام ناعم ومتعدد وغير مباشر، ومفهوم العلاقة الغرامية يناقشه بفكر فلسفي موفق حيث لخص إيما وروبرت منظور الحب بشكل عام بين الرجل والمرأة فهو يري مدخل هذا الحب من باب الجنس المؤدي للحب، والمرأة تراه من باب الحب المؤدي للجنس وهذه اشكالية ازلية في العلاقات.

إيما : لم يحدث يوماً أن رأيتها أنت بيتاً بأي معني من المعاني هل حدث ذلك؟
جيرري : لا كنت أراها شقة تضمين ما أعني ؟
إيما : للمضاجعة.
جيرري : للحب⁽⁴⁴⁾.

إن الماضي يطارد الشخصيات دائماً « لذلك كانت مسرحياته تظهر الفرد مطارداً من المجهول الذي يأتي لا محالة مقتحماً تفرده وعزله »⁽⁴⁵⁾. وكما في نص ظلمات الشخصيتين تعيستين في الماضي، وتعيد تذكر تفاصيله فيما حدث اثناء رحلة الفرار والهجرة، ومن ثمة التخفي عن أعين ادارة الهجرة التي تدين المهاجرين غير الشرعيين
البننت : كنا مختبئين تحت جلود الحيوانات⁽⁴⁶⁾.

وفي نص غرفة العيشة شخصيات العمل سلبية تجاه الماضي المرتبط بالموت فغرف النوم بعد مكاني يعبر عنه بقوة في هذا النص، وفقدان الأحباب وعدم القدرة على تغيير الحاضر، والاستسلام للأفكار ولأحزان الماضي، في هذا المنزل القديم الذي يحمل ذكريات الموت في كل

(43) هارولد بنتر، المسرحيات الكبرى، ص 299

(44) هارولد بنتر، المصدر السابق ص 320

(45) محسن مصيلحي، مرجع سابق ص 5

(46) هيننغ مانكل، مصدر سابق ، ص 27

أرجاء ما عدا غرفة المعيشة، أما في نص الكراسي فالعجوزان يتحجران في الماضي عند ذكريات ترجع الي مئات السنين - مجازيا - في هذا المكان المليء بالكراسي حتي يخيل اليهما أنهما من أهل الكهف استيقظا ليستعيدا ذكرياتهما التليدة عن غاب واندثر!

سابعا : عزلة الشخصيات:

ظلت مسرحيات بنتر تُظهر الفرد مطارداً من المجهول الذي يأتي لا محالة مقترحاً تفرده أو عزلته، كما في نص الأيام الخوالي حيث شخصية كيت التي اختارت لنفسها مكاناً منعزلاً مع زوجها ديلي في بيت لكي تضمن عدم التواصل والاندماج مع المحيط الخارجي الذي من الممكن أن يسبب لها الفضيحة بعد أن كان السر مكتوما طوال العشرين سنة الماضية، ففي الأيام الخوالي اقتحمت الصديقة أنا عزلة الزوجين بعد كل هذه المدة لتكشف ماضيها هي بالذات فبعكس أنا المنفتحة على العالم تجول في رحلات سفر وتخالط الآخرين، وكذلك ديلي الذي يسافر في رحلات عمل ويغيب عن منزله أياماً محدودة، وقدم هذه الصديقة الي هنا قد أنهى تاريخ صلاحية العزلة التي اختارتها كيت نهجاً لها في حياتها مع ديلي، كما ان كل واحد منهما يريد ان يبعد عن الآخر الي مكان آخر برحلة بغير لزوم العمل.

ديلي: يستلزم أحيانا عملي أن أسافر

أنا : هل تستمتع بالسفر؟

ديلي : جداً جداً

أنا : هل تسافر بعيداً؟

ديلي: أسافر عبر الكرة الأرضية كلها

أنا : وماذا عن المسكينة كيتي، ماذا تفعل حينذاك؟

كيت : أوه أستمر بالحياة»⁽⁴⁷⁾.

فاعمل الزمكان كذلك في نص خيانة في علاقة العاشقان «جيري وإيما» التي كانت مكشوفة للزوج» روبرت»، رغم اختيار العاشقين مكاناً منعزلاً عن عيون البشر إلا انه لم يحل دون انكشاف امرهما وأمر الزوج في الخيانات المشتركة والمتضاربة بين الشخصيات ، وكذلك انتقال الحدث في نص الكراسي ليونسكو بين الذكريات والحكايات والثثرة من المرأة العجوز بين البكاء والضحك والأمانى والذكري في هذا المكان المنعزل شقة صغيرة والمحاط بالماء والمهدد بالغرق وتوهم اجواء الحفلة والضيوف القادمون والكراسي الخالية رغم أنهما لا يتذكرا مكانيهما، ولا عنوانيهما ولا حتي تفاصيل البيت الذي عاشا فيها شبابهما وشيخوختهما أكثر من سبعين عاماً، وعن باريس التي اختفت من الوجود كما يدعي أبطال النص ! في نص ظلمات «لنانكل» اختارت شخصياتها (الأب وابنته) العزلة والاختباء عن أعين الناس سواء في الخارج أو الداخل والمكوث في هذا المنزل الفقير البارد بعيداً عن أعين السلطات التي تدقق في أوراق الغريباء والمهجريين هجرة غير شرعية للسويد... فالأب معارض سياسي سابق في بلده وهارب هو وأسرته من بلده المنكوبة بسبب الحرب، ثم أتوا لهذه المدينة التي لا ترحم الغريباء.

الأب : يجب أن نكون قادرين على التحدث كل منا مع الآخر، عندما أكون وحدي هنا أنتظرك أسمع أصواتنا، وحينما ألتفت لأجد أحداً، يجب أن يتحدث كل منا الي الآخر!

(47) هارولد بنتر، الأيام الخوالي، ص 45

البنّت : بشرط أن لا تقول لي أن أكل المزيد

الأب : كيف سيكون الطقس غداً؟ فكرت أن أقوم بنزهة طويلة، أحتاج بعض الحركة لم أعود أن أحبس هكذا» (48).

أما في نص غرفة المعيشة فالأخوة العجائز يحبسهم فكرة ضرورة الموت أي وقوعه لامحالة، ولا مضر منه أي أنهم هاربون من الموت، فهو محور حياتهم الباقية في هذا البيت منعزلين فيه والذي تركوا كل غرفة فيه مفضولة، وفضلوا المكوث متفرقين في غرفة المعيشة في الطابق الثالث من المنزل لدلالة أسمها الذي يبعث الحياة ويبقيهم على الأمل، وذلك لأن هذه الغرفة لم يمت فيها أحد من قبل، ورغم تدينهم الكاثوليكي المتزمت إلا أنه لم يحن للثلاثة من التصالح مع فكرة الحياة دون ترقب الموت طوال الوقت، والذي أفسد عليهم العيش والاستمتاع بهذا البيت الكبير، وبزيارة بنت شقيقتهم المتوفاة الشابة روز، وهي بحسب عقيدتهم تعتبر الزانية مقترفة الخطيئة مع ميشيل المتزوج، مثل أنا الصديقة في نص الأيام الخوالي التي تصرح علناً بتعدد علاقتها بالرجال دون الإحساس بالخجل والعار كما تشعر شخصيات جرين المتدينة.

هيلين : في خطيئة مميتة

روز : الله أكثر حكمة وأكثر رحمة

هيلين : وهي خطيئة أخرى، أن تعتمدي كثيراً على رحمة الله» (49).

لكن هيلين أكثر مرونة من أنا التي ارتضت العزلة بالمجمل بينما هيلين تداوم على زيارة الكنيسة في الأحاد للاعتراف حتي وأن تكرر الخطأ عدة مرات. لقد تأثرت تلك النصوص بمفهوم ما بعد الحداثة والتغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهي مرحلة راهنة للكتاب، وتمثل سقوط النظرية الأولى التي شكلتها الحداثة في عصر التنوير الأوروبي، وعجزها عن قراءة العالم وخاصة تلك الأنساق الفكرية التي أصابها الجمود والتي تزعم قدرتها على التفسير الكلي للعالم لأنها حركة أشارت لسقوط النماذج النظرية التي سادت الفكر والعلم الاجتماعي في القرن العشرين فتتشابه شخصيات جرين مع شخصيات بنتر في اختيار العزلة بمحض ارادتهم عند البعض في أماكن ربما تكون موحشة من الداخل تعكس نفسياتهم المحطمة كما في نص الغرفة التي فيها شخصيات صامتة، وأخري ثرثرة تهرب من خوفها والسماء أيضا في الخارج ملبدة بالغيوم وهو الطقس الذي يمثل الاضطراب في الداخل والخارج...حتي أنه يبدو للقارئ أن شخصية السيد كيد مثلا شخصية وهمية كأنها حديث نفس للسيدة روز ومن وحي خيالها !

روز : أخطأت الطابق منذ لحظة، أنه بيت غريب الغرف في الطابق الأسفل بدت لي وكأنها مغلقة بالأفضل

جيمس : أظن أنه يجب أن أخبرك.. ولكن هذا نتج عن شي أحقق جداً

روز : نعم

جيمس : ما كنت لأقول لك لو أن أقامتك هنا كانت لفترة قصيرة ولكن هذا البيت سيكون بيتك» (50).

(48) هينغ مانكل، صدر سابق، ص33

(49) جراهام جرين، نص غرفة المعيشة، ص 20.

(50) المصدر السابق، ص 61

أنهم يغلغون غرف النوم المحيطة بغرفة المعيشة خوفاً من تكرار تجربة الموت فيها كما مات أقربائهم في الماضي، وكان الموت يلاحقهم في غرف النوم فقط. ثم أن جيمس ترك حياته في خدمة الكنيسة مرغماً بسبب الإعاقة، وأصبح حبيب كرسى متحرك باختياره وشقيقته المستسلمتان للنعوسة، والعزلة في منزل خال من البهجة، ومن مظاهر الحياة السعيدة، ففكرة الرحيل عن الحياة فجأة دون مقدمات تنغص عليهما العيش، وهم مستسلمون لهذه الفكرة المحزنة!

جيمس: كما ترين فكل الغرف مغلقة

روز: لكن لماذا؟

جيمس: (ببطء وعلى كره منه) انهما لا ترغبان في استعمال أي غرفة سبق أن مات فيها أحدهن...⁽⁵¹⁾

أما في نص الكراسي ليونسكو نجد فكرة الانتظار، وهي فكرة عبثية أصيلة تهيمن على الحدث والشخصيات في هزل مأساوي وعدم تطابق الحدث مع الواقع يعيشان في عزلة تامة منذ سنوات طويلة دون جدوى «لقد عاشت شخصياته في غربة، لأنها رأيا أن العزلة ضرورية فهي لا ترغب في الاتصال وتبدو آلية منعزلة وفي هذا الصدد قال يونسكو: «شخصيات أعمال لا تريد ولا ترغب في الاتصال، أنها ليست سوى أناس يرددون شعارات توفر مشقة التفكير ويشعرون في رغبة في العزلة»⁽⁵²⁾. كما في نص الغرفة «لبنتر» نجد السيدة روز الستينية تسكن في (غرفة صغيرة) خارجها طقس بارد ومظلم لا تخرج منها وتعيش مع زوج صامت طوال الوقت توحى للضرائئ أنهما هاربان من شيء مخيف كما في شخصيتي «مانكل» في نص ظلمات حيث يمثل الحدث في النصين «رغبة الفراغ في الكون رهبة يغيب بها العقل، ومن ناحية أخرى يقوم بتصوير الوعي الجاد بهذا الفراغ والعبث، بل عن طريق تجارب معزولة تتصل بأعماق النفس المرتاعة أمام مأساتها الهائلة اللا معقولة»⁽⁵³⁾.

ثامنا: الخوف من الخطر الخارجي؛

إن ثمة أمر يهدد الشخصيات في الخارج - مكان آخر غير مكان الحدث - أشياء أحيانا تبدو مجهولة أو أحيانا تكون معلومة، وإن الهروب والركون الي مكان منعزل كهذا تجد فيه الشخصيات السكينة والسلام، والهدوء المزيّف هو متطلب أساسي للمكوث في مكان يمثل لهم الأمان، وذلك لطمس حقيقة الواقع في الخارج أنهم يهربون من أشخاص خطرين أحيانا، أو خوفاً من مجهول يمكن أن يكون مؤذياً لهم، أو مهدداً لكيان علاقة قائمة منذ زمن بعيد لكنه قد ارتضاها رغم مساوئها، ففي نص (الأيام الخوالي) فإن قدوم الصديقة أنا الي منزل كيت وزوجها ديلي بعد غياب عشرون عاماً جاء ليقوض حياتهما الرتيبة والمملة باسترجاع الماضي واحداً في زمن الحاضر، لقد كان مجيء «أنا» متوافقاً مع رغبة «ديلي» في التعرف على عالم مجهول للمرأةتين، وما الحوار الدائر خلال تلك الزيارة الغريبة الا الغوص في النفوس فكلاهما كان لديه الرغبة في التخفي والتستر على الماضي «الحوار هنا في هذه الجزئية كله يخلق الأثر العام المطلوب بدقة، فيصنّفه بعض النقاد بأنه يسبب الرعب، الخوف، والتوجس في نفس

(51) المرجع السابق، ص 62

(52) سكينه مراد، تجليات العبث واللامعقول في المسرح العربي، القاهرة، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2017 ص 98.

(53) محمد الدالي، الأدب المسرحي المعاصر، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 2006 ص 196.

المتفرض»⁽⁵⁴⁾.

روز: الوقت تأخر تأخر

رايلي: عودي الي المنزل يا سال

روز: لا تناديني بهذا الاسم

رايلي: انتظرت حتي أراك

روز: اليوم يمر عسيراً أنا لا أخرج أبدا

(تلمس عينيه ومؤخرة رأسه، وصدغيه بيديها ويسدل الستار والدنيا ظلام يتقدم صوب قلب الغرفة ويتمعن في المرأة)⁽⁵⁵⁾

أنهم لا يستطيعون تبادي التهديد أو الموت أو النهايات غير المحببة، أو حتي الوقوع بالخطيئة والمحرمات فهاجس القس جيمس وشقيقتيه هو التفوق على الغرائز الجنسية والسمو عليها باختيار الأنا العليا « هي عبارة عن التغلب على هاتين النزعتين - الأنا والهو - والوقوف في سبيلهما للسمو للآفاق أعلى، وما الحضارة الإنسانية إلا ثمرة لهذه الأنا الأعلى، فالإنسان يكبت غرائزه ويضبط نفسه ويخفي في باطن نفسه هذه الشهوات الحيوانية »⁽⁵⁶⁾.

الخاتمة:

- اشتركت النصوص في عناصر تخدم عنصر البعد المكاني، رغم الفترات التاريخية المتباعدة لظهور الكتاب، ومراحل كتابة هذه النصوص محل الدراسة.
- لقد دار الحدث في هذه النصوص في مكان واحد عبارة عن غرف مغلقة في محاولة من الشخصيات للخروج من مأزق العزلة، أو لعدم الانسجام مع العالم الخارجي المقيت دون جدوى ضمن بُعد زمني معين.
- اجتمعت الشخصيات كلها في مشاعر واحدة مشتركة، وهي إما الخوف، أو الترقب أو العنف المسبب بالغضب، أو الهروب من خطر خارجي او فكرة وجودية مؤرقة.
- لقد كان معروفاً عن هارولد بنتر أنه يفضل أن تكون شخصياته حبيسة غرف مغلقة أو حانة أو شقة خاصة لعاشقين، وفي الحقيقة لم يكن هو الوحيد المميز في هذا، وإنما كل النصوص محل الدراسة، وتأثير هذا البعد المكاني على البعد النفسي للشخصية، ومن ثم على مصيرهم في نهاية الحدث، فأما بالموت أو بالعمي أو بالاستسلام.
- اجتمع جراهام جرين وهو كاتب تقليدي متدين مع الكتاب الثلاثة يوجين يونسكو، هارولد بنتر، هيننغ مانكل وهم كتاب عبث ظهوروا في فترات زمنية متباعدة اجتمعوا في اختيارهم المماثل للبعد المكاني ودلالاته المشتركة، ومن ثم الزماني بالدرجة الثانية لتدور فيها أحداث مسرحيته التي اشتركت أيضا في فكرة العزلة والخوف والمهدد الخارجي، والعيش في الماضي، وتهديد الأعراف الاجتماعية السائدة، ويبحث هذه الشخصيات عن حلول لمعاناتها ألا انه اختلف عنهم جميعهم في فكرة ضرورة الموت وكيفية هروب شخصياته - وهي من جيلين مختلفين - من هذه الفكرة..

(54) محسن مصليحي، هارولد بنتر، مسرحية البداية ومسرحية النهاية ص 3

(55) هارولد بنتر، نص الغرفة مصدر سابق ص 71

(56) أحمد الأهواني، المعقول واللامعقول، القاهرة، دار كنوز للنشر والتوزيع، ص 35

- لقد اختار الكتاب الأربعة أجواءً تشير التساؤل، والحيرة في ذهن القارئ عن أفعال الرجال المتحكمة من منطلق الهيمنة الذكورية واستسلام النساء في ثرثرة طويلة، ويحثهن عن الحقيقة من خلال مجموعة تساؤلات.

المراجع:

المصادر:

- جراهام جرين، غرفة المعيشة، ت\ ميخائيل رومان، سلسلة المسرح العالمي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 71.
- هارولد بنتر، الأيام الخوالي ت\ الشريف خاطر، سلسلة المسرح العالمي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 222.
- هارولد بنتر، ظلمات، ت\ محسن مصيلحي، www.docudesk.com
- هارولد بنتر، خيانة، ت\ محمد عناني، ج 2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009
- هانغ مانكل، ظلمات، ت\ سعيد بوكرامي، الكويت، سلسلة المسرح العالمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 412
- يوجين يونسكو، الكراسي، ت\ رحاب عكاوي، بيروت، دار الحرف العربي، 2010

المراجع الأجنبية:

- فريريك جيمسون، التحول الثقافي كتابات مختارة فيما بعد الحداثة (1983-1998) ت\ محمد الجندي، اصدارات أكاديمية الفنون دراسات نقدية 2
- أوديت أصلان، فن المسرح، ج1، ت\ سامية أحمد أسعد، مكتبة الأنجلو للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك، 1970
- هيريت ريد، معنى الفن، ت\ سامي خشبة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986
- جانيت تود، دفاعا التاريخ الأدبي النسوي، ت\ زيهام إبراهيم، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة العدد 200، 386
- مجموعة كتاب، مدخل الي مناهج النقد الأدبي، ت\ رضوان ظاظا، ع. م، العدد 221.
- الين أستون وجورج سافونا، المسرح والعلامات، ت\ أسباعي السيد، اصدارات أكاديمية الفنون بالقاهرة

المراجع العربية :

- أحمد زكي، اتجاهات المسرح المعاصر ج1، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1996
- أحمد الأهواني، المعقول واللامعقول، القاهرة، دار كنوز للنشر والتوزيع
- سكيمة مراد، تجليات العبث واللامعقول في المسرح العربي، القاهرة، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2017
- محسن مصيلحي، هارولد بنتر، مسرحية البداية ومسرحية النهاية.
- يوسف عبدالمسيح ثروت، معالم الدراما في العصر الحديث، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.

المراجع الألكترونية :

www.books.org -

altibbi.com -

manshor.com -

- أماني الصاوي، الصمت البليغ في مسرحية هارولد بنتر، (حوليات) آداب عين شمس، aafu.jorlans.
ekb.org

- WWW. AL. BINNA.COM LRHG، جريدة البناء، مقالة « الأيام الخوالي لهارولد بنتر على
مسرح سعدالله ونوس رشيدة ملحم.

عمارة الزوايا الدينية بمدينة طرابلس القديمة (النشأة - الأدوار - التكوين المعماري)

د. عادل المبروك المختار الفار

أستاذ مشارك بقسم الآثار / مدرسة الإعلام والفنون
الأكاديمية الليبية للدراسات العليا (جنزور)

القبول: 15.10.2024

الاستلام: 12.9.2024

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة بالوصف والتحليل أحد المنشآت المعمارية الإسلامية التي تميزت بتعدد الأدوار الوظيفية وهي الزوايا، وذلك من خلال تتبع ظروف ظهورها وانفصالها مكانياً وبشكل جزئي وتدرجي عن عمارة المسجد بعد أن كانت الأريطة الإسلامية هي الحلقة الوسطى في هذا الاستقلال المعماري للزوايا. كما تعرضت الدراسة الى أنواع الزوايا حسب الوظيفة والتكوين المعماري، وكذلك انتقالها من المشرق الإسلامي الى مغربه وبعض التغيرات التي طرأت نتيجة هذا الانتقال، والظروف التي أسهمت في ذلك، هذا الى جانب التطرق الى أدوار الزوايا الاجتماعية في المدينة الإسلامية والولوج منها الى مدينه طرابلس القديمة وأهم نماذج الزوايا القائمة الى حد الآن، والتي تعود في مجملها الى العصر العثماني، ودراسة هذه النماذج عن طريق الوصف والتحليل الأثري.

Study Summary:

This study describes and analyzes one of the Islamic architectural structures that are characterized by multiple functional roles, which are the Zawaya, by tracing the circumstances of their emergence and their partial and gradual spatial separation from the architecture of the mosque after the Islamic Arbetah were the central link in this architectural independence of the Zawaya.

The study also addressed the types of Zawaya according to function and architectural composition, as well as their transfer from the Islamic East to the West and some of the changes that occurred as a result of this transfer, and the circumstances that contributed to that, in addition to addressing the roles of the social Zawaya in the Islamic city and access from it to the old city of Tripoli and the most important models of the existing Zawaya to date, which date back in their entirety to the Ottoman era, and studying these models through description and archaeological analysis.

مقدمة:

الزوايا من حيث المعنى اللغوي كما ورد في كثير من قواميس اللغة هي ركن من أركان البناء، لأنها جمعت بين قطرين وضمت زاويتين⁽¹⁾ وهذا الاسم مأخوذ من الفعل انزوى ينزوي بمعنى

(1) محمد حمزة الحداد، موسوعة العمارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997م، ص118.

اتخذ ركنًا من أركان البناء⁽²⁾ أما المعنى الاصطلاحي للفظ الزاوية فيتمثل في أنها المكان الذي اتخذته الصوفية لتدريس طرقهم و إيواء طلبتهم ومريديهم، وعرفت أيضاً بأنها المكان الذي ينقطع فيه البعض من أجل التعبد الدرس، وقد كان ذلك المكان في البداية ركن من أركان المسجد يجلس فيه أحد الشيوخ لإلقاء الدروس على طلبته ومريديه⁽³⁾ فقد ذكر المقرئ في خطه أن الجوامع الكبرى في القاهرة وفاس كانت تحوي أركاناً يأوي إليها مشاهير العلماء والشيوخ والصلحاء وينقطعون فيها للتعبد، وكان يلتف حولهم الطلبة الراغبون في العلم⁽⁴⁾، فكان للأمام الشافعي مثلاً زاوية في جامع عمرو بالفسطاط يدرس بها فقهه وكان الجامع يضم إلى جانبها العديد من الزوايا الأخرى المخصصة مذهبه لأغراض مشابهة يُذكر منها الزاوية المجدية والزاوية الصاحبية وغيرها⁽⁵⁾.

ولما انتشر التعليم في غير المساجد استقلت الزاوية بعمارتها وتحوّلت إلى منشأة معمارية مستقلة تضم العديد من الأقسام التي تعمل على تأدية الوظائف التي نشأت من أجلها، فكانت في بدايتها تتكون معمارياً من ثلاثة أقسام رئيسية، أولها القبة التي يجتمع فيها أهل الطريقة الصوفية، وثانيها ما يُعرف برواق الزوار والمخصص لمن وهبوا أنفسهم للبقاء في الزاوية وخدمة زوارها أما القسم الثالث فهو عبارة عن بيوت للسكن ودورات المياه والمطبخ وغيرها من الملحقات⁽⁶⁾، لكن وبالرغم من ذلك الانفصال المعماري عن المسجد ضلت الزاوية تحمل نفس الاسم المشتق من عمارة المسجد والركن الذي كانت تشغله فيه، والجدير بالذكر أن الوظائف الدينية والعلمية التي كانت تقوم بها الزوايا عقب انفصالها معمارياً عن المساجد كانت تشاركها فيها منشأة معمارية أخرى سبقتها في الظهور وهي الأريطة، الأمر الذي جعل كثير من الآراء تُرجح أن الزاوية لم تنفصل معمارياً عن المسجد مباشرة وإنما كانت خطوة لاحقة لانفصال الجانب الوظيفي الذي لعبته الأريطة أولاً عن مبنى الجامع، فالأريطة والتي هي في الأصل عبارة عن أبنية ذات طابع عسكري كانت تنشأ على تخوم الدولة الإسلامية من أجل إقامة المجاهدين القائمين على حماية الحدود من الأعداء تحوّلت بعد الاستقرار الأمني والسياسي للدولة الإسلامية إلى مكان الإقامة المنقطعين للعبادة وأهل الطرق الصوفية، وكذلك جمع كبير من الفقهاء وعابري السبيل الذين أقاموا في تلك الأريطة ووجدوا فيها ضالّتهم من حيث كونها مكاناً لإقامة من لا مأوى لهم، ومكاناً يوفر المأكل للعاجزين عن توفيره فضاءً لمجاهدة النفس للباحثين عن تجنب المعاصي والتقرب إلى الله، ومن هنا كان الرباط مكاناً ملائماً للعديد من شيوخ الطرق الصوفية لاجتذاب عدد كبير من الأتباع والمريدين وخصوصاً في ظل تجمع أعداد كبيرة من الناس وشرائح اجتماعية وثقافية متنوعة داخله وشيئاً فشيئاً تغير الطابع الوظيفي لتلك الأبنية من العسكرية إلى الدينية والتعليمية، وأصبح مكاناً يقصده طلاب العلم، وتعددت الأنشطة داخله فتمثلت في الوعظ والإرشاد والإفتاء و زودت الأريطة بمكتبات علمية تحوي كتب قيّمة إلى جانب المدرسين البارعين، وتوسعت الدروس فيها لتشمل إلى جانب العلوم الدينية والفقهية اللغوية وحتى بعض العلوم التطبيقية⁽⁷⁾.

(2) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، منشورات دار الحياة، بيروت، ص 165-166.

(3) تيسير بن موسى، المجتمع الليبي في العصر العثماني، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1988، ص 78.

(4) نفس المرجع السابق، ص 79.

(5) المقرئ: نقي الدين أحمد (توفي عام 845هـ/1441م)، المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م، ص 255.

(6) محمد حمزة الحداد، مرجع سابق، ص 118.

(7) عاصم رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م، ص 128.

ويبدو أن بعد الأريطة عن أماكن العمران والتجمعات السكنية حداً بكثير من المشايخ وأصحاب الطرق الصوفية إلى الذهاب إلى تلك الأماكن من أجل اجتذاب أعداد أكبر من الأتباع والمريدين، واتخذوا في البداية من المساجد والجوامع مكاناً لأداء مهامهم تلك، فجلسوا في ركن من أركانها وتحلق حولهم الناس للاستماع إلى الدروس التي يلقونها، والغالب أن هذه المرحلة كما سبق القول - هي التي للزاوية اسمها من خلال اتخاذها لركن من أركان المسجد لأداء وظيفتها، ويبدو أيضاً أن الأنشطة الجمعة التي زخرت بها حلقات الدرس تلك وكثرة روادها تعارضت نوعاً ما مع الوظائف التي يؤديها الجامع كونه مكاناً لأداء الصلاة بالدرجة الأولى وما تتطلبه هذه الوظيفة من هدوء وسكينة، الشيء الذي دفع بالقائمين على تلك الزوايا إلى التفكير في حل بديل يتيح لهم أداء مهامهم دون التسبب في أي أذى أو تعدي على المؤسسة الأولى في الإسلام من حيث الأهمية، فبدأت تظهر إلى الوجود منشآت معمارية جديدة تقوم على أركان المدن والقرى يقوم المشايخ فيها بالدعوة إلى تعلم الطرق الصوفية الخاصة بهم، وأصبح يؤمها شيئاً فشيئاً أعداداً كبيرة من الناس للاستفادة من المزايا الثقافية والاجتماعية التي توفرها⁽⁸⁾، ومع تزايد أعداد المرتادين بدأت الزوايا في التغلغل والانتشار في المفهوم الثقافي لسكان المدن والقرى، وأصبحت ترتبط لديهم بعدة مفاهيم عقائدية وثقافية واكتسبت لديهم أهمية كبرى فحرصوا على ارتيادها في المناسبات الدينية و كذلك في الأوقات الأخرى من أجل التبرك و الدعاء وقاموا بإرسال أبنائهم لتعلم أصول الدين فيها، ومن هنا نجد أن الزاوية خلقت جو اجتماعياً وثقافياً في كثير من البقاع التي كانت تفتقر إليه، وأن الناس أيقنوا بفضلها على حياتهم، لذا فإن أهمية هذه المنشأة لديهم لم تكن مرتبطة بشيخ أو داعية وإنما ارتبطت بمدى ما قدمته الزوايا لهم من خدمات تمثلت في كثير من الجوانب المهمة كإعاش الشعور الديني لديهم ودفع عجلة الحياة الثقافية، لذا نجد في ليبيا وبعض بلدان المغرب الإسلامي مثلاً أن الأهالي أطلقوا في بعض الأحيان اسم مؤسس الزاوية على قراهم، حيث نجد أن بعض من تلك القرى يبدأ اسمها بلفظ سيدي تيجيلاً واحتراماً لأولئك المشايخ وتقديراً لهم على مجهوداتهم في الرقي بالمستوى العلمي والثقافي والاجتماعي لها⁽⁹⁾، ومما يؤكد أهميتها لدى سكان المدن والقرى وارتباطها الوثيق بالجانب العقائدي لديهم أن بعض الزوايا التي أقيمت في أماكن بعيدة بعض الشيء عن تلك التجمعات تحولت بالتدريج إلى قرية أو بلدة صغيرة بسبب قيام الطلاب وذويهم من العريان والمتنقلين بالاستقرار إلى جانبها وبناء بيوتهم قريباً منها، وفي ليبيا بالذات هناك العديد من القرى أو البلدات أو حتى المدن التي أقيمت أساساً على وجود زاوية بها، وغالباً ما كانت تحمل اسم الشيخ لتلك الزاوية أو تشتهر به إلى جانب اسمها المكاني، وأصبح منذ ذلك الوقت ولا يزال اسم الشيخ مبعث فخر لأهلها⁽¹⁰⁾.

ومن هنا وبعد انفصال الزوايا عن الربط أولاً وعن المساجد ثانياً أصبحت تنقسم من الناحية الوظيفية والشكل المعماري إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

أولاً: الزاوية البسيطة؛ وهي التي لم تبني أساساً على ضريح مؤسس ولم تُنسب إلى شيخ أو

(8) محمد الكوني بالحاج، التعليم في مدينة طرابلس في العهد العثماني الثاني وأثره على مجتمع الولاية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م، ص 28-29.

(9) ألفرد بل، الطرق الإسلامية في شمال أفريقيا منذ الفتح العربي وحتى الآن، ترجمة عبدالفتاح بدوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص96.

(10) أحمد عبدالله مسعود، التواصل العلمي بين طرابلس وتونس في العهد الحفصي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2007م، ص 158.

ولي أو طريقة صوفية معينة، وإنما هي عبارة عن مجموعة أبنية متلاصقة تؤدي أغراضاً دينية واجتماعية متعددة، منها غرف للطلبة وأخرى للدراسة ومكتبة ومسجد تابع لها، وهذا العنصر الأخير بالذات يُعد انقلاباً مهماً في تبعية المنشآت المعمارية الإسلامية لبعضها البعض، فبعد أن كانت الزاوية أحد توابع المسجد عند ظهورها، أصبحت الزاوية تضم المسجد وتحتويه كأحد مرافقها، وإن لم يكن ذلك بالقاعدة العامة التي شملت كل الزوايا وعمارتها⁽¹¹⁾.

ثانياً: الزاوية ذات الولي: وهي التي أنشئت حول ضريح فاكتسبت بذلك سمعتها في قلوب الناس، ومن أجل ذلك يكثر زوارها وبالتالي إيراداتها.

ثالثاً الزاوية الطُرقية: وهي فرع إقليمي أو جهوي لزاوية أم، ويجمع هذا النوع من الزوايا في وظائفه بين نشر الطريقة الصوفية التي تتبعها أساساً وإقامة الشعائر المعروفة بحسب تلك الطريقة، وبين التعليم والأغراض الاجتماعية سابقة الذكر⁽¹²⁾.

لقد عرفت الزوايا كأحد مكونات النسيج العمراني للمدن الإسلامية في المشرق والمغرب الإسلاميين على حد سواء، وقامت بأدوار كثيرة داخل المجتمع الإسلامي منها الثقافية والدينية والاجتماعية، فلاقت جراء ذلك اهتماماً ملحوظاً من قبل الساسة الذين أشرفوا على إنشائها في الغالب وحرصوا على توفير الموارد المالية لها من أجل ضمان استمرارها في تأدية مهامها المناطة بها، ففي القاهرة مثلاً أنشأت الزوايا الجوامع الكبرى بالمدينة، وذلك بإيعاز واضح من السلاطين والأمراء، وحتى بعد انسائها معمارياً عن المساجد عرفت الزوايا اهتماماً ملحوظاً في إنشائها من قبل أولئك السلاطين والأمراء والقادرين من الأغنياء اعترافاً منهم بأهمية هذه المؤسسة للمجتمع على صعيد كل المستويات⁽¹³⁾، وكانت الزوايا إذاً تنشأ لأفراد من الصلحاء وتحمل أسمائهم في الغالب، من أمثلتها زاوية الشيخ خضر التي بناها السلطان الظاهر بيبرس وزاوية ابن منظور وزاوية الحلوي وغيرها، وأما أن تحمل أسماء بعض الطوائف الاجتماعية من الأعراب الوافدين إلى القاهرة والذين كانت تخصص لهم من أجل إقامتهم كالأحباش والأعاجم مثلاً، كزاوية الشيخ تقي الدين رجب بن اشيرك التي أمر ببنائها السلطان حسام الدين لاجين عام 697هـ/1297م وأوقفها على أهل الطريق والأعاجم، وتطالعتنا كذلك في العصر العثماني زاوية حسن الرومي والتي خصصت لطائفة العجم⁽¹⁴⁾.

وفي العموم فقد استخدمت كثير من الزوايا في القاهرة كمساجد تؤدي فيها الصلوات الخمس وهذا النوع من الزوايا كان منتشرًا في المدينة بشكل كبير وهي لا تحتوي في العادة على منبر أو منبنة، فكان المؤذن ينادي للصلوة من على باب الزاوية، ولا يزال لفظ الزاوية يُذكر هناك حتى الآن للدلالة على المساجد الصغيرة والمصليات، وفي هذا الإطار تشير إلى أن الزوايا الباقية بالقاهرة حتى الآن والتي بنيت إيمان العصر العثماني لا يتجاوز عددها 6 زوايا مازالت تحتفظ بمعالمها الأصلية إلى حد كبير، وهي زاوية الشيخ حسن الرومي 929هـ / 1523م، وزاوية الشيخ سعود 935هـ / 1533م، وزاوية الشيخ ضرغام والتي أنشأت أوائل القرن 10هـ / 16م، وزاوية الشيخ مرشد والتي أنشأت قبل 940هـ/1528م، وزاوية رضوان بك بالقريبة 1037هـ / 1627م،

(11) تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص 79.

(12) محاضرات بمركز الثقافة بالمغرب من القرن 16 إلى 19م، المطبعة الكمالية، القاهرة، 1958م، ص 53.

(13) علي فهمي خشيم، أحمد الزروق والزروقية، ط2، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، طرابلس، 1980م، ص 170.

(14) محمد سيف النصر أبو الفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى قسم الآثار كلية الآداب-جامعة أسيوط، 1980م، ص 374.

وزاوية الأمير عبد الرحمن كتحدا بالخيامية 1168-1175هـ / 1754-1761م، وعدا زاوية حسن الرومي التي خصصت فضلا عن كونها مُصلًى - لطائفة الأعاجم فإن كل الزوايا الأخرى كانت عبارة عن مصلًى تقام فيها الصلوات الخمس فقط لا أكثر⁽¹⁵⁾.

أما في المغرب الإسلامي فإن ظهور الزاوية كمنشأة معمارية مستقلة كان مرتبطا بسقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين، فقد جاء انفصال التعليم والطرق الصوفية عن الربط والتحول إلى الزوايا بسبب رفض الموحدين التمسك بظاهر المعنى في كل ما يتعلق بالأمور الدينية وإقرارهم للمعنى الضمني، لذا تحولت الطرق الصوفية إلى الزوايا لأنها على رأيهم تتماشى أكثر مع ذلك المعنى الضمني أو المجازي⁽¹⁶⁾، ويذكر الفرد بل أن التمييز بين الربط والزوايا بالمغرب الإسلامي بدأ منذ القرن العاشر الميلادي، وأن ذلك جاء بعد أن ضاقت الربط بالأعداد الكبيرة والمتزايدة من الشيوخ الطامحين لتأسيس طرق صوفية خاصة بهم وجمع أكبر عدد من المريدين لطرقهم تلك⁽¹⁷⁾، لذا فقد بدأ انتشار الزوايا منذ ذلك الوقت على نطاق ضيق في بعض مناطق المغرب وبدأت تشتهر شيئا فشيئا بين الأوساط الاجتماعية كونها مدرسة دينية ودار مجانية برنادها طلاب العلم الذين وفرت لهم المسكن والمأكل وأتاحت لهم بذلك التفرغ للدراسة وأعتهم عن الانشغال بأمور الحياة الأخرى، واحتوت الغريباء والمتجولين والمسافرين لتكفيهم مشقة الطريق وتوفر لهم مكانا للسكن والراحة واجتذبت الفقراء والمعدمين لتكفيهم قوت يومهم الذي يصارعون من أجل توفيره⁽¹⁸⁾.

كان للزوايا في المغرب عدة مسميات أخرى، فقد كانت تعرف بدار الكرامة في عهد يعقوب الموحدي ودار الضيوف في عهد أبي عنان المريني⁽¹⁹⁾، وكانت تتمتع بمكانه كبيرة بين أوساط السكان والساسة على حد السواء وذلك بسبب استنثارها بوظائف المدرسة فشاع اسمها وخصائصها خارج أوساط الصوفية، حيث ساهمت في نشر تعاليم الدين الإسلامي وأدت وظائف وأغراض اجتماعية وإنسانية، وكان لها الفضل في إنعاش الحياة بكثير من البلدات والقرى النائية، ولهذا حظيت هذه المنشأة باحترام كبير من قبل الحكام وصل إلى درجة أنها في العهد الحفصي بالذات منحت من قبل السلطات العليا بالدولة حق اللجوء ضد الحكومة، فكانت تستطيع إيواء المطلوبين من قبل السلطات السياسية دون أن تستطيع تلك السلطات المساس بهم وهم داخل تلك الزوايا⁽²⁰⁾، بالإضافة إلى أن الساسة وحرصاً منهم على استمرار الزوايا في القيام بدورها الفعال بالمجتمع فرضوا لها أوقافاً كثيرة تمكنها من القيام بأدوارها المتعددة، لذلك وكما يقول ليون الأفريقي فإنها شهدت خلال العهد الحفصي بالذات ازدهارا كبيرا وتزايدا في أعدادها وكذلك إقبالا ملحوظا من قبل العامة على ارتيادها والدفع بأبنائهم لتلقي العلم فيها والاستفادة بما توفره من مزايا وخدمات⁽²¹⁾.

وابتداءً من القرن 8هـ / 14م انتشرت الزوايا بالمغرب انتشاراً كبيراً، وأنشأت بها كتاتيب

(15) محمد حمزة الحداد، مرجع سابق، ص 118.

(16) نفس المرجع، ص 120.

(17) عثمان الكعك، مرجع سابق، ص 122.

(18) الفرد بل، مرجع سابق، ص 96.

(19) أحمد مسعود عبدالله، مرجع سابق، ص 154.

(20) نجاح القابسي، معاهد التعليم في المغرب العربي، جامعة طرابلس، 1991م، ص 17-18.

(21) روبرار برنثفسك، تاريخ أفريقيا في العهد الحفصيين القرن 13-15م، ترجمة حصادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص 354-355.

لتحفيظ القرآن، الأمر الذي حدا بملوك بني مرين أن يطوروها من أجل النهوض بالحركة العلمية، بيد أنها شهدت تطوراً أكبر في القرن 9هـ / 15م حين اشتدت وطأة النصارى على المسلمين بالأندلس وامتدت أطماعهم إلى احتلال سواحل المغرب، عندئذ أخذت الزوايا تدعو إلى الجهاد والمقاومة، ولضي ذلك تجاوباً كبيراً من قبل السكان اعتماداً على مكانتها الكبيرة في نفوسهم⁽²²⁾، وفي القرن 16م بلغت الزوايا أوج ازدهارها بالمغرب الإسلامي، حيث استطاعت أن تجلس على عرش المغرب الأقصى أسرة الأشراف السعديين، وأن تقف معهم جنباً إلى جنب في مقاومة النفوذ الأوربي والأطماع الأوربية بالمغرب الأقصى، وكان لها دوراً بارزاً في طرد أولئك المستعمرين من بعض الثغور المغربية⁽²³⁾، وفي القرنين 10-11هـ / 16-17م تطورت الزوايا بشكل أكبر حتى أن أعدادها بالمغرب ساوى عدد المساجد أو فاقها، وكان لذلك الأمر حينها جوانب سلبية حيث اختلط بها أمر الصالحين بمد عبي الإصلاح وذوى الأعراض الفاسدة من المشعوذين والدجالين وهو ما اكتسب الزوايا في بعض الأحيان سمعة سيئة لم تكن القاعدة السائدة لدى الأهالي ولكنها ساهمت في زعزعة عقيدة البعض منهم تجاه الزوايا ودورها العلمي والاجتماعي داخل المجتمع⁽²⁴⁾.

الزوايا كمنشأة اجتماعية:

لقد كان الدور الاجتماعي للزوايا بارزاً منذ ظهورها في القرن 5هـ / 11م، فمن أجل اكتساب مريدين واتباع كثر المختلف الطرائق الصوفية التي ظهرت آنذاك كان لأبد مشايخ الصوفية تجذير الجانب الاجتماعي إلى جانب الدعوة إلى طرقهم، وقد كانت شريحة الفقراء والغرباء والرحالة المجال الأفسح لهم من أجل اكتساب الأتباع وذلك من خلال محاولة توفير ما يحتاجونه في زواياهم من الأشياء الأساسية التي يفقدونها، فكان توفير مكان للإقامة والإعاشة والمنح النقدية في أحيان كثيرة هو العامل الحاسم في اكتساب الزوايا لإعداد كبيرة من الزوار والمترددین الذين تلقوا فيما بعد أسس الطريقة الصوفية وأصبحوا من أتباعها، بالإضافة إلى ذلك فقد حلت الزوايا للسكان أينما كانوا مشكلة اجتماعية أخرى تمثلت في كونها المأوى الذي يمكن أن يأمنوا فيه على أولادهم من أجل تلقي العلم بأنواعه المختلفة، وأن يبتعدوا بهم جراء ذلك عن الوقوع فريسة للأمراض الاجتماعية المختلفة التي تنتج عن تفشي الفقر والبطالة والجهل ويبدو أن الساسة من أمراء وسلطين وباشاوات أيقنوا بأهمية دور الزوايا في معالجة المجتمع الإسلامي من تلك الأفات إلى جانب المؤسسات الأخرى كالمدارس والكتاتيب وغيرها فحرصوا كل الحرص على أن تستمر الزوايا في أداء عملها من خلال توفير الربع الدائم والتوفير الذي يساعد في تأدية المهام الاجتماعية والثقافية والدينية على أكمل وجه ودون انقطاع، ففرضوا لها أوقافاً كثيرة تدر عليها الكثير من الأموال، بالإضافة إلى أن جل الزوايا كان لها موارد ذاتية تدر عليها أموالاً إضافية تمثلت في المبالغ والعينييات التي كانت ترد من النذور والوعود التي يعد بها بعض الناس للشيخ أو الولي أو لضريحه رجاء قضاء حاجاتهم، هذا إلى جانب تبرعات الناس الميسورين، وفي أحيان كثيرة كانت الزوايا تعتمد على إرسال طلبتها في طواف حول القرى والقبائل لجمع التبرعات، كل تلك المداخيل كانت تصرف بطبيعة الحال على العملية التعليمية وعلى أبناء السبيل والمسافرين والزوار المقيمين من

(22) الحسن الوزان (ليون الأفريقي)، وصف أفريقيا، ج2، بت، ص 76.

(23) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ط3، دار الجيل، بيروت، 1991م، ص 401.

(24) نفس المرجع، ص 402.

الفقراء الذين تتكفل الزوايا بالأنفاق عليهم، و على تأثيث مبنى الزاوية وتجهيزه بالمعدات اللازمة لأداء أدواره المختلفة⁽²⁵⁾، وقد كان نتيجة ذلك ازدهار الزوايا وتزايداً ملحوظاً في أعدادها وإقبالاً من قبل العامة على ارتيادها والدفع بأولادهم لتلقي العلم فيها والاستفادة بما توفره لهم من مزايا اجتماعية أخرى⁽²⁶⁾.

الزوايا الدينية في مدينة طرابلس القديمة:

كما هو الحال في جل أقطار المغرب العربي انتشرت الزوايا في البلاد الليبية منذ القرن 5هـ / 11م حيث حملت على عاتقها في كثير من الأحيان النهوض بالحركة العلمية والثقافية للسواد الأعظم من السكان، وحتى في فترة ما قبل الحكم العثماني شهد الرحالة والمؤرخين ممن مروا أو استقروا في البلاد بمختلف أقاليمها بدور تلك الزوايا في مختلف المجالات الدينية منها والثقافية وحتى الاجتماعية وأقروا بأن كثير من المدن والقرى قامت أساساً على وجود زاوية بها، وهذه الق عدة شملت في الأغلب جل الزوايا التي أقيمت خارج المدن القائمة آنذاك، أي في الأرياف والبادية والجبال والأودية، وعلى عكس ذلك المدن التي تكثرت بها الزوايا وتتنافس فيما بينها من أجل اجتذاب أكبر عدد من المريدين للطريقة الصوفية التي تطرحها كل منها⁽²⁷⁾.

وفي الفترة التي سبقت الحكم العثماني لبلاد لعب العامل السياسي دوراً بارزاً في انتشار الزوايا بمختلف أرجاء بلاد المغرب الإسلامي بما في ذلك ليبيا، فالعلامة ابن خلدون يحدثنا في هذا السياق بأن الزوايا الدينية بدأت في الانتشار والنشاط بعد أن أخذت السلطة السياسية الرسمية تضعف وتتفكك مما سمح بعلو كلمة أصحاب الزوايا الذين لعبوا دورهم الذي رسموه لأنفسهم والمتمثل في إحياء السنة ونشر طرقهم الصوفية، واتخذوا في سبيل ذلك العديد من الوسائل والتي منها على سبيل المثال تأمين المطالب المعيشية للسكان و المتمثلة في المسكن والمعاش لشرائع عدة، وإحياء المناسبات الدينية بمظاهر الفرح والابتهاج، وانطلاقاً من ذلك استجاب كثير من الناس لطردهم واعتنقوا مبادئهم وصاروا أتباعاً ومريدين لأولئك المشايخ⁽²⁸⁾، ومن هنا انتشرت الزوايا بشكل كبير جداً في البلاد الليبية وذاع صيت بعضها حتى خارج القطر الليبية حيث اجتذبت إليها الكثير من المريدين وطلاب العلم الذين قطعوا المسافات الطويلة من أجل تلقي العلم بها واشتهر منها على سبيل المثال كثير من الزوايا في منطقة جبل نفوسة وفي مدينة الزاوية والتي يشير اسمها إلى ما ذكر سابقاً عن تأسيس بعض المدن حول زاوية دينية، وكذلك عدد من الزوايا في مدينة مسلاته ومدينة زيتن⁽²⁹⁾.

أما في الجنوب الليبي تلك المنطقة النائية عن المدن الساحلية الكبيرة فالزوايا هناك لا تعدو أن تكون غالباً عبارة عن حجرة واسعة نوعاً ما تلحق بالمسجد تخلو من أية مميزات معمارية أو فنية لالتزامها بالجانب الوظيفي فقط، وربما كان مخطط الزاوية الملحقة بجامع مدينة زوية العتيق أوضح مثال يمكن أن يُستدل به في هذه المنطقة⁽³⁰⁾ (شكل رقم 1)

وفيما يخص التكوين المعماري لتلك الزوايا فكما هي العادة لم تذكر جل المصادر التفاصيل

(25) نفس المرجع، ص 403.

(26) عثمان الكعاك، مرجع سابق، ص 135.

(27) الحسن الورّان (ليون الأفريقي)، مرجع سابق، ص 76.

(28) نجاح القابسي، مرجع سابق، ص 19.

(29) عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة (نسخة مراجعة) دار الرائد العربي - ط5- بيروت 1982م، ص 125-126.

(30) التيجاني: أبو العباس أحمد، (توفي عام 1231هـ/1815م)، رحلة التيجاني، قدم لها الدكتور حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، 1981م، ص ص 114-112.

المعمارية التي كانت عليها، ولم تشر إلى أنها كانت على تكوين معماري موحد أو مشابه باستثناء ولكن يمكن أن تكون عبارة عن مجمع معماري وظيفي يحوي مجموعة من الأقسام التي تحتاجها الزاوية ومُريديها كمخزن لحفظ الأثاث والألواح والمعدات، وحجرات لاستضافة الغرباء وأبناء السبيل، لذا يمكن أن تكون أشبه بمسجد تقليدي باحتوائها على صحن مركزي تتوزع حوله تلك الملحقات⁽³¹⁾ (شكل رقم 2)، أما عن تنظيم تلك المكونات المعمارية في إطار مبنى الزاوية فلم تهتم أي من تلك المصادر بإعطاء تفاصيل دقيقة وواقية بهذا الخصوص، هذا طبعاً في ظل اندثار جل تلك الزوايا التي كانت موجودة في مختلف مناطق ليبيا والتي أنشأت قبل دخول الأتراك العثمانيين إليها.

ابتداءً من دخول العثمانيون عانت البلاد بشكل عام ومدينة طرابلس بشكل خاص من الركود الثقيل الذي خيم عليها نتيجة السياسة التي فرضها الأتراك على جل الأقاليم التي وقعت تحت سيطرتهم، فتفشى الجهل بين سكان المدينة بشكل كبير جداً خصوصاً في بداية العصر العثماني فيما يعرف بالعهد العثماني الأول، والذي لم تعرف المدينة خلاله أي منبر من منابر العلم سواء كانت مدارس دينية أو حكومية، عندئذ كانت الزوايا والكتاتيب بشكل خاص الحل الأمثل للسكان من أجل مقاومة سياسة التجهيل المتعمد الذي مارسه الولاة الأتراك عليهم، فأعملت تلك المراكز رغم بساطة طرحها الدعم اللازم الذي ضمن عدم انقطاع الحركة الثقافية بالمدينة، فانكب عليها الأهالي وشاركوا في أنشطتها الثقافية والاجتماعية، وتنادوا فيما بينهم من أجل دعمها مادياً لكي تستمر في أداء وظائفها المختلفة.

لقد ضمت مدينة طرابلس القديمة العديد من الزوايا التي أنشأت في مختلف العصور العثمانية التي تعاقبت عليها، تلك الزوايا التي لم تتفوق في أدوارها الدينية والثقافية، بل كان لها - بشهادة العديد من الرحالة والمستشرقين - أدواراً بارزة في صلب الحياة الاجتماعية للسكان استحقت بها أن تُصنّف وبامتياز كمنشأة اجتماعية مؤثرة في النسيج الاجتماعي للمدينة، فقد كان اعتقاد الأهالي راسخاً في الصالحين والأولياء الذين حرصوا على أن تشارك زواياهم في الأنشطة الاجتماعية بل والأشراف على تنظيمها⁽³²⁾، وحتى وإن كان ذلك لا يتضح لنا بصورة كبيرة إبان العهد العثماني الأول نتيجة قلة التوثيق وندرة الرحلات والزيارات التي كان يقوم بها الرحالة لدواعي أمنية سبق ذكرها، إلا أن الصورة تبدأ في الإيضاح بعض الشيء منذ بداية العهد القره مانلي امتداداً إلى العهد العثماني الثاني، حيث تذكر الرحلتان الأمريكيتان لوبنس سميت و هبريستون مثلاً أن الزوايا كانت دائماً تحرص على تحويل المناسبات والأعياد الدينية إلى محافل اجتماعية من خلال عقد حلقات الذكر والتي غالباً ما تنتهي بدق الطبول والرقص الصوي الذي يحوي ألعاباً خطيرة تتضمن وضع بعض الأشخاص ممن يُطلق عليهم اسم (الرفاعية) الخناجر في أفواههم وغرسها في أجسادهم وأكل المسامير والزجاج⁽³³⁾، كل ذلك كان يلاقي إعجاب واستحسان الناس مما يدفعهم إلى الاعتقاد والتمسك أكثر فأكثر بالزوايا والطرق الصوفية التي تمثلها، وعموماً فإن مدينة طرابلس القديمة تحوي حالياً العديد من الزوايا الدينية التي وإن تشابهت في أنشطتها وأهدافها فإنها تختلف تماماً في معمارها،

(31) غاسبري ميساننا، المعمار الإسلامي في ليبيا، ت علي الصادق حسنين، ط1، دار الجبل، طرابلس، 1998م، ص 109.
(32) أحمد النائب الأنصاري، نفحات النسرين والريحان في من كان بطرابلس من أعيان، تحقيق مصطفى المصراطي، دار صادر، بيروت، 1936م، ص 196.
(33) خليفة التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1974، ص 109.

فلم يكن لها شكل معماري موحد أو مقارب لبعضها البعض، بل أنها تشكلت معمارياً بحسب موقعها من المدينة وكذلك بحسب ما أتيح لها من فضاء مكاني في نسيج المدينة، وفي هذا السياق نتعرض لأهم تلك الزوايا وملامحها المعمارية كما تبدو في الوقت الراهن الزاوية الكبيرة (العیساویة):

خُصصت هذه الزاوية لمريدي الطريقة الصوفية العيساوية⁽³⁴⁾، ومؤسس هذه الزاوية هو الشيخ محمد بن العالم بانون المغربي الأصل وذلك في بدايات 16م عشر، أي قبيل مجيء الأتراك للمدينة بفترة قصيرة⁽³⁵⁾، وتقع هذه الزاوية ضمن محلة حومة غريان في الجزء الجنوبي من المدينة القديمة بالقرب من باب الحرية وفي الشارع المعروف باسمها، وهي تحمل الرقم العقاري (M1) بحسب تصنيف جهاز المدن التاريخية لمباني المدينة القديمة⁽³⁶⁾، والزاوية تستعمل حالياً كمصلى ومكان الإقامة للحفلات والمراسم الدينية والاحتفال ببعض المناسبات الاجتماعية كالختان وقدم مولود وعقد القران، هذه المناسبات التي يقوم بها مريدي الطريقة العيساوية تحت إشراف شيخ هذه الزاوية.

مبنى الزاوية الكبيرة بشكل عام يشبه إلى حد كبير المنازل القديمة بالمدينة، وذلك من خلال احتواءها على فناء وسطي مكشوف تحيط به الحجرات (صورة رقم 1)، فالزاوية يتم الدخول إليها بواسطة مدخل يقع في أقصى غرب الجدار الشمالي الرئيسي، وهذا المدخل معقود بعقد مدبب ويقع ضمن واجهة حجرية مستطيلة شبيهة إلى حد كبير بمدخل كثير من المنشآت في المدينة القديمة، وذلك من حيث وجود الأعمدة المربعة المدمجة في الجدار على جانبي المدخل واللذين يرتفع فوقهما العقد المدبب، وكذلك من حيث تزيين كوشتي العقد ببلاطات القيشاني وهو الأسلوب السائد في تزيين واجهات المداخل بكثير من المباني المهمة بالمدينة (صورة رقم 2).

وعند الدخول من الباب الرئيسي للزاوية تقابلنا در كاه طويلة وضيقة توصل مباشرة إلى فناء مكشوف يُستعمل لعقد الأنشطة الاجتماعية، وهذا الفناء كما هو الحال في جل أجزاء مبنى الزاوية مجدد بالكامل ولا يستبعد في ظل عدم وجود أي من التفاصيل المعمارية الأصلية للمبنى أن تكون قد أجريت به تغييرات جوهرية طمست كل العناصر الأصلية، ولكن النسق العام للعناصر الحالي لا بد وأن يكون مشابهاً للعناصر الأصلية من حيث تأدية كل منها للوظائف الخدمية التي تتطلبها الأنشطة المرتبطة بمبنى الزاوية وهي كما تظهر حالياً عبارة عن مساطب حجرية معدة لجلوس المريدين ورواد الزاوية، بالإضافة إلى الأبواب الثلاثة المطلة على الفناء والتي تؤدي بدورها إلى مصلى الزاوية والحجرتين الملحقتين وكذلك الملحقات الجانبية الأخرى.

الحجرتين المطلتين على الفناء الوسطي تمتازان بكون مساحتهما، ولا بد أنهما كانتا

(34) لويس سميث و لويد بريستون، مدينة طرابلس بمدخلها الغربي والشرقي، ت الهادي أبو لقمة، جامعة قارونس، بنغازي، 1980م، ص 9.

(35) العيساوية: هي طريقة صوفية مغربية أسسها الشيخ الكامل العارف بالله محمد بن عيسى المولود في مدينه فاس بالمغرب الأقصى عام 282 هـ 1477 م، والمتوفي في مدينه مكناس عام 943 هـ 1537 م، ويعود اصل هذه الفرقة الى الطريقة الجازولية التي أسسها الشيخ محمد بن سليمان الجازولي بالمغرب، وتشتهر الطريقة العيساوية على وجه الخصوص باستعمالها للأمداح بصوت عالٍ واستخدام بعض الآلات الموسيقية في طقوسها الروحانية، وقد لاقت هذه الطريقة إقبالا كبيرا في بلدان المغرب العربي على وجه الخصوص، وقامت الكثير من الزوايا التي تعتقد بها في شتى أرجاء المغرب الإسلامي بما في ذلك ليبيا. أنظر: عبد الرزاق موسى و أدولوي مسعود أدولوي، دراسة تاريخية عن الزاوية الكبيرة بالمدينة القديمة، تقرير غير منشور، دار أحمد النائب الأنصاري، طرابلس، 1992م.

(36) حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، ج1، جامعة طرابلس، 1984م، 264.

تستعملان لإقامة شيخ و مريدي الزاوية وطلبة العلم الذين يؤمونها، بيد أنهما في الوقت الحاضر تستعملان لتخزين بعض المعدات الخاصة بالمبنى، وهما بعيدتان من الأنشطة الاجتماعية التي تُعقد في الزاوية والتي تتخذ من الفناء وفي أحيان كثيرة قاعة الصلاة مسرحاً لها، ويمكن اعتبار قاعة الصلاة أهم جزء من مبنى الزاوية، فهي توجد في ناحية القبلة وتستعمل للصلاة الأوقات بالنسبة لمريدي الزاوية رغم عدم وجود محراب واضح بها، إلى جانب أنها تستعمل في بعض الأوقات لأداء بعض طقوس الطريقة العيساوية⁽³⁷⁾، والقاعة عبارة عن فضاء مستطيل الشكل 15,80م 6,50م، لها مدخل في منتصف الجدار الغربي المقابل لجدار القبلة، وتتخلل جدرانها بعض النوافذ المطللة على فناء المبنى، كما أن القاعة مسقوفة بألواح وعوارض خشبية حديثة تدنوها بعض الفتحات الصغيرة لغرض الإضاءة والتهوية، وفي جدار القبلة من هذا المصلى يوجد باب صغير يؤدي إلى فضاء خلفي مستطيل ومكشوف، خالي من أي معالم معمارية كان يُستعمل في الماضي كمقبرة لدفن الموتى⁽³⁸⁾، ولكنه في الوقت الحاضر خال ولا يحتوي على أي قبور واضحة توحى باستمرارية استعماله لنفس الغرض (صورة رقم 3).

من هنا نلاحظ التكوين المعماري البسيط لهذه الزاوية مما يدفع للاعتقاد أن المبنى برمته لم يُبن أساساً ليكون زاوية، ولكنه في أُنحد فترة لاحقة لهذا الغرض، وهذا الأمر طبيعي بالنسبة للاستعمالات الوظيفية لمباني المدينة القديمة في ظل صغر مساحتها وكثافة مبانيها، مما يجعل استحداث أي مؤسسه فيها لا يتم إلا بإزالة مبن وإقامة آخر مكانه أو إعادة استعمال المباني الأغراض مختلفة بعد إضافة التحويرات اللازمة ليلائم ذلك المبنى الغرض الوظيفي الجديد.

الزاوية الصغيرة (زاوية الشيخ يعقوب):

تشتهر بين أوساط الأهالي أيضا باسم زاوية الشيخ يعقوب، وقد سميت بالزاوية الصغيرة نظرا لتبعيتها العقائدية للزاوية الكبيرة، فهي مخصصة كذلك لأهل الطريقة الصوفية العيساوية الجازولية، حيث انشقت عنها مكانيا لكنها سارت على نفس النسيج الصوفي الذي يقوم على الأمداح بصوت عالٍ واستعمال بعض الآلات الإيقاع الموسيقية من أجل التعبير الروحاني في الحفلات التي كانت تقام بالمناسبات الدينية والاجتماعية والتي كانت تعقد تحت إشراف شيخ الزاوية⁽³⁹⁾، وقد أسس هذه الزاوية الشيخ أبو يعقوب الخشاب، وذلك في فترة زمنية غير محددة، ولكن بعض المصادر التاريخية ترجح أن يكون ذلك قد تم في أوائل القرن الثامن عشر م، وذلك بالاعتماد على أن مؤسسها قد توي بطرابلس ودفن في نفس مبنى الزاوية وكان ذلك عام 1139هـ / 1726م⁽⁴⁰⁾، إذا فلا بد أن يكون المذكور قد أسس هذه الزاوية قبيل هذا التاريخ بفترة قصيرة ربما كانت أوائل العهد القره مانلي أو نهاية العهد العثماني الأول، هذا في ظل عدم وجود معلومات مؤكده عن تاريخ بناء الزاوية أو عناصر معمارية وفنية أصلية يمكن أن يُستدل بها عن زمن البناء ولو بشكل تقريبي.

(37) ملخص عام لوصف مدينة طرابلس القديمة وأهم المباني التاريخية المكونة لها، تقرير غير منشور، جهاز إدارة المدن التاريخية، الإدارة الفنية، 2001م.

(38) مسعود شظوف وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج1، مصلحة الآثار، طرابلس، 1980م، ص 153.

(39) عبد الرزاق موسى و أدلوي مسعود أدلوي، مرجع سابق.

(40) سالم أبو يعقوب الخشاب أو الشيخ يعقوب كما عُرف في طرابلس، أصله من الأندلس، هاجر إلى المغرب ثم إلى طرابلس في أواخر حياته توفي بها متعبداً زاهداً عام 1139 هـ 1726 م. أنظر: عبد السلام بن عثمان الأسمر، الإشارات لبعض ما في طرابلس الغرب منمزارات، منشورات مكتبة النجاح، طرابلس، دت، ص 15.

يقع مبنى هذه الزاوية ضمن محلة باب البحر بشارع الشيخ يعقوب غربي القوس الروماني وجنوب مبنى المدرسة البحرية العثمانية، وهو يحمل الرقم العقاري (G) بالمنطقة رقم 4 بمحلة باب البحر⁽⁴¹⁾، وتعرف الزاوية لدى العامة بمسجد و زاوية الشيخ يعقوب ذلك لأنها من الزوايا التي تستعمل حالياً لأداء صلوات الأوقات. ومبناها بشكل عام يتكون من عدة أقسام تبدأ تتالياً من المدخل الكبير المشابه لمدخل الزاوية الكبيرة، (صورة رقم 4) والذي يؤدي بعد اجتياز الداخل لثلاث درجات إلى فناء مستطيل مكشوف أبعاده 15م 10م، يحوي في شتى أرجائه مساطب حجرية كما هو الحال في الزاوية السابقة، ويتوسط الجدار الشرقي من الفناء مدخل يؤدي إلى ساحة صغيرة أخرى تطل عليها عدة غرف تستعمل إحداها حالياً كدورة مياه والثانية كمطبخ، كما أن هناك مدخل آخر مجاور للمدخل السابق على الجدار الشرقي للفناء يؤدي إلى الأقسام الرئيسية من مبنى الزاوية والمتمثلة في غرفة الزاوية الرئيسية و المصلى وروضة الضريح (صورة رقم 5).

الغرفة الرئيسية للزاوية عبارة عن فضاء مستطيل أبعاده 12X7م تقريباً، وهي مخصصة للأنشطة الدينية الصوفية التي تعقد بحسب الطريقة العيساوية، وتوجد خلف هذه الغرفة غرفة أخرى صغيرة مخصصة لجلوس وراحة أفراد الطائفة بعد أدائهم لطقوسهم، والغرفة بشكل عام خالية من أي ملامح معمارية أو زخرفية يمكن أن تجذب نظر الدارس شأنها في ذلك شأن جل أجزاء المبنى، ويقع مُصلَى الزاوية إلى الجنوب من الغرفة الرئيسية وهو عبارة عن غرفة مستطيلة أبعادها 9x5م، يتوسطها عمود رخامي يعلوه تاج من النوع القره مانلي الحفصي الأصل، يقسم بيت الصلاة إلى رواقين موازيين لجدار القبلة، ويوجد المحراب في منتصف جدار القبلة وهو عبارة عن تجويف يكتنفه عمودين مدمجين في الجدار ويعلوه طاقه مستطيلة توفر الإضاءة و التهوية للمكان، سقف المصلى عبارة عن قبة نصف برميلي، وهو الآن في حالة إنشائية سيئة رغم إجراء العديد من أعمال الصيانة عليه، أما الغرفة الثالثة والتي تقع جنوب المصلى فهي الروضة التي تحوي ضريح مؤسس الزاوية الشيخ يعقوب، هذا الضريح الذي يقبع في منتصف الغرفة وهو مغطى بتابوت خشبي حديث مطلي باللون الأخضر، ويؤمّه الناس من اجل التبرك والدعاء، وفي الجدار الشرقي من غرفة الضريح يوجد باب صغير يؤدي إلى حديقة تحيط يميني الزاوية من الجهة الشرقية ربما كانت في السابق قد استعملت كمساحة للدفن ولكنها في الوقت الحالي خالية من أي شيء ربما يدل على حقيقة استخدامها سابقاً.

لقد تعرض مبنى زاوية الشيخ يعقوب كما هو الحال في الزاوية الكبيرة عبر المراحل الزمنية المختلفة للعديد من الترميمات والإضافات التي لم تترك الشيء الكثير من العناصر المعمارية والفنية الأصلية، فقد كانت تلك الأعمال أو على الأقل ما أحرى منها حديثاً تتم على أيدي أناس غير متخصصين كان كل اهتمامهم منصباً على استمرار أداء المبنى لوظائفه دون النظر إلى القيمة التاريخية للمبنى، وأرى في هذا السياق أن المبنى برمته لم ينشأ في فترة زمنية واحدة، وإنما يدل بشكله الراهن على أنه تعرض لكثير من عمليات الإضافة خلال فترات زمنية متعاقبة، وهو ما يدل عليه اختلاف العناصر المعمارية الأقسام الزاوية وظهورها حسب رأيي الشخصي بشكل متنافر ويطرز بنائية متعددة.

(41) حسن سالم باكير، مرجع سابق، ص 117-118. الشيخ

الزاوية القادرية:

خصّصت هذه الزاوية بحسب أسمها لمريدي الطريقة القادرية⁽⁴²⁾، وهي أحد الطرق الصوفية التي لم تحض بشعبية كبيرة داخل مدينة طرابلس وظلت محصورة في عدد قليل من الناس كان على رأسهم الشيخ على سؤاله الذي قام بتأسيس هذه الزاوية وكان ذلك في أواخر العهد العثماني الثاني⁽⁴³⁾، وتقع هذه الزاوية ضمن محلة البلدية بالجزء الشرقي من المدينة القديمة في الشارع المسمى بزققة الفيندقة، وهي مواجهة تماماً لجامع الناقة العريق، ويحمل مبنائها الرقم العقاري (D2) حسب تصنيف جهاز المدن التاريخية لمباني المدينة القديمة⁽⁴⁴⁾.

مبنى الزاوية بشكل عام صغير الحجم بسيط البناء، وهو بشكله الحالي يُعد تراكماً لعدة إضافات تمت في فترات زمنية مختلفة ومتعاقبة، فهي تتكون من قاعة صلاة مستطيلة الشكل أبعادها 7×6م، يتوسطها عمود رخامي يكون رواقين موازيين لجدار القبلة، وأهم ما يميز بيت الصلاة هذا هو سقفه الذي أنشأ على طريقة القباب المتعددة والمتجاورة، فهو عبارة عن أربع قبيبات صغيرة ترتكز على أقواس متصلة بجدران بيت الصلاة، وهذا النوع من أساليب التسقيف غرف في العديد من المساجد المهمة بالمدينة على غرار جامع أحمد باشا وجامع درغوث باشا وجامع شايب العين، والتي تتوزع زمنياً على فترات عديدة من الحكم العثماني للمدينة، وبالإضافة إلى كون هذه الغرفة مصلى فهي أيضاً الغرفة الرئيسية للزاوية والتي تتم بها الأنشطة الصوفية على الطريقة القادرية، وهي على ما يبدو الجزء الأساسي من المبنى والذي أُضيفت إلى جانبه فيما بعد الأجزاء الأخرى للمبنى والتي منها الغرفة المجاورة من ناحية الشمال الغربي والمعدة حالياً لحفظ الأدوات الخاصة بالمبنى والقائمين عليه، بالإضافة إلى القاعة المجاورة للمصلى والتي اتخذت فيما بعد لإقامة بعض الأنشطة الصوفية عندما ضاقت بها غرفة المصلى وهذه القاعة عبارة عن حجرة مستطيلة أبعادها 16م 7م، مسقوفة بسقف مسطح، ويوجد بالجزء الجنوبي منها سدة خشبية يُصعد إليها بواسطة سلم خشبي، ويتخلل جدرانها العديد من الفتحات والنوافذ لتوفير الإضاءة والتهوية.

أما أهم ما يميز هذه الزاوية فهو كونها الزاوية الوحيدة من بين زوايا المدينة التي تحتوي على مئذنة على غرار الزوايا القاهرية، هذه المئذنة التي توجد على يمين الداخل إلى المصلى حيث يوجد سلم خشبي يوصل إلى أعلى المئذنة ذات البدن الأسطواني والذي ينتهي بغطاء خشبي مئمن الشكل تتخلله عدة فتحات صغيرة من أجل توفير الإضاءة والتهوية للمئذنة من الداخل.

بالإضافة إلى هذه الزوايا الثلاث والتي تعتبر الزوايا الرئيسية بمدينة طرابلس القديمة والتي لا تزال تمارس وظائفها بشكل بارز حتى الآن، توجد العديد من الزوايا الصغيرة والأقل أهمية من الناحيتين الوظيفية والعمارية، أذكر منها على سبيل المثال زاوية المكنى الواقعة بمحلة حومة غريان، والتي تتكون من بيت صلاة على مرحلتين، وهو غير منتظم الاستعمال في الوقت الحاضر ولا يحوي أي عناصر معمارية أو زخرفية يمكن الوقوف عندها، وتحيط به

(42) القادرية: تُنسب إلى الشيخ أبي محمد عبد القادر الجيلاني المولود في صوفيا بأسيا الصغرى عام 470 هـ 1077 م، وكان واعظاً وخطيباً، تتلمذ على يده العديد من المشايخ الذين نقلوا طريقته الصوفية إلى عدة أقاليم ومنها ليبيا، وقد توفي ببغداد عام 561 هـ 1165 م. أنظر: صالح السباني، ليبيا أثناء العهد الموحد والدولة الحفصية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006م، 525.

(43) مسعود شقوف وآخرون، مرجع سابق، ص 147.

(44) ملخص عام لوصف مدينة طرابلس القديمة وأهم المباني التاريخية المكونة لها، مرجع سابق.

العديد من الملحقات البسيطة كالميضأة وغرفة السلم المؤدي إلى سطح الزاوية، هذا بالإضافة إلى زاوية أخرى واقعة ضمن نطاق محلة حومة البلدية، وبالتحديد بشارع قوس الصراري، وهي منسوبة إلى الشيخ عطية الفلاح مؤسس الزاوية والمدفون بمبناها، وعلى غرار الزاوية السابقة تحتوي على بيت صلاة صغير 11م 7م، مسقوف بست قببات نصف دائرية، ويوجد به محراب على شكل تجويف بسيط بمنصف جدار القبلة تقريباً، كما يوجد طابق علوي لهذه الزاوية مكون من غرفة واحدة تستعمل حالياً ككتاب لتحفيظ الصبيان القرآن الكريم⁽⁴⁵⁾.

الخلاصة:

مما سبق يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

1. أن الزوايا هي مبنً له علاقة بالجانب الصوفي رغم قيامها بأدوار عديدة أهمها الدور الثقافى والدور الاجتماعى إلى جانب الدور الدينى بطبيعة الحال.
2. أن الزاوية هي أحد المنشآت التى انبثقت من المسجد شأنها فى ذلك شأن جل العماىر الإسلامية ولكن الفارق هنا أن الزوايا كان لها مرحلتين حتى استقلت معمارياً، الأولى من المسجد مباشرة تحت نطاق الأربطة، والثانية من الأربطة إلى الاستقلال النهائى لها.
3. أن الزاوية ساهمت فى خلق أجواء اجتماعية وثقافية بالمدينة الإسلامية، وهذا ما جعل الناس شديدي التعلق بها، ما ساهم بدوره فى انتشارها والاقبال عليها وارتياها للتبرك والدعاء والتعلم والاحتفال.
4. نظراً لقيمتها لدى الناس كانت تستعمل كمساجد تؤدى فيها الصلاة، هذه الظاهرة نشأت فى الشرق الإسلامى وانتقلت منه إلى المغرب الإسلامى وشمال إفريقيا بما فى ذلك مدينه طرابلس فى العصور الإسلامية المتعاقبة.
5. فى ليبيا لم يكن انتشار الزوايا حكراً على الحواضر والمدن الكبرى، إنما انتشرت عمارتها فى كل المناطق دون استثناء.
6. فيما يخص التكوين المعماري لم تشير المصادر إلى وجود طراز بنائى واحد أو مشابه للزوايا، ما يدل على التركيز عند عملية البناء على الجانب الوظيفى دون غيره.
7. فى مدينه طرابلس القديمة ارتبطت الزوايا بالحالة الثقافية، والدليل على ذلك عدم ظهورها على مسرح الاحداث العصر العثمانى الأول 1551-1711 م، حيث كانت المدينة فى قبضة سلطة عسكرية محكمة رأت أن شعاع الثقافة يشكل خطراً مباشراً عليها، بينما نجد أن هذا الوضع تغير مع بداية العهد القرمانلى وامتد إلى العهد العثمانى الثانى، هذين العهدين الذين شهدت فيهما المدينة نوعاً من الازدهار الثقافى
8. بمدينة طرابلس القديمة العديد من الزوايا التى بلغت شهرة كل منها حسب الطريقة الصوفية التى تمثلتها ووقعها فى قلوب السكان.
9. أغلب الزوايا بالمدينة القديمة بطرابلس شابهت المساجد مساجد الاوقات فى تكوينها المعماري ما يدل على أنها نافست المسجد وظيفياً فى كثير من الاحيان.
10. من الناحية الفنية لم تشهد الزوايا اهتماماً كبيراً، ويبدو أن مرد ذلك يعود إلى طبيعة

(45) مسعود شقوف وآخرون، مرجع سابق، ص 86-87.

دورها ومكانتها لدى المرتادين الصوفية وهم المتصوفين المعرضين عن الدنيا وزخارفها.

المصادر والمراجع:

(بترتيب ورودها في المتن)

- 1- محمد حمزة الحداد، موسوعة العمارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997م.
- 2- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، منشورات دار الحياة، بيروت، د.ت.
- 3- تيسير بن موسى، المجتمع الليبي في العصر العثماني، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1988.
- 4- المقرئزي: تقي الدين أحمد (توفي عام 845هـ/1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م.
- 6- عاصم رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م.
- 7- محمد الكوني بالحاج، التعليم في مدينة طرابلس في العهد العثماني الثاني وأثره على مجتمع الولاية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م.
- 8- ألفرد بل، الطرق الإسلامية في شمال أفريقيا منذ الفتح العربي وحتى الآن، ت عبدالفتاح بدوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
- 9- أحمد عبدالله مسعود، التواصل العلمي بين طرابلس وتونس في العهد الحفصي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2007م.
- 11- محاضرات بمركز الثقافة بالمغرب من القرن 16 إلى 19م، المطبعة الكمالية، القاهرة، 1958م.
- 12- علي فهمي خشيم، أحمد الزروق والزروقية، ط2، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، طرابلس، 1980م.
- 13- محمد سيف النصر أبو الفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك، أطروحة دكتوراه مقدمة الى قسم الآثار-كلية الآداب-جامعة أسبوط، 1980م.
- 19- نجاح القاسبي، معاهد التعليم في المغرب العربي، جامعة طرابلس، 1991م.
- 20- روبرت برنشفيلد، تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13-15م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.
- 21- الحسن الوزان (ليون الأفريقي)، وصف أفريقيا، ج2، ب-ت.
- 22- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ط13، دار الجيل، بيروت، 1991م.
- 28- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة (نسخة مراجعة) دار الرائد العربي - ط5- بيروت 1982م.
- 29- التيجاني: أبو العباس أحمد، (توفي عام 1231هـ/1815م)، رحلة التيجاني، قدم لها الدكتور حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، 1981م.
- 30- غاسبري ميساننا، المعمار الإسلامي في ليبيا، ت علي الصادق حسنين، ط1، دار الجيل، طرابلس، 1998م.
- 31- أحمد النائب الأنصاري، نضجات النسرين والريحان في من كان بطرابلس من أعيان، تحقيق مصطفى المصراتي، دار صادر، بيروت، 1936م.
- 32- خليفة التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1974.

- 33- لوبنس سميث و لويد بريستون، مدينة طرابلس بمدخلها الغربي والشرقي، ت الهادي أبو لقمة، جامعة قاريونس، بنغازي، 1980م.
- 34- دراسة تاريخية عن الزاوية الكبيرة بالمدينة القديمة، تقرير غير منشور، دار أحمد النائب الأنصاري، طرابلس، 1992م.
- 35- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، ج1، جامعة طرابلس، 1984م.
- 36- ملخص عام لوصف مدينة طرابلس القديمة وأهم المباني التاريخية المكونة لها، تقرير غير منشور، جهاز إدارة المدن التاريخية، الإدارة الفنية، 2001م.

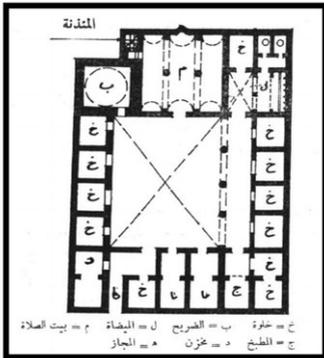
الملاحق



شكل رقم 1

التوزيع المكاني للزوايا الدينية في مدينة طرابلس القديمة

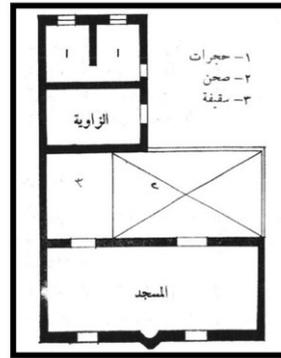
عمل الباحث



شكل رقم 3

التصميم المعماري للزاوية وملحقاتها

عن غاسبري ميسانا، ص 801



شكل رقم 2

مسقط أفقي لزاوية زويلة

عن غاسبري ميسانا، ص 901



صورة رقم 2

المدخل الرئيسي للزاوية الكبيرة
عن شقلوف وآخرون، ص 251



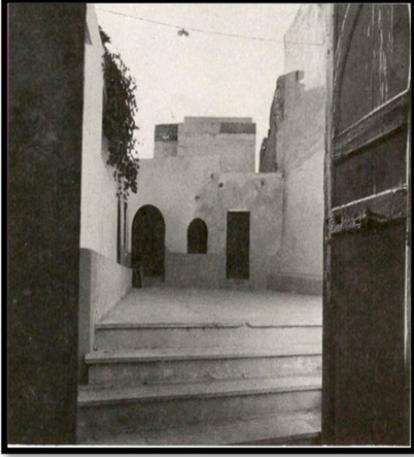
صورة رقم 1

الفناء الرئيسي للزاوية الكبيرة
عن شقلوف وآخرون، ص 151



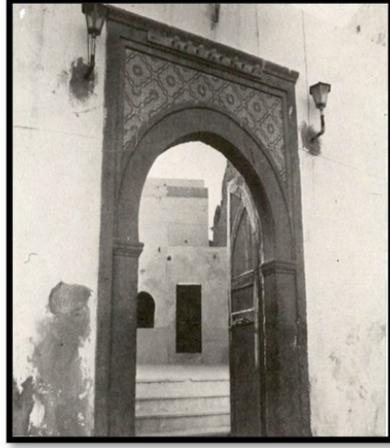
صورة رقم 3

القاعة الرئيسية للزاوية الكبيرة
عن شقلوف وآخرون، ص 351



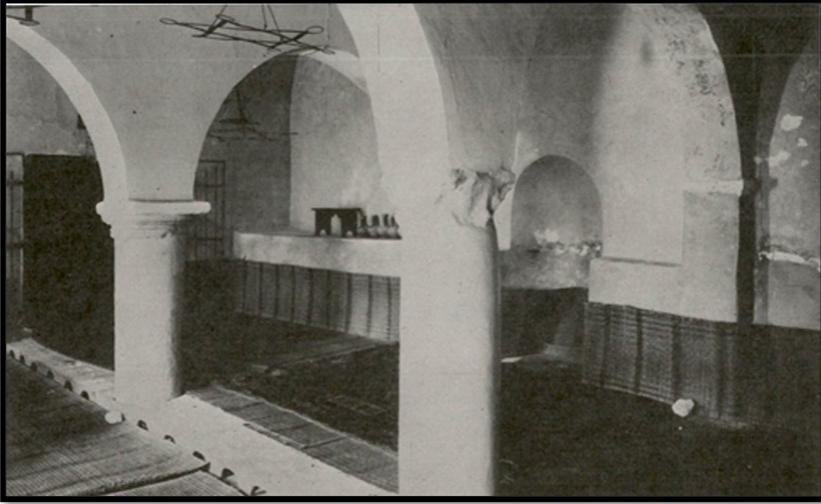
صورة رقم 5

الفناء الوسطي للزاوية الصغيرة
عن شقلوف وآخرون، ص 09



صورة رقم 4

المدخل الرئيسي للزاوية الصغيرة
عن شقلوف وآخرون، ص 09



صورة رقم 6

بيت الصلاة (القاعة الرئيسية) لزاوية عطية الفلاح
عن شقلوف وآخرون، ص 78

دور منظمات المجتمع المدني في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة: دراسة حالة نادي الصقور الرياضي في مدينة طبرق

د / محمد شحاتة واصل

أستاذ مشارك علم الاجتماع- كلية التربية- جامعة طبرق

القبول: 6.9.2024

الاستلام: 21.8.2024

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة بوجه عام إلى محاولة التعرف على دور نادي الصقور الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق، وتعد هذه الدراسة بمثابة دراسة وصفية، اعتمد فيها الباحث على منهج دراسة الحالة، وقام باستخدام دليل دراسة الحالة الذي تم تطبيقه على رئيس مجلس إدارة النادي، والمقابلات غير المقننة التي تمت عن طريق المقابلة الشخصية مع (9) من أعضاء النادي، والملاحظة المشاركة كأدوات لجمع البيانات.

وقد كشفت نتائج الدراسة عن وجود دور لنادي الصقور الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق تمثل في: التوعية بأهمية الرياضة وقيمها الإيجابية، وتوفير ملاعب وصالات رياضية، وتعليم الأنشطة الرياضية الجماعية، وتنظيم فعاليات رياضية.

كما كشفت نتائج الدراسة عن غياب دور النادي في تقديم برامج رياضية للنساء، والفتيات لتحقيق المساواة بين الجنسين في ممارسة الرياضة الجماعية، ويوفر نادي الصقور بيئة آمنة لذوي الاحتياجات الخاصة من فئة الصم والبكم لممارسة الرياضة الجماعية (كرة القدم) في ملاعبه، أما فئات الإعاقة الأخرى فقد اقتصر دور النادي على توفير فرصة لهم لمشاهدة مباريات كرة القدم من داخل الملعب دون تمكينهم من ممارسة الرياضة الجماعية، ولم يستفد النادي من خلال آلية عقد الشراكات في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق.

الكلمات المفتاحية: منظمات المجتمع المدني، ثقافة الرياضة الجماعية، أهداف التنمية المستدامة، نادي الصقور، طبرق

Abstract:

The purpose of this study is to know the role of Alsuqur sports club in spreading the culture of team sports to achieve sustainable development goals in the City of Tobruk.

The study belongs to descriptive studies, in which the researcher relied on the case study method and used the case study guide that was applied to the Chairman of the clubs Board of directors, and unstructured interviews that were conducted through

a personal interview with (9) members in the club, and participation observation as tools for collecting data.

The results of the study revealed the role of the Alsuqur Sports Club in spreading the culture of group sports to achieve sustainable development goals in the city of Tobruk, which include raising awareness of the importance of sports and its positive values, providing playgrounds and gyms, teaching group sports activities, and organizing sports events.

The results of the study also revealed the absence of the club's role in providing sports programs for women and girls to achieve gender equality in practicing group sports. Alsuqur Club provides a safe environment for people with special needs from the deaf and mute category to practice group sports (soccer) in its stadiums. As for other disability groups, the club's role was limited to providing them with an opportunity to watch football matches from inside the stadium without enabling them to practice group sports, and the club did not benefit Through the mechanism of establishing partnerships to spread the culture of team sports to achieve sustainable development goals in the city of Tobruk.

Keywords: Civil Society Organizations, Culture of Team Sports, Sustainable Development Goals, Alsuqur Sports Club, Tobruk

أولاً: مقدمة:

الرياضة Sport ظاهرة اجتماعية وممارسة ثقافية، تبوّأت مكانة مهمة في المجتمعات البشرية على مر العصور⁽¹⁾، وتعد منجزات الرياضة وأنشطتها: أحد أهم المؤشرات العامة التي يحكم من خلالها على مستوى التقدم الاجتماعي والثقافي لمجتمع ما⁽²⁾.

إن الحضور الشامل للرياضة في كثير من حياتنا أمر عادي للغاية ومشهد يشبه الطقوس فالأطفال والشباب والكبار يمارسون الرياضة وبشكل روتيني، من أجل المتعة، وبشغف، وكواجب صحي⁽³⁾.

وحسب فرضية عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو، فإن احتمال ممارسة الرياضات المختلفة يتوقف بدرجات مختلفة بالنسبة إلى كل رياضة على رأس المال الاقتصادي، وفي المحل الثاني على رأس المال الثقافي، وكذلك وقت الفراغ⁽⁴⁾، وفي عام 1978م أعلنت الأمم المتحدة أن «الرياضة والتربية البدنية حق أساسي للجميع»⁽⁵⁾.

وتشير الأدبيات إلى أنه تولد وعي وإيمان قوي لدى مجموعة من أعضاء المجتمع الدولي،

(1) مولودي الأحمر، تقديم الرياضة والمجتمع، عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا، المجلد 11، العدد 42، خريف 2022م، ص8.

(2) أمين أنور الخولي، الرياضة والمجتمع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 126، 1996م، ص8.

(3) Trygve B. Broch, The cultural sociology of sport: a study of sports for sociology, American Journal of Cultural Sociology, vol. 10, 2022, p. 536.

(4) بيير بورديو، أسئلة علم الاجتماع حول الثقافة والسلطة والعنف الرمزي، ترجمة وتقديم، إبراهيم فتحي، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995م، ص211.

(5) Sung-Sang Yoo & Hosung So, Sports Role in Education for Sustainable Development: Prospective, Journal of Health, Sports, and Kinesiology, International Organization for Health, Sports, & Kinesiology, vol.1, no.1, 2020, p.29.

من وكالات أممية ومنظمات غير حكومية، بمدى أهمية الرياضة بصفتها أداة لتحقيق التنمية، لا مجرد نتيجة ثانوية لها⁽⁶⁾.

يمثل اليوم الدولي للرياضة من أجل التنمية والسلام والذي يحتفل به سنويا في 6 نيسان /أبريل فرصة للاعتراف بأهمية الرياضة والنشاط البدني في المجتمعات وفي معاش الناس في كافة أرجاء العالم، وقد حدد الموضوع العالمي لاحتفالية عام 2024م بالشعار «الرياضة لتعزيز المجتمعات السلمية والشاملة»⁽⁷⁾.

كما أقرت الأمم المتحدة بأن الرياضة من العناصر التمكينية المهمة للتنمية المستدامة، ونعترف بالمساهمة المتعاظمة التي تضطلع بها الرياضة في تحقيق السلام بالنظر إلى دورها في تشجيع التسامح والاحترام ومساهمتها في تمكين المرأة والشباب والأفراد والمجتمعات وفي بلوغ الأهداف المنشودة في مجالات الصحة والتعليم والاندماج الاجتماعي⁽⁸⁾.

أصبح لمنظمات المجتمع المدني دوراً جوهرياً في الاسهام في دعم تحقيق التنمية المستدامة؛ باعتبارها أحد شركاء التنمية، كما تنشط لتمارس دورها في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة ال 17، فلم تعد تقتصر على تقديم المساعدات المادية فقط ولكن من أهم أولوياتها بناء القدرات البشرية وتنميتها بما يحقق للمستفيدين التنمية المستدامة التي تعد من أهم جدول أعمال الحكومات في العالم⁽⁹⁾.

تعتبر الأندية الرياضية كإحدى منظمات المجتمع المدني؛ الراعي الرسمي للرياضة، لاسيما الرياضة التنافسية، بما تملكه من إمكانات مادية من منشآت وملاعب وصالات تدريب وأجهزة وأدوات رياضية، وإمكانات بشرية من لاعبين وإداريين وفنيين ومدربين وجمهور، كما تعد الأندية الرياضية من أهم المؤسسات التربوية ذات النفع العام⁽¹⁰⁾.

ولا يقتصر دور الأندية الرياضية على إشباع حاجات الأفراد في المجال الرياضي فقط رغم أهميته التنموية في المجتمع، بل يتسع هذا الدور ليزيد من أهمية التفاعل المجتمعي بين الأفراد، ويعمق روح العطاء والمشاركة في المجالات الثقافية والاجتماعية من خلال إدارات المسؤولية الاجتماعية في الأندية الرياضية التي يوكل لها مهمة العمل على هذا الجانب، لتكون الأندية الرياضية ركيزة في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة⁽¹¹⁾.

ثانياً: مشكلة الدراسة:

تحدد مشكلة أية دراسة بشكل عام فيما تثيره من عدة قضايا لم يتطرق إليها الباحثون من

(6) منى هداية، استثمار الرياضة في تعزيز أهداف التنمية المستدامة: حالة القطاع الإنساني والتنموي القطري بعد كأس العالم، حكام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا، المجلد 4، العدد 8، ربيع 2024م، ص161.

(7) الأمم المتحدة، اليوم الدولي للرياضة من أجل التنمية والسلام 6 نيسان/ أبريل، 2024م، <http://www.org.un>.

(8) فاطمة عز الدين، الرياضة والشباب والتنمية الاجتماعية، كتاب وقائع المؤتمر الدولي العلمي: القضايا المعاصرة في العلوم العابرة للتخصصات، إشراف وتنسيق: منير بن دريدي، حنان طرشان، عصام عيروط، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، 2022م، ص107.

(9) شيماء محمد حافظ محمد، دور منظمات المجتمع المدني في تحقيق التنمية المستدامة: دراسة تحليلية لأنشطة مكافحة الفقر بمؤسسة عمار الأرض، المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية، مؤسسة تواصل للدراسات والتوعية الثقافية بالتعاون مع المركز المصري للبحوث والتدريب، المجلد 5، العدد 5، أبريل 2022م، ص129.

(10) فاطمة عز الدين، مرجع سابق، ص110.

(11) ماهر بن عثمان بن عبد الله أبو حسين، إسهام المسؤولية المجتمعية للأندية الرياضية في تحقيق التنمية المستدامة دراسة ميدانية على الأندية الرياضية بمحافظة المجمعة، مجلة العلوم الإنسانية الإدارية، مركز النشر والترجمة، جامعة المجمعة، السعودية، العدد 31، يونيو 2023م، ص104.

قبل في ظروف مماثلة سواء من حيث طبيعة موضوع الدراسة، أو طبيعة هذه القضايا وتناولها منهجياً، يضاف إلى ذلك مدى وعي الباحث بأهمية موضوع دراسته، ومدى الحاجة إليه⁽¹²⁾.

وفي ضوء ذلك يمكن تحديد مشكلة الدراسة الراهنة في التساؤل الرئيس التالي:

ما دور نادي الصقور الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق؟

ثالثاً: أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة فيما يلي:

- أهمية دور منظمات المجتمع المدني لاسيما منها الأندية الرياضية في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

- ندرة الدراسات في حدود علم الباحث المتعلقة بدور نادي الصقور الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق.

- ربما تثير نتائج وتوصيات هذه الدراسة اهتمام الجهات المنوطة بنادي الصقور الرياضي لإزالة المعوقات والتحديات التي تواجهه لتطوير وتنمية دوره في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق.

رابعاً: هدف وتساؤلات الدراسة:

تهدف هذه الدراسة بصورة أساسية إلى محاولة التعرف على دور منظمات المجتمع المدني في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، وذلك من خلال دراسة حالة نادي الصقور الرياضي في مدينة طبرق، ويمكن صياغة هدف هذه الدراسة في تساؤلات محددة على النحو التالي:

- ما دور نادي الصقور الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق؟

- ما معوقات دور نادي الصقور الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق؟

- ما أهم المقترحات اللازمة للحد من المعوقات التي تواجه نادي الصقور الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق؟

- ما تصورات المستقبل لدور نادي الصقور في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق؟

خامساً: مفاهيم وقضايا الدراسة:

الدور:

مفهوم الدور مفهوم اجتماعي وأنتروبولوجي ونفسي؛ حيث إنه يعنى السلوك الاجتماعي لفرادى يمثل شخصية ما تعلن في سياق اجتماعي معين، كما يعني: الفعل أو التأثير الذي يمارسه

(12) محمد ياسر الخواجة، الشباب الجامعي ومشكلاته المعاصرة، شؤون اجتماعية، جمعية الاجتماعيين في الشارقة، المجلد 15، العدد 60، ديسمبر 1998م، ص 84.

شخص ما في تفاعل معين، فضلاً عن الوظيفة التي يقوم بها أو مهمته أو قدرته⁽¹³⁾. ويمكن تعريف الدور إجرائياً بأنه: البرامج والأنشطة التي يقوم بها نادي الصقور الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق.

منظمات المجتمع المدني:

تعرف منظمات المجتمع المدني بأنها: «منظمات غير حكومية بالدرجة الأولى، وتسهم بجهود تطوعية في مجالات الحياة المختلفة كما تقوم بترجمة الاحتياجات المحلية إلى أهداف وخطط عمل قابلة للتنفيذ»⁽¹⁴⁾.

تشمل منظمات المجتمع المدني: المنظمات غير الحكومية، والحقوقية الدفاعية، ومنظمات الأعمال، والجماعات المهنية، والاتحادات العمالية، والنوادي الاجتماعية والرياضية غير الربحية، وقطاع من الجامعات (غير الربحية بمعايير تتعد عن القطاع الخاص) مع استبعاد الأحزاب السياسية لأنها تسعى للسلطة، والإعلام، والحركات الاجتماعية التي تنقض بنهاية الحدث الذي تأسست لأجله⁽¹⁵⁾.

وتشير منظمات المجتمع المدني إجرائياً في هذه الدراسة إلى: الأندية الرياضية - تحديداً نادي الصقور الرياضي طبرق - وهي منظمات تطوعية لا تبغي الربح، أو الوصول للسلطة، لها هيكل تنظيمي وشخصية اعتبارية قانونية، وتمارس أنشطة رياضية وثقافية واجتماعية ما يمكنها من نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

ثقافة الرياضة الجماعية:

الثقافة وفقاً لقاموس ميريام وبستر، هي «النمط المتكامل للمعرفة الإنسانية، والمعتقدات، والسلوك الذي يعتمد على قدرة الإنسان على التعلم ونقل المعرفة إلى الأجيال التالية»⁽¹⁶⁾.

تعتبر الثقافة الرياضية مجموعة العلوم والمعارف والمعلومات من الفنون للأنشطة الرياضية المختلفة والتي يكتسبها الفرد من البيئة ويتزود بها من خلال خبرته الخاصة سواء بالمشاهدة أو الممارسة أو القراءة لتلك الأنشطة الرياضية⁽¹⁷⁾.

وتتجلى أهمية الثقافة الرياضية في تحقيق أهداف المجتمعات: مثل تحقيق النمو الاقتصادي وزيادة إنتاج الفرد واستيعاب التكنولوجيا المتقدمة وزيادة القدرة على التخطيط ورفع مستوى العنصر الإنساني، وصحة الفرد بدنياً ونفسياً واجتماعياً وعقلياً وتحقيق حماية

(13) ربهام عبد النبي السعيد، الروبوت وتغير أدوار المرأة المصرية دراسة استشرافية في سوسيولوجيا الذكاء الاصطناعي، المجلة العربية لعلم الاجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد 17، العدد 33، يناير 2024م، ص164.

(14) عبد الرحمن صوفي عثمان، محمود محمود عرفان، دور منظمات المجتمع المدني في دعم خدمات الرعاية الاجتماعية في المجتمع العماني: الضرورات والمستزمات، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، المجلد 2، العدد 5، يونيو 2014م، ص 73.

(15) أمل عبد الفتاح شمس، (شراكات الرفاهية) دور مؤسسات المجتمع المدني في تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030 في صعيد مصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، العدد 33، الجزء 2، يونيو 2020م، ص380.

(16) ناهد أحمد سيف فتح الله، منظمات المجتمع المدني والتنمية الثقافية المستدامة: دراسة ميدانية لإحدى الجمعيات الأهلية بمحافظة القاهرة، مجلة بحوث العلوم الاجتماعية والتنمية، مركز البحوث الاجتماعية وتنمية المجتمع، كلية الآداب، جامعة المنيا، المجلد 6، العدد 6، ديسمبر 2023م، ص84.

(17) سحر السيد أبو العلا، الشيماء محمد إبراهيم أحمد عبد الواحد، البناء الأيديولوجي للأسرة المصرية في دعم الثقافة الرياضية لتشكيل الهوية الاجتماعية للرياضيين، المجلة العلمية لعلوم وفنون الرياضة، كلية التربية الرياضية للبنات، جامعة حلوان، المجلد 65، العدد 65، يونيو 2021م، ص427.

البيئة من التلوث، والاستعداد للدفاع عن الوطن⁽¹⁸⁾.

ويمكن تعريف ثقافة الرياضة الجماعية بأنها ذلك الكل المركب من المعارف والقيم والعادات والممارسات المرتبطة بالأنشطة الرياضية الجماعية والتي يكتسبها أفراد المجتمع من مؤسسات التنشئة الاجتماعية على اختلافها، ولأسيما الأندية الرياضية، وهي وسيلة مهمة من وسائل تنمية الشعور بالانتماء للجماعة، والقيادة وتحمل المسؤولية، والانضباط، واحترام الآخرين، ونبذ التعصب، والتسامح، والانتماء والمواطنة.

الرياضة الجماعية:

الرياضة هي «ذلك الجانب المتكامل من التربية الذي يعمل على تنمية الفرد وتكيفه جسديا وعقليا واجتماعيا ووجدانيا، عن طريق الأنشطة البدنية المختارة التي تتناسب مع مرحلة النمو، والتي تمارس بإشراف قيادة صالحة لتحقيق أسمى القيم الإنسانية»⁽¹⁹⁾.

وقد حددت الأمم المتحدة الرياضة لغرض التنمية بأنها «جميع أشكال النشاط البدني التي تساهم في اللياقة البدنية والرفاهية العقلية والتفاعل الاجتماعي مثل اللعب والترفيه والرياضة المنظمة أو التنافسية والرياضة الأصلية وألعاب»⁽²⁰⁾.

أما الرياضة الجماعية هي «ذلك النوع الذي يشترك فيه مجموعة أفراد في نشاط بعينه ويكون أدوارهم له جماعيا، فالأدوار متقاسمة وأي خلل من طرف عضو يؤدي إلى اختلال في مستوى الأداء العام، بمعنى أن تكون عواقب النجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف مشتركة بين أعضاء الفريق»⁽²¹⁾.

ويمكن تعريف الرياضة الجماعية إجرائيا بأنها: تعني أشكال الأنشطة الرياضية الجماعية (كرة القدم، كرة السلة، وكرة اليد، وغير ذلك)، التي يمارسها الأفراد وفق إمكاناتهم وميولهم، في نادي الصقور الرياضي، وتضم الرياضة الجماعية كماً كبيراً من التمارين والمهارات بهدف اكتساب الصحة العامة واللياقة البدنية، والحصول على المتعة أو التسلية، أو المنافسة.

ثمة ايجابيات للرياضة الجماعية منها: تنمية روح الفريق، وتقوية عزيمة وطموح الشخص لأنه يحس بالمساندة والتشجيع، والروح الرياضية الجماعية والتعاون كإصلاح الأخطاء بينهم والمساعدة، والاستمتاع بالعمل من خلال فريق العمل وكيفية التجانس بين أفراد الفريق يعود على اللاعبين والأجهزة الفنية بالكثير من الفوائد في تطوير وتنمية الذات والتنمية البشرية في المجتمع، وتنمية أساليب التواصل والاتصال الاجتماعي⁽²²⁾.

(18) أمل عبد الفتاح شمس، هاني محمد زكريا، دور الثقافة الرياضية في تحقيق (الأمن الفكري، والتنمية البشرية المستدامة): بحث مقارنة على عينة من الشباب، مجلة كلية التربية في العلوم الإنسانية والأدبية، جامعة عين شمس، المجلد 25، العدد 4، 2019م، ص154.

(19) محمود داود الربيعي، وآخرون، دور الرياضة النسوية الثقافي والاجتماعي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة لأفراد المجتمع، مجلة ستار دوم العلمية للدراسات التربوية والنفسية، جامعة ستار دوم، إسطنبول، المجلد 2، العدد 1، 2024م، ص12.

(20) عيشة علة، دور الرياضة في تنمية روح القيم الاجتماعية وتحقيق التنمية المستدامة من وجهة نظر أساتذة الرياضة -دراسة ميدانية -، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، العدد 8، سبتمبر 2020م، ص335.

(21) محمد الطاهر بويابة، الأنشطة الرياضية الفردية والجماعية وتحقيق التوافق النفسي الاجتماعي لدى الممارس، مجلة أبحاث نفسية وتربوية، مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري، الجزائر، المجلد 1، العدد 8، يناير 2016م، ص45.

(22) محمد إبراهيم شحاتة، مجدي محمد عبد الله، الموسوعة الرياضية موسوعة الألعاب الجماعية والإصابات والتأهيل، ماهي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2016م، ص10.

وبحسب مدير مكتب الرياضة فرع طبرق، أن الرياضة الجماعية في المدينة تنحصر فقط الآن على كرة القدم⁽²³⁾، ولا يشذ نادي الصقور عن هذه القاعدة، وهو ما قد لاحظته الباحثة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن ثمة رياضة جماعية كانت تمارس سابقاً في النادي وهي: كرة السلة والكرة الطائرة⁽²⁴⁾.

الرياضة وأهداف التنمية المستدامة:

منذ صدور تقرير «مستقبلنا المشترك»، والذي أعدته اللجنة العالمية للبيئة والتنمية عام 1987م عُرفت التنمية المستدامة بأنها «التنمية التي تلبى حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية احتياجاتها»⁽²⁵⁾.

وفي عام 2015م اعتمدت جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة، وهي مجموعة من 17 هدفاً إنمائياً تهدف إلى تحقيق مستقبل أفضل وأكثر استدامة للجميع، بحلول عام 2030⁽²⁶⁾.

شكل رقم (1) يوضح أهداف التنمية المستدامة ال 17.



المصدر: منى هداية، مرجع سابق، ص163.

ثمة علاقة إيجابية بين الرياضة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030م، لاسيما أن علماء الاجتماع الرياضي وعلماء التربية البدنية الحركية أجمعوا على أن الرياضة تشكل عنصراً أساسياً من عناصر التنمية المستدامة ضمن إطار النظام التعليمي الشامل، وذلك بعد أن تم التثبت من أن أهداف الرياضة الحقيقية تنطوي في إطار أهداف التربية العامة وأنظمتها وفلسفتها⁽²⁷⁾.

تسهم الرياضة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة ال 17، ولا يقتصر الأمر فقط على

(23) فرج الدين، مدير مكتب الرياضة فرع طبرق، مقابلة شخصية، 11 أكتوبر 2024م.

(24) عثمان الدناغ، نائب رئيس الاتحاد الفرعي لكرة القدم طبرق، مقابلة شخصية، 10 أكتوبر 2024م.

(25) Jacobus A. Du pisani, Sustainable development – historical roots of the concept, Environmental Sciences, vol.3, no.2, 2006, p.83

(26) Mitchell McSweeney & Lyndsay M.C. Hayhurst, An overview of Sustainable Development Goal 1, Edited by Brian P. McCullough, Timothy Kellison, and E. Nicole Melton, The Routledge Handbook of Sport and Sustainable Development, New York: Routledge, 2022, p.11.

(27) فاطمة عز الدين، مرجع سابق، ص114.

الهدف المتمثل في «الصحة الجيدة والرفاه (الهدف 3)» كجمال رئيسي للقلق، ولكن أيضا كل هدف في 17 هدف، بما في ذلك الحد من الفقر والتعليم للجميع والطاقة المستدامة⁽²⁸⁾.

هذا، وقد التزم الاتحاد الدولي لكرة القدم الـ FIFA بمجموعة واسعة النطاق من الإجراءات والاتفاقيات، لتسخير القوة الهائلة لكرة القدم لتعزيز التنمية المستدامة، ولاسيما معالجة التغير المناخي الهدف الثالث عشر (العمل المناخي)⁽²⁹⁾.

فضلا عما سبق، تساهم الرياضة أيضا في تحقيق الهدف السادس عشر (السلام والعدل والمؤسسات القوية)⁽³⁰⁾، والهدف السابع عشر (عقد الشراكات لتحقيق الأهداف)، حيث إن للرياضة كظاهرة عالمية القدرة على ربط الشبكات المؤثرة التي تضم شركاء وأصحاب مصلحة متباينين يجمع بينهم التزام بالتنمية، وفي هذا الصدد باستطاعة عالم الرياضة أن يوفر شبكات قوية، تضم شركاء وأصحاب مصلحة، ملتزمة بتسخير الرياضة لأغراض التنمية المستدامة⁽³¹⁾. وفي ضوء ما سبق يمكن القول إن للرياضة دور أساسي في دعم تحقيق بعض أهداف التنمية المستدامة الـ17.

الأندية الرياضية ودورها في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة

تعرف الأندية الرياضية بأنها «هي الأماكن التي تجمع الأفراد ومنهم الشباب لممارسة هوايتهم وأنشطتهم المختلفة (الرياضية والاجتماعية والثقافية) وعادة ما تكون مزودة بالأجهزة والأدوات اللازمة لتسهيل ممارسة الشباب للأنشطة المختلفة بغض النظر عن الجنس أو اللون»⁽³²⁾.

ويعرف قانون رقم 23 لسنة 2023م بشأن الرياضة في ليبيا، النادي الرياضي بأنه «مكون أهلي خاص ذو نفع عام، يمارس مجموعة من الألعاب الرياضية بالإضافة للنشاط الثقافي، والاجتماعي»⁽³³⁾.

ويمكن تعريف النادي الرياضي إجرائيا بأنه: منظمة اجتماعية يمارس من خلالها أفراد المجتمع أنشطتهم الرياضية والاجتماعية والثقافية، يتم تجهيزها بالأجهزة والأدوات لتسهيل لهم ممارسة تلك الأنشطة، وهي أداة مهمة في إعداد المواطن الصالح وفي نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

من منظور علم الاجتماع، تمثل الأندية الرياضية نسقا على المستوى المتوسط، ضمن أنساق التنشئة الاجتماعية، التي تقوم بوظيفة التكيف، وخفض التوترات، وخلق التوازن الاجتماعي، وفق ما رآه عالم الاجتماع الأمريكي «تالكوت بارسونز» في تحديده لوظائف الأنساق الاجتماعية للمجتمع بشكل عام، جنبا إلى جنب مع الأنساق الأخرى كالتعليم والأسرة⁽³⁴⁾.

(28) Sung-Sang Yoo & Hosung So, op. cit., p.28.

(29) الفيفا، الاستدامة والسلام يتحدان من خلال الرياضة، 6 أبريل 2022م، <https://inside.fifa.com>

(30) Jarvie, G., Sport, Cultural Relations, and Peace building, British Council, 2023, p.19.

(31) ويلفريد ليكي، دور الرياضة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة، 2 ديسمبر 2016م، <https://www.un.org>

(32) خالد محمود الزبيد، إبراهيم بن سليمان الروحي، دور الأندية الرياضية والمراكز الشبابية في تعزيز قيم المواطنة لدى الشباب العماني، المجلة الدولية للبحوث النفسية والتربوية، المجلد 1، العدد 4، 2022م، ص.567.

(33) المجمع القانوني الليبي، قانون رقم 23 لسنة 2023 بشأن الرياضة، <http://www.lawsociety.ly>

(34) ماهر بن عثمان بن عبد الله أباحسين، مرجع سابق، ص105

- تعتبر الأندية الرياضية كإحدى منظمات المجتمع المدني؛ بمثابة العمود الفقري لنشر ثقافة الرياضة الجماعية لدعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة لأي مجتمع؛ لما تمتلكه من موارد بشرية وإمكانات مادية وإعلامية، وثمة عديد الأدوار التي يمكن أن تضطلع بها الأندية الرياضية في هذا الصدد منها:
- التوعية بأهمية الرياضة وفوائدها المختلفة على الفرد والمجتمع، وجعل ممارستها أسلوب حياة، من خلال الندوات والمحاضرات.
 - استخدام الرياضة للجميع في تنمية الأطفال والشباب وبناء السلام ورفع القدرة الإنسانية لأفراد المجتمع والحد من قضايا التمييز وتحقيق المساواة⁽³⁵⁾.
 - تشجيع أفراد المجتمع في جميع الأعمار على عضوية الأندية الرياضية.
 - تنمية المهارات المرتبطة بممارسة الرياضات الجماعية.
 - توفير بيئة ملائمة لممارسة الرياضة الجماعية (ملاعب، وصالات، ومعدات رياضية وغير ذلك).
 - عقد المسابقات الرياضية في المؤسسات التعليمية على اختلافها، لاستقطاب الشباب من الجنسين لممارسة الرياضة الجماعية.
 - تنظيم أنشطة رياضية جماعية بالتعاون والتنسيق مع منظمات المجتمع المدني الأخرى لتنمية وتعزيز قيم المواطنة لدى أفراد المجتمع، وتعرف قيم المواطنة «بأنها مجموعة القيم التي يكتسبها الفرد وتجعل منه مواطناً منتجاً ومحباً ومنتماً لوطنه، وكذلك ملتزماً بقوانينه ومبادئه، ومدركاً لمشكلاته وقادراً على المساهمة في حلها، ومن خلال الفكر والتعبير عن رأيه، وإيمانه بالديمقراطية والشورى وتعاونه مع غيره»⁽³⁶⁾.
 - وضع خطة استراتيجية لدمج أهداف التنمية المستدامة ضمن مكونات ثقافة الرياضة الجماعية في الأندية الرياضية.
 - توظيف الإعلام الرياضي لنشر ثقافة الرياضة الجماعية وأهمية دورها في دعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة
 - نشر ثقافة العمل التطوعي، والمشاركة في الأنشطة التطوعية في المجتمع المحلي بالتعاون والتنسيق مع الجامعات والمعاهد والمدارس والحركة الكشفية والهلال الأحمر والجهات ذات العلاقة بالشباب.
 - تساهم الأندية الرياضية في الأنشطة التي تهدف لمواجهة الفقر والقضاء على الجوع وتوفير فرص عمل للشباب.
 - تنظيم ندوات وبرامج وأنشطة في مجال التنمية البيئية بالشراكة مع الجهات الحكومية وغير الحكومية.
 - استخدام الرياضة للجميع في مكافحة الظواهر السلبية الاجتماعية مثل العنف وارتفاع

(35) يحيى محمد الجبوشي، رؤية منهجية لاستخدام الرياضة للجميع كمدخل لتحقيق التنمية المستدامة في المجتمع المصري، المجلة العلمية للتربية البدنية وعلوم الرياضة، كلية التربية الرياضية للبنين، جامعة حلوان، العدد 76، الجزء 1، يناير 2016م، ص 516.

(36) خالد محمود الزبيد، إبراهيم بن سليمان الروحي، مرجع سابق، ص 567.

معدلات الجريمة⁽³⁷⁾.

- عقد الشراكات لنشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.
- أما دور نادي الصقور الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة فيمكن تعريفه إجرائياً في هذه الدراسة بأنه: البرامج والأنشطة التي يقوم بها نادي الصقور الرياضي في مدينة طبرق في المجالات التالية:
- التوعية بأهمية الرياضة وقيمتها الإيجابية.
- توفير ملاعب وصلات رياضية.
- تعليم الأنشطة الرياضية الجماعية من خلال أكاديمية نادي الصقور لكرة القدم.
- تنظيم فعاليات رياضية.
- تقديم برامج رياضية للنساء والفتيات.
- توفير فرص لذوي الاحتياجات الخاصة لممارسة الرياضة الجماعية.
- عقد الشراكات لنشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق.

سادساً: نماذج من الدراسات السابقة

ثمة العديد من الدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة، يمكن عرض نماذج منها من الأقدم إلى الأحدث على النحو الآتي:

- دراسة (أمل شمس و هاني زكريا، 2019م) دور الثقافة الرياضية في تحقيق (الأمن الفكري، والتنمية البشرية المستدامة): بحث مقارنة على عينة من الشباب، هدفت الدراسة إلى بناء مقياس (دور الثقافة الرياضية في تحقيق الأمن الفكري والتنمية البشرية المستدامة للشباب) مما يساهم في تحقيق الأمن الفكري وحماية المجتمع وأفراده، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي، والمنهج المقارن مع الاستعانة بالمشح الاجتماعي بالعينة على عدد (300 شاب)، والمقابلات الفردية، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: تؤثر الثقافة الرياضية للشباب الممارس للأنشطة الرياضية (تأثيراً إيجابياً في التعامل مع الآخرين في المجتمع، و تدعم ممارسة الشباب للأنشطة الرياضية، ومكافحة الفكر المتطرف، وتزيد ممارسة الشباب للأنشطة الرياضية، من مسئوليتهم تجاه الوطن والمجتمع، و تتناسب ممارسة الشباب للأنشطة الرياضية، تناسباً طردياً مع المشاركة المجتمعية⁽³⁸⁾.

- دراسة (خالد الزيود و إبراهيم الرواحي، 2022م) دور الأندية الرياضية والمراكز الشبابية في تعزيز قيم المواطنة لدى الشباب العماني، هدفت الدراسة التعرف على دور الأندية الرياضية والمراكز الشبابية في تعزيز قيم المواطنة لدى الشباب العماني، تم استخدام المنهج الوصفي بالأسلوب المسحي من خلال تطبيق استبانة على (523) شاب من الشباب المرتادين للأندية والمراكز الرياضية في سلطنة عمان، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن دور الأندية الرياضية يتجلى في تعزيز قيم المشاركة الاجتماعية لدى الشباب بنسبة كبيرة ومؤثرة في تعزيز قيم الانتماء

(37) يحيى محمد الجبوشي، مرجع سابق، ص 521.

(38) أمل عبد الفتاح شمس، هاني محمد زكريا، مرجع سابق.

والولاء للمجتمع، وتلعب الأندية الرياضية دوراً مؤسستياً حالها حال المؤسسات المجتمعية الأخرى، في تعزيز قيم الانتماء والولاء للمجتمع، مثل احترام الآخرين والالتزام بالأخلاق والقيم الحميدة واحترام التعليمات والقواعد النظامية داخل النادي، وكشفت الدراسة كذلك أن الأندية الرياضية بحاجة إلى إثراء دور المحاضرات والندوات الاجتماعية واللقاءات التي تتناول أسلوب حل المشكلات والمشاركة الاجتماعية، ومشاكل قلة الوعي البيئي وطرق حلها⁽³⁹⁾.

– دراسة (موضي العنزي وعبير الجرياء، 2022م) دور الأندية الرياضية في تعزيز جودة الحياة داخل الأحياء دراسة ميدانية مطبقة على عينة من طالبات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في المدينة الجامعية بالرياض، هدفت الدراسة إلى التعرف على الدور الاجتماعي والترفيهي والرياضي للأندية الرياضية في تعزيز جودة الحياة داخل الأحياء، والتعرف على الفروق ذات الدلالة الإحصائية لدور الأندية الرياضية في تعزيز جودة الحياة داخل الأحياء للمتغير الديمغرافي (مكان السكن)، واعتمدت الدراسة على منهج المسح الاجتماعي بالعينة؛ إذ استعانت الباحثة بأداة الاستبانة، وطبقته على عينة عشوائية بسيطة قوامها (330) طالبة في جامعة الملك سعود. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن أبرز الأدوار الاجتماعية للأندية الرياضية في تعزيز جودة الحياة داخل الأحياء من وجهة نظر الطالبات تتمثل في: إسهام الأندية الرياضية في زيادة التفاعل الاجتماعي، وتعزيز العلاقات الاجتماعية مع أبناء الحي، أما الدور الترفيهي فيتمثل في: استثمار أوقات الفراغ لأبناء الحي، كما تلعب دوراً في احتواء أبناء الحي وتلبية احتياجاتهم الترفيهية، بينما يتمثل الدور الرياضي في: رفع مستوى اللياقة البدنية وتحسين الصحة النفسية، ورفع مستوى الثقافة الصحية والتنافس الصحي بين أبناء الحي، كما تسهم في تخفيف الأمراض العصرية. وبينت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات الطالبات نحو محاور الدراسة عن الدور الاجتماعي والترفيهي والرياضي للأندية الرياضية في تعزيز جودة الحياة داخل الأحياء باختلاف متغير (مكان السكن)⁽⁴⁰⁾.

– دراسة (أحمد لزرقي، 2022م) المجتمع المدني ودوره في زيادة دافعية ممارسة التربية البدنية والرياضية لجمعية أولياء التلاميذ – نموذجاً، هدفت الدراسة إلى التعرف على دور جمعية أولياء التلاميذ في زيادة دافعية التعلم، ودافعية الإنجاز والإبداع لممارسة التربية البدنية والرياضية لتلاميذ المرحلة الثانوية، وتم استخدام المنهج الوصفي لعينة قصدية مكونة من 24 رئيساً أو نائباً لجمعية أولياء التلاميذ للجهة الجنوبية لولاية المسيلة، وتم اعداد استمارة استبيان كأداة للدراسة، وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها: لجمعية أولياء التلاميذ دور في زيادة دافعية التعلم لممارسة التربية البدنية والرياضية لتلاميذ الطور الثانوي، ولا يوجد دور لجمعية أولياء التلاميذ في زيادة دافعية الإنجاز لممارسة التربية البدنية والرياضية لتلاميذ الطور الثانوي، كذلك لا يوجد دور لجمعية أولياء التلاميذ في زيادة دافعية الإبداع لممارسة التربية البدنية والرياضية لتلاميذ الطور الثانوي⁽⁴¹⁾.

(39) خالد محمود الزويد، إبراهيم بن سليمان الروحي، مرجع سابق.

(40) موضي بنت شليوب العنزي، عبير بنت محمد الجرياء، دور الأندية الرياضية في تعزيز جودة الحياة داخل الأحياء دراسة ميدانية مطبقة على عينة من طالبات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في المدينة الجامعية بالرياض، مجلة البحوث والدراسات الاجتماعية، المركز الوطني للدراسات والبحوث الاجتماعية، السعودية، المجلد 3، العدد 1، 2023م.

(41) أحمد لزرقي، المجتمع المدني ودوره في زيادة دافعية ممارسة التربية البدنية والرياضية لجمعية أولياء التلاميذ – نموذجاً، مجلة المجتمع والرياضة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي، المجلد 5، العدد 1، يناير 2022م.

- دراسة (ماهر أباحسين، 2023م) إسهام المسؤولية المجتمعية للأندية الرياضية في تحقيق التنمية المستدامة دراسة ميدانية على الأندية الرياضية بمحافظة المجمعة، هدفت الدراسة إلى التعرف على الدور الذي تقوم به إدارات المسؤولية الاجتماعية بالأندية الرياضية في تحقيق التنمية المستدامة، من خلال الآليات التي تقوم بها ودرجة أساهمها في تحقيق التنمية المستدامة. وقد تم استخدام منهج المسح الاجتماعي الشامل لمجتمع البحث كأسلوب أساسي لتنفيذ الدراسة الميدانية. كما تم الاعتماد على الاستبانة كأداة لجمع البيانات، التي طبقت على العاملين بإدارات المسؤولية الاجتماعية في الأندية الرياضية بمحافظة المجمعة وهي أندية: الفيحاء، ونادي الفيصلي، ونادي المجزل، ونادي نجد، ونادي سدير، ونادي الاعتماد. وبلغ عدد أفراد العينة (41) موظفاً.

وقد كشفت نتائج الدراسة إلى أن الآليات التي تقوم بها المسؤولية الاجتماعية في الأندية الرياضية لتحقيق التنمية المستدامة جاءت بدرجة متوسطة من الكفاءة. كما بينت النتائج أن الصعوبات التي تواجه عمل المسؤولية الاجتماعية بالأندية الرياضية تمثل معضلة حقيقية في إعدادها لبرامج المسؤولية الاجتماعية، ومن أبرز تلك الصعوبات عدم ربط رؤية المسؤولية الاجتماعية بالأندية بمؤشرات التنمية المستدامة، كذلك عدم وجود رؤية واضحة لأدوار إدارات المسؤولية الاجتماعية في الأندية لدعم مؤشرات التنمية المستدامة، وضعف وعي العاملين بالنشاط الرياضي بمتطلبات تفعيل دور الأندية في العمل التنموي⁽⁴²⁾.

- دراسة (سبأ جرار، 2023م) دور الرياضة في تحقيق الهدف الخامس في التنمية المستدامة بالمجلس الأعلى للشباب والرياضة بدولة فلسطين (دراسة حالة)، هدفت الدراسة التعرف على استخدام الرياضة في فلسطين لتحقيق بعض مؤشرات الهدف الخامس للتنمية المستدامة تبعاً للنوع. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، كما تم الاعتماد على الاستبانة كأداة لجمع البيانات، التي طبقت على عينة قصدية من الموظفين بالمجلس الأعلى للشباب والرياضة (دائرة الموارد البشرية، والدائرة الشبابية، ودائرة مارثون فلسطين) بلغ عدد أفرادها (24) موظفاً.

وقد كشفت نتائج الدراسة أن استخدام الرياضة من قبل المجلس الأعلى للشباب والرياضة في فلسطين أثبتت أنها أداة قادرة على بلوغ بعض مؤشرات الهدف الخامس (المساواة) في البرامج والفعاليات، والزيادة المطردة في نسب المشاركة في مارثون فلسطين وفي البرامج الشبابية لصالح النوع⁽⁴³⁾.

- دراسة (Lozano&Barreiro, 2023) منظمات المجتمع المدني كعوامل للتغيير المجتمعي: مشاركة أندية كرة القدم في الاستدامة، هدفت الدراسة إلى المساهمة في خطابات الاستدامة التنظيمية من خلال تحليل كيفية تعامل منظمات المجتمع المدني مع الاستدامة، مع التركيز بشكل خاص على أندية كرة القدم.

اعتمدت الدراسة على المقابلة كأداة لجمع البيانات حيث تم إجراء 12 مقابلة مع ممثلي أندية كرة القدم السويدية منها 9 أندية للرجال و3 أندية للسيدات، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن أندية كرة القدم قد بذلت العديد من الجهود في مجال الاستدامة (التعاون مع أصحاب

(42) ماهر بن عثمان بن عبد الله أباحسين، مرجع سابق.

(43) سبأ جرار، مرجع سابق.

المصلحة، والطاقة، والصحة، والجندر، والنقل)، وكانت تعمل الأندية على إيجاد روابط بين أبعاد الاستدامة، وأن وعيهم بأهداف التنمية المستدامة لا يزال منخفضاً، وأن أندية كرة القدم بحاجة إلى أن تكون استباقية في تبني الاستدامة لكي تصبح قادة للرأي وتشجع نقل الاستدامة إلى المجتمع، وأن أندية كرة القدم تتمتع بإمكانات في إشراك المجتمع والتأثير عليه من خلال مشجعيها⁽⁴⁴⁾.

- دراسة (هداية، 2024م)، استثمار الرياضة في تعزيز أهداف التنمية المستدامة: حالة القطاع الإنساني والتنموي القطري بعد كأس العالم، تركز الدراسة تحديداً على مساهمة منظمات القطاع الإنساني والتنموي في قطر من زاوية استخدام الرياضة أداة لإنجاز أهداف التنمية المستدامة، وذلك بمحاولة استكشاف واقع تلك الجهود وتقييمها وآفاق تعزيزها، تتبع الدراسة المنهج الكيفي، مستندة إلى مراجعة الأدبيات، والتقارير المتخصصة، وبيانات أولية جرى جمعها من مقابلات شبه منظمة ومراسلات رسمية مع الجهات الفاعلة الرئيسية.

توصلت الدراسة إلى نتائج تمحورت حول ماهية النهج المختلفة المتبعة من جانب المنظمات الفاعلة القطرية في استثمار الرياضة لتعزيز التنمية المستدامة، والمستويات المتفاوتة لإشراك المجتمعات المحلية في تدخلاتها تلك، إلى جانب تركيزها على التنمية الفردية بصفتها مدخلا للتنمية الهيكلية للمجتمع⁽⁴⁵⁾.

- دراسة (الربيعي، وآخرون، 2024م)، دور الرياضة النسوية الثقافي والاجتماعي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة لأفراد المجتمع، هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الدور الاجتماعي والثقافي للرياضة النسوية وأثره في تكوين شخصية المرأة ما يدعم دورها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة لأفراد المجتمع، وكذلك التعرف على دور الرياضة النسوية في تنمية الكفاءة البدنية للمرأة لغرض نموها وتقوية أجهزة الجسم المختلفة لتقوم بوظائفها بشكل صحيح. وقد توصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات منها: أن للرياضة النسوية دور في تحسين الصحة العامة وتنمية العلاقات الاجتماعية للمرأة، وأن الرياضة النسوية لا يمكن النظر إليها من دون ربطها في المجتمع ونظراته إليها من جميع الزوايا الثقافية والتعليمية والاقتصادية والسياسية، وما يترتب على ذلك من آثار في تحقيق التنمية المستدامة لأفراد المجتمع⁽⁴⁶⁾.

الواقع، إن اطلاع الباحث علي نماذج من الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة الراهنة، قد أفاد الدراسة في أكثر من جانب إلى الحد الذي يمكن القول إن هذه الدراسات وغيرها، يمكن اعتبارها الركائز الأساسية التي انطلقت من خلالها تساؤلات الدراسة الراهنة، كما ساهمت في بلورة العديد من المفاهيم التي تناولتها الدراسة.

سابعاً: التوجه النظري للدراسة:

تمت الاستعانة بمدخل نظرية المنظمات كموجه نظري لهذه الدراسة، وتعتبر المنظمة Organization بشكل عام الهيكل التنظيمي للمؤسسات، فتكوينها ينبع من أهمية وجود ترتيب وتنظيم وظيفي مبني على الاستحقاقات الفردية للعاملين لتحقيق أهداف المنظمة

Lozano, R., & Barreiro-Gen, M., Civil society organizations as agents for societal change: Football clubs' engagement with sustainability Corporate Social Responsibility and Environmental Management, vol.30, no. 2, 20

(45) منى هداية، مرجع سابق.

(46) محمود داود الربيعي، وآخرون، مرجع سابق.

والمؤسسة بالشكل المطلوب ومواجهة الاحتياجات الأساسية للمجتمع⁽⁴⁷⁾. ويعرف «بارسونز» المنظمات بأنها هي وحدات اجتماعية تقام وفقاً لنموذج بنائي معين لكي تحقق أهدافاً محددة⁽⁴⁸⁾.

ويمكن تعريف المنظمة بأنها وحدة اجتماعية تضم مجموعة من الأفراد أو الجماعات لتحقيق أهداف محددة لها هيكل تنظيمي رسمي وشخصية اعتبارية قانونية. وتختلف مداخل دراسة وتحليل المنظمات وفقاً لاتجاهات ومراكز اهتمام كل عالم، حيث إن مستويات التحليل للمنظمة تتمثل في:

أولاً: مستوى تحليل الدور، وهنا ينظر إلى المنظمة على أنها مجموعة من الأدوار الرسمية وغير الرسمية.

ثانياً: مستوى التحليل البنائي، ويرتكز على دراسة تحليل الخصائص البنائية للمنظمة مثل تقسيم العمل والاتصال والتنسيق وغيرها.

ثالثاً: مستوى التحليل التنظيمي، ويرتكز هذا التحليل على دراسة المنظمة ككل، بدلاً من التركيز على أفراد أعضاء المنظمة كما يولي اهتمامه بالخصائص الخاصة بالمنظمة ووضعها الوظيفي ويعد هذا المستوى أكثر شمولية في تحليل المنظمة⁽⁴⁹⁾.

ويمكن للدراسة الراهنة الاستفادة من نظرية المنظمات في تحديد دور نادي الصقور الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق.

ثامناً: الإجراءات المنهجية للدراسة:

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث على منهج دراسة الحالة Case Study Method، وتمثل دراسة الحالة التقاء منهجياً بين المؤرخ والباحث في علم الاجتماع وهي خطوة مبدئية لصوغ الأنماط والوصول إلى التعميمات، وتستند دراسة الحالة إلى منطق أساسه الاحتفاظ بالطابع المترابط المتكامل لأي من الظواهر أو الموضوعات التي يتناولها الباحث أي النظر إلى أي وحدة اجتماعية على أنها كل، سواء كانت هذه الوحدة جماعة أو نظاماً اجتماعياً أو مجتمعاً أو ثقافة وهذا الكل وهو وحدة دراسة الحالة⁽⁵⁰⁾.

وسوف تكون وحدة دراسة الحالة في هذه الدراسة هي نادي الصقور الرياضي في مدينة طبرق.

أدوات جمع البيانات:

تعتمد هذه الدراسة على الأدوات الآتية لجمع البيانات الميدانية:

دليل دراسة الحالة: تم تحكيم هذا الدليل من قبل بعض الأكاديميين والمختصين، واحتوى

(47) فاطمة صابر أحمد علي، دور الهندرة في تطوير الأساليب الإدارية بمؤسسات المجتمع المدني، المجلة العلمية للخدمة الاجتماعية دراسات وبحوث تطبيقية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة أسيوط، المجلد 20، العدد 4، ديسمبر 2022م، ص 95.

(48) طلعت إبراهيم لطفى، علم اجتماع التنظيم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م، ص 23.

(49) شيماء محمد حافظ محمد، مرجع سابق، ص 132.

(50) عبد الباسط محمد عبد المعطى، البحث الاجتماعي محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده، الطبعة 2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص 372.

على المحاور الآتية: البيانات الأساسية، الهيكل التنظيمي لنادي الصقور الرياضي، ودور نادي الصقور الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق، والمعوقات التي تواجه أنشطة نادي الصقور الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق، ومقترحات الحد من المعوقات التي تواجه نادي الصقور الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق، وتصورات المستقبل لدور نادي الصقور في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق، وقد تم تطبيق دليل دراسة الحالة على رئيس مجلس إدارة النادي/ العمدة سعد إدريس المبري، فله جزيل الشكر والتقدير.

المقابلات غير المقننة: وقد قام الباحث بإجراء هذه المقابلات غير المقننة مع رئيس الجمعية العمومية للنادي السيد /عبد السلام المنصوري، ومع بعض أعضاء النادي وهم بالترتيب الأبجدي: أحمد الصعقار، وصلاح فؤاد، وعبد العزيز أعودة، وعبد العزيز الحمري، وعثمان الدناع، وعلاء عبد الكريم الطيب، وعمر شنفير، ومفتاح المقيرحي، فلهم جزيل الشكر والتقدير، ولكل من قدم يد العون والمساعدة لإنجاز هذه الدراسة.

الملاحظة بالمشاركة: وذلك خلال حضور الباحث ومشاركته في بعض الأنشطة التي يقوم بها النادي.

مجالات الدراسة:

المجال الجغرافي:

تم تطبيق الدراسة الميدانية على نادي الصقور الرياضي في مدينة طبرق، وقد وقع اختيار الباحث على المدينة كونها محل إقامته، ووقوعها في المجال المكاني لجامعة طبرق مكان عمل الباحث، بما قد يعكس المسؤولية الاجتماعية للجامعة، ويعزز اختيار الباحث لنادي الصقور إلى عدة اعتبارات منها: أنه عميد الأندية الليبية، وله سمات هيكلية تنظيمية متميزة، ولديه مقر وملاعب رياضية، وله أنشطة رياضية وثقافية واجتماعية.

المجال البشري:

تحدد المجال البشري لهذه الدراسة في: رئيس مجلس إدارة النادي، وبعض أعضاء النادي (9) أعضاء، من منطلق أنه في البحث الكيفي، لا يعني المزيد من المشاركين بالضرورة أن الدراسة أو نتائجها ستكون أكثر موثوقية أو أكثر فائدة⁽⁵¹⁾.

المجال الزمني:

بدأت عملية جمع البيانات خلال الفترة من 22 سبتمبر إلى 20 أكتوبر 2024م.

تاسعاً: نتائج الدراسة الميدانية كما كشف عنها دليل دراسة الحالة والمقابلات غير المقننة

1- نبذة عن نادي الصقور طبرق:

مدينة طبرق؛ تعد من أوائل مدن ليبيا التي انتشرت فيها لعبة كرة القدم، ويعتبر حمدي طاطاناكي أول من بادر بتكوين فريق لكرة القدم بالمدينة، وذلك في عام 1922م، وفي الخمسينيات

(51) عبد الله عامر الهاملي، تصميم البحوث الكمية - الكيفية - المختلطة، دار الفضيل للنشر والتوزيع، بنغازي، 2023م، ص94.

من القرن العشرين، وبفضل مجهودات أبناء ومشايخ طبرق وعلى رأسهم سالم بازين؛ تم تأسيس نادي طبرق، وتم تقديم طلب الترخيص للنادي من قبل الطبيب الشريف خير الله و خليل طاطاناكي إلى الملك ادريس السنوسي عن طريق محمد عبد العزيز المقيرحي، وتم منح ترخيص للنادي وإشهاره من قبل وزارة الداخلية في 10 نوفمبر 1957م⁽⁵²⁾.

وفي بداية مزاوله نادي طبرق نشاطه الرياضي انضم إليه نخبة من شباب المدينة الذين كانوا يمارسون رياضة كرة القدم في المدارس والأحياء وشكل منهم فريق رياضي⁽⁵³⁾. وبعد صدور قرار إعادة إشهار الأندية في السبعينات من القرن العشرين، تم إشهار النادي تحت اسم نادي الترجي في عام 1973م⁽⁵⁴⁾.

أما في عام 1974م، فقد سمي النادي باسم الصقور وقد اقترح التسمية عطية الزردومي⁽⁵⁵⁾. وكان يقع مقر النادي (سابقاً) في الملعب البلدي بحي المطار القديم مقابل مدرسة المجد وبالقرب من جمعية الهلال الأحمر الليبي فرع طبرق، والآن تم نقل مقر النادي والإدارة إلى ملعب درين، مقابل مركز طبرق الطبي، ويتكون مقر النادي من طابق واحد ومكاتب لإدارة النادي، ويتوفر للنادي صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي (الفييس بوك)، وقناة رياضية (بث أرضي)، ونادي الصقور الآن (2024م) من ضمن الأندية الليبية في الدوري الممتاز، ويقدر عدد منتسبي النادي بحوالي 15 ألف عضوا، وثمة رابطة للمشجعين ولقدامى الرياضيين بالنادي.

وقد شارك نادي الصقور في عديد الدورات التدريبية التي نظمها اتحاد الكرة الفرعي طبرق منها: دورات الطب الرياضي، والإعداد البدني، والدورة التدريبية D، كما شارك النادي في دورة الإدارة الرياضية التي نظمتها كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة بجامعة طبرق، كما نظم النادي محل الدراسة ورشة عمل خاصة بقانون الرياضة بالتعاون مع جامعة طبرق، كما يقوم النادي بعديد الأنشطة الرياضية والثقافية والاجتماعية لاسيما في شهر رمضان المبارك، بالتعاون والتنسيق مع بعض منظمات المجتمع المدني في مدينة طبرق؛ كالحركة الكشفية، وجمعية الهلال الأحمر الليبي.

شكل رقم (2) مدخل نادي الصقور



المصدر: من تصوير الباحث

(52) جميلة مفتاح الجنزوري، عزيزة سليمان إقجام، نادي طبرق(الصقور) ودورة الثقافي والاجتماعي والرياضي في مدينة طبرق، المجلة الليبية العالمية، كلية التربية، المرج، جامعة بنغازي، العدد 63، سبتمبر 2022م، ص 4-7.
 (53) عاشور محمد المحافظي، طبرق عبر مرحلة تاريخية، دار السفير للطباعة والنشر، الإسكندرية، (دست)، ص 145.
 (54) إسماعيل أرحومة، رئيس الاتحاد الفرعي لكرة القدم طبرق، مقابلة شخصية، 16 أكتوبر -2024م.
 (55) مفتاح المقيرحي، المشرف العام على النشاط الرياضي بنادي الصقور، مقابلة شخصية، 16 أكتوبر-2024م.

الهيكل التنظيمي للنادي:

يتشكل الهيكل التنظيمي للنادي من عدة مستويات تنظيمية، هي:

مجلس الإدارة: يتشكل من 7 أعضاء، تم انتخابهم عام 2015م، جميعهم من الذكور من خلفيات تعليمية وثقافية مرتفعة، وثمة تمثيل لفئة الشباب في عضوية مجلس الإدارة بحسب رئيس مجلس إدارة النادي. وينتظم النادي في عقد مجلس إدارته شهرياً، كان آخرها في بداية شهر أكتوبر 2024م، وذلك للاستعداد لبطولة الدوري الممتاز لكرة القدم، وتتسم إدارة النادي بالطابع الديمقراطي في اتخاذ القرارات.

الجمعية العمومية: تتشكل الجمعية العمومية من 2500 عضواً، وتجتمع كل عام، كما يتوافر بالنادي إدارات نوعية عديدة، هي: المدير التنفيذي، ومدير الملعب، وقطاع الناشئين، والإدارة القانونية، والشؤون المالية والإدارية، والمراقب المالي، والاستثمار الرياضي، والعلاقات العامة، والشؤون الثقافية والاجتماعية، والإعلام.

مصادر التمويل: يعتمد النادي في تمويله على مصادر عدة، وهي: الاستثمار الرياضي، والهبات والعطايا من الداعمين على قلتها، والدعم الحكومي (وزارة الرياضة)، واشتراكات الأعضاء وتقدر قيمة الاشتراك السنوي 25 دينار ليبي، وهو مصدر محدود جداً، وتقدر ميزانية النادي عام 2024م، بحوالي 8 مليون دينار ليبي، ويلتزم النادي بالشفافية والمحاسبية.

تقييم النادي: يجري النادي تقييماً داخلياً دورياً للبرامج والأنشطة من خلال الجمعية العمومية، ومناقشات مجلس الإدارة.

شكل رقم (3) صورة للباحث مع رئيس مجلس إدارة النادي ورئيس الجمعية العمومية أثناء الدراسة الميدانية



2- دور نادي الصقور في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق:

من خلال تطبيق دراسة الحالة، والمقابلات غير المقننة، اتضح للباحث وعيهم بأهمية الرياضة الجماعية ونشر ثقافتها، كما اتضح أيضاً وعيهم بمفهوم التنمية المستدامة وأهدافها الـ 17، وقد يعزى ذلك للخلفية التعليمية والثقافية المرتفعة لأعضاء النادي، حيث قد عرف أحد من أجريت معهم المقابلات غير المقننة التنمية المستدامة بأنها «التنمية متعددة الأبعاد والتي تصون للأجيال الحالية والمستقبلية الحياة الكريمة وتحافظ على الموارد الطبيعية من

الاستنزاف». ويهتم النادي بإكساب منتسبيه القيم التي تحت على حماية البيئة، والقيام بحملات نظافة داخل النادي، وتنظيم برامج لحماية الشواطئ (مصيف العودة) بالتعاون والتنسيق مع الحركة الكشفية في مدينة طبرق، وذلك لترسيخ مفهوم المسؤولية الاجتماعية لهم تجاه مجتمعهم المحلي، كما يهتم النادي بتوفير فرص عمل لائق من خلال تنظيم دورات لتدريب الشباب كمدرسين لكرة القدم، ما يساهم في دعم تحقيق الهدف الثامن من أهداف التنمية المستدامة، كذلك اضطلع النادي بدور في الاستجابة لمواجهة جائحة كورونا من خلال رابطة منتسبيه بتوزيع مستلزمات الوقاية، أما في كارثة درنة عام 2023م، فقد أوقف النادي التمارين تضامنا مع المتضررين من الكارثة، واستضاف نادي دارنس، ونظم قدامي لاعبي النادي حملة جمع تبرعات عينية ونقدية لتخفيف المعاناة الإنسانية عن المتضررين من الكارثة، كما شارك النادي في أنشطة الدعم النفسي والاجتماعي لأطفال درنة، بالتعاون والتنسيق بين الهلال الأحمر، والحركة الكشفية، ومكتب الدعم النفسي الاجتماعي بالمجلس البلدي طبرق، وقد شارك الباحث في بعض هذه الأنشطة كونه؛ قائد كشفي بمفوضية طبرق للكشافة والمرشدات.

وقد تمحور دور نادي الصقور في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق، في عديد الأنشطة وفيما يلي نماذج منها:

التوعية بأهمية الرياضة وقيمها الإيجابية:

قام النادي بأنشطة في التوعية بأهمية الرياضة وقيمها الإيجابية منها:

- تنظيم محاضرات عن أهمية الرياضة وفوائدها على الفرد والمجتمع لمنتسبي النادي.
- بناء قدرات المنتسبين للنادي.
- تنمية المهارات المرتبطة بممارسة الرياضة الجماعية.
- تنمية الشعور بالانتماء للجماعة.
- غرس القيم الإيجابية للرياضة (التعاون، والاحترام، والتسامح، ونبذ العنف، والإيثار، وغير ذلك).
- تنمية مهارات التواصل مع الآخرين، وضبط السلوكيات الاجتماعية.
- التثقيف الصحي، بالاستعانة بالمختصين.

مما سبق يؤكد مساهمة النادي في التوعية بأهمية الرياضة وقيمها الإيجابية وجعلها من مكونات الثقافة العامة للمجتمع، كونه أحد مؤسسات التنشئة الاجتماعية المنوط بها بناء الشخصية سواء من الناحية البدنية أو النفسية أو الاجتماعية، وكمؤشر على مساهمة النادي في دعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة لاسيما الهدفين الثالث والرابع.

وأكد ذلك جميع من قابلهم الباحث وأضافوا أن أنشطة التوعية تشمل لاعبي فريق كرة القدم، ومنتسبي أكاديمية نادي الصقور لكرة القدم، وأيضا أولياء الأمور.

شكل رقم (4) إحدى محاضرات التوعية للكايتن مفتاح المقيرحي المشرف العام على النشاط الرياضي بالنادي



المصدر: صفحة أكاديمية نادي الصقور لكرة القدم على الفيس بوك

توفير ملاعب وصالات رياضية:

إن توفير الملاعب الرياضية ضرورة لجذب أفراد المجتمع لممارسة الأنشطة الرياضية الفردية والجماعية على حد سواء، فهي ليست مجرد أماكن لممارسة الألعاب الرياضية، بل لها دور في تطوير الحياة الاجتماعية والنفسية والبدنية للأفراد، وفي نشر ثقافة الرياضة الجماعية، وتمثل أهمية الملاعب الرياضية في: تعزيز اللياقة البدنية والصحة العامة، وتحسين الصحة النفسية، وتعزيز الروح الرياضية والانضباط، وتحفيز الأطفال والشباب على ممارسة النشاط البدني، وتوفير بيئة آمنة للتفاعل الاجتماعي، وتحسين جودة الحياة العامة، ودعم الاقتصاد المحلي⁽⁵⁶⁾.

ولنادي الصقور ملعبان مغطيان بالعشب الصناعي؛ الأول الملعب البلدي، والآخر ملعب درين، كما للنادي أربع ملاعب خماسية تم تغطيتها بالعشب الصناعي، ويوفر نادي الصقور فرص ممارسة الرياضة لأفراد المجتمع في غير أوقات التدريب في ملاعبه مجاناً، وهو ما قد أكدته المشاهدات الواقعية للباحث، فضلاً عما سبق تقوم كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة بجامعة طبرق بإجراء الاختبارات والتطبيق العملي لطلابها في ملعب نادي الصقور، وكذلك الأكاديمية الليبية للدراسات العليا فرع طبرق، كما يوجد لنادي الصقور صالة مغطاة متكاملة بملعب درين، وأخرى بالملعب البلدي.

(56) مجدي طوني، أهمية الملاعب الرياضية في تعزيز الصحة العامة، 12 سبتمبر 2024م، <https://nefertaricompany.com>

شكل رقم (5) الملعب البلدي وصالة الألعاب بملعب درين



المصدر: من تصوير الباحث

تعليم الأنشطة الرياضية الجماعية من خلال أكاديمية نادي الصقور لكرة القدم؛

تعد أكاديمية كرة القدم هي « مؤسسة علمية تربية فنية لإعداد لاعب كرة قدم للاحتراف مستقبلاً، تمتلك كافة المقومات للبنية التحتية التي تمكنها من تحقيق أهدافها بنجاح وتتلخص هذه المقومات في المنظومة الإدارية والفنية والعلمية الممنهجة في كافة أنواع البرامج المتعلقة بعلوم الرياضة وكرة القدم على وجه الخصوص»⁽⁵⁷⁾.

تم تدشين أكاديمية نادي الصقور لكرة القدم بفكرة من المدرب التونسي محمد رزق، وقد بدأت تدريبات كرة القدم في الأكاديمية للفئات السنوية المختلفة بفرع واحد بالملعب البلدي في عام 2020م، ثم افتتحت فرعها الآخر بملعب درين، ويبلغ عدد المنتسبين إليها 150 منتسب، ويتم مراعاة الظروف الاجتماعية للمنتسبين عند تسديد الاشتراك الشهري (75 دينار لبيي)، كما يتم إعفاء أبناء الأسر النازحة من مدينة درنة من هذه الرسوم.

وتقوم أكاديمية نادي الصقور لكرة القدم بدور هام في تنمية منتسبيها بدنياً وثقافياً واجتماعياً، وغرس ثقافة الرياضة الجماعية لتصبح أسلوب حياة في مدينة طبرق، وقد أكد على ذلك جميع من قابلهم الباحث.

(57) نبيل خليل ندا، وآخرون، تقييم مدربي أكاديميات كرة القدم بجمهورية مصر العربية، مجلة التربية البدنية وعلوم الرياضة، كلية التربية الرياضية للبنين، جامعة بنها، المجلد 25، العدد 7، يونيو 2021م، ص 121.

شكل رقم (6) صورة جماعية للباحث مع فريق كرة القدم وبعض منتسبي أكاديمية نادي الصقور



تنظيم فعاليات رياضية:

تعرف الفعاليات الرياضية بأنها «المسابقات التنافسية التي تقام بين طرفين من أجل معرفة الفائز منهم أو وضع ترتيب للأطراف المنافسة»⁽⁵⁸⁾.

ويتمثل دور نادي الصقور في تنظيم فعاليات رياضية على مستوى المجتمع المحلي منها ما يلي:

- تنظيم دورات سنوية رمضانية.
- الإشراف على دورات مدرسية في مدينة طبرق.
- تنظيم مباريات تكريمية لقدامى اللاعبين.
- تنظيم بطولة ودية للشهيد عبد الفتاح يونس، شارك فيها أندية من طرابلس، وبنغازي، والمرج، وشحات، ودرنة.

(58) نهال أحمد عبد المنعم حسين جبرة، دراسة تحليلية للفعاليات الرياضية في مصر " الاتجاه نحو التنمية المستدامة"، المجلة العلمية للبحوث التطبيقية في المجال الرياضي، وزارة الشباب والرياضة، مصر، المجلد 5، العدد 1، يناير 2024م، ص337.

- تنظيم بطولة للاعبين القدامى بالتعاون والتنسيق مع الاتحاد الرياضي العسكري (2019م)، شارك فيها لاعبين قدامى من بنغازي، المرج، شحات، درنة.

- مشاركة النادي في المارثون الرياضي للجري أو المشي.

تقديم برامج رياضية للنساء والفتيات:

البرامج مجموعة من الأعمال لتحقيق الأهداف وتتضمن مجموعة من الأنشطة يكون هو الجزء العملي الظاهر من هذا البرنامج⁽⁵⁹⁾.

والبرامج الرياضية للنساء والفتيات تشمل مجموعة من الأنشطة الرياضية الفردية أو الجماعية، وتهدف إلى تعزيز الصحة واللياقة البدنية، والتخفيف من حدة الضغوط النفسية والاجتماعية، وتحسين جودة الحياة. إن توسيع دائرة ممارسة الرياضة للنساء والفتيات يعكس تغيراً إيجابياً في النظرة الاجتماعية تجاه دور المرأة، حيث تصبح الرياضة وسيلة لتعزيز المساواة وتحقيق جميع مجالات التنمية، ومع تزايد المشاركة النسائية في مختلف الألعاب والرياضات، يتبدل المفهوم التقليدي للنشاط الرياضي ليشمل جميع فئات المجتمع، بغض النظر عن الجنس أو الجنسية⁽⁶⁰⁾.

وتختلف النظرة إلى المرأة الرياضية في مجتمعنا العربي عن المرأة التي لا تمارس الرياضة، رغم جميع المحاولات من المسؤولين والمهتمين بالرياضة النسائية، فما زال مجتمعنا العربي بكل أطيافه ينظر إلى المرأة الرياضية نظرة عكسية تماماً عن المرأة غير الرياضية وما زال يتعامل مع رياضة المرأة بتحفظ وحذر شديدين⁽⁶¹⁾.

رغم أن الرياضة النسائية تشكل جزءاً فاعلاً لواقع النهوض بمكانة المرأة الليبية، والتي تعتبر نصف المجتمع⁽⁶²⁾، إلا أن ثمة عديد المعوقات تواجه ممارسة المرأة للرياضة، ويؤكد علماء الاجتماع أن البعد الاجتماعي من أكثر معوقات ممارسة المرأة للنشاط الرياضي فتقاليد وعادات المجتمع، والقيم الدينية، وقلة الوعي الرياضي وقصور الإمكانيات تقف حائلاً أمام المرأة في ممارسة الرياضة، إلى جانب العديد من العوامل الاجتماعية والثقافية ونقص الوعي الرياضي عند بعض النساء لأهمية الرياضة⁽⁶³⁾.

لم يلاحظ الباحث أي اهتمام للنادي بتقديم برامج رياضية للنساء والفتيات لتحقيق المساواة بين الجنسين في ممارسة الرياضة الجماعية، وقد يعزى ذلك إلى افتقاد النادي للبنية التحتية الملائمة والمناسبة، كما أن أسلوب الثقافة البدوية في الحياة بمدينة طبرق يلعب دوراً جوهرياً لا يمكن تجاهله، وللإنصاف يوفر النادي صالة رياضية بملاعب دربن لممارسة الرياضة

(59) توفيق محمد كمال أحمد إبراهيم، استثمار الرياضة الجماعية لصنع البرامج التنموية، المجلة العلمية للبحوث التطبيقية في المجال الرياضي، وزارة الشباب والرياضة، مصر، المجلد 5، العدد 1، يناير 2024م، ص392.

(60) تأثير الرياضة النسائية على تغيير الأفكار ومفاهيم المجتمع، 29 فبراير 2024م، <https://com.gn-green.com>

(61) نهاد البطيحي، دور الأم الرياضية في تنشئة جيل رياضي يعود على مجتمعه بالإنجازات الرياضية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في كلية التربية الرياضية بالجامعة الأردنية، دراسات العلوم التربوية، المجلد 40، ملحق 1، مارس 2013م، ص 278-279.

(62) زينب أبو زيد أبو بكر، بعض الأبعاد الاجتماعية وعلاقتها بممارسة المرأة الليبية الرياضة النسائية دراسة ميدانية على عينة من المنتسبات إلى المراكز الرياضية النسائية بمدينة المرج، مجلة البيان العلمية، نقابة أعضاء هيئة التدريس جامعة سرت، العدد 10، أكتوبر 2021م، ص10.

(63) فضيلة سيساوي، هبة ياسف، في علاقة المرأة والرياضة... تأثير على البناء الاجتماعي وتمثيل الجنسين في المجتمع، مجلة الباحث للعلوم الرياضية والاجتماعية، جامعة الجلفة، المجلد 4، العدد 7، 2021م، ص130.

النسائية لتحسين اللياقة البدنية بإشراف مدربة مجاناً، ويعتبر ذلك خطوة مهمة لدعم تحقيق الهدف الخامس من أهداف التنمية المستدامة، وهو ما أكدته جميع المقابلات غير المقننة.

توفير فرص لذوي الاحتياجات الخاصة لممارسة الرياضة الجماعية:

ذوي الاحتياجات الخاصة هم أفراد يعانون نتيجة عوامل وراثية أو بيئية مكتسبة من قصور القدرة على تعلم أو اكتساب خبرات أو مهارات وأداء أعمال يقوم بها الفرد العادي السليم المماثل لهم في العمر والخلفية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية⁽⁶⁴⁾.

إن ممارسة ذوي الاحتياجات الخاصة للرياضة الجماعية؛ تتطلب توفير إمكانات تتناسب مع ما لديهم من إمكانيات وقدرات، ويوفر نادي الصقور بيئة آمنة لذوي الاحتياجات الخاصة من فئة الصم والبكم لممارسة الرياضة الجماعية (كرة القدم) في ملاعبه بالتعاون والتنسيق مع منظمات المجتمع المدني والجهات الحكومية المنوطة برعايتهم، وذلك لدمجهم في المجتمع.

أما فئات الإعاقات الأخرى فقد اقتصر دور نادي الصقور على توفير فرصة لهم لمشاهدة مباريات كرة القدم من داخل الملعب دون تمكينهم من ممارسة الرياضة الجماعية، وقد يعزى ذلك لعدم توفر البنية التحتية الملائمة والمناسبة، وعدم توفير المعدات الرياضية المتخصصة كالكراسي المتحركة خفيفة الوزن، ونقص الكوادر التدريبية وغير ذلك.

عقد الشراكات لنشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق.

يمكن تعريف الشراكة باعتبارها علاقة تكامل بين إمكانيات وقدرات طرفين أو أكثر، حيث يبرز التوافق والاتفاق حول تحقيق أهداف محددة، وهي علاقة تحكمها المساواة بين الأطراف، واحترام كل طرف لقدرات وأداء الطرف الآخر، وتحقق المنفعة العامة أو الصالح العام⁽⁶⁵⁾.

على الرغم من وجود علاقة شراكة بين نادي الصقور وجامعة طبرق وفقاً لاتفاقية موقعة بين الطرفين، لم يلاحظ الباحث أي أنشطة لهذه الشراكة في مجال نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق، ويشير ما سبق إلى ضرورة تفعيل الشراكة بين النادي وجامعة طبرق، وأن تمتد الشراكات إلى المؤسسات التعليمية الأخرى العامة والخاصة، ومنظمات المجتمع المدني والقطاع الخاص، ما قد يساعد على تفعيل دور نادي الصقور في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق.

3- المعوقات التي تواجه نادي الصقور في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق:

واجه نادي الصقور عديد المعوقات من وجهة نظر رئيس النادي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق يمكن رصد أبرزها في: نقص التمويل، وضعف الدعم الحكومي والأهلي والقطاع الخاص، ومحدودية البنية التحتية، وتم

(64) عبد الإله بن أحمد الصلوي، عبد الله بن غرم الشهري، أثر وسائل التواصل الاجتماعي في ممارسة الأنشطة الرياضية والترويجية لذوي الاحتياجات الخاصة في المملكة العربية السعودية، (د.ت)، ص 11، <https://fac.ksu.edu.sa>
(65) أماني قنديل، مؤسسات المجتمع المدني قياس الفاعلية ودراسة حالات، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 2005م، ص 113.

الإشارة أيضاً إلى عديد المعوقات من خلال المقابلات غير المقننة منها: نقص الكوادر التدريبية، وقصور الإعلام الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية، وضعف الوعي الثقافي بأهمية الرياضة الجماعية لكلا الجنسين.

4- أهم مقترحات الحد من المعوقات التي تواجه نادي الصقور في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق:

من وجهة نظر رئيس النادي، تمثلت أهم هذه المقترحات في:

- توفير التمويل الكافي.

- حث رجال الأعمال على رعاية الأنشطة الرياضية الجماعية.

- التعاون والتنسيق مع المؤسسات التعليمية، لتنظيم فعاليات رياضية مشتركة.

ومن خلال المقابلات غير المقننة، تم تقديم مقترحات أخرى منها: توفير المدربين والكفاءات الإدارية، وإشراك المختصين في مجال الإدارة الرياضية.

تصورات المستقبل لدور نادي الصقور في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق.

5- تصورات المستقبل من إدارة النادي لدوره في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق:

ثمة رؤية تصورية مستقبلية من إدارة النادي لدوره في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق تتمثل فيما يلي:

- توفير الأدوات والمعدات الرياضية لصالة الألعاب الرياضية بعد تجديدها لممارسة الألعاب الجماعية (كرة السلة، والكرة الطائرة، وكرة اليد).

- توفير فرص لممارسة الرياضة النسائية الجماعية.

- وضع خطة استراتيجية لدمج أهداف التنمية المستدامة ال 17 ضمن مكونات ثقافة الرياضة الجماعية في النادي.

- التعاون والتنسيق بين النادي، والمؤسسات التعليمية، ومنظمات المجتمع المدني، ورجال الأعمال للمساهمة في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

عاشراً: النتائج العامة للدراسة:

فيما يلي أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- تعد مدينة طبرق من أوائل مدن ليبيا التي انتشرت فيها لعبة كرة القدم كرياضة جماعية غير تقليدية، وفي عام 1922م، تم تأسيس أول فريق لكرة القدم في المدينة.

- تأسس نادي طبرق في الخمسينيات من القرن العشرين، وفي 10 نوفمبر 1957م، تم منح ترخيص للنادي وإشهاره.

- بعد صدور قرار إعادة إشهار الأندية في السبعينات من القرن الماضي، تم إشهار النادي تحت اسم نادي الترجي في عام 1973م، وفي عام 1974م، تغيرت التسمية إلى نادي الصقور.

- يتشكل الهيكل التنظيمي للنادي من عدة مستويات تنظيمية تتمثل في: مجلس الإدارة،

والجمعية العمومية، والإدارات النوعية المتخصصة.

- يتم اختيار رئيس مجلس الإدارة بالانتخاب، وتتوافر الشفافية والمحاسبية في إدارة النادي.
- يعتمد النادي في التمويل على مصادر عدة، وهي: الاستثمار الرياضي، والهبات والعطايا من الداعمين، والدعم الحكومي (وزارة الرياضة)، اشتراكات الأعضاء.
- يجرى النادي تقييماً داخلياً دورياً للبرامج والأنشطة من خلال الجمعية العمومية، ومناقشات مجلس الإدارة.

- كشفت الدراسة الميدانية عن أن دور نادي الصقور في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق، قد تحور في بعض البرامج والأنشطة هي: التوعية بأهمية الرياضة وقيمها الإيجابية، وتوفير ملاعب وصالات رياضية، وتعليم الأنشطة الرياضية الجماعية من خلال أكاديمية نادي الصقور لكرة القدم، تنظيم فعاليات رياضية، وغياب دور النادي في تقديم برامج رياضية للنساء والفتيات لتحقيق المساواة بين الجنسين في ممارسة الرياضة الجماعية، ويوفر نادي الصقور بيئة آمنة لذوي الاحتياجات الخاصة من فئة الصم والبكم لممارسة الرياضة الجماعية (كرة القدم) في ملاعبه، أما فئات الإعاقة الأخرى فقد اقتصر دور النادي على توفير فرصة لهم لمشاهدة مباريات كرة القدم من داخل الملعب دون تمكينهم من ممارسة الرياضة الجماعية، ولم يستفد نادي الصقور من خلال آلية عقد الشراكات في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق لعدم تفعيلها.

- واجه النادي عديد المعوقات من وجهة نظر رئيس مجلس الإدارة، وممن أجريت معهم المقابلات غير المقننة؛ للقيام بدوره المأمول في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة منها: نقص التمويل، وضعف الدعم الحكومي والأهلي والقطاع الخاص، ومحدودية البنية التحتية، ونقص الكوادر التدريبية، وقصور الإعلام الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية، وضعف الوعي الثقافي بأهمية الرياضة الجماعية لكلا الجنسين.

- أوضحت الدراسة الميدانية أن أهم مقترحات الحد من المعوقات التي تواجه نادي الصقور في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق، من وجهة نظر رئيس النادي، ومن خلال المقابلات غير المقننة قد تمثلت في: توفير التمويل الكافي، وحث رجال الأعمال على رعاية الأنشطة الرياضية الجماعية، والتعاون والتنسيق مع المؤسسات التعليمية لتنظيم فعاليات رياضية مشتركة، وتوفير المدربين والكفاءات الإدارية، وإشراك المختصين في مجال الإدارة الرياضية، وتعزيز دور الإعلام الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية.

- ثمة رؤية تصورية مستقبلية لدور نادي الصقور في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في مدينة طبرق من إدارة النادي تتمثل فيما يلي: توفير الأدوات والمعدات الرياضية لصالة الألعاب الرياضية بعد تجديدها لممارسة الألعاب الجماعية (كرة السلة، والكرة الطائرة، وكرة اليد)، وتوفير فرص لممارسة الرياضة النسائية الجماعية، والتعاون والتنسيق بين النادي والمؤسسات التعليمية، ومنظمات المجتمع المدني، ورجال الأعمال للمساهمة في نشر ثقافة الرياضة الجماعية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

الحادي عشر: توصيات الدراسة:

في ضوء نتائج الدراسة يمكن وضع بعض التوصيات على النحو التالي:

- ضرورة زيادة الدعم الحكومي للنادي.
- وضع استراتيجية مستقبلية لدمج أهداف التنمية المستدامة في كافة برامج وأنشطة النادي.
- تفعيل دور الإعلام الرياضي في نشر ثقافة الرياضة الجماعية، وأهمية دورها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.
- زيادة عدد الندوات والمحاضرات لتوعية المجتمع بثقافة الرياضة الجماعية، بالتعاون والتنسيق مع المؤسسات التعليمية، ومنظمات المجتمع المدني.
- تنظيم فعاليات رياضة بالتعاون والتنسيق مع مكتب الرياضة، والاتحاد الفرعي لكرة القدم، وكلية التربية البدنية وعلوم الرياضة، لاستقطاب جميع الفئات العمرية لممارسة الرياضة الجماعية.
- تشجيع ممارسة النساء والفتيات للرياضة الجماعية.
- تنظيم فعاليات رياضية صديقة للبيئة.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

- 1- أحمد لزرق، المجتمع المدني ودوره في زيادة دافعية ممارسة التربية البدنية والرياضية جمعية أولياء التلاميذ - أنموذجاً، مجلة المجتمع والرياضة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي، المجلد 5، العدد 1، يناير 2022م.
- 2- أسامة عبد الفتاح محمد، دور المشاركة في الأنشطة الرياضية في تعزيز الهوية الوطنية لدى بعض فئات التلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة مقارنة بالعادين بالمملكة العربية السعودية، المجلة التربوية، كلية التربية، جامعة سوهاج، المجلد 79، العدد 79، نوفمبر 2020م.
- 3- الأمم المتحدة، اليوم الدولي للرياضة من أجل التنمية والسلام 6 نيسان/ أبريل، 2024م، <http://www.un.org>
- 4- اليفيا، الاستدامة والسلام يتحدان من خلال الرياضة، 6 أبريل 2022م، <https://inside.fifa.com>
- 5- المجمع القانوني الليبي، قانون رقم 23 لسنة 2023 بشأن الرياضة، <http://www.lawsociety.com>
- 6- أماني قنديل، مؤسسات المجتمع المدني قياس الفاعلية ودراسة حالات، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 2005م.
- 7- أمل عبد الفتاح شمس، (شراكات الرفاهية) دور مؤسسات المجتمع المدني في تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030، في صعيد مصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، العدد 33، الجزء 2، يونيو 2020م.
- 8- أمل عبد الفتاح شمس، هاني محمد زكريا، دور الثقافة الرياضية في تحقيق (الأمن الفكري، والتنمية البشرية المستدامة): بحث مقارنة على عينة من الشباب، مجلة كلية التربية في العلوم الإنسانية والأدبية، جامعة عين شمس، المجلد 25، العدد 4، 2019م.

- 9-أمين أنور الخولي، الرياضة والمجتمع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 126، 1996م.
- 10-بيير بورديو، أسئلة علم الاجتماع حول الثقافة والسلطة والعنف الرمزي، ترجمة وتقديم، إبراهيم فتحي، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995م.
- 11-تأثير الرياضة النسائية على تغيير الأفكار ومفاهيم المجتمع، 29 فبراير 2024م، <https://green-gn.com>
- 12-توفيق محمد كمال أحمد إبراهيم، استثمار الرياضة الجماعية لصنع البرامج التنموية، المجلة العلمية للبحوث التطبيقية في المجال الرياضي، وزارة الشباب والرياضة، مصر، المجلد 5، العدد 1، يناير 2024م.
- 13-جميلة مفتاح الجنزوري، عزيزة سليمان إقجام، نادي طبرق(الصحور) ودورة الثقاف في والاجتماعي والرياضي في مدينة طبرق، المجلة الليبية العالمية، كلية التربية، المرج، جامعة بنغازي، العدد 63، سبتمبر 2022م.
- 14-خالد محمود الزيد، إبراهيم بن سليمان الروحي، دور الأندية الرياضية والمراكز الشبابية في تعزيز قيم المواطنة لدى الشباب العماني، المجلة الدولية للبحوث النفسية والتربوية، المجلد 1، العدد 4، 2022م.
- 15-ريهام عبد النبي السعيد، الروبوت وتغير أدوار المرأة المصرية دراسة استشرافية في سوسولوجيا الذكاء الاصطناعي، المجلة العربية لعلم الاجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد 17، العدد 33، يناير 2024م.
- 16-زينب أبو زيد أبو بكر، بعض الأبعاد الاجتماعية وعلاقتها بممارسة المرأة الليبية الرياضة النسائية دراسة ميدانية على عينة من المنتسبات إلى المراكز الرياضية النسائية بمدينة المرج، مجلة البيان العلمية، نقابة أعضاء هيئة التدريس جامعة سرت، العدد 10، أكتوبر 2021م.
- 17-سبأ جرار، دور الرياضة في تحقيق الهدف الخامس في التنمية المستدامة بالمجلس الأعلى للشباب والرياضة بدولة فلسطين (دراسة حالة)، مجلة تطبيقات علوم الرياضة، كلية التربية الرياضية بأبو قير، المجلد 9، العدد 117، سبتمبر 2023م.
- 18-سحر السيد أبو العلا، الشيماء محمد إبراهيم أحمد عبد الواحد، البناء الأيديولوجي للأسرة المصرية في دعم الثقافة الرياضية لتشكيل الهوية الاجتماعية للرياضيين، المجلة العلمية لعلوم وفنون الرياضة، كلية التربية الرياضية للبنات، جامعة حلوان، المجلد 65، العدد 65، يونيو 2021م.
- 19-شيماء محمد حافظ محمد، دور منظمات المجتمع المدني في تحقيق التنمية المستدامة: دراسة تحليلية لأنشطة مكافحة الفقر بمؤسسة عمار الأرض، المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية، مؤسسة تواصل للدراسات والتوعية الثقافية بالتعاون مع المركز المصري للبحوث والتدريب، المجلد 5، العدد 5، أبريل 2022م.
- 20-طلعت إبراهيم لطفي، علم اجتماع التنظيم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م.
- 21-عاشور محمد المحافظي، طبرق عبر مرحلة تاريخية، دار السفير للطباعة والنشر، الإسكندرية، (د-ت).
- 22-عبد الإله بن أحمد الصلوي، عبد الله بن غرم الشهري، أثر وسائل التواصل الاجتماعي في ممارسة الأنشطة الرياضية والترويحية لذوي الاحتياجات الخاصة في المملكة العربية السعودية، (د-ت)، <https://fac.ksu.edu.sa>
- 23-عبد الباسط محمد عبد المعطي، البحث الاجتماعي محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده،

- الطبعة 2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م.
- 24- عبد الرحمن صوفي عثمان، محمود محمود عرفان، دور منظمات المجتمع المدني في دعم خدمات الرعاية الاجتماعية في المجتمع العماني: الضرورات والمستلزمات، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، المجلد 2، العدد 5، يونيو 2014م.
- 25- عبد الله عامر الهماشي، تصميم البحوث الكمية - الكيفية - المختلطة، دار الفضيل للنشر والتوزيع، بنغازي، 2023م.
- 26- عيشة علة، دور الرياضة في تنمية روح القيم الاجتماعية وتحقيق التنمية المستدامة من وجهة نظر أساتذة الرياضة - دراسة ميدانية -، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية العميقة، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، العدد 8، سبتمبر 2020م.
- 27- فاطمة صابر أحمد علي، دور الهندرة في تطوير الأساليب الإدارية بمؤسسات المجتمع المدني، المجلة العلمية للخدمة الاجتماعية دراسات وبحوث تطبيقية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة أسيوط، المجلد 20، العدد 4، ديسمبر 2022م.
- 28- فاطمة عز الدين، الرياضة والشباب والتنمية الاجتماعية، كتاب وقائع المؤتمر الدولي العلمي: القضايا المعاصرة في العلوم العابرة للتخصصات، إشراف وتنسيق: منير بن دريدي، حنان طرشان، عصام عيروط، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، 2022م.
- 29- فضيلة سيساوي، هبة ياسف، في علاقة المرأة والرياضة... تأثير على البناء الاجتماعي وتمثيل الجنسين في المجتمع، مجلة الباحث للعلوم الرياضية والاجتماعية، جامعة الجلفة، المجلد 4، العدد 7، 2021م.
- 30- ماهر بن عثمان بن عبد الله أبا حسين، إسهام المسؤولية المجتمعية للأندية الرياضية في تحقيق التنمية المستدامة دراسة ميدانية على الأندية الرياضية بمحافظة المجمعة، مجلة العلوم الإنسانية الإدارية، مركز النشر والترجمة، جامعة المجمعة، السعودية، العدد 31، يونيو 2023م.
- 31- مجدي طوني، أهمية الملاعب الرياضية في تعزيز الصحة العامة، 12 سبتمبر 2024م، <https://nefertaricompany.com>
- 32- محمد إبراهيم شحاتة، مجدي محمد عبد الله، الموسوعة الرياضية موسوعة الألعاب الجماعية والإصابات والتأهيل، ماهي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2016م.
- 33- محمد الطاهر بويابة، الأنشطة الرياضية الفردية والجماعية وتحقيق التوافق النفسي الاجتماعي لدى الممارس، مجلة أبحاث نفسية وتربوية، مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري، الجزائر، المجلد 1، العدد 8، يناير 2016م.
- 34- محمد ياسر الخواجة، الشباب الجامعي ومشكلاته المعاصرة، شؤون اجتماعية، جمعية الاجتماعيين في الشارقة، المجلد 15، العدد 60، ديسمبر 1998م.
- 35- محمود داود الربيعي، وآخرون، دور الرياضة النسوية الثقافي والاجتماعي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة لأفراد المجتمع، مجلة ستار دوم العلمية للدراسات التربوية والنفسية، جامعة ستار دوم، إسطنبول، المجلد 2، العدد 1، 2024م.
- 36- منى هداية، استثمار الرياضة في تعزيز أهداف التنمية المستدامة: حالة القطاع الإنساني والتنموي القطري بعد كأس العالم، حكاية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا، المجلد 4، العدد 8، ربيع 2024م.
- 37- موضي بنت شليويح العنزلي، عبير بنت محمد الجرياء، دور الأندية الرياضية في تعزيز جودة الحياة

داخل الأحياء دراسة ميدانية مطبقة على عينة من طالبات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في المدينة الجامعية بالرياض، مجلة البحوث والدراسات الاجتماعية، المركز الوطني للدراسات والبحوث الاجتماعية، السعودية، المجلد 3، العدد 1، 2023م.

38-مولودي الأحمر، تقديم الرياضة والمجتمع، عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا، المجلد 11، العدد 42، خريف 2022م.

39-ناهد أحمد سيف فتح الله، منظمات المجتمع المدني والتنمية الثقافية المستدامة: دراسة ميدانية لإحدى الجمعيات الأهلية بمحافظة القاهرة، مجلة بحوث العلوم الاجتماعية والتنمية، مركز البحوث الاجتماعية وتنمية المجتمع، كلية الآداب، جامعة المنيا، المجلد 6، العدد 6، ديسمبر 2023م.

40-نبيل خليل ندا، وآخرون، تقييم مدربي أكاديميات كرة القدم بجمهورية مصر العربية، مجلة التربية البدنية وعلوم الرياضة، كلية التربية الرياضية للبنين، جامعة بنها، المجلد 25، العدد 7، يونيو 2021م.

41-نهاد البطيخي، دور الأم الرياضية في تنشئة جيل رياضي يعود على مجتمعه بالإنجازات الرياضية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في كلية التربية الرياضية بالجامعة الأردنية، دراسات العلوم التربوية، المجلد 40، ملحق 1، مارس 2013م.

42-نهال أحمد عبد المنعم حسين جبرة، دراسة تحليلية للفعاليات الرياضية في مصر» الاتجاه نحو التنمية المستدامة»، المجلة العلمية للبحوث التطبيقية في المجال الرياضي، وزارة الشباب والرياضة، مصر، المجلد 5، العدد 1، يناير 2024م.

43-ويلفريد ليمكي، دور الرياضة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة، 2 ديسمبر 2016م، <https://www.un.org>

45-يحيى محمد الجيوشي، رؤية منهجية لاستخدام الرياضة للجميع كمدخل لتحقيق التنمية المستدامة في المجتمع المصري، المجلة العلمية للتربية البدنية وعلوم الرياضة، كلية التربية الرياضية للبنين، جامعة حلوان، العدد 76، الجزء 1، يناير 2016م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- 1-Jarvie, G., Sport, Cultural Relations, and Peace building, British Council, 2023.
- 2-Mitchell McSweeney & Lyndsay M.C. Hayhurst, An overview of Sustainable Development Goal 1, Edited by Brian P. McCullough, Timothy Kellison, and E. Nicole Melton, The Routledge Handbook of Sport and Sustainable Development, New York: Routledge, 2022.
- 3-Sung-Sang Yoo & Hosung So, Sports Role in Education for Sustainable Development: Prospective, Journal of Health, Sports, and Kinesiology, International Organization for Health, Sports, & Kinesiology, vol.1, no.1, 2020.
- 4-Trygve B. Broch, The cultural sociology of sport: a study of sports for sociology, American Journal of Cultural Sociology, vol. 10, 2022.
- 5-Jacobus A. Du pisani, Sustainable development – historical roots of the concept, Environmental Sciences, vol.3, no.2, 2006.
- 6- Lozano, R., & Barreiro-Gen, M, Civil society organizations as agents for societal change: Football clubs' engagement with sustainability Corporate Social Responsibility and Environmental Management, vol.30, no. 2, 2023.

اشكالات يثيرها القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن شركة الشخص الواحد

د. محمود عبد المحسن سلامة

استاذ القانون المدني المساعد

رئيس قسم القانون الخاص بكلية الحقوق سابقا- الجامعة العربية الأمريكية- فلسطين

رئيس قسم العلوم القانونية بكلية الدراسات العليا سابقا- الجامعة العربية الأمريكية- فلسطين

أ. فاتح حمارشة

قاض سابق ومدرس غير متفرغ بكلية الحقوق والإدارة العامة- جامعة بيرزيت- فلسطين

القبول: 5.10.2024

الاستلام: 21.9.2024

المستخلص:

تناول البحث أبرز اشكاليات شركة الشخص الواحد التي استحدثها القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021، حيث تضمن البحث ماهية شركة الشخص الواحد والأسس التي تقوم عليها وتشكيلها، ووفاء الشريك فيها وأثر ذلك على استمرار الشركة وعلى تركة صاحبها وحقوق الدائنين.

ناقش البحث مفهوم شركة الشخص الواحد والأسس التي تقوم عليها وطريقة تشكيلها بشكل مباشر وغير مباشر ومن حيث تشكيلها من شخص طبيعي أو معنوي ومن حيث تشكيل أكثر من شركة شخص واحد لذات الشخص، إضافة إلى علاقة تركة صاحب الشركة بأموال الشركة حال وفاته، وأثره على دائني الشركة ودائني صاحب الشركة.

اشتمل البحث على تحليل للأساس الذي تقوم عليه شركة الشخص الواحد من حيث تجزئة الذمة المالية ووحدتها، ومدى اخضاع تركة صاحب الشركة للقواعد العامة الناظمة للشركة والشركات والأسس التي تقوم عليها وذلك لبيان المركز القانوني للشركة ولورثة صاحبها ولدائني الشركة ودائني صاحبها.

كلمات مفتاحية: شركة الشخص الواحد، تجزئة الذمة المالية، التركة، عقد تأسيس الشركة، وفاة الشريك.

Abstract:

This research is tackling the most important problems and the legal consequences associated with the “one-person company” introduced by the Palestinian Decree Law No. 42 of 2021. In this regard, the research included the nature of the one-person company, the foundations on which it is based and its formation, the decease of the partner in it, its impact on the continuation of the

company, the legacy of its owner, and the rights of creditors.

The research discussed the concept of a one-person company, the foundations on which it is based, the method of its formation, the terms of its formation from a natural or legal person, and in terms of forming more than one-person company for the same person. In addition, the research deals with the relationship of the company's owner's legacy with the company's funds in the event of his decease, the impact of this situation on the company's creditors, and the credits of the owner of the company.

The research included an analysis of the basis on which the one-person company is based in terms of the division of the financial liability and its unity, and the extent to which the company's owner's legacy is subject to the general rules governing the inheritance and the foundations on which it is based, in order to clarify the legal status of the company, the heirs of its owner, the creditors of the company, and the creditors of its owner.

Keywords: one-person company, division of financial liability, inheritance, contract of incorporation of the company, death of the partner.

مقدمة:

بقي قانون الشركات رقم 12 لسنة 1964 المنشور في الجريدة الرسمية الأردنية في العدد 1757 بتاريخ 1974/5/1 مطبقاً بالضفة الغربية من فلسطين حتى سريان القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن الشركات الذي نُشر في الوقائع الفلسطينية (الجريدة الرسمية) في العدد الممتاز رقم 25 بتاريخ 2021/12/30، وقد نصت المادة 346 من القرار بقانون المذكور على أن يعمل به بعد ثلاثة أشهر من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن الشركات وخلافاً لسابقه المذكور استحدث نظام شركة الشخص الواحد التي تعتبر في حقيقتها خروجاً عن الأصل في الشركات الذي يفترض تعدد الشركاء، وهو ما يعني أن القرار بقانون المذكور جاء بتنظيم جديد للشركات لم يسبق العمل به في الضفة الغربية من فلسطين، ويعتبر تنظيمًا غريباً عن النظام القانوني الفلسطيني الذي يأخذ، كأصل عام، بوحدة الذمة المالية. وقد أجاز القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن الشركات شركة الشخص الواحد إذا كانت شركة مساهمة خصوصية أو شركة ذات مسؤولية محدودة دون سواهما من الشركات الأخرى التي جاء فيها القرار بقانون المذكور، وذلك لأن هاتين الشركتين شركتان تكون مسؤولية الشريك فيهما محصورة بمقدار مساهمته في الشركة، ولا تتعداها لأموال الشريك الخاصة، فلا يكون الشريك فيهما ضامناً لديون الشركة، وذلك تماشياً مع فكرة تجزئة الذمة المالية. لم ينظم القرار بقانون السابق ذكره شركة الشخص الواحد بالتفصيل ولم يعطها حقها من التنظيم الأمر الذي ولد عدداً لا بأس به من الإشكاليات التي تحاول هذه الدراسة الإجابة عليها، وقد ظهرت أبرز هذه الإشكاليات في تعريف شركة الشخص الواحد ومدى انسجامه مع النصوص التي نظمها، وعقد تأسيس شركة الشخص الواحد ومدى انسجام اشتراطه مع فكرة تلاقي الإرادتين في العقود، والتشكيل المباشر والتشكيل غير

المباشر لشركة الشخص الواحد، والتشكيل من الشخص الطبيعي والشخص المعنوي لشركة الشخص الواحد وأثر ذلك على ضمان حقوق الدائنين في حال كان تشكيل الشركة من شركات الأشخاص، وتشكيل الشخص الواحد لأكثر من شركة شخص واحد وأثر ذلك على حقوق الدائنين، وكذلك الإشكالية الأبرز المتمثلة بوفاة الشريك في شركة الشخص الواحد واختلاط أموال الشركة وموجوداتها بالتركة بعد وفاة الشريك وأثر ذلك على فكرة تجزئة الذمة المالية. تكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على أبرز إشكاليات شركة الشخص وفقاً للقرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن الشركات، من خلال إظهار هذه الإشكاليات ومناقشة آثارها، لا سيما فيما يتعلق بأثر هذه الإشكاليات على فكرة تجزئة الذمة المالية، وكذلك أثر هذه الإشكاليات على حقوق دائني شركة الشخص الواحد أو دائني صاحبها.

تهدف هذه الدراسة إلى وضع الحلول القانونية لأبرز إشكاليات شركة الشخص الواحد من خلال إخضاع هذه الإشكاليات للقواعد العامة للشركات، وكذلك لفكرة تجزئة الذمة المالية التي هي الأساس الذي تقوم عليه شركة الشخص الواحد.

ستناقش هذه الدراسة أبرز إشكاليات شركة الشخص الواحد الواردة في القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن الشركات المطبق في فلسطين.

ستعتمد الدراسة على المنهج التحليلي، من خلال قراءة النصوص القانونية المتعلقة بشركة الشخص الواحد الواردة في القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 ومناقشتها وتحليلها وتوضيح آثارها القانونية سواء فيما يتعلق بتعريف شركة الشخص الواحد أو الأسس والمبادئ القانونية التي تقوم عليها.

وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى مبحثين: تضمن المبحث الأول ماهية شركة الشخص الواحد وتضمن المبحث الثاني وفاة الشريك في شركة الشخص الواحد.

المبحث الأول: ماهية شركة الشخص الواحد:

تعتبر شركة الشخص الواحد خروجاً عن الأصل في الشركات الذي يفترض فيها تعدد الشركاء⁽¹⁾ وما يترتب عليه من آثار، كعقد تأسيس الشركة ونية المشاركة وغيرها من الأسس التي تقوم عليها نظرية الشركة⁽²⁾، لذلك سيتم في هذا المبحث تناول مفهوم شركة الشخص الواحد، وأساسها وشكلها القانوني، وذلك وفقاً لما يلي:

المطلب الأول: مفهوم شركة الشخص الواحد:

يعالج هذا المطلب تعريف المشرع الفلسطيني لشركة الشخص الواحد في القرار بقانون الجديد بشأن الشركات، ومدى انسجام هذا التعريف مع موقف الفقه القانوني لمفهوم شركة الشخص الواحد، وذلك في فرعين على التوالي.

الفرع الأول: تعريف المشرع الشركة الشخص الواحد:

لم يعرف القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن الشركات الشركة من الناحية الموضوعية

(1) راجع: سامي عبد الباقي أبو صالح: قانون الأعمال، دار النهضة العربي، دون سنة نشر، ف14، ص29.
(2) خليل فيكتور تادرس: الشركات التجارية، دار النهضة العربية، دون سنة نشر، ف13، ص23؛ عزيز العكيلي: الوسيط في الشركات التجارية، ط4، دار الثقافة، 2016، ص35 وما بعدها؛ فوزي محمد سامي: الشركات التجارية. الأحكام العامة والخاصة، ط8، دار الثقافة، 2016، ص29 وما بعدها.

بل اكتفى بإيراد تعريف شكي لم يتضمن العناصر أو الخصائص الموضوعية للشركة، حيث عرف الشركة بأنها « كل شركة مسجلة بموجب هذا القانون أو القوانين السابقة وتشمل مكاتب التمثيل وفروع الشركات الأجنبية»⁽³⁾.

أما بخصوص شركة الشخص الواحد فلم يتضمن القرار بقانون المذكور تعريفاً خاصاً بها، وإنما أشار إليها في المادة 64 / 1 من القرار بقانون المذكور الباحثة في تعريف الشركة ذات المسؤولية المحدودة التي عرفت هذه الشركة بقولها: « الشركة ذات المسؤولية المحدودة هي شركة ربحية تتألف من شخص واحد أو أكثر، وتعتبر الشخصية الاعتبارية للشركة مستقلة عن أعضائها، ويجوز لأعضاء الشركة أن يكونوا أشخاصاً طبيعيين أو اعتباريين يملكون حصصاً عضوية تمثل نسبة مشاركتهم في أرباح وخسائر الشركة، ويتم تحديد حصص العضوية بموجب اتفاقية الإدارة، ويجوز للعضو أن يملك حصصاً دون تقديم مقابل» وكذلك تم الإشارة إليها في المادة 84 / 1 من القرار بقانون المذكور الباحثة في ماهية الشركة المساهمة الخصوصية حيث نصت على أنه « تؤسس الشركة المساهمة الخصوصية المحدودة من مساهم واحد أو أكثر بهدف الربح، برأسمال مكون من أسهم، ولا يجوز طرح أسهمها للاكتتاب العام» في حين يعرفها جانب من الفقه على أنها⁽⁴⁾ « إحدى نوعيات الشركة ذات المسؤولية المحدودة، التي تؤسس بعمل إرادي من قبل شخص واحد طبيعي أو معنوي يسمى الشريك الوحيد، ويخصص هذا الشريك جزءاً من أمواله، أو عند الاقتضاء عمله وخبرته، بغية الاستفادة مما ينتج من أرباح، ولا يتحمل من خسائر إلا في حدود قيمة ما قدمه له من حصص نقدية أو عينية» وعرفها جانب ثالث على أنها «شركة ذات شكل جديد من الكيانات التجارية، لها شخصية معنوية مستقلة يمكن أن تنشأ ابتداءً من مالك واحد سواء أكان ذلك الشخص طبيعياً أو معنوياً من أجل ممارسة مشروع اقتصادي بهدف تحقيق الربح، ويكون لها ذمة مالية مستقلة عن ذمة الشريك المؤسس، ويمكن أن تنشأ من بقاء شريك واحد في الشركة حسب الحالات التي تنص عليها قوانين الشركات»⁽⁵⁾.

ويعرفها البعض⁽⁶⁾ أيضاً أنها « نوع من أنواع الشركات التجارية، وتعد استثناءً عن الأصل الموجب لتعدد الشركاء، والتي يمكن أن تؤسس ابتداءً من شخص أو أن تؤوّل ملكيتها إليه سواء أكان شخصاً طبيعياً أو اعتبارياً، كما وتمتع بشخصية معنوية وذمة مالية مستقلة عن ذمة صاحبها أو مالكيها، بحيث تكون مسؤوليته محددة بقدر رأسمال الشركة المبين في نظامها التأسيسي».

الفرع الثاني: مدى انسجام تعريف الفقه لشركة الشخص الواحد مع نصوص قانون الشركات الفلسطينية؛

وبالنظر إلى القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن الشركات فيبدو أن التعريفات السابقة

(3) المادة 1 من القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن الشركات المنشور في العدد ممتاز رقم 25 من الوقائع الفلسطينية (الجريدة الرسمية الفلسطينية)، تاريخ 2021/12/30، ص 2؛ في حين يعرفها الفقه على أنها "عقد يبرم بين شخصين أو أكثر بهدف استثمار أموالهم التي قد تأخذ صور حصص أو أسهم في مشروع معين مع انعقاد نيتهم على اقتسام ما قد ينتج عن هذا الاستثمار من أرباح أو خسائر" راجع: سامي أبو صالح، مرجع سابق، ص 4، ص 17؛ أو أنها "عقد يتفق فيه شخصان أو أكثر على إحداث أثر قانوني معين، سواء كان هذا الأثر هو إنشاء التزام أو نقله أو تعديله أو إنهاءه" خليل تادرس، مرجع سابق، ص 13.

(4) محمد بهجت قايد، شركة الشخص الواحد محدود المسؤولية: دراسة مقارنة، بدون دار نشر، الطبعة الأولى، 1990، ص 20

(5) يوسف الزهراني، شركة الشخص الواحد في نظام الشركات السعودي 2015، 1439هـ، ص 9

(6) عبد الرحمن عبد ملح، شركة الشخص الواحد في النظام القانوني الفلسطيني: دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، الجامعة العربية الأمريكية، جنين، 2021، ص 10

الواردة في الفرع الأول، لا يمكن أن يتم الارتكاز اليها لتعريف شركة الشخص الواحد تعريفاً جامعاً، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: أشار التعريف الأول إلى أن شركة الشخص الواحد يتم تأسيسها على هذه الصورة أي بشخص واحد فقط، في حين أن مواد القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 (المادة 64 وما بعدها)⁽⁷⁾ تضمنت ما يفيد امكانية تأسيس الشركة من أكثر من شريك ثم تحويلها إلى شركة يملكها شخص واحد. فمثلاً نصت المادة 3/80 من القرار بقانون المذكور الباحثة في إخراج أحد الأعضاء من الشركة على أنه «يجوز للعضو في الشركة المكونة من شخصين أن يطلب من المحكمة المختصة إخراج العضو الآخر بموجب أحكام الفقرات (1)⁽⁸⁾ و(2) من هذه المادة»⁽⁹⁾ وهو ما ينبئ بأن شركة الشخص الواحد قد تؤسس ابتداءً من مالك واحد أو قد تؤول إليه ملكيتها بعد أن كان يملكها أكثر من شريك.

ثانياً: أجازت المادة 29 من القرار بقانون المذكور⁽¹⁰⁾ أن تكون شركة الشخص الواحد شركة مهنية تتخذ شكل الشركة ذات المسؤولية المحدودة، ويجب في هذه الحالة أن يكون الشريك في هذه الشركة شخصاً طبيعياً فقط.

ثالثاً: التعريف الثاني ورد فيه أن الذمة المالية لشركة الشخص الواحد مستقلة عن ذمة الشريك المؤسس، في حين أن الصحيح هو أن الذمة المالية لشركة الشخص الواحد مستقلة عن ذمة الشريك المالك لها سواء أكان مؤسساً أو آلت إليه الشركة وفقاً للقانون. فالذمة المالية لشركة الشخص الواحد تبقى مستقلة عن ذمة الشريك فيها⁽¹¹⁾، لأن القاعدة في شركات الشخص الواحد هي المسؤولية المحدودة لصاحبها في حدود رأسمالها المعلن والمشهر بالطرق القانونية دون المسؤولية الشخصية غير المحددة لهذا الشريك.⁽¹²⁾ ويظهر من التعريفات السابقة أنها لم تراعى بعض المسائل والعناصر الواردة في القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن شركة الشخص الواحد، وهذه العناصر هي:

1. أن شركة الشخص الواحد يمكن أن تؤسس من قبل شخص واحد ابتداءً، أو أن تؤول ملكية

(7) فمثلاً تنص المادة 1/64 على أن "الشركة ذات المسؤولية المحدودة هي شركة ربحية تتألف من شخص واحد أو أكثر...؛ كذلك تنص المادة 1/84 على أن "تؤسس الشركة المساهمة الخصوصية من مساهم واحد أو أكثر بهدف الربح...؛ بينما تنص المادة 1/123 على أن "تؤسس الشركة المساهمة العامة من عدد من المساهمين لا يقل عن اثنين بهدف تحقيق الربح...".

(8) والتي تنص على "يجوز إخراج أحد الأعضاء من الشركة بإجماع كافة الأعضاء الآخرين بموجب قرار من المحكمة المختصة".

(9) تنص الفقرة 2 من المادة 80 "على الشركاء أن يثبتوا للمحكمة المختصة وجود سبب جدي لإخراج العضو...".

(10) نصت المادة 29 من القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 على أنه "يجوز تسجيل الشركات المنصوص عليها أدناه وتخضع للأحكام الخاصة بها وهي على النحو الآتي: 1. الشركات المهنية: أ. الشركة المهنية شركة مدنية ذات شخصية اعتبارية مستقلة، يؤسسها شخص طبيعي أو أكثر من ذوي الاختصاص المهني المتكامل أو المماثل والمرخص لهم بممارسة مهنة حرة واحدة أو أكثر وفقاً للالتصاريح السارية، ويكون غايتها ممارسة تلك المهنة. ب. تتخذ الشركة المهنية أحد أشكال الشركات الآتية: 1. الشركة العادية العامة. 2. الشركة ذات المسؤولية المحدودة..... ن. باستثناء الشركة المهنية المملوكة لشخص واحد والشركة المهنية المسجلة كشركة عادية، يُسأل كل عضو في الشركة المهنية بصفة شخصية عن أخطائه المهنية تجاه الشركة وباقي الأعضاء، حسب واقع الحال. كما تسأل الشركة المهنية عن تعويض الضرر الذي يصيب الغير بسبب الأخطاء المهنية من قبل شركائها أو أعضائها والعاملين فيها حسب واقع الحال".

(11) وهو ما يؤكدته الفقه القانوني، راجع: سامي عبد الباقي أبو صالح، مرجع سابق، ف64، ص97 وما بعدها؛ فوزي سامي: الشركات التجارية، الأحكام العامة والخاصة، ط8، دار الثقافة، 2016، ص203؛ هشام مصطفى محمد إبراهيم: النظام القانوني لشركة الشخص الواحد في ضوء الفقه العربي والمقارن، دار المطبوعات الجامعية، 2017، ص39، 106.

(12) سميحة القلوبوي، شركة الشخص الواحد، النشرة الدورية لجمعية الضرائب المصرية، جمعية الضرائب المصرية، مجلد 7، عدد 27، 1997، الصفحات (89-103)، ص 98

- الشركة لشخص واحد بعد أن تكون قد أسست من أكثر من شريك.⁽¹³⁾
2. من الممكن أن تكون شركة الشخص الواحد شركة مدنية.
3. عدم جواز تأليف شركة شخص واحد مدنية من شخص اعتباري.
4. استقلال الذمة المالية لشركة الشخص الواحد عن الذمة المالية لمالكها سواء أكان مؤسسها لها أو آلت اليه.

ومما سبق يمكن تعريف شركة الشخص الواحد على أنها « شركة محدودة المسؤولية تتمتع بالشخصية المعنوية، والتي قد تكون تجارية أو مدنية، وتؤلف من شخص طبيعي أو اعتباري إن كانت تجارية، ومن شخص طبيعي إن كانت مدنية، وتؤسس من شخص واحد ابتداءً أو تتحول من شركة متعددة الشركاء إلى شركة مكونة من شخص واحد، وتكون الذمة المالية للشريك الواحد فيها وبجميع الأحوال مستقلة عن الذمة المالية للشركة، بحيث لا يتحمل من خسائر الشركة إلا بحدود حصته فيها.»

المطلب الثاني: الأسس التي تقوم عليها شركة الشخص الواحد وشكلها القانوني:

يتناول هذا المطلب الأساس القانوني لشركة الشخص الواحد بالنظر إلى مبدأ وحدة الذمة المالية واتفاقية الشراكة وتعدد الشركاء في الفرع الأول، بينما يتناول الشكل القانوني لشركة الشخص الواحد في الفرع الثاني، وذلك وفقاً لما يلي:

الفرع الأول: الأساس القانوني لشركة الشخص الواحد:

سيتم معالجة الأساس القانوني لشركة الشخص الواحد في ثلاثة بنود وذلك على النحو التالي

البند الأول: وحدة الذمة المالية:

الأصل وحدة الذمة المالية، إذ تكون الذمة المالية للشخص ضامنة للوفاء بجميع ديونه⁽¹⁴⁾، وتقوم النظرية التقليدية للذمة المالية على أساس الارتباط بين الذمة المالية والشخصية القانونية⁽¹⁵⁾، فالشخصية تقوم على الصلاحية لاكتساب الحقوق وتحمل الالتزامات، والذمة المالية هي الصلاحية لثبوت الحقوق والواجبات، وتقوم النظرية التقليدية على أساس اندماج الذمة المالية في شخصية صاحبها، واندماج عناصرها في مجموعة من المال، وبالتالي فإنه يُنظر إلى الذمة المالية- وفقاً لهذه النظرية- على أنها كتلة واحدة لا تتجزأ، وتكون مرتبطة بالشخصية ولا تقبل الانتقال من شخص لآخر.⁽¹⁶⁾ أما النظرية الحديثة للذمة المالية فتصور

(13) انظر: عبد الله الخشروم، شركة الشخص الواحد في قانون الشركات الأردني لسنة 1997 والقوانين المعدلة له لسنة 2002: دراسة مقارنة، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت- عمادة البحث العلمي، مجلد 11، عدد 3، 2005، الصفحات (290-253)، ص 262

(14) راجع: عبد الرزاق السنهوري: الوسيط في شرح القانون المدني، الجزء الثامن: حق الملكية، منشأة المعارف، 2004، ف 130؛ عبد القادر الفار: أحكام الالتزام- آثار الحق في القانون المدني، ط 15، دار الثقافة، 2014، ص 92؛ أيمن سعد: أحكام الالتزام- دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، 2011، ص 183؛ عبد الرشيد مأمون: الوجيز في النظرية العامة للالتزامات- الكتاب الثاني: أحكام الالتزام، دار النهضة العربية، دون سنة نشر، ص 106؛ أمين دواس: أحكام الالتزام، ط 1، دار الشروق، 2005، ص 81.

(15) راجع: عبد القادر الفار، المدخل لدراسة العلوم القانونية، ط 15، دار الثقافة، 2015، ص 182؛ أحمد شوقي عبد الرحمن: النظرية العامة للحق، منشأة المعارف، 2005، ص 168؛ أيمن سعد سليم: نظرية الحق، دون ناشر، 2003، ص 133؛ عبد الرزاق السنهوري، مرجع سابق، ف 133.

(16) حسام البطوش، شركة الشخص الواحد في التشريع الأردني: أساسها وصورها، مؤتمراً للبحوث والدراسات- سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مؤتة، مجلد 21، عدد 2، 2006، الصفحات (47-67)، ص 51

الذمة المالية تصويراً مادياً وليس شخصياً، وتكرر ارتباط الذمة بشخص، فهي لا تنظر للذمة المالية كالنظرية التقليدية بأنها ما للشخص من حقوق وما عليه من التزامات، بل هي -وفقاً لهذه النظرية الحديثة- مجموعة الحقوق والالتزامات التي ترتبط فيما بينها لتحقيق غرض واحد خصصت من أجله دون أن تستند إلى شخص معين⁽¹⁷⁾، ووفقاً لهذه النظرية فإن الشخصية لا تثبت إلا للشخص الطبيعي ولا يوجد شخصية معنوية، لأن الهدف من الشخصية المعنوية هو الاعتراف لمجموعة من الأشخاص أو الأموال بذمة خاصة مستقلة عن ذمة كل عضو فيها، ويمكن الاستغناء عن الشخص المعنوي بفكرة ذمة التخصيص، وما يبنى على ذلك هو أن الذمة المالية توجد دون وجود شخص تستند إليه⁽¹⁸⁾، إضافة إلى أنه يمكن التصرف بالذمة المالية والتنازل عنها، كما أنه يمكن تعدد الذمة المالية وتجزئتها.⁽¹⁹⁾ ويرى جانب من الفقه⁽²⁰⁾ أن مبدأ وحدة الذمة المالية يفقد حدته حتى في الأنظمة التي تأخذ به كالنظام الفرنسي والنظام المصري وغيرهما وذلك من خلال وجود بعض التطبيقات التي تعتبر خروجاً عن هذا المبدأ، كالشركات الوهمية التي يكون فيها لشخص قدر كبير من رأسمال الشركة مع وجود شريك يملك جزءاً ضئيلاً من رأسمالها، وكالقاصر المأذون بالتجارة⁽²¹⁾ الذي يخصص له جزء من المال للتجارة به ويكون التزامه بحدود المال المسلم له فقط. وعلى الرغم من أن النظام القانوني الفلسطيني يقوم على وحدة الذمة المالية، إلا أن القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن الشركات أخذ بالمسؤولية المحدودة، من خلال تخصيص جزء من الذمة المالية للشخص، يكون مسؤولاً بحدودها في ممارسة نشاطه التجاري، وذلك عندما أخذ القرار بقانون النافذ في المادتين⁽²²⁾ 64 و 84⁽²³⁾ منه بشركة الشخص الواحد.

وإن أخذ بتخصيص الذمة من خلال شركة الشخص الواحد بموجب القرار بقانون المذكور، يعني أن هذا القرار بقانون قد حذا حذو المشرع الفرنسي والمشرع الأردني اللذين أخذوا بوحدة الذمة المالية كأصل عام وخرجا عنه في بعض التطبيقات ومنها شركة الشخص الواحد.⁽²⁴⁾

البند الثاني: العقد وتعدد الشركاء:

الأصل بالشركات هو تعدد الشركاء، لأن الشركة عبارة عن عقد واتفاق لا يتأتى إلا بوجود شخصين على الأقل، لأن الشركة تعني المشاركة⁽²⁵⁾، إضافة إلى أن عقد الشركة يفترض توفر نسبة المشاركة لدى الشركاء من خلال توفر الإرادة الواعية لبلوغ الهدف المتوخى من انشاء الشركة،

(17) مصطفى الجمال، حمدي عبد الرحمن: المدخل لدراسة القانون، الجزء الثاني: نظرية الحق، دون ناشر، 1984، ص 251.

(18) راجع: عبد الرزاق السنهوري، مرجع سابق، ف149؛ فوزي سامي، مرجع سابق، ص203.

(19) المرجع السابق، ص 52

(20) سميحة القيلوبي، مرجع سابق، ص 91

(21) راجع: مصطفى الجمال، حمدي عبد الرحمن، مرجع سابق، ص254؛ فوزي سامي، مرجع سابق، ص202؛ هشام إبراهيم، مرجع سابق، ص191، 118، 237.

(22) حيث تنص المادة 2/64 على أنه "تحدد مسؤولية الاعضاء بمقدار حصصهم غير المسددة إن وجدت إضافة إلى حصصهم في أي أصول صافية للشركة..."

(23) . تعتبر الذمة المالية للشركة المساهمة خصوصية مستقلة عن الذمة المالية لكل مساهم فيها باستثناء الأعمال الواردة في المادة (2/19) من هذا القانون، وتكون الشركة بأموالها وموجوداتها هي وحدها المسؤولة عن الديون والالتزامات المترتبة عليها، ولا يكون المساهم مسؤولاً تجاه الشركة أو الغير عن تلك الديون والالتزامات إلا بمقدار مساهمته غير المسددة في رأس مال الشركة".

(24) حسام البطوش، مرجع سابق، ص 54؛ خليل فيكتور تادرس، مرجع سابق، ص26.

(25) سامي عبد الباقي أبو صالح، مرجع سابق، ف13، ص26؛ خليل فيكتور تادرس، مرجع سابق، ف13؛ فوزي سامي، مرجع سابق، ص201.

إلا أنه من الطبيعي عدم توافر شرط العقد وتعدد الشركاء في شركة الشخص الواحد، فإرادة إنشاء هذه الشركة هي إرادة واحدة فقط ولا توجد إرادة ثانية تستطيع الاتفاق معها. (26) الأصل أن اشتراط وجود شخصين في عقد الشركة أمراً بديها، لكن التشريعات التي تعرف عقد الشركة في نصوصها إنما تقصد من هذا التعريف تأكيد عدم أخذها بنظام شركة الشخص الواحد أو ما يطلق عليه المشروع الفردي محدود المسؤولية. (27)

وبالنظر إلى طبيعة شركة الشخص الواحد باعتبارها مكونة من شخص واحد فقط، فإن جميع أركان عقد الشركة تنعدم فيها، (28) لذلك تراجعت فكرة تكييف الشركة على أنها عقد بسبب الاعتبارات الاقتصادية وظهرت فكرة اعتبار الشركة نظام قانوني (29) يتضمن مجموعة قواعد قانونية، تهدف إلى غرض مشترك، ويقتصر دور الأطراف فيها على الإفصاح عن رغبتهم بالانضمام إليه. (30)

وباسقاط ما سبق على القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 نجد أنه لم يتضمن تعريفاً موضوعياً للشركة - كما تم ذكره سابقاً - إذ لم يتضمن القرار بقانون تعريفاً للشركة على أنها عقد أو أنها تضم أكثر من شريك، أو أي تعريف يبين أركان عقد الشركة، وهذا ينسحب أيضاً على تعريفه للشركة ذات المسؤولية المحدودة والشركة المساهمة الخصوصية (31) اللتين أجازتا تكوين أي منهما من شخص واحد، وهو بذلك ينسجم مع فكرة الأخذ بشركة الشخص الواحد. لكن القرار بقانون وإن كان قد أعزى شركة الشخص الواحد من اتفاقية الإدارة بموجب المادة 67/3 (32) منه، إلا أنه اشترط ارفاق عقد تأسيس الشركة عند تسجيل الشركة ذات المسؤولية المحدودة دون أن يستثني شركة الشخص الواحد من هذا الشرط، رغم اتحاد العلة في المسألتين التي هي عدم امكانية تالقي إرادتين في شركة الشخص الواحد لعقد اتفاق الإدارة أو لعقد اتفاقية التأسيس. وطالما أن شركة الشخص الواحد تستند إلى إرادة منفردة (33) وليس إلى اتفاق ووفقاً لنظام قانوني ينظمها، لذلك فإن الأجدر تمييز شركة الشخص الواحد عن غيرها من الشركات فيما يتعلق بشرط ارفاق عقد التأسيس عند تسجيل هذه الشركة، كأن يكون الشرط ارفاق وثيقة التأسيس أو مستند التأسيس بدلاً من عقد التأسيس، وبأن تتضمن هذه الوثيقة أو هذا المستند بيانات محددة تتعلق بأهداف الشركة وإدارتها ووفاء مالكيها وغيرها من المسائل التي تتضمنها كل من اتفاقية الإدارة وعقد التأسيس في الشركات الأخرى.

(26) زينة الصقار وآخر، أثر تخصيص الذمة المالية على شركة الشخص الواحد، مجلة الراصد للحقوق، جامعة الموصل- كلية الحقوق، العدد 48، 2011، الصفحات (190-223)، ص 201؛ هشام إبراهيم، مرجع سابق، ص 31.

(27) سمحة القليوبي، مرجع سابق، ص 90

(28) زينة الصقار وآخر، مرجع سابق، ص 203؛ للتعرف على أركان عقد الشركة انظر: عزيز العكيلي، الوسيط في الشركات التجارية- دراسة مقهية قضائية مقارنة في الأحكام العامة والخاصة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص 31

(29) فلاح ذياب سلامة عيال سلمان: الشخصية المعنوية لشركة الشخص الواحد في ظل غياب النظرية العقدية ووحدة الذمة المالية، مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث، ع 2، مجلد 5، 2019، "232-248" ص 236.

(30) انظر: زينة الصقار وآخر، مرجع سابق، ص 204

(31) عرفت المادة 64/1 من القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 الشركة ذات المسؤولية المحدودة بقولها: (الشركة ذات المسؤولية المحدودة هي شركة ربحية تتألف من شخص واحد أو أكثر، وتعتبر الشخصية الاعتبارية للشركة مستقلة عن أعضائها، ويجوز لأعضاء الشركة أن يكونوا أشخاصاً طبيعيين أو اعتباريين) في حين نصت المادة 1/84 من ذات القرار بقانون الباحثة في الشركة المساهمة الخصوصية على أن (تؤسس الشركة المساهمة الخصوصية المحدودة من مساهم واحد أو أكثر بهدف الربح، برأسمال مكون من أسهم، ولا يجوز طرح أسهمها للاكتتاب العام).

(32) والتي تنص على أنه "اتخاذ قرارات الإدارة المعتمدة لأعمال الشركة وإطار اتخاذ القرارات غير المعتمدة لأعمال الشركة".

(33) راجع: فلاح سلمان، مرجع سابق، ص 237؛ هشام إبراهيم، مرجع سابق، ص 31.

الفرع الثاني: الشكل القانوني لشركة الشخص الواحد:

يظهر مما سبق أن القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 أجاز أن تتخذ شركة الشخص الواحد شكل الشركة ذات المسؤولية المحدودة أو الشركة المساهمة الخصوصية.

تُصنف الشركة المساهمة الخصوصية على أنها من شركات الأموال، وبعيدا عن تصنيف الشركة ذات المسؤولية المحدودة من حيث أن البعض⁽³⁴⁾ يصنفها على أنها من الشركات المختلطة التي تجتمع فيها بعض صفات شركات الأشخاص وبعض صفات شركات الأموال⁽³⁵⁾، إلا أن ما يجمع بين الشكليين هو أن الشريك في كلا النوعين يكون مسؤولاً عن ديون الشركة بحدود مساهمته فقط، ولا يعتبر مسؤولاً عن ديون الشركة أو متضامناً معها كأصل عام⁽³⁶⁾. وينسجم هذا المنحى الذي نحاه القرار بقانون مع الفكرة التي تقوم عليها شركة الشخص الواحد، فهذه الفكرة تتلخص بقيام الشخص باقتطاع جزء من ذمته المالية وتأسيس شركة كتكتسب الشخصية المعنوية للقيام بمشروع تكون مسؤوليته فيه محدودة بقدر المبلغ المالي المخصص لهذا المشروع دون أن يمتد إلى باقي عناصر ذمته المالية⁽³⁷⁾ وبالإضافة إلى ما سبق سيتم مناقشة التشكيل المباشر والتشكيل غير المباشر لشركة الشخص الواحد، ومسألة التشكيل من الشخص الطبيعي والشخص المعنوي، إضافة إلى تعدد شركات الشخص الواحد المملوكة لذات الشخص، وذلك من خلال البنود التالية:

البند الأول: التشكيل المباشر والتشكيل غير المباشر لشركة الشخص الواحد:

اختلفت الأنظمة التي تأخذ بشركة الشخص الواحد في الشكل القانوني الذي تتبنى فيه هذا النوع من الشركات، فالنظام الفرنسي يجيز تشكيلها بطريقة مباشرة⁽³⁸⁾، بحيث يجوز تأسيسها ابتداءً من شخص واحد، ويجيز أيضاً تشكيلها بشكل غير مباشر⁽³⁹⁾ في حالة تجمع كل الأسهم بيد شخص واحد، أما النظام الانجليزي فكان يجيز التشكيل غير المباشر لشركة الشخص الواحد عندما تتجمع الأسهم بيد شخص واحد⁽⁴⁰⁾ ثم تبني التأسيس المباشر لشركة

(34) انظر: عزيز العكيلي، مرجع سابق، ص

(35) لمزيد من المعلومات: مصطفى كمال طه، مرجع سابق، ف399، ص418؛ اندلس حامد عبد: الإشكاليات القانونية في شركة الشخص الواحد محدودة المسؤولية، مجلة العلوم القانونية، كلية القانون، جامعة بغداد، عدد خاص لبحوث مؤتمر فرع القانون الخاص 6-7/11/2019م، "335-369" ص344.

(36) سامي أبو صالح، مرجع سابق، ص101.

(37) سامية النهدي، إشكاليات التنظيم القانوني للضمانات العامة لدائني شركة الشخص الواحد ذات المسؤولية المحدودة في قانون الشركات التجارية الاتحادي رقم 2 لسنة 2015، رسالة ماجستير، جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية القانون - قسم القانون الخاص، 2018، ص1؛ خليل فيكتور تادرس، كرجع سابق، ف14، ص25؛ فوزي سامي، مرجع سابق، ص204؛ هشام ابراهيم، مرجع سابق، ص192..

(38) وذلك بأن يقتطع الشخص جزءاً من ماله بإرادته المنفردة لتخصيصها لمشروع معين بحيث تتحد مسؤوليته بقدر رأس المال المخصص لهذا المشروع دون أن تتعده إلى باقي ذمته المالية، راجع: عايض راشد المري: ضمانات الدائنين في شركة الشخص الواحد، دراسة في القانون الكويتي، مجلة روح القوانين، كلية الحقوق، ع89، يناير 2020، "308-351" ص321؛ محمد مؤنس عوض، النظام القانوني في شركة الشخص الواحد كمستجد قانوني في الاقتصاد السعودي، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، مجلد 47، عدد3، 2020، "43-73"، ص54؛ باسم عواد العموش: النظام القانوني لشركة الشخص الواحد وفقاً لنظام الشركات السعودي 1437هـ/2015م، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية، عدد 27، مجلد 3، 2019، "290-311"، ص302.

(39) وهي اجتماع حصص الشركة جميعها في يد شخص واحد لأي سبب من الأسباب كالوفاء والبيع والتنازل بشرط أن يكون القانون هذا التحول. راجع: عايض المري، مرجع سابق، ص326؛ أو هي "استمرار الشركة المكونة أصلاً على أساس العقد بين شريكين أو أكثر بالرغم من اجتماع الحصص أو الأسهم في يد واحدة" محمد مؤنس عوض، مرجع سابق، ص55؛ اندلس حامد عبد، مرجع سابق، ص354؛ باسم العموش، مرجع سابق، ص303.

(40) انظر سميحة القلوبوي، مرجع سابق، ص 96

الشخص الواحد.⁽⁴¹⁾ وقد أخذ المشرع الأردني بطريقتي التشكيل المباشر وغير المباشر بموجب قانون الشركات رقم 40 لسنة 2002 حيث أجازت المادة 43 من هذا القانون لمراقب الشركات تسجيل الشركة ذات المسؤولية المحدودة التي تتألف من شخص واحد أو تصبح مملوكة لشخص واحد.⁽⁴²⁾ وبالنظر إلى القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن الشركات ورغم عدم صراحة نصوصه بشأن التشكيل المباشر وغير المباشر إلا أنه يظهر أن هذا القرار بقانون أجاز تشكيل شركة الشخص الواحد بشكل مباشر ابتداءً أو بشكل غير مباشر عندما تصبح الشركة مملوكة لشخص واحد. فيظهر من نص المادتين 64 و 84⁽⁴³⁾ من القرار بقانون المذكور سابقاً في تعريف الشركة ذات المسؤولية المحدودة والشركة المساهمة الخصوصية على التوالي، أنه يجوز تأسيس شركة الشخص الواحد مباشرة من شخص واحد. أما التأسيس غير المباشر فيظهر مثلاً من نص المادة 3/80⁽⁴⁴⁾ من القرار بقانون المذكور الباحثة في إخراج أحد الأعضاء من شركة الشخص الواحد حيث أجازت للعضو في الشركة المكونة من شخصين أن يطلب من المحكمة المختصة إخراج العضو الآخر، وهو ما يدل على جواز أن تصبح الشركة مملوكة لشخص واحد.

ومن صور التشكيل غير المباشر التي جاء بها القرار بقانون، تحول الشركة من شركة عادية عامة إلى شركة شخص واحد بعد أن يتقلص عدد شركاء الشركة العادية العامة ليبقى فيها شريكاً واحداً.

فيجب في هذه الحالة على الشريك المنفرد المتبقي أن يدخل معه شريك في الشركة العادية العامة مع الإبقاء على شكلها ذاته كشركة عادية عامة أو أن يعمل على تحويل شكل الشركة لتصبح شركة شخص واحد، وهو ما نصت عليه المادة 45 من القرار بقانون المذكور والمتعلقة بإخراج الشريك من الشركة العادية العامة، إذ جاء بفقرتها الثالثة أنه «إذا نتج عن إخراج شريك أو أكثر بقاء شريك واحد فقط فيتوجب على الشريك الباقي إضافة شريك جديد أو أكثر للشركة خلال ثلاثة أشهر من تاريخ الإخراج أو القيام بتغيير الشكل القانوني للشركة بموجب أحكام هذا القانون وخلال الفترة الزمنية ذاتها؛ وتحل الشركة حكماً في حال عدم القيام بذلك خلال تلك المدة» وبالتالي فإن ما يؤخذ على القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 أنه لم ينظم مسألة التشكيل المباشر وغير المباشر بشكل صريح وواضح، وترك هذه المسألة للاستنتاج خلافاً لبعض التشريعات التي عالجتها صراحة كما هو الحال في التشريع الفرنسي والتشريع الأردني.

البند الثاني: تشكيل شركة الشخص الواحد من الشخص الطبيعي والشخص المعنوي؛

أجاز المشرع الفرنسي للشخص الطبيعي والشخص المعنوي أن يؤسس شركة الشخص الواحد، وكذلك بالنسبة للمشرع الأردني، إذ يجيز قانون الشركات الأردني أيضاً تأسيس شركة

(41) حسام البطوش، مرجع سابق، ص 68

(42) المرجع السابق، ص 68

(43) حيث تنص الفقرة الأولى من المادة 64 على أنه " الشركة ذات المسؤولية المحدودة هي شركة ربحية تتألف من شخص واحد أو أكثر، وتعتبر الشخصية الاعتبارية للشركة مستقلة عن أعضائها، ويجوز لأعضاء الشركة أن يكونوا أشخاصاً طبيعيين أو اعتباريين يمتلكون حصص عضوية تمثل نسبة مشاركتهم في أرباح وخسائر الشركة، ويتم تحديد حصص العضوية بموجب اتفاقية الإدارة، ويجوز للعضو أن يمتلك حصص دون تقديم مقابل؛ بينما تنص الفقرة الأولى من المادة 84 على أنه " تؤسس الشركة المساهمة الخصوصية من مساهم واحد أو أكثر بهدف الربح، برأس مال مكون من أسهم، والا يجوز طرح أسهمها للاكتتاب العام".

(44) حيث جاء فيها "يجوز للعضو في الشركة المكونة من شخصين أن يطلب من المحكمة المختصة إخراج العضو الآخر وفقاً لأحكام الفقرتين (1) و(2) من هذه المادة".

الشخص الواحد من شخص طبيعي أو معنوي⁽⁴⁵⁾، وذلك لأن لفظة الشخص الواردة في المادة 53/ب من قانون الشركات الأردني جاءت مطلقة، بحيث تُفسر على أن المقصود منها هو كل من الشخص الطبيعي والشخص المعنوي⁽⁴⁶⁾.

وفيما يتعلق بالقرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 فقد أجاز أيضا للشخص الطبيعي والشخص المعنوي تشكيل شركة الشخص الواحد، ويظهر ذلك من خلال تعريف القرار بقانون لكل من الشركة ذات المسؤولية المحدودة والشركة المساهمة الخصوصية، فقد ورد في المادتين 64 و84 سابقتي الذكر اللتين عرفتا الشركتين المذكورتين على التوالي لفظ الشخص مطلقا بحيث يفسر على أنه الشخص الطبيعي أو الشخص المعنوي. لكن القرار بقانون، وكما ذكر سابقا، أجاز تشكيل شركة الشركة المهنية من شخص واحد، فقد عرفت المادة 1/29/أ من القرار بقانون المذكور الشركة المهنية بأنها «شركة مدنية ذات شخصية اعتبارية مستقلة، يؤسسها شخص طبيعي أو أكثر من ذوي الاختصاص المهني المتكامل أو المماثل والمرخص لهم بممارسة مهنة حرة واحدة أو أكثر وفقا للتشريعات السارية، ويكون غايتها ممارسة تلك المهنة». ويلاحظ من تعريف الشركة المهنية سابق الذكر أن المادة السابقة أجازت تشكيل الشركة المهنية من شخص واحد أو أكثر، ولكنها قيدت الشخص بأن يكون طبيعيا، وذلك على خلاف الشركات التجارية التي يجوز تأسيسها من شخص واحد طبيعي أو معنوي طالما بقي لفظ الشخص في المادتين 64 و84 سابقتي الذكر مطلقا يتسع لكل من الشخص الطبيعي والشخص المعنوي. وشرط وجوب أن يكون الشريك في شركة الشخص الواحد شخصا طبيعيا ينسجم مع طبيعة هذا النوع من الشركات التي تقوم على أساس المهنة والصناعة التي تلتصق بالشخص الطبيعي دون المعنوي، كشركة المحاماة التي تقوم على أساس مهنة المحاماة التي يكتسبها الشخص الطبيعي.

إن جواز تأسيس شركة الشخص الواحد من قبل الشخص المعنوي يعني جواز تأسيسها من قبل الشركات التي يكون فيها الشركاء متضامنين مع الشركة كلهم أو بعضهم، كالشركة العادية العامة التي يعتبر جميع الشركاء فيها مسؤولين جميعا وبالانفراد بالتضامن والتكافل عن جميع الديون والالتزامات التي ترتبت على الشركة أثناء وجود الشريك فيها، ويكون الشريك ضامنا بأمواله الخاصة لتلك الديون والالتزامات⁽⁴⁷⁾، وتنتقل هذه المسؤولية إلى تركته⁽⁴⁸⁾.

(45) زينة الصقار وآخر، مرجع سابق، ص 211؛ فوزي سامي، مرجع سابق، 204؛ هشام ابراهيم، مرجع سابق، ص 32؛ مصطفى كمال طه، الشركات التجارية، المركز القومي للإصدارات القانونية، 2018، ف394، ص415؛ هاني عوض، مرجع سابق، ص57.

(46) تنص الفقرة ب من المادة 53 من قانون الشركات الأردني على "ب- يجوز للمراقب الموافقة على تسجيل شركة ذات مسؤولية محدودة تتألف من شخص واحد أو أن تصبح مملوكة لشخص واحد".

(47) خليل فيكتور تادرس، مرجع سابق، ف99، ص177 وما بعدها؛ سامي عبد الباقي ابو صالح، مرجع سابق، ف122، ص166 وما بعدها.

(48) انظر: عزيز العكيلي، مرجع سابق، ص (الإشارة لموضع مسؤولية الشركاء في شركة التضامن) نصت المادة 1/33 من القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 على أنه (يعتبر الشريك في الشركة العادية العامة مسؤولا بالتضامن والتكافل مع سائر الشركاء وبالانفراد أيضاً عن جميع الديون والالتزامات التي ترتبت على الشركة أثناء وجوده شريكاً فيها، ويكون ضامناً بأمواله الخاصة لتلك الديون والالتزامات، وفي جميع الأحوال، تنتقل هذه المسؤولية والضمانة إلى ورثته بعد وفاته في حدود تركته).

ويرى الباحثان أن هذا النص غير دقيق لأنه نص على أن تنتقل المسؤولية إلى الورثة في حدود التركة، والصحيح هو أن تنتقل هذه الضمانة إلى التركة، وليس إلى الورثة، على اعتبار أن تركة الشخص هي الضامنة للوفاء بدينه، ومن الإشكاليات المتصورة لتطبيق هذا النص هو أن يكون الشريك المتوفى لا وارث له، ففي هذه الحالة سيثير النص إشكالية في التطبيق لعدم وجود الورثة، أما التركة فهي موجودة سواء أكان للمتوفى ورثة أم لا.

وبالرجوع إلى نص المادة 3/42/ك⁽⁴⁹⁾ من القرار بقانون نجد أنها أجازت للشركة العادية العامة تأسيس شركات جديدة أو تملك حصة أو المساهمة في شركة أخرى، وهو ما يعني جواز تأسيس شركة شخص واحد من قبل الشركة العادية العامة في ظل السماح للشخص المعنوي بتأسيس شركة شخص واحد، وهو ما سيؤدي بالضرورة إلى التحايل على تضامن الشركاء مع الشركة العادية العامة، وذلك لأن شركة الشخص الواحد تتكون من نوع الشركات التي لا يُسأل فيها الشركاء عن ديون الشركة إلا بحدود مساهمتهم.⁽⁵⁰⁾ فإذا أسست الشركة العادية العامة شركة شخص واحد ومارست أعمالها من خلال شركة الشخص الواحد فإن الشركة العادية العامة ذاتها والشركاء فيها لن يكونون مسؤولين عن ديون شركة الشخص الواحد، وهو ما قد يُستغل من قبل الشركة العادية العامة والشركاء فيها للتحايل على الدائنين أو التخلص من حالة التضامن والتكافل التي هي الأصل بشركات الأشخاص. وللخروج من هذه الإشكالية فإن الأجدر منع شركات الأشخاص من تكوين شركات الشخص الواحد، وإن كان لا بد من جواز تأسيس شركة الشخص الواحد من قبل الشخص المعنوي فحصر ذلك بشركات الأموال دون شركات الأشخاص، لعدم التحايل على الضمان العام لدائني شركات الأشخاص.

البند الثالث: تعدد شركات الشخص الواحد المملوكة لذات الشخص؛

من خصائص شركة الشخص الواحد، امكانية الشخص الواحد بتسجيل عدة شركات ذات حاجات مختلفة⁽⁵¹⁾، ولكن السماح للشخص بتسجيل أكثر من شركة شخص واحد يؤدي إلى تجزئة ذمته المالية، بحيث لا يتمكن من تنفيذ الالتزامات التي تقع على عاتق الشركات التي يملكها⁽⁵²⁾، وهو ما يفتح الباب للتحايل من أجل التهرب من الالتزامات باعتبار أن مسؤولية الشريك محددة بحدود حصصه في الشركة.⁽⁵³⁾ لذلك منع المشرع الفرنسي بالقانون رقم 11 لسنة 1985 الشخص الطبيعي أن يمتلك أكثر من شركة شخص واحد، وكذلك بالنسبة للشخص المعنوي، وهو منع ينطبق سواء أكان التشكيل بطريق التشكيل المباشر أو بطريق التشكيل غير المباشر⁽⁵⁴⁾. أما القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 فلم يمنع أن يمتلك ذات الشخص سواء أكان طبيعياً أو معنوياً أكثر من شركة شخص واحد. لكن المادة 1/29 و من القرار بقانون⁽⁵⁵⁾ منعت الشريك أو العضو في شركة مهنية أن يشارك أو يساهم في شركة مهنية أخرى تمارس المهنة الحرة نفسها، بما يعني عدم جواز تشكيل أكثر من شركة شخص واحد مهنية مملوكة لذات الشخص ولذات الغرض، فإن كانت لغرض آخر فليس في القرار بقانون ما يمنع ذلك.

وإن جواز تشكيل أكثر من شركة شخص واحد سواء من قبل الشخص الطبيعي أو المعنوي يعني أن هذا الشخص يستطيع تجزئة ذمته المالية لعدة أجزاء⁽⁵⁶⁾، بما يؤدي بالنتيجة لإمكانية

(49) والتي تنص على أن " تأسيس الشركة لشركات جديدة، أو تملكها لحصة أو المساهمة في شركة أخرى بقيمة أكبر من المبلغ المحدد لذلك في عقد تأسيس".

(50) انظر: عزيز العكيلي، مرجع سابق، أو أي مرجع عام آخر، والإشارة لموضع مسؤولية الشركاء في شركات الأموال؛ قريب من ذلك: سامي أبو صالح، مرجع سابق، ف14، ص29؛ خليل فيكتور تادرس، مرجع سابق، ص26؛ هشام إبراهيم، مرجع سابق، ص31؛ مصطفى كمال طه، مرجع سابق، ص414؛ باسم العموش، مرجع سابق، ص300.

(51) هشام إبراهيم، مرجع سابق، ص83.

(52) عايض المري، مرجع سابق، ص336.

(53) حسام البطوش، مرجع سابق، ص66.

(54) سميحة القليوبي، مرجع سابق، ص66؛ هشام إبراهيم، مرجع سابق، ص202.

(55) حيث نصت على " لا يجوز للشريك أو العضو في شركة مهنية الممارسين لمهنة حرة أن يشاركوا أو يساهموا في شركة مهنية أخرى تمارس المهنة الحرة نفسها".

(56) فلاح سلمان، مرجع سابق، 224؛ هشام إبراهيم، مرجع سابق، ص193.

التحليل على الدائنين كما تم ذكره سابقاً. ومن جانب آخر فإن امكانية تشكيل شركة شخص واحد من قبل الشخص المعنوي وأكثر من شركة، يعني أن الشركة العادية العامة أو شركات الأشخاص، تستطيع ممارسة أعمالها من خلال تشكيل أكثر من شركة شخص واحد، وهو ما يعني تجزئة الذمة المالية وفتح باب التحايل على الدائنين من هذا الجانب، والتحايل على التضامن والتكافل كما تم ذكره سابقاً من جانب آخر.

المبحث الثاني: وفاة الشريك في شركة الشخص الواحد:

لم ينظم القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 حالة وفاة الشريك الوحيد في شركة الشخص الواحد، بما يعني أنه يعاد إلى تنظيم هذه الحالة إلى القواعد العامة سواء الواردة في القرار بقانون ذاته أو القوانين الأخرى.

واللافت في الأمر أن القرار بقانون أجاز تشكيل شركة الشخص الواحد على شكل شركة ذات مسؤولية محدودة، واشترط في المادة 67/ج⁽⁵⁷⁾ أن تتضمن اتفاقية الإدارة الأحكام الخاصة بحالات انسحاب الأعضاء وإنهاء عضويتهم ووفاتهم، لكنه في الفقرة الثالثة من ذات المادة أعفى الشركة ذات المسؤولية المحدودة المكونة من شخص واحد من الحاجة لاتفاقية الإدارة، الأمر الذي يترتب عليه خلو وثائق تأسيس شركة الشخص الواحد من تنظيم مسألة وفاة الشريك فيها. أما المادة 81 من القرار بقانون التي عالجت حالات وفاة الشريك في الشركة ذات المسؤولية المحدودة فهي وإن كانت لم تعالج بنصوص خاصة حالة وفاة الشريك بشركة الشخص الواحد، إلا أنها تركت الأصل بتنظيم هذه المسألة لاتفاقية الإدارة المعفاة منها شركة الشخص الواحد، وعالجت مسألة عدم تضمين اتفاقية الإدارة ما يجيز انتقال حصة العضو المتوفى إلى ورثته⁽⁵⁸⁾، وسيتم في هذا المبحث بحث مسألة انقضاء شركة الشخص الواحد لوفاة الشريك فيها، وكذلك مسألة انتقال شركة الشخص الواحد للورثة، وذلك وفقاً لما يلي:

المطلب الأول: انقضاء شركة الشخص الواحد لوفاة الشريك فيها:

يظهر من نصوص القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 السابق ذكرها لا سيما المواد 66 و 67 و 81 أن شركة الشخص الواحد تنقضي في حالتين: الأولى إذا تضمنت وثائق تأسيسها انقضائها

(57) حيث جاء فيها "2- تتضمن اتفاقية الإدارة البيانات الواردة في عقد التأسيس بالإضافة إلى البيانات التالية كافة كحد أدنى: (6- حالات انسحاب الأعضاء وإنهاء عضويتهم ووفاتهم".

(58) نصت المادة 81 من القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 الباحثة في وفاة العضو في الشركة ذات المسؤولية المحدودة على أنه "يجوز للأعضاء الاتفاق وبموجب أحكام اتفاقية الإدارة على إضافة ورثة العضو المتوفى ليكونوا أعضاء جددًا في الشركة بشكل تلقائي حال وفاته. وفي حال لم تنص اتفاقية الإدارة على ذلك، تطبق الأحكام الآتية: أ. يجوز لورثت العضو المتوفى الانضمام كعضو في الشركة بموافقة جميع الأعضاء الباقين، إلا إذا نصت اتفاقية الإدارة على أغلبية مختلفة. ب. إذا رفض الأعضاء ضم الورثت ليكون عضواً في الشركة، فيتوجب عليهم تعويض ورثة العضو المتوفى عن حصصه بالشركة بالكامل قبل نهاية السنة المالية. ج. يتم تقدير حصص العضو المتوفى على أساس قيمتها في يوم وفاته وفي حال عدم الاتفاق على قيمتها بين الورثة والأعضاء الباقين، يتم تعيين قيمتها من قبل المحكمة المختصة بناء على طلب أحد الأعضاء أو أي من ورثة العضو المتوفى. د. في حال عدم ضم ورثة العضو المتوفى كأعضاء في الشركة فيتم توزيع حصص العضو المتوفى على الأعضاء الباقين بشكل يتناسب مع حصصهم بالشركة، إلا إذا نصت اتفاقية الإدارة أو اتفق جميع الأعضاء على خلاف ذلك. 2. إذا تم حل أو تصفية الشخص الاعتباري في الشركة ذات المسؤولية المحدودة تقتصر حقوقه على التعويض وفقاً لأحكام الفقرة (1) من هذه المادة".

ويظهر لنا أن هذه المادة تتعارض مع المادة 67 من القرار بقانون ذاته الباحثة في اتفاقية الإدارة الخاصة بالشركة ذات المسؤولية المحدودة، وذلك لأن المادة 67 اشترطت أن تتضمن اتفاقية الإدارة بيانات تمثل الحد الأدنى المقبول من البيانات التي يجب تضمينها لاتفاقية الإدارة، ومن ضمن هذه البيانات معالجة حالة وفاة أحد الشركاء، بما يعني أن اتفاقية الإدارة التي لا تتضمن معالجة حالة وفاة أحد الشركاء تعتبر غير مقبولة وناقصة، وطالما أن معالجة هذه الحالة أمراً وجوبياً بموجب اتفاقية الإدارة فإن العودة لمعالجة هذه الحالة في حال لم تتضمن اتفاقية الإدارة نصاً يتيح نقل حصة العضو المتوفى إلى الورثة إنما يعد تناقضاً بين النصين.

في حالة وفاة الشريك فيها، والثانية في حال خلو وثائق تأسيسها من تنظيم هذه المسألة وعدم اتفاق الورثة على الاستمرار في الشركة، وهذه الحالة الثانية نظمتها المادة 81 من القرار بقانون⁽⁵⁹⁾. لذلك سيتم في هذا المطلب مناقشة حالة انقضاء شركة الشخص والآثار المترتبة على انقضائها في ثلاثة فروع بحيث يتضمن الأول انقضاء شركة الشخص الواحد سندا لوثائق التأسيس، ويتضمن الفرع الثاني انقضاء شركة الشخص الواحد سندا للقرار بقانون رقم 42 لسنة 2021، ويتناول الفرع الثالث الآثار المترتبة على انقضاء شركة الشخص الواحد.

الفرع الأول: انقضاء شركة الشخص الواحد سندا لوثائق التأسيس؛

يلاحظ أن القرار بقانون اشترط لتأسيس شركة الشخص الواحد وجود عقد التأسيس- رغم المآخذ السابق ذكرها على ذلك- واشترطت المادة 66 من القرار بقانون⁽⁶⁰⁾ الباحثة في عقد تأسيس الشركة ذات المسؤولية المحدودة أن يتضمن عقد التأسيس اسم الشركة وغايتها وعنوانها، واسماء الأعضاء وجنسياتهم، ومقدار حصص الأعضاء ونوعها، وأجازت في فقرتها الرابعة الأخيرة أن يتضمن عقد التأسيس أي بيانات أخرى يقدمها الأعضاء، بحيث قد يتم تضمين عقد التأسيس ما يفيد انقضاء شركة الشخص الواحد في حال وفاة الشريك فيها سندا للفقرة الأخيرة من المادة 66 السابق ذكرها. وتضمنين عقد التأسيس في شركة الشخص الواحد مآل شركة الشخص الواحد استنادا للفقرة الرابعة من المادة 66 سابقة الذكر، يؤدي إلى تفادي الفراغ الذي أحدثته المادة 67 من القرار بقانون⁽⁶¹⁾ الباحثة في اتفاقية الإدارة الخاصة بالشركة ذات المسؤولية المحدودة التي أوجبت أن تتضمن اتفاقية الإدارة تنظيما لوفاء الشركاء في الشركة ذات المسؤولية المحدودة لكنها اعفت شركة الشخص الواحد من اتفاقية الإدارة كأحد شروط تأسيس الشركة وذلك في الفقرة الثالثة منها. والاستناد إلى هذه الفقرة في تحديد مآل شركة الشخص الواحد بعد وفاة مالكها، ينسجم مع حق الشريك فيها بتقرير انقضائها بعد وفاته استنادا لرؤيته واردة في ذلك⁽⁶²⁾. وفي حالة اتخذت شركة الشخص الواحد شكل الشركة المساهمة الخصوصية فإن تحديد مآل الشركة أو النص على انقضائها بوفاء الشريك فيها يتم بموجب النظام الداخلي سندا للمادة 1/87 ي من القرار بقانون الباحثة في النظام الداخلي التي أجازت أن يتضمن النظام الداخلي أية أمور أخرى ذات علاقة. ولتفادي الإشكالات السابق ذكرها فإن على مسجل الشركات الاستناد إلى المواد سابقة الذكر وتنبيه الشريك عند تسجيل شركة الشخص الواحد من أجل تضمين عقد التأسيس أو النظام الداخلي، حسب الأحوال، مآل شركة الشخص الواحد حال وفاة الشريك فيها، ذلك أن الأصل أن يتولى الشريك الواحد بيان

(59) حيث نصت الفقرة الأولى منها على أنه يجوز للأعضاء وفقا لأحكام اتفاقية الإدارة على إضافة ورثة العضو المتوفي ليكونوا أعضاء في الشركة بشكل تلقائي حال وفاته، وإذا لم تنص اتفاقية الإدارة على ذلك، تطبق الأحكام الآتية...".

(60) تنص المادة 66 على أنه " يجب أن يتضمن عقد تأسيس الشركة ذات المسؤولية المحدودة البيانات الآتية: 1. اسم الشركة وغايتها وعنوان الشركة. 2. أسماء الأعضاء وجنسية كل منهم، ورقم هويته أو جواز سفره، وإذا كان العضو شخص اعتباريا فيتم إضافة رقم التسجيل الخاص به والاسم التجاري وعنوانه. 3. مقدار الحصص المقدمة من الأعضاء ونوعها وتحديد مساهمة كل عضو وقيمتها النقدية وتاريخ تقديمها...".

(61) حيث جاء فيها: "تكون اتفاقية الإدارة الوثيقة النافذة للشركة ذات المسؤولية المحدودة، وتحدد بالاتفاق المتبادل بين جميع الأعضاء علاقة الأعضاء فيما بينهم، والعلاقة بين الأعضاء والشركة ذات المسؤولية المحدودة. 2. تتضمن اتفاقية الإدارة البيانات الواردة في عقد التأسيس بالإضافة إلى البيانات التالية كافة كحد أدنى. أ- حصص كل عضو بالشركة. ب- الشخص أو الأشخاص المفوضين بالتوقيع عن الشركة والقادرين على إلزامها...".

(62) دعد اسحاق، شركة الشخص الواحد- دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية- كلية الدراسات العليا، 1998، ص 108.

ذلك في عقد التأسيس أو النظام الداخلي للشركة.⁽⁶³⁾

الفرع الثاني: انقضاء شركة الشخص الواحد سندا للقرار بقانون:

في الحالة التي لا يتضمن فيها عقد تأسيس شركة الشخص الواحد أو نظامها الداخلي ما يبين مآلها عند وفاة الشريك فيها، فقد عالجت المادة 81 من القرار بقانون هذه الحالة حيث نصت على أنه «1. يجوز للأعضاء الاتفاق وبموجب أحكام اتفاقية الإدارة على إضافة ورثة العضو المتوفى ليكونوا أعضاء جددًا في الشركة بشكل تلقائي حال وفاته. وفي حال لم تنص اتفاقية الإدارة على ذلك، تطبق الأحكام الآتية: أ. يجوز لورثه العضو المتوفى الانضمام كعضو في الشركة بموافقة جميع الأعضاء الباقين، إلا إذا نصت اتفاقية الإدارة على أغلبية مختلفة...».

ويظهر من هذا النص أن مسألة استمرار شركة الشخص الواحد أو انقضائها تكون من صلاحية الورثة، ففي حال عدم اتفاقهم على استمرار الشركة فإنها تنقضي ويتم تصفيتها⁽⁶⁴⁾ وفقا لأحكام القرار بقانون.

فوفقا لنص المادة 81 سابق الذكر فإن وفاة مالك شركة الشخص الواحد لا تكون سببا لحل شركة الشخص الواحد بقوة القانون، وإنما تنتقل إلى الورثة تشجيعا لاستمرارها دون إجراءات معقدة.⁽⁶⁵⁾

لكن انتقالها إلى الورثة وفقا للنص السابق مقترن بموافقة الورثة على استمرار هذه الشركة، فإن لم يتفق الورثة على ذلك فإن الأثر المترتب على ذلك هو انقضاء شركة الشخص الواحد وتصفيتها. والأحكام ذاتها تنسحب على شركة الشخص الواحد التي اتخذت شكل شركة مساهمة خصوصية، بحيث يكون الأصل انتقالها للورثة، فإن لم يتفق الورثة على استمرارها فإنها تنقضي وتجرى تصفيتها، لأن الأصل أن وفاة الشريك في شركة الشخص الواحد يعطي الورثة الصلاحية في تسوية مصير الشركة وتحديد مآلها وتسوية الحصص فيها.⁽⁶⁶⁾

الفرع الثالث: الآثار المترتبة على انقضاء شركة الشخص الواحد:

يترتب على انقضاء شركة الشخص الواحد لأي من السببين الواردين في الفرعين السابقين تصفيتها⁽⁶⁷⁾ وفقا لأحكام الفصل الرابع من القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن الشركات، وذلك من أجل بيان ما للشركة وما عليها من ديون، وتحديد وضعها المالي بنهاية إجراءات التصفية.

لم ينظم القرار بقانون إجراءات خاصة لتصفية شركة الشخص الواحد، وعلاقتها بتركة صاحبها بعد وفاته، وطالما أن الأصل هو انتقال أموال المتوفى إلى الورثة بمجرد وفاته⁽⁶⁸⁾، إلا أن الفكرة التي تقوم عليها نظرية تخصيص الذمة المالية وتجزئتها التي تسمح بتشكيل شركة الشخص الواحد ابتداء، إنما تقتضي الاستمرار بتجزئة الذمة المالية حتى انتهاء إجراءات

(63) المرجع السابق، ص 108.

(64) اندلس حامد عيد، مرجع سابق، ص 357؛ باسم العموش، مرجع سابق، ص 307.

(65) سميحة القليلوي، مرجع سابق، ص 102.

(66) مفلح القضاة، الشركة ذات المسؤولية المحدودة وشركة الشخص الواحد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 1998، ص 38؛

مصطفى كمال طه، مرجع سابق، ف 422، ص 437+440، ص 455.

(67) باسم العموش، مرجع سابق، ص 308.

(68) محمد وحيد الدين سوار، مرجع سابق، ص 34 وما بعدها؛ رمضان أبو السعود، مرجع سابق، ص 171.

التصفية واتمامها وفقا لأحكام القرار بقانون. ووفقا لقواعد التصفية الواردة في القرار بقانون، فإنه يمكن الاستناد إليها للقول باستمرار الشركة وفصلها عن شركة المتوفي حتى انتهاء إجراءات التصفية، ذلك أن ال مادة 1/285 منه نصت على أنه «تتوقف الشركة تحت التصفية عن ممارسة أعمالها إلا للمدى الضروري لحسن سير التصفية، وتستمر الشركة بشخصيتها القانونية والسلطات المخولة لها بصفتها تحت التصفية، ويمثلها المصفي لغاية فسخها عند انتهاء إجراءات التصفية». فيظهر من خلال النص السابق الذي تنطبق أحكامه على شركة الشخص الواحد، أن هذه الشركة تحتفظ بشخصيتها الاعتبارية أثناء فترة التصفية،⁽⁶⁹⁾ وتستمر بشخصيتها القانونية وكل ما يترتب عليها من آثار متعلقة بالذمة المالية المستقلة عن ذمة صاحبها حتى انتهاء إجراءات التصفية، وكذلك فإن فسخ شركة الشخص الواحد إنما يكون بانتهاء إجراءات التصفية، بحيث تبقى مستمرة بكافة آثارها المتعلقة بتخصيص الذمة المالية حتى انتهاء إجراءات التصفية. أما بعد انتهاء إجراءات التصفية، فإن كانت أموال شركة الشخص الواحد لا تكفي لتسديد ديونها فلا تتأثر بذلك شركة صاحبها المتوفي، ولا تكون تركته ملزمة بسداد ديونها، انسجاما مع نظرية تخصيص الذمة المالية وتجزئتها، فالقاعدة في شركة الشخص الواحد هي المسؤولية المحدودة لصاحب شركة الشخص الواحد في حدود رأسمالها المعلن دون المسؤولية الشخصية.⁽⁷⁰⁾ أما في الحالة التي تكون فيها موجودات الشركة وأموالها تزيد على ديونها، فإن ما تبقى من أموال شركة الشخص الواحد بعد تصفيتها لوفاء صاحبها، إنما يعتبر جزءا من شركة المتوفي، بحيث تنضم هذه الأموال إلى شركة صاحب شركة الشخص الواحد المتوفي وتدخل معها.⁽⁷¹⁾ وليس للورثة التدرع قبل دائني مورثهم الشخصيين بأن أموال الشركة وذمتها تنفصل عن ذمة مالكة المورث بغية فصل ما تبقى من أموالها بعد التصفية عن شركة مورثهم، للتهرب من التنفيذ عليها، بل تدخل هذه الأموال في شركة مورثهم ويكون لدائني مورثهم الشخصيين أن ينفذوا على التركة جميعها بما فيها الأموال التي انضمت للتركة من أموال شركة الشخص الواحد بعد تصفيتها.

المطلب الثاني: انتقال شركة الشخص الواحد للورثة؛

كما تم ذكره سابقا، فإن الحالات التي تنتقل فيها شركة الشخص الواحد إلى الورثة، هي وجود نص في أوراق التأسيس يتضمن انتقال الشركة إلى الورثة في حالة وفاة صاحبها، أو اتفاق الورثة على انتقالها، وفي الحالة التي تنتقل فيها شركة الشخص الواحد إلى الورثة فإنها تصبح شركة محدودة المسؤولية مكونة من أكثر من شريك.⁽⁷²⁾ ومن المعروف أنه لا شركة إلا بعد سداد الديون، فالأصل أن التركة لا تنتقل إلى الورثة إلا بعد سداد الديون⁽⁷³⁾، وإن انتقال شركة الشخص الواحد إلى الورثة في ظل عدم وجود نص خاص في القرار بقانون ينظم هذه الحالة، خاصة عندما تكون شركة المتوفي لا تكفي لتسديد ديونه الشخصية، يعني أن تنطبق على شركة

(69) وهو ما يؤيده الفقه القانوني، راجع: سميحة القليوبي، مرجع سابق، ص 103؛ باسم العموش، مرجع سابق، ص 308.

(70) سميحة القليوبي، مرجع سابق، ص 98؛ عايض المري، مرجع سابق، ص 332.

(71) لمياء أبو جابر، افلاس شركة الشخص الواحد، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط- كلية الحقوق، 2014، ص 97

(72) حسام البطوش، مرجع سابق، ص 65

(73) علي هادي العبيدي: الوجيز في شرح القانون المدني- الحقوق العينية، ط1، دار الثقافة، 2014، ص 114؛ حسين عاهد العيسى: الوجيز في الحقوق العينية الأصلية وفق مجلة الأحكام العدلية والتشريعات النافذة في فلسطين، ط1، دون ناشر، 2019، ص 177 وما بعدها؛ رمضان أبو السعود: الوجيز في الحقوق العينية الأصلية، دار المطبوعات الجامعية، 2011، ص 170؛ محمد وحيد الدين سوار: شرح القانون المدني الأردني- الحقوق العينية الأصلية- 2 أسباب كسب الملكية، ط2، دار الثقافة، 1996، ص 34.

المتوفي، كأصل عام، الأحكام العامة التي تنظم التركة، لذلك سيتناول هذا المطلب انتقال شركة الشخص الواحد للورثة وتركة صاحبها الشخصية تكفي لسداد ديونه، وكذلك انتقال شركة الشخص الواحد للورثة وتركة صاحبها الشخصية لا تكفي لسداد ديونه، وذلك وفقاً لما يلي:

الفرع الأول: انتقال شركة الشخص الواحد للورثة وتركة صاحبها الشخصية تكفي لسداد ديونه:

بوفاة مالك شركة الشخص الواحد فإن ديونه الشخصية تصبح حالة، وتسقط آجال الديون،⁽⁷⁴⁾ إلا أن علاقة تركته الشخصية بالشركة لم يتم بيانها وتنظيمها في القرار بقانون، ورغم أن هذه الحالة لا تثير نزاعات طالما أن تركته الشخصية تكفي لسداد ديونه الشخصية، إلا أن الإشكالية تثور حتى اللحظة التي يتم فيها تقرير أن تركته الشخصية -بعيدا عن أموال الشركة- تكفي لسداد ديونه. وبالنظر إلى نصوص القرار بقانون والمبادئ العامة للتركة بتجربتها عن المبادئ والفكرة التي تقوم عليها فكرة الشخص الواحد، فإنه وطالما أن الأصل هو أنه لا تركة إلا بعد سداد الدين، لذلك فإن أموال الشركة تختلط بتركة صاحبها الشخصية حتى اللحظة التي يتم فيها الانتهاء من سداد ديونه، لتنتقل بعد ذلك إلى الورثة.

لكن بإعمال الفكرة والمبادئ التي تقوم عليها شركة الشخص الواحد وأهمها فكرة تخصيص الذمة المالية وتجزئتها فإنه يجب الاستمرار بهذه الفكرة ما بقيت الشركة مستمرة بما في ذلك عند انتقالها للورثة، على اعتبار أن اشهار شركة الشخص الواحد يعني علم كل من يتعامل مع الشركة ومع مالكيها بمسألة تخصيص الذمة المالية⁽⁷⁵⁾. ورغم ما سبق إلا أن حماية دائني الشركة ودائني صاحبها الشخصيين تقتضي معالجة هذه المسألة بطريقة تكفل حقوق الدائنين من جهة، وتتيح الاستمرار بالشركة بشكل تلقائي غير معقد من جهة أخرى، وذلك من أجل تحقيق أهداف هذه الشركة التي تحتاج وقتاً طويلاً وتمثل بتحقيق الربح وتفادي الخسارة.⁽⁷⁶⁾

الفرع الثاني: انتقال شركة الشخص الواحد للورثة وتركة صاحبها الشخصية لا تكفي لسداد ديونه:

هذه الحالة تفترض أن تركة صاحب الشركة لا تكفي لتسديد ديونه الشخصية، بحيث أنه يكون قبل وفاته مديناً بديون شخصية لا تكفي تركته لتسديدها، وفي هذه الحالة هل يخضع انتقال الشركة للورثة للقواعد العامة للتركة من حيث أنه لا تركة إلا بعد سداد الديون؟ كما تم ذكره سابقاً، فإنه في ظل خلو القرار بقانون من تنظيم هذه الحالة بنصوص خاصة فإنه يعاد إلى القواعد العامة في تنظيم التركة⁽⁷⁷⁾، ومعنى ذلك أن أموال الشركة قبل انتقالها للورثة

(74) لمياء أبو جابر، مرجع سابق، ص 96؛ أنظر كذلك في أثر وفاة المدين على سقوط أجل الدين: عبد القادر الفار، مرجع سابق، ص 162؛ أمين دواس، أحكام الالتزام، مرجع سابق، ص 132، جلال محمد إبراهيم: النظرية العامة للالتزام- أحكام الالتزام، دون ناشر، دون سنة نشر، ص 196 وما بعدها؛ محمد شكري سرور: موجز الأحكام العامة للالتزام (في القانون المدني المصري)، دار النهضة العربية، 2002، ص 184، ف 243 وما بعدها؛ محمد سامي عبد الصادق (وآخرون): الوجيز في النظرية العامة للالتزام- الكتاب الثاني: أحكام الالتزام، دون ناشر، دون سنة نشر، ص 236 وما بعدها.

(75) مصطفى كمال طه، مرجع سابق، ص 428 وما بعدها؛ عزيز العكيلي، مرجع سابق ص 458 وما بعدها؛ فوزي محمد سامي، مرجع سابق، ص 203-204؛ هشام مصطفى محمد إبراهيم، مرجع سابق ص 85.

(76) دعد اسحاق، مرجع سابق، ص 109

(77) راجع في أحكام التركة: محمد وحيد الدين سوار، مرجع سابق، ص 33 وما بعدها؛ علي هادي العبيدي، مرجع سابق، ص 107 وما بعدها؛ حسين عاهد العيسية، مرجع سابق، ص 176 وما بعدها؛ رمضان أبو السعود، مرجع سابق، ص 169 وما بعدها.

تنضم إلى التركة الشخصية لصاحب الشركة، بحيث تختلط، في هذه الحالة، أموال الشركة مع التركة، ويجري التنفيذ على أموال الشركة - باعتبارها جزءاً من التركة - من قبل دائني صاحبها الشخصيين.

والحالة الواردة في الفقرة السابقة تشكل خروجاً عن المبادئ التي تستند إليها فكرة الشخص الواحد وأهمها فكرة تخصيص الذمة المالية من جهة، وتشكل انتقاصاً في الضمان العام لدائني شركة الشخص الواحد من جهة أخرى، وذلك على اعتبار أن لدائني شركة الشخص الواحد الحق بالتنفيذ على أموال الشركة دون منافسة من دائني مالكيها الشخصيين.⁽⁷⁸⁾

فعلى الرغم من استمرار الشركة بنقلها للورثة واحتفاظها بشخصيتها المعنوية⁽⁷⁹⁾ إلا أن تطبيق القواعد العامة للتركة في هذه الحالة يؤدي إلى الانتقاص من موجودات الشركة من خلال التنفيذ على أموالها لصالح دائني مالكيها الشخصيين بعدما تختلط أموالها بتركته الشخصية، وهو ما يتعارض حقيقة مع الأساس القانوني الذي تستند إليه شركة الشخص الواحد. أما حال الاستناد إلى فكرة شركة الشخص الواحد وأساسها القانوني، فإن ذلك يعني أنه يجب الاستمرار في تخصيص الذمة المالية حتى بعد انتقال شركة الشخص الواحد للورثة ويكل الأحوال، بحيث أنه لا يجوز أن تختلط أموال الشركة، بأية حالة، بتركة صاحبها، إعمالاً لفكرة التخصيص وما يترتب عليها آثار من قانونية. ويظهر أن عدم معالجة الآثار المترتبة على انتقال شركة الشخص الواحد للورثة بموجب القرار بقانون والقصور الذي اعتراه بتنظيم هذه المسائل إنما يتيح التمسك في أي من القاعدتين: قاعدة تطبيق المبادئ العامة للتركة أو قاعدة الاستناد إلى فكرة ومبادئ شركة الشخص الواحد سواء عندما تكون تركة صاحبها تكفي لسداد ديونه الشخصية كما هو وارد في الفرع السابق أو عندما لا تكون تركته كافية لسداد ديونه كما هو وارد في هذا الفرع.

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

1. استحدثت القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن الشركات شركة الشخص الواحد لكنه لم يضع لها تعريفاً، بل اكتفى بذكرها في المادتين 1/64 و 1/84 من القرار بقانون المتعلقين بالشركة المساهمة الخصوصية والشركة ذات المسؤولية المحدودة على التوالي، وبالاستناد إلى نصوص القرار بقانون المذكور فإنه يمكن تعريف شركة الشخص الواحد بأنها « شركة محدودة المسؤولية تتمتع بالشخصية المعنوية، والتي قد تكون تجارية أو مدنية، وتؤلف من شخص طبيعي أو اعتباري إن كانت تجارية، ومن شخص طبيعي إن كانت مدنية، وتؤسس من شخص واحد ابتداءً أو تتحول من شركة متعددة الشركاء إلى شركة مكونة من شخص واحد، وتكون الذمة المالية للشريك الواحد فيها وجميع الأحوال مستقلة عن الذمة المالية للشركة، بحيث لا يتحمل من خسائر الشركة إلا بحدود حصته فيها)»

2. تعتبر شركة الشخص الواحد خروجاً عن مبدأ وحدة الذمة المالية الذي يقوم عليه النظام القانوني الفلسطيني، وذلك من خلال تخصيص جزء من الذمة المالية للشخص، يكون مسؤولاً بحدوده في ممارسة نشاطه التجاري من خلال شركة الشخص محدودة المسؤولية.

(78) سميحة القلوب، مرجع سابق ص99؛ عايض راشد المري، مرجع سابق، ص330.

(79) دعد اسحاق، مرجع سابق، ص 110؛ باسم عواد العموش، مرجع سابق، ص308.

3. شركة الشخص الواحد باعتبارها مكونة من شخص واحد فقط، فإن جميع أركان عقد الشركة تنعدم فيها كالعقد وتعدد الشركاء، وهي بذلك تعتبر نظام قانوني يتضمن مجموعة قواعد قانونية، تهدف إلى غرض مشترك، ويقتصر دور الأطراف فيها على الإفصاح عن رغبتهم بالانضمام اليه، ورغم أن القرار بقانون أعفى شركة الشخص الواحد من اتفاقية الإدارة كشرط لتسجيل هذه الشركة إلا أنه لم يعفها من عقد التأسيسي وهو ما يتعارض مع طبيعة العقد الذي يفترض فيه تلاقح ارادتين أو أكثر.
4. يجوز وفقا للقرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 تأسيس شركة الشخص بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر من خلال تحويل شركة متعددة الشركاء إلى شركة شخص واحد.
5. يجوز وفقا للقرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 تأسيس شركة الشخص الواحد من الشخص الطبيعي أو الشخص المعنوي، ما لم تكن شركة الشخص الواحد شركة مهنية فلا يجوز تأسيسها عندئذ إلا من الشخص الطبيعي.
6. يجوز للشخص الواحد سواء أكان شخصا طبيعيا أم شخصا معنويا أن يسجل أكثر من شركة شخص واحد.
7. يجوز للشريك في شركة الشخص الواحد سندا للمادة 1/87/ي من القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 أن يحدد مآل شركة الشخص الواحد حال وفاته.
8. وفقا للمادة 81 من القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 تنتقل شركة الشخص الواحد إلى الورثة شريطة اتفاق الورثة على استمرارها، فإن لم يتفق الورثة على ذلك تنقضي شركة الشخص الواحد وتجري تصفيتها.
9. تبقى لشركة الشخص الواحد شخصيتها وذمتها المستقلتين أثناء تصفيتها،
10. إنما يكون بانتهاء إجراءات التصفية، بحيث تبقى مستمرة بكافة آثارها المتعلقة بتخصيص الذمة المالية حتى انتهاء إجراءات التصفية، فإن كانت أموال شركة الشخص الواحد لا تكفي لتسديد ديونها فلا تتأثر بذلك شركة صاحبها المتوفي، ولا تكون تركته ملزمة بسداد ديونها، انسجاما مع نظرية تخصيص الذمة المالية وتجزئتها.
11. عند تصفية شركة الشخص الواحد فإن كانت موجودات الشركة وأموالها تزيد على ديونها، فإن ما تبقى من أموال شركة الشخص الواحد بعد تصفيتها يعتبر جزءا من شركة المتوفي، بحيث تنضم هذه الأموال إلى شركة صاحب شركة الشخص الواحد المتوفي وتدخل معها، وليس للورثة التدرع قبل دائني مورثهم الشخصيين بأن أموال الشركة وذمتها تنفصل عن ذمة مالكيها المورث بغية فصل ما تبقى من أموالها بعد التصفية عن شركة مورثهم، للتهرب من التنفيذ عليها.
12. عند وفاة صاحب شركة الشخص الواحد وكانت أمواله لا تكفي لسداد ديونه الشخصية فيمكن القول سندا للمبادئ العامة أن الشركة تنضم إلى التركة قبل انتقالها للورثة، ويمكن القول أن فكرة تخصيص الذمة المالية كأساس تقوم عليه شركة الشخص الواحد تقضي بوجود الاستمرار بتخصيص الذمة المالية ولو بعد وفاة صاحب الشركة.

ثانيا: التوصيات:

1. ادراج تعريف جامع لشركة الشخص الواحد وتضمينه بالقرار بقانون رقم 42 لسنة 2021

- بحيث يتضمن التعريف جميع العناصر والمبادئ التي تقوم عليها شركة الشخص الواحد.
2. طرح عقد التأسيس من شروط وثائق التأسيس عند تسجيل هذه الشركة، لتعارض شركة الشخص الواحد مع فكرة تلاقي الإرادتين بالعقود، واشتراط وثيقة التأسيس أو مستند التأسيس بدلا عنه، بحيث تتضمن هذه الوثيقة أو هذا المستند بيانات محددة تتعلق بأهداف الشركة وإدارتها ووفاء مالكيها وغيرها من المسائل التي تتضمنها كل من اتفاقية الإدارة وعقد التأسيس في الشركات الأخرى.
3. منع شركات الأشخاص من تكوين شركات الشخص الواحد، وحصر ذلك بشركات الأموال دون، لعدم التحايل على الضمان العام لدائني شركات الأشخاص.
4. مع الشخص الواحد سواء أكان شخصا طبيعيا أم شخصا معنويا من تشكيل أكثر من شركة شخص واحد، وذلك لكي لا يتم التحايل على حقوق الدائنين.
5. توضيح مآل شركة الشخص الواحد بعد وفاة صاحبها من حيث العلاقة مع تركته الشخصية، والنص على عدم اختلاط أموال الشركة بتركة المتوفي الشخصية بجميع الأحوال انسجاما مع فكرة تخصيص الذمة المالية التي هي أساس شركة الشخص الواحد.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

- القرار بقانون رقم 42 لسنة 2021 بشأن الشركات المنشور في العدد ممتاز رقم 25 من الوقائع الفلسطينية (الجريدة الرسمية الفلسطينية)، تاريخ 2021/12/30، ص 2

ثانيا: المراجع:

- أحمد شوقي عبد الرحمن: النظرية العامة للحق، منشأة المعارف، 2005،
- أمين دواس: أحكام الالتزام، ط 1، دار الشروق، 2005.
- اندلس حامد عبد: الاشكاليات القانونية في شركة الشخص الواحد محدودة المسؤولية، مجلة العلوم القانونية، كلية القانون، جامعة بغداد، عدد خاص لبحوث مؤتمر فرع القانون الخاص 6-7/11/2019م، «335-369».
- أيمن سعد سليم: نظرية الحق، دون ناشر، 2003،
- أيمن سعد: أحكام الالتزام- دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، 2011،
- باسم عواد العموش: النظام القانوني لشركة الشخص الواحد وفقا لنظام الشركات السعودي 1437هـ / 2015م، مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات الشرعية والقانونية، عدد 27، مجلد 3، 2019، «290-311».
- جلال محمد ابراهيم: النظرية العامة للالتزام- أحكام الالتزام، دون ناشر، دون سنة نشر.
- حسام البطوش، شركة الشخص الواحد في التشريع الأردني: أساسها وصورها، مؤتمة للبحوث والدراسات- سلسلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مؤتمة، مجلد 21، عدد 2، 2006، الصفحات (47-67).
- حسين عاهد العيسة: الوجيز في الحقوق العينية الأصلية وفق مجلة الأحكام العدلية

- والتشريعات النافذة في فلسطين، ط1، دون ناشر، 2019م.
- خليل فيكتور تادرس: الشركات التجارية، دار النهضة العربية، دون سنة نشر
 - دعد اسحاق، شركة الشخص الواحد- دراسة مقارنة-، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية- كلية الدراسات العليا، 1998م.
 - رمضان أبو السعود: الوجيز في الحقوق العينية الأصلية، دار المطبوعات الجامعية، 2011م.
 - زينة الصقار وآخر، أثر تخصيص الذمة المالية على شركة الشخص الواحد، مجلة الرافدين للحقوق، جامعة الموصل- كلية الحقوق، العدد 48، 2011، الصفحات (190-223).
 - سامي عبد الباقي ابو صالح: قانون الأعمال، دار النهضة العربي، دون سنة نشر
 - سامية النهدي، اشكاليات التنظيم القانوني للضمانات العامة لدائني شركة الشخص الواحد ذات المسؤولية المحدودة في قانون الشركات التجارية الاتحادي رقم 2 لسنة 2015، رسالة ماجستير، جامعة الامارات العربية المتحدة، كلية القانون- قسم القانون الخاص، 2018م.
 - سميحة القيلوبي، شركة الشخص الواحد، النشرة الدورية لجمعية الضرائب المصرية، جمعية الضرائب المصرية، مجلد 7، عدد 27، 1997، الصفحات (89-103)
 - عايض راشد المري: ضمانات الدائنين في شركة الشخص الواحد، دراسة في القانون الكويتي، مجلة روح القوانين، كلية الحقوق، ع89، يناير 2020، «308-351».
 - عبد الرحمن عبد ملحم، شركة الشخص الواحد في النظام القانوني الفلسطيني: دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، الجامعة العربية الأمريكية، جنين، 2021،
 - عبد الرزاق السنهوري: الوسيط في شرح القانون المدني، الجزء الثامن: حق الملكية، منشأة المعارف، 2004،
 - عبد الرشيد مأمون: الوجيز في النظرية العامة للالتزامات- الكتاب الثاني: أحكام الالتزام، دار النهضة العربية، دون سنة نشر
 - عبد القادر الفار: أحكام الالتزام- اثار الحق في القانون المدني، ط15، دار الثقافة، 2014
 - عبد القادر الفار، المدخل لدراسة العلوم القانونية، ط15، دار الثقافة، 2015.
 - عبد الله الخشروم، شركة الشخص الواحد في قانون الشركات الأردني لسنة 1997 والقوانين المعدلة له لسنة 2002: دراسة مقارنة، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت- عمادة البحث العلمي، مجلد 11، عدد 3، 2005، الصفحات (253-290)،
 - عزيز العكيلي، الوسيط في الشركات التجارية- دراسة فقهية قضائية مقارنة في الأحكام العامة والخاصة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2010م.
 - علي هادي العبيدي: الوجيز في شرح القانون المدني- الحقوق العينية، ط11، دار الثقافة، 2014م.
 - فلاح ذياب سلامه عيال سلمان: الشخصية المعنوية لشركة الشخص الواحد في ظل غياب النظرية العقدية ووحدة الذمة المالية، مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث، ع2، مجلد 5، 2019، «232-248»

- فوزي سامي: الشركات التجارية، الأحكام العامة والخاصة، ط8، دار الثقافة، 2016،
- لمياء أبو جابر، افلاس شركة الشخص الواحد، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط- كلية الحقوق، 2014م.
- محمد بهجت قايد، شركة الشخص الواحد محدود المسؤولية: دراسة مقارنة، بدون دار نشر، الطبعة الأولى، 1990،
- محمد سامي عبد الصادق (واخرون): الوجيز في النظرية العامة للالتزام- الكتاب الثاني: أحكام الالتزام، دون ناشر، دون سنة نشر.
- محمد شكري سرور: موجز الاحكام العامة للالتزام (في القانون المدني المصري)، دار النهضة العربية، 2002.
- محمد مؤنس عوض، النظام القانوني في شركة الشخص الواحد كمستجد قانوني في الاقتصاد السعودي، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الاردنية، مجلد 47، عدد3، 2020، «43-73».
- محمد وحيد الدين سوار: شرح القانون المدني الأردني- الحقوق العينية الأصلية 2- أسباب كسب الملكية، ط2، دار الثقافة، 1996م.
- مصطفى الجمال، حمدي عبد الرحمن: المدخل لدراسة القانون، الجزء الثاني: نظرية الحق، دون ناشر، 1984م.
- مصطفى كمال طه، الشركات التجارية، المركز القومي للإصدارات القانونية، 2018م.
- مفلح القضاة، الشركة ذات المسؤولية المحدودة وشركة الشخص الواحد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 1998م.
- هشام مصطفى محمد ابراهيم: النظام القانوني لشركة الشخص الواحد في ضوء الفقه العربي والمقارن، دار المطبوعات الجامعية، 2017، ص39
- يوسف الزهراني، شركة الشخص الواحد في نظام الشركات السعودي 2015، 1439هـ.

الانقلابات العسكرية في الساحل الأفريقي النيجر نموذجاً 2020-2024

د. محمد إدريس عبد العزيز إدريس

أستاذ مشارك بقسم العلوم السياسية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية/ جامعة طبرق

القبول: 3.11.2024

الاستلام: 2.9.2024

المستخلص:

تتناول الدراسة انقلابات الحكم في الساحل الأفريقي مع التركيز على النيجر كنموذج تستعرض السياقات السياسية والاجتماعية التي أدت إلى هذه الانقلابات وتداعياتها على الأمن الإقليمي.

الكلمات المفتاحية: (محمد بازوم، التنافس الفرنسي- الروسي، عبد الرحمن تشياني، الإثنية)

Summary:

The study deal with the coups in the African Sahel, focusing on Niger as a model. It reviews the political and social contexts that led to these coups and their implications for regional security.

Keywords: (Mohamed Bazoum, French-Russian rivalry , abdulrahman Tishany, ethnicity)

مقدمة:

تعاني منطقة الساحل الأفريقي منذ عقود من عدم الاستقرار السياسي والأمني، الذي تُرجم في سلسلة من الانقلابات العسكرية التي أثرت بعمق على مسار التنمية والاستقرار في دول المنطقة.

وتعد النيجر مثلاً بارزاً على هذه الديناميات المعقدة، فمنذ استقلالها عن فرنسا عام 1960م، تكررت الانقلابات في النيجر بشكل دوري، حيث شهدت البلاد أول انقلاب عسكري في عام 1974م، بقيادة الجنرال «سيني كونتشي»، الذي أطاح بالرئيس المدني «حمان ديوري»، تلت هذا الانقلاب سلسلة من الانقلابات، مما أدى إلى تداول الحكومات العسكرية والفترات القصيرة للحكم المدني، حتى الانقلاب الأخير في عام 2023م على الرئيس المنتخب ديمقراطياً «محمد بازوم» من قبل قائد الحرس الرئاسي في البلاد الجنرال «عبد الرحمن تشياني».

لقد أطاحت سلسلة الانقلابات العسكرية بحكومات عدة دول في منطقة الساحل الأفريقي، لكن النيجر كانت بعيدة بعض الشيء عن باقي الدول في الإقليم في حدوث انقلاب عسكري، ويرجع ذلك إلى الدعم الكبير للرئيس «محمد بازوم» المنتخب ديمقراطياً في عام 2021م، في أول انتقال سلمي للسلطة في النيجر.

قد لاتزال أسباب الانقلاب الحقيقية في النيجر غير واضحة، لكن من الممكن الزعم أن هناك عدداً من العوامل التي ربما تكون قد ساهمت في حدوثه، وبعيداً عن الأسباب فإن الانقلاب الأخير في النيجر 2023 والذي تم من خلاله الإطاحة بالرئيس المنتخب سيحمل بلا شك العديد من التدايعيات والنتائج على المدى القصير والمدى البعيد، هذه التدايعيات سوف تكون داخلية (داخل النيجر) وعلى المستوى الإقليمي، كما أنه سيكون لهذا الانقلاب تدايعيات دولية، ويرجع ذلك إلى التنافس الدولي في هذا الإقليم بين فرنسا المستعمر القديم وبعض الدول التي لها مطامع في المنطقة؛ منها روسيا والصين والولايات المتحدة الأمريكية.

إشكالية الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على سؤال رئيس مفاذه: (ما الأسباب الحقيقية التي أدت إلى الانقلاب العسكري الأخير في النيجر عام 2023؟ وما تدايعياته على النيجر وعلى الأمن الإقليمي؟)

تساؤلات الدراسة:

1. ما الأسباب التي أدت إلى إسقاط الحكم المدني في النيجر بعد فترة طويلة من الاستقرار والتداول السلمي للسلطة؟ وهل للعامل الإثني دور في إسقاط حكومة بازوما؟
2. ما التحديات والصراعات التي تواجهها النيجر داخلياً، وتواجهها دول الساحل الأفريقي بشكل عام؟
3. ما أهم التصورات التي أدت إلى تأزم الأوضاع بين قادة الانقلاب والدول الأوروبية، خاصة فرنسا؟
4. ما تدايعيات الانقلاب على الانقسامات والصراعات الأثنية في النيجر؟
5. ما التدايعيات على ارتفاع مستويات الهجرة غير النظامية؟

الفروض العلمية:

1. الاستياء العام بين السكان والقوات المسلحة النيجرية من الفساد السياسي والاقتصادي في حكومة «محمد بازوم»، كذلك القلق من تصاعد التهديدات الأمنية من الجماعات الإرهابية في المنطقة، إضافة إلى التدخل المتزايد للقوى الأجنبية خاصة فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، وتأثيرها على السيادة الوطنية وتجدد الانقلابات في الساحل الأفريقي منذ عام 2020، حيث كانت أسباب مباشرة للانقلاب العسكري 2023، ومن المرجح أن يكون للعامل الإثني دور واضح في عملية الانقلاب.
2. مما يتعلق بتدايعيات الانقلاب (داخلياً) من المرجح أن يؤدي الانقلاب إلى فترة من عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي، وعلى الصعيد (الإقليمي) قد يؤدي الانقلاب إلى توتر العلاقات مع دول الجوار، كما يؤدي إلى زعزعة الاستقرار في منطقة الساحل الأفريقي، وعلى الصعيد «الأمني» قد يستغل هذا الوضع الجماعات الإرهابية لتوسيع نفوذهم وأنشطتهم في المنطقة، مما قد يؤدي إلى تفاقم التحديات الأمنية، وعلى الصعيد (الدولي) زيادة حدة التنافس الدولي في هذه المنطقة، والذي يؤدي إلى فترة من الاضطرابات المستمرة.

أهمية الدراسة:

تساهم هذه الدراسة في فهم الديناميكيات السياسية والأمنية والاقتصادية والإنسانية المرتبطة بالانقلاب في النيجر، مما يساهم في وضع استراتيجيات فعالة للتعامل مع هذه الأزمة على المستويات المختلفة.

هدف الدراسة:

1. تقديم لمحة شاملة عن الأسباب والعوامل الرئيسية التي ساهمت في إسقاط الحكم المدني في النيجر.
2. تسليط الضوء على التحديات والصراعات المختلفة التي كانت تواجه النظام السياسي في البلاد قبل الانقلاب.
3. مساعدة القارئ على فهم السياق الذي أفضى إلى هذه التطورات السياسية الحاسمة في النيجر.

المنهج المستخدم:

1. المنهج المقارن: يساعد هذا المنهج في تحديد العوامل المشتركة والاختلافات التي قد تكون لها تأثير على سبب وقوع الانقلابات.
2. المنهج الوصفي: من خلال التركيز على وصف الظاهرة (الانقلاب في النيجر) والتأثير الذي تمارسها على دول الساحل الأفريقي، ومن جهة أخرى وصف التداعيات السياسية والأمنية التي تواجهها دولة النيجر.
3. منهج تحليل النظم: وذلك من خلال دراسة أسباب الانقلاب بوصفها مدخلات، وتداعيات الانقلاب بوصفها مخرجات في النيجر.

حدود الدراسة:

- الإطار الزمني: تتابع هذه الدراسة الفترة الممتدة من عام 2020 إلى عام 2024، وتحاول من خلالها رصد الانقلابات والتحويلات التي حدثت في منطقة الساحل الأفريقي، بما فيها انقلاب النيجر 2023.
- الإطار المكاني: تضم الدراسة كل من جمهورية النيجر ومنطقة الساحل الأفريقي.

مصطلحات الدراسة:

- **التداعيات:** هي الآثار والنتائج السلبية أو الإيجابية الظاهرة والخفية المترتبة عن حدث ما.
- **منطقة الساحل الأفريقي:** يشكل الساحل الأفريقي المنطقة الفاصلة بين شمال أفريقيا وأفريقيا جنوب الصحراء، فهي تمتد من البحر الأحمر شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن جنوب الصحراء الكبرى شمالاً حتى منطقة السافانا جنوباً، شاملة بذلك أراضي من عدة دول منها إريتريا، السودان، تشاد، النيجر، مالي، موريتانيا، السنغال، بوركينا فاسو، نيجيريا.

وتتميز المجتمعات في هذه الدول بالتعدد الإثني مما ساهم في زعزعة النسيج الاجتماعي ويجاد المشاكل التي وظفها المستعمر جيداً لإحكام سيطرته على المنطقة الغنية بالموارد.

● **الانقلاب العسكري:** هو عملية قيام القوات المسلحة بإقصاء السلطة السياسية القائمة وتولي السلطة بشكل غير دستوري، ففي الانقلاب يتم إزاحة الحكومة الشرعية بالقوة من قبل القوات المسلحة، عادة لأسباب سياسية أو اجتماعية.

تقسيم الدراسة:

- **المطلب الأول:** الاتجاهات النظرية في دراسة موقع الجيش في العملية السياسية.
- **المطلب الثاني:** التحديات التي تواجه منطقة الساحل الأفريقي.
- **المطلب الثالث:** العوامل التي أدت إلى انقلاب النيجر 2023.
- **المطلب الرابع:** تداعيات انقلاب النيجر.
- **المطلب الخامس:** نتائج الدراسة.
- خاتمة.
- قائمة المراجع.

المطلب الأول: الاتجاهات النظرية في دراسة موقع الجيش في العملية السياسية:

تحظى العلاقة بين الجيش والسياسة بأهمية بالغة في دراسات النظم السياسية المقارنة، ولاسيما منذ منتصف القرن الماضي، وقد تعددت النظريات والمقاربات التي حاولت فهم طبيعة هذه العلاقة.

هذه الرؤى والتنظيرات ركزت بشكل أساسي على طبيعة العلاقة المدنية-العسكرية، ودور المؤسسة العسكرية في عمليات التنمية والتحديث، وحماية الأمن القومي، وقد أثرت هذه الرؤى بشكل كبير على طرق تناول الباحثين للمسألة، وفي بعض الأحيان تجاوزوها من خلال التنظير أو تبرير تدخل العسكريين في الحياة السياسية، لاسيما بعد نشوء دول الاستقلال بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

أولاً: مفهوم العلاقات المدنية-العسكرية:

تؤكد معظم الدراسات المعنية بموضوع العلاقات المدنية-العسكرية أن طبيعة وشكل هذه العلاقات يتحدد وفقاً لطبيعة المجتمع المدني وموقفه تجاه الجيش، بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه القوات المسلحة في علاقاتها بالدولة، وقد تطورت دراسة هذه العلاقات على مر الزمن لتعكس هذه المتغيرات، ويمكن إدراج عدة تعريفات على النحو التالي:

- تعريف «أديدجو إيبو»، لقد قدم أديدجو إيبو تعريفاً شاملاً للعلاقات المدنية-العسكرية بقوله أنها تمثل: «شبكة العلاقات بين المؤسسة العسكرية والمجتمع الذي تعمل خلاله، والذي تعتبر بالضرورة جزءاً منه»، وأن «تلك العلاقات تشمل كل جوانب المؤسسة العسكرية (كمؤسسة محترفة، سياسية، اجتماعية، واقتصادية) في الحياة العامة بصورها المختلفة، وتضم تلك العلاقات القضايا المتعلقة بسلوك الجيش تجاه المجتمع المدني وإدراك المجتمع سلوكه اتجاه الجيش، وأخيراً الدور الذي تلعبه القوات المسلحة في علاقاتها مع الدولة»⁽¹⁾.

- ويشير كل من «ووغو وإيبنتاك» إلى أن مفهوم مصطلح العلاقات المدنية العسكرية بمعناه

(1) د. عز الدين قطوش، العلاقات المدنية-العسكرية، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، محاضرات السنة الأولى، تخصص دراسات أمنية واستراتيجية، ص9.

الواسع يعني: «العلاقة بين المجتمع المدني ككل، والمؤسسة العسكرية أو المؤسسات التي أنشأت من أجل حمايتها»، وبمعناه الضيق هي: «العلاقة بين السلطة المدنية لمجتمع معين والسلطة العسكرية»⁽²⁾.

- ويعرف «زاقورسكي» القوات المسلحة في المجتمع الأرجنتيني 1988: «العلاقات المدنية العسكرية بأنها تشير إلى أنماط علاقات الانصياع والضببط والتأثير فيما بين القوات المسلحة والقيادة المدنية السياسية للدولة، ففي النظم الديمقراطية ترسم القوانين والدستور حدود هذه العلاقات وطبيعتها بحيث تكون هذه الحدود جزء لا يتجزأ من ثقافة المؤسسة العسكرية، ترعاها الحكومة وترضى بها المؤسسة العسكرية وينصاع لها المنتسبون من جنود وضباط»⁽³⁾.
- وقد عرف «صمويل هنتنجتون» العلاقات المدنية- العسكرية بأنها: « منظومة التفاعلات بين القادة العسكريين والقادة السياسيين في الحكومة، وهي تنطوي على فصل واضح لأدوار ومجالات عمل وسلطات وواجبات الطرفين استناداً لقواعد دستورية تستند للإرادة الشعبية»⁽⁴⁾.

لكن هذا التعريف ركز على القيادات، بما يعني أن طبيعة العلاقات المدنية أو السياسية العسكرية تختلف باختلاف القيادات، وهذا أمر يتعارض مع استمرار واستقرار النظام السياسي⁽⁵⁾.

ولذلك تمت إعادة تعريف هذه العلاقات بعد الاعتبار للخصائص المؤسسية الحاكمة والعسكرية لتصبح العلاقات المدنية- العسكرية هي: « منظومة التفاعلات بين المؤسسات المدنية والسياسية والمؤسسات العسكرية بالنظام السياسي»⁽⁶⁾.

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن القول إن العلاقات المدنية- العسكرية هي التفاعل المتبادل بين المؤسسة العسكرية والمجتمع المدني الذي تنتمي له، وتنظم هذه العلاقات آليات المساءلة والرقابة، بما يضمن التوازن بين متطلبات الأمن القومي واحتياجات المجتمع المدني.

ثانياً: الاتجاهات النظرية لمفهوم العلاقات المدنية- العسكرية:

هناك اتجاهان نظريان في دراسة العلاقات المدنية- العسكرية، اعتماداً على معيار رئيسي هو حدود الدور غير العسكري الذي تقوم به المؤسسة العسكرية وهما على النحو التالي⁽⁷⁾:

1- الاتجاه التقليدي (المؤسسي):

تظل النظرية الأمريكية التقليدية في دراسة علاقة المؤسسة العسكرية بالعملية السياسية، التي أسسها رواد دراسة العلاقات المدنية- العسكرية مثل «صمويل هنتنجتون» و «موريس جانويتز»، الأساس للاتجاهات النظرية المعاصرة في هذا المجال، يرتبط هذا النموذج بشكل

(2) د. نور الدين دخان، نوري الدين حفيظي، المؤسسة العسكرية والعملية السياسية- دراسة في المنطلقات النظرية، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد (9)، العدد (3)، ديسمبر 2018، ص456.

(3) د. أحمد حمودة حامد، العلاقات المدنية- العسكرية "طبيعة المهنة العسكرية"، 24 مارس 2012، أخبار السودان لحظة بلحظة: في:

<https://www.alrakoba.net/190042>

(4) د. دلال محمود، مفهوم العلاقات المدنية- العسكرية، مجلة الأمن القومي والاستراتيجية، العدد الثاني- السنة الأولى- يوليو- 2023، أكاديمية ناصر العسكرية للدراسات العليا، ص172.

(5) نفس المرجع.

(6) نفس المرجع.

(7) نفس المرجع.

خاص بالنموذج الغربي الليبرالي، حيث يشدد أنصار هذه النظرية على أن «الاحتراف» يمثل الآلية الرئيسية لضمان السيطرة المدنية على العسكريين ومنع تدخل الجيش في العملية السياسية⁽⁸⁾.

وهناك اختلاف بين وجهتي نظر رواد هذه النظرية التقليدية «هنتنجتون وجانويتز» حول كيفية تحقيق التوازن بين السلطة المدنية والعسكرية⁽⁹⁾.

ف «هنتنجتون» يقترح مفهوم (السيطرة المدنية الموضوعية)، والذي يعني منح الضباط المحترفين استقلالية في الشؤون العسكرية، مما سيؤدي إلى زيادة الاحتراف العسكري وولاء الجيش للقيادة المدنية بشكل طوعي، بينما «جانويتز» يرفض هذه الوصفة، ويرى أن الاحتراف العسكري يجب أن يتضمن إحساساً بالقيمة المهنية والأخلاقية ومن دون ذلك قد يجعل الجيش أقل استجابة للسيطرة المدنية في ظل ظروف معينة، وبدلاً من ذلك اقترح «جانويتز» الحفاظ على الجيش تحت المراقبة المدنية الوثيقة، وأن التسييس الجزئي للجيش أمر لا مفر منه، وأن التقسيم الدقيق بين العالم المدني والعسكري أمر غير قابل للاستمرار⁽¹⁰⁾.

كما أشار «جانويتز» أيضاً؛ إلى أنه من الصعب اعتبار العسكريين محايدين، حيث أن ذلك يعني أنهم ليسوا وطنيين وإنما مرتزقة، ومن ثم لا بد أن يكون لديهم توجه سياسي، على الرغم من استمرار عدم مشاركتهم المباشرة في السياسات الداخلية، وهذا يختلف مع وجهة نظر «هنتنجتون»، الذي يرى أن الجيش يجب أن يكون تحت السيطرة المدنية على العديد من المستويات في الشؤون العسكرية⁽¹¹⁾.

وفي الختام يمكن القول أن هذه النظريات رغم قيمتها التفسيرية في شرح وتحليل العلاقة بين المؤسسة العسكرية والعملية السياسية، إلا أنها تظل غير قادرة على تناول موقع المؤسسة العسكرية في دول الجنوب والتي تغيب عنها تماماً مفهوم السيطرة المدنية، كما هو الحال في الدول الديمقراطية، إذ نجد أن هذه الجيوش (دول الجنوب) منشغلة بالأساس بالحفاظ على الاستقرار الداخلي للدولة إلى جانب الدفاع عنها خارجياً، وبالتالي فهي أكثر ارتباطاً بالسياسة الداخلية مقارنة بنظرائها في الدول الغربية والتي تعني الجيوش فيها بالحفاظ على الأمن الخارجي للدولة والدفاع عنها ضد أي عدوان خارجي⁽¹²⁾.

2- الاتجاه الحديث (الوظيفي)؛

يرتكز هذا الاتجاه على مبدأ (وظيفية) المؤسسة العسكرية، التي تدور بالأساس حول الدفاع عن الأمن الوطني للدولة، والأمن مفهومه واسع لا يقتصر على البعد العسكري فقط، بل يشمل أبعاد أخرى مثل البعد الاقتصادي والاجتماعي، وبالتالي أقر أنصار هذا الاتجاه الانتقادات التي وُجّهت للاتجاه الكلاسيكي، وقدموا مقولتهم الأساسية التي تؤكد وجود دور سياسي للمؤسسة العسكرية وفي عملية صنع القرار السياسي، لاسيما فيما يتعلق بالأمن

(8) د. نور الدين دخان، نوري الدين حفيظي، مرجع سابق، ص 457.

(9) ديفارد كارثيبيت وماريا غابرييلس جمبرت، العلاقات المدنية العسكرية، ترجمة أحمد عيشة، مركز هرمون للدراسات المعاصرة، 2014، رابط البحث الأصلي:

<http://24.pw/25GGO>

(10) المرجع السابق،

(11) د. نور الدين دخان، نوري الدين حفيظي، مرجع سابق، ص 459.

(12) المرجع السابق.

الوطني والخارجي، وذلك راجع إلى اتصال عمل المؤسسة العسكرية بشكل مباشر به، ولأنهم من يتولون مسؤولية حماية الدولة من التهديدات⁽¹³⁾.

وملخص القول أن هذه النظرية ترى أن العلاقة بين العسكر والفاعلين السياسيين ينبغي أن تقوم على تقاسم المسؤولية، بحيث يتولى كل طرف مسؤولياته في مجالات معينة دون تدخل، وفي حالة إساءة استخدام السلطة من أي من الطرفين سيكون هناك محاسبة للمسؤولين سواء السياسيين أو العسكريين.

وتجدر الإشارة إلى أن ما يُعاب على هذه النظرية أنها تفصل تماماً بين مهام السياسيين والعسكريين، في حين أنه قد تكون هناك مجالات يتفاعل فيها الجانبان المدني والعسكري معاً، مما قد ينتج عنه اختلافات في الرأي بشأن صلاحية البت فيها، لذلك فإن هذه النظرية على الرغم من محاولتها ترسيخ قواعد واضحة للعلاقة بين العسكر والفاعلين السياسيين، قد لا تكون كافية لتنظيم كافة جوانب هذه العلاقة المعقدة⁽¹⁴⁾.

ثالثاً: أنماط التدخل العسكري في الحياة السياسية:

هناك عدة أنماط لتدخل المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية وهي على النحو التالي:

1- نمط جماعة الضغط:

حيث تلعب المؤسسة العسكرية دور جماعة الضغط، ويكون تأثيرهم على العملية السياسية في محيط يتصل مباشرة بالدور العسكري لا سيما فيما يتعلق بقضايا الأمن الوطني، ويظهر هذا النمط في الدول المتقدمة التي تتمتع بدرجة عالية من المؤسسة⁽¹⁵⁾.

2- النمط الانقلابي:

في هذا السياق؛ تؤدي المؤسسة العسكرية دوراً سياسياً مباشراً، حيث يسعى العسكريون إلى السيطرة على الحكم، معتبرين النظام السياسي ساحة لتعظيم نفوذهم وتعزيز سلطاتهم في الدولة، على عكس النمط السابق، ويتميز هذا النموذج بعدم احترام مبدأ السيطرة الميدانية على العسكريين، مما يخلق حالة من الحذر والشك لدى النخب الحاكمة تجاه نشاط العسكريين في المجتمع، وتتصف الحكومات في هذا السياق بالضعف والهشاشة، مما يجعلها غير قادرة على السيطرة على التشكيلات العسكرية بشكل عام، ويمهد الطريق أمام العسكريين للعب دور أكبر⁽¹⁶⁾.

3- نمط العلاقات المدنية العسكرية المتداخلة:

يرتبط هذا النمط بوجود جيش ثوري يمثل أداة للشعب والحزب.. ولذلك يمتد دوره إلى مجالات السياسة التعليمية والثقافية والصحية.. ومن هنا يطلق على هذا الشكل، نمط علاقات مدنية عسكرية متداخلة أو متغلغلة، ولقد ساد هذا الشكل من العلاقات في إطار النظم الشيوعية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، ويتسم هذا النمط بوجود مؤسسة عسكرية تقوم

(13) د. دلال محمود، مرجع سبق ذكره، ص173.

(14) د. نور الدين دخان، نوري الدين حفيظي، مرجع سابق، ص464.

(15) د. عز الدين قطوش، مرجع سبق ذكره، ص28.

(16) د. شيماء محي الدين، تجدد مسلسل الانقلابات العسكرية في أفريقيا.. بوركيناسو نموذجاً، مجلة الدراسات الإفريقية (تصدر عن كلية الدراسات الأفريقية العليا- جامعة القاهرة)، مجلد(45)، عدد (2)، أبريل 2023م، ص364..

بتنفيذ الأهداف والمبادئ التي يضعها الحزب الشيوعي، وفي هذا الإطار يمثل العسكريين جزء من النخبة الحاكمة⁽¹⁷⁾.

4- نمط العلاقات المدنية العسكرية الديمقراطية:

يركز هذا النموذج على تأكيد السيطرة المدنية وضرورة الفصل بين المدنيين والعسكريين كضمان لعدم تدخل العسكريين في الحياة السياسية. تمثل الدول الغربية الديمقراطية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، المثال المثالي لهذا النموذج⁽¹⁸⁾.

5- النمط البريتوري:

تتسم هذه الحالة بضعف الهياكل والمؤسسات السياسية في الدولة وغياب الشرعية على مستوى القيادة السياسية أو النظام السياسي بأكمله، مما يفتح المجال لتدخل العسكريين في العملية السياسية⁽¹⁹⁾.

المطلب الثاني: التحديات التي تواجه منطقة الساحل الأفريقي:

تتسم التحديات التي تعرفها منطقة الساحل الأفريقي بالتداخل والتعقيد وأهم هذه التحديات:

أولاً: الصراع المسلح في منطقة الساحل:

حيث أجبرت الاشتباكات المستمرة بين القوات المسلحة والجماعات المسلحة في منطقة الساحل ملايين المدنيين على الفرار من منازلهم في بلدان مختلفة داخل منطقة الساحل، والعديد من أولئك الذين فروا هم من المزارعين الذين لم يعد بإمكانهم حرق أراضيهم، مما يؤدي إلى تفاقم حالة عدم الاستقرار الغذائي القائمة بالفعل⁽²⁰⁾.

لقد كان السبب الأبرز لانعدام الأمن في المنطقة في السنوات الأخيرة هو الارتفاع الكبير في الصراعات، والذي زاد من تعقيد عوامل أخرى مزعومة للاستقرار، وتشكل التهديدات والهجمات الإرهابية المتزايدة جوهر المشكلة، وإلى جانب التهديدات الإرهابية، تعمل التهديدات البيئية المتزايدة على تفاقم المنافسة على الموارد وخلق المزيد من التوازن بين الجماعات⁽²¹⁾.

لقد شهدت النيجر، الواقعة على الحدود المشتركة مع كل من بوركينا فاسو ومالي، تداعيات كارثية جراء الاشتباكات المسلحة بين القوات الحكومية والجماعات المسلحة والجماعة المتطرفة على مدى العقد الماضي، وقد ساهم العنف المسلح داخل البلاد المجاورة في زعزعة استقرار النيجر وزيادة المخاوف الأمنية فيها⁽²²⁾. ففي النصف الأول من عام 2021 وحده، تم الإبلاغ عن أكثر من 540 ضحية مدنية مرتبطة بالنزاع في النيجر، وكان للنزاع المسلح تأثير مدمر على الأطفال، إذ من بين 3.8 مليون شخص يحتاجون مساعدات إنسانية في النيجر، هناك ما بين

(17) عز الدين قطوش، مرجع سبق ذكره، ص 28.

(18) المرجع السابق، ص 29.

(19) المرجع السابق.

(20) Adama Dieng, the sahel: challenges and opportunities, IRRC No. 918, May 2022.

<http://international-review.icrc.org>.

(21) The Sahel faces 3 Issues: Climate, conflict& overpopulation

<https://www.visionofhumanity.org>

(22) Adama Dieng, Op.cit.

2.1 مليون طفل و 1.6 مليون طفل يعانون من سوء التغذية، وتشير التقارير إلى تجنيد أكثر من ثمانين طفلاً تتراوح أعمارهم بين 15 و 17 عاماً في المدن الحدودية كجنود أطفال، وفي عام 2021، قتل أكثر من ستين طفلاً في أعمال عنف مرتبطة بالنزاع في النيجر⁽²³⁾.

ثانياً: البروز القوي للخصوصيات العرقية والثقافية:

تتميز منطقة الساحل والصحراء بتنوع إثني كبير، حيث تسيطر إثنيات محددة على الثروة والسلطة، مما يؤدي إلى تهميش وإقصاء للآخرين، رغم أهميتهم التاريخية أو السياسية أو الديموغرافية، وقد شهدت العديد من دول المنطقة بعد استقلالها محاولات لإدماج ثقافي موحد، بهدف إذابة التعددية الثقافية الوطنية في ثقافة السلطة المهيمنة⁽²⁴⁾. وفي ظل التطورات الاقتصادية المعقدة وتنامي الوعي الثقافي، برز الإحساس بالإقصاء السياسي والثقافي، والشعور بالظلم الاجتماعي والاقتصادي، مما أدى إلى ظهور تأكيد الذات والتمسك بالهويات والثقافات المحلية، ونظراً للتأخر في الاعتراف بهذه الخصوصيات، شهدت معظم دول المنطقة مشكلات داخلية عديدة، سواء على شكل صراعات وحروب أهلية أو نزاعات عرقية. أحياناً تتبنى هذه النزاعات أطروحات انفصالية، أو تتمثل في انقلابات وتمردات عسكرية، مما ألقى أضراراً كبيرة بالأمن والاستقرار في تلك الدول، وأثر سلباً على الشعور بالهوية والانتماء الوطني. أدى ذلك إلى ضعف الاندماج الوطني لصالح المناطق أو الإثنيات، وانعكس بشكل سلبي على البنيات الاجتماعية والنشاط الاقتصادي⁽²⁵⁾.

ثالثاً: المناخ في منطقة الساحل:

يتميز مناخ الساحل الأفريقي بارتفاع درجة الحرارة بشكل كبير وفترات متقلبة من هطول الأمطار والجفاف الشديد، وتعتبر المنطقة معرضة بشكل خاص لتغير المناخ، حيث تشير تقارير الأمم المتحدة إلى أن درجات الحرارة ترتفع بمعدل 1.5 مرة أسرع من المتوسط العالمي. في السنوات الأخيرة أصبحت حالات الجفاف أكثر تكراراً في هذه الظروف القاحلة، مما فرض تحديات متزايدة على إنتاج المحاصيل⁽²⁶⁾.

ويؤدي انتشار التصحر على نطاق واسع إلى زيادة الضغط على سبل العيش الاقتصادية وإنتاج الغذاء، مما يؤدي إلى انخفاض النتائج الاجتماعية وانعدام الأمن الغذائي والهجرة القسرية للمجتمعات المحلية⁽²⁷⁾.

رابعاً: الإزاحة:

تعتبر منطقة الساحل واحدة من أسرع مناطق العالم نمواً في أزمات النزوح، ومع ذلك يُغفل هذا الأمر غالباً، ففي فبراير 2022، تجاوز عدد النازحين داخلياً في منطقة الساحل 2.6 مليون شخص، بعد أن كانوا 217.000 فقط في عام 2013، مما يمثل زيادة بمقدار عشرة

(23) Idem.

(24) سعد الدين العثماني، منطقة الساحل والصحراء.. التحديات والأفاق المستقبلية، الجزيرة نت، 2014/1/31. www.aljazeera.net.

(25) نفس المرجع.

(26) The Sahel faces 3 Issues..., Op. Cit.

(27) Idem.

أضعاف في أقل من عقد. في عام 2021 وحده نزح أكثر من نصف مليون شخص من أصل 2.1 مليون نازح، بالإضافة إلى لجوء 930.000 شخص إلى الدول المجاورة مثل بوركينا فاسو ومالي والنيجر، مما رفع العدد الإجمالي للنازحين في منطقة الساحل إلى 2.75 مليون شخص⁽²⁸⁾. يجلب النزوح معه مجموعة من العوامل التي تعيق تمتع النازحين واللاجئين بحقوقهم، حيث يواجه الكثير من النازحين واللاجئين صعوبات في الحصول على ضروريات الحياة الأساسية مثل الغذاء والماء والمأوى والملابس والخدمات الصحية. هؤلاء الأفراد تركوا منازلهم وسبل عيشهم، مما تركهم في كثير من الأحيان بدون دخل يذكر لتغطية تكاليف هذه الضروريات الأساسية. وبالنسبة للعديد من سكان الساحل الذين يعيشون بالفعل تحت خط الفقر، فإن النزوح يقودهم إلى الفقر المدقع، مما يسبب المزيد من انتهاكات حقوق الإنسان الخاصة بهم ويهدد كرامتهم الإنسانية الأساسية⁽²⁹⁾.

خامساً: الإرهاب؛

تواجه دول الساحل الأفريقي حالياً موجة عنيفة من النشاط الإرهابي، مدفوعة بخروج القوات الأجنبية واضطراب المؤسسات الحاكمة التي استولت على السلطة بالقوة. تصدرت مالي والنيجر وبوركينا فاسو مؤشر الإرهاب لعام 2022. شهدت بلدان الساحل زيادة بنسبة 50% في الوفيات الناجمة عن الصراع في نفس العام، حيث ارتفع عدد القتلى إلى 9 آلاف مقارنة بحوالي 6 آلاف في عام 2021. كذلك توسعت الأراضي التي يسيطر عليها الإرهابيون بنسبة 50% خلال العام ذاته. منذ وصول «إبراهيم تراوري» إلى السلطة في أكتوبر 2022 تضاعفت الوفيات الناجمة عن الإرهاب في بوركينا فاسو ثلاث مرات، وفقاً لتقرير المركز الأفريقي للدراسات الاستراتيجية⁽³⁰⁾. بالإضافة إلى التحديات السابقة، تواجه منطقة الساحل الأفريقي تحديات أخرى تؤثر على استقرارها وتقدمها، ومن أخطر هذه التحديات ضعف الحوكمة والفساد المستشري في المؤسسات الحكومية، حيث يعوقان تنفيذ السياسات التنموية ويزيدان من عدم الثقة بين المواطنين. أيضاً التعليم المتدني ونقص الوصول إلى خدمات التعليم الأساسية يؤديان إلى تفاقم الأمية والبطالة، مما يحد من الفرص الاقتصادية للشباب، ويزيد تعرضهم للاستقطاب من قبل الجماعات المسلحة، أضف إلى ما سبق هناك تحديات الصحة العامة، بما في ذلك انتشار الأمراض المعدية ونقص الخدمات الصحية، والتي تزيد من معاناة السكان وتقلل من الإنتاجية العام، كما يؤدي الفقر المتفشي وانعدام التنمية الاقتصادية المتوازنة إلى تفاقم الفجوة الاقتصادية والاجتماعية بين المناطق الحضرية والريفية.

وأخيراً، البنية التحتية الضعيفة في مجالات النقل والطاقة والاتصالات تعيق التكامل الإقليمي والنمو الاقتصادي، مما يجعل من الصعب جذب الاستثمارات وتحقيق التنمية المستدامة.

المطلب الثالث: العوامل التي أدت إلى انقلاب النيجر (2023م)؛

يمكن رد الانقلاب الذي حدث في النيجر عام 2023م إلى عدة أسباب، وذلك على النحو

(28) Addma Dieng, Op. Cit.

(29) Idem.

(30) زينب مصطفى رويحة، "حلف دول الساحل" .. قراءة في تحديات الحاضر والمستقبل وسيناريوهات المستقبل، مركز فاروسستديز 2024/2/25، في:

التالي:

أولاً: العوامل الداخلية:

1- الأزمة الاقتصادية:

هناك تحديات اقتصادية كبيرة تواجه النيجر، حيث يعاني من ارتفاع معدلات البطالة والفقر، على الرغم من كونها سابع أكبر مورد لليورانيوم في العالم، إلا أن النيجر تمثل المرتبة السابعة بين أفقر دول العالم، حيث يعيش حوالي 10 مليون شخص (41% من إجمالي السكان) في فقر مدقع، هذا الوضع الاقتصادي الصعب قد أدى إلى تفاقم الأوضاع الاجتماعية والانتشار المتزايد للاحتقان، علاوة على ذلك، تشكل المساعدات الخارجية 40% من ميزانية الدولة، مما يؤكد على الصعوبات التي تواجهها في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستدامة⁽³¹⁾.

2- الفساد:

يعاني النظام السياسي في النيجر من الفساد، حيث يستغل العديد من المسؤولين الحكوميين مناصبهم لتحقيق ثروات طائلة على حساب الشعب، وقد أدى هذا الفساد إلى فقدان الثقة في الحكومة، وتحتل النيجر المرتبة الـ 123 من بين 180 دولة في العالم من حيث انتشار الفساد، وفقاً لمؤشر مدركات الفساد لعام 2022 الصادر عن منظمة الشفافية الدولية⁽³²⁾.

3- الطبيعة الاجتماعية المفككة:

الطبيعة الاجتماعية المفككة من حيث الإثنية، أدت إلى ضعف مستوى التجانس الاجتماعي وصعوبة حركات الاندماج المجتمعي، لاسيما في ظل غياب ثقافة سياسية وطنية موحدة، هذا الوضع ينتج عنه أزمات مثل أزمة دارفور في السودان، ومشكلات الطوارق في مالي والنيجر⁽³³⁾.

4- انعدام الأمن:

لاشك أن انعدام الأمن قد ساهم في هشاشة البلاد، وعلى الرغم من زيادة القوات الأجنبية، وخاصة من الولايات المتحدة وفرنسا، والقواعد العسكرية في النيجر، إلا أن القيادة لم تتمكن من وقف هجمات المتمردين، مثل تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية، وكذلك جماعة بوكو حرام التي تعمل في البلاد، والتي أسفرت عن مقتل ونزوح الآلاف في العقد الماضي، وتجمع مئات الشباب في العاصمة نيامي للاحتفال بانقلاب يوليو 2023، ملوحين بالأعلام الروسية ومرددن شعار «فاغنر»، ويشير هذا إلى أن بعض الناس في النيجر يعتقدون أن الجيش، بدعم من روسيا والمقاوم العسكري الخاص «مجموعة فاغنر» سوف يقوم بعمل أفضل في محاربة المتمردين⁽³⁴⁾.

(31) بشرى جاسم محمد، انقلاب النيجر وتداعياته الإقليمية والدولية، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 23 آب 2023، ص 1، في:

<https://www.hcsiraq.net>.

(32) نفس المرجع.

(33) أ. مراد بن قيطنة، أ. فاطمة الزاهراء بويده، التنافس الدولي على منطقة الساحل الأفريقي، انعكاساته على المصالح الاستراتيجية الفرنسية، مجلة دفاتر المتوسط، العدد الخامس، جامعة عنابة، ص 214.

(34) Olayinka Ajala, what caused the coup in Niger? An expert outlines three driving factors, July31, 2023.

<https://theconversation.com>.

5- الخلافات بين الحكومة والجيش:

لطالما كانت هناك خلافات بين الحكومة المدنية والجيش على مدار السنوات، حيث يطالب الجيش بزيادة الميزانية العسكرية ومنح الجنود مزيداً من الامتيازات، أدت هذه الخلافات إلى تصاعد التوتر بين الطرفين، وأكدت محاولات الانقلاب السابقة على هشاشة التوازن بين الجيش والحكومة، وهو التوازن الذي كان ينبغي على النظام المدني المحافظة عليه، ربما قلل «بازوم» من أهمية هذا التوازن. وفي الوقت الذي أعلن فيه رئيس أركان النيجر «الجنرال عبده صديقو عيسى» دعم الجيش لمحاولة الانقلاب بحجة تجنب إراقة الدماء، رفض الرئيس «بازوم» الاستقالة ودعا الشعب إلى المقاومة وحماية المكاسب الديمقراطية التي تحققت بصعوبة، وقد كرر وزير الخارجية النيجيري «حسومي مسعودو» ومسؤولون كبار آخرون هذه الدعوة⁽³⁵⁾.

ثانياً: العوامل الإقليمية والدولية:

1- تأثير التحديات الإقليمية:

حيث تأثر الوضع في النيجر بالأحداث الإقليمية المضطربة في منطقة الساحل الأفريقي، مثل التصعيد الأمني والانقلابات التي حدثت في «مالي وبوركينا فاسو».

يبدو أن عدوى الانقلابات قد تستمر في انتشارها بأفريقيا كانتشار النار في الهشيم، ولن يكون مفاجئاً أن نشهد سلسلة من الانقلابات المتتالية في مناطق غرب وشمال وشرق أفريقيا خلال الشهور والسنوات المقبلة⁽³⁶⁾.

2- التنافس الدولي في منطقة الساحل الأفريقي:

منذ سنوات الاستقلال في القارة الأفريقية في عقد الستينيات من القرن الماضي، كانت ظاهرة الانقلابات والانقلابات المضادة أداة فعالة من جانب أكبر قوتين دوليتين في ذلك الوقت (الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي سابقاً)، وجرى تبادل استخدام تلك الأدوات على مدى عقود خلال الحرب الباردة، ويمكن القول إلى أن حدة التنافس الدولي الراهن في منطقة الساحل الأفريقي (توفر أجواء مشابهة)⁽³⁷⁾.

بالإضافة إلى العوامل سابقة الذكر سواء على الصعيد الداخلي أو الإقليمي أو الدولي والتي أدت إلى عملية الانقلاب في النيجر، هناك ثلاث قضايا أخرى تساعد في تفسير الانقلاب الأخير في النيجر 2023، وهي على النحو التالي:

1. تناولت الحملة الانتخابية الأخيرة في النيجر قضية إثنية «بازوم» وشرعيته، حيث ينتمي «بازوم» إلى الأقلية العربية الإثنية في البلاد، وعُد دائماً على أنه من أصول أجنبية، ومع أن «بازوم» حصل على نحو 56% من الأصوات، وينتمي إلى الحزب نفسه الذي ينتمي إليه الرئيس السابق «محمد إيسوفو»، إلا أن هذا الأمر لم يلق استحساناً من الدائرة العسكرية التي تتكون في الغالب من المجموعات الإثنية الأكبر حجماً في البلاد، وقد كان هناك تركيز

(35) بشرى جاسم محمد، مرجع سبق ذكره، ص2.

(36) خليل الغناني، عقد الانقلابات العسكرية في أفريقيا، الجزيرة نت، 2023/8/21، في:

www.aljazeera-net.cdn.ampproject.org.

(37) أسامة السعيد، انقلابات أفريقيا ... تحولات داخلية يوجهها التنافس الدولي، 30 أغسطس 2023، صحيفة الشرق الأوسط، في:

https://aawsat.com

كبير على التركيبة الإثنية للجيش في النيجر، وهذا الفهم ساعد «إيسوفو» في إكمال فترتين كرئيس للبلاد، ويعكس هذا الوضع الدور المهم الذي تلعبه الخلفية الإثنية في الحياة السياسية والعسكرية في النيجر⁽³⁸⁾.

2. في محاولة منه لممارسة سلطاته الدستورية، سعى الرئيس المعزول «بازوما» لإضعاف الحرس القديم عبر حملة تطهير تدريجية في أجهزة الدولة، وقام بتقليص نفوذ سلفه «محمد إيسوفو» في الحزب الاشتراكي الديمقراطي والرئاسي، من خلال تعيين «عبد صديقو عيسى» كقائد أركان جديد خلفاً للجنرال «ساليفو مودي»، وثار أنباء عن عزمه إعفاء رئيس الحرس الرئاسي والجنرال المخضرم «عبد الرحمن تشياني»، والذي اعتبره كثيرون أداة غير مباشرة للرئيس السابق «إيسوفو» لإخضاع الرئيس الجديد⁽³⁹⁾.

قد شكك المناوئون في هذه المساعي، باعتبارها محاولة لبناء مراكز نفوذ جديدة داخل النظام، بعيداً عن موازين القوى القائمة، وزادت شكوكهم بعد إعلان الرئيس «بازوم» رفع عدد المجندين، واعتبروها محاولة لتوسيع نفوذه وإضعاف الأجنحة الموالية للرئيس السابق «إيسوفو»⁽⁴⁰⁾.

هذه الإجراءات والقرارات التي اتخذها الرئيس المعزول «بازوما» أدت إلى تسريع الانقلاب الذي قاده قائد الحرس الرئاسي «عبد الرحمن تشياني»، والذي حظي بدعم من بعض مراكز القوى في الدولة.

3. فشل المنظمات الإقليمية مثل الجماعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا «الإيكواس» والاتحاد الأفريقي في اتخاذ موقف حازم ضد الاستيلاء العسكري على السلطة في (غينيا، وبوركينا فاسو، ومالي) شجع الحرس الرئاسي في النيجر على الانقلاب⁽⁴¹⁾.

المطلب الرابع: تداعيات انقلاب النيجر:

لقد أصبح الوضع في النيجر قاتماً على نحو متزايد بسبب انعدام الأمن الغذائي المزمن والفيضانات والجفاف، فقد أدت عقوبات المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا إلى تعطيل واردات الغذاء، مما أدى إلى ارتفاع أسعار السلع الأساسية. وتعتمد النيجر على الواردات البرية، خاصة من بنين ونيجيريا، والتي توقفت بشكل كبير. كما أن إمدادات الكهرباء من نيجيريا التي كانت تغطي أكثر من ثلثي الطلب المحلي في النيجر قد توقفت⁽⁴²⁾.

علاوة على ذلك، جمد الاتحاد الأوروبي أكثر من 500 مليون يورو من الدعم المالي والمساعدات الأمنية، مما أدى إلى تقلص ميزانية الدولة وعدم وضوح الرؤية بشأن المساعدات العسكرية الموعودة. ويعتمد اقتصاد النيجر البالغ 14 مليار دولار بشكل كبير على الدعم الأجنبي، والذي كان من المقرر أن يوفر 48% من ميزانية 2023، وتعتمد السلطات على المنظمات الدولية لتوفير الخدمات الأساسية في المناطق الريفية ورعاية ما يقدر بنحو 700 ألف نازح⁽⁴³⁾.

(38) Olyinka Ajala, Opcit.

(39) محمد طيفوري، صهيب محمود، انقلابات الساحل: الأسباب الداخلية وتأثيرات التنافس الدولي، سلسلة تحليل سياسات، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، قطر، سبتمبر 2023، ص 6-7.

(40) المرجع السابق.

(41) Olyinka Ajala, Opcit.

(42) Niger: Containing the fallout from the coup, OCTOBER 2023.

<https://www.crisisgroup.org/africa/sahel/niger-containing-fallout-coup>.

(43) Idem.

لقد كشف انقلاب النيجر الأخير عن بعض التداعيات المحتملة على منطقة الساحل الأفريقي، فقد أضعف هذا الانقلاب النفوذ السياسي لعرب الساحل، الذين كانوا يتمتعون بدعم النظام السابق في النيجر. كما تشير التحليلات إلى أن هذا الانقلاب قد يؤدي إلى تفاقم التوترات الإثنية في المنطقة، مما قد ينجم عنه موجات هجرة غير محسوبة العواقب⁽⁴⁴⁾.

فوفقاً للتحليلات، فإن انقلاب النيجر سيضع البدو العرب الذين استقروا شمال دارفور أمام خيار صعب، وهو عدم العودة إلى النيجر. كما أن هذا الانقلاب قد يدفع المزيد من سكان النيجر للهجرة إلى السودان وأماكن أخرى، إذ لا يُعتبر هذا الانقلاب مجرد تغيير عسكري، بل قد يمهد الطريق لتحول اجتماعي أوسع نطاقاً من غالبية السكان في النيجر ضد الأقلية هناك⁽⁴⁵⁾.

تمر النيجر بمرحلة حرجة بعد الانقلاب العسكري الذي شهدته، وتواجه الجهات الفاعلة تحديات كبيرة لمنع تفاقم الأوضاع في البلاد⁽⁴⁶⁾.

فمنظمة دول غرب أفريقيا (إيكواس) منقسمة بشأن التدخل العسكري، إذ أن هذا الخيار قد يؤدي إلى اندلاع حرب إقليمية. فدول مثل مالي وبوركينا فاسو مستعدة للتدخل لدعم النيجر، بينما ترفض الجزائر وتشاد أي تدخل عسكري⁽⁴⁷⁾.

في هذه الأثناء يبدو الاتحاد الأفريقي عاجزاً عن اتخاذ إجراءات حاسمة سوى تجميد عضوية النيجر، أما فرنسا فتؤكد دعمها لتدخل (إيكواس)، في حين تبحث الولايات المتحدة الأمريكية عن حلول تضمن بقاء النيجر في دائرة حلفائها دون أن تتركها لخصومها الذين ينتهزون الفرصة لتغيير الموازين لصالحهم⁽⁴⁸⁾.

كذلك يُفاقم الانقلاب في النيجر من سياسات الحرب الباردة الجديدة والتنافس بين القوى الغربية وروسيا من أجل السيطرة على منطقة الساحل الأفريقي، وهو ما يدفع هذه الأطراف المتنافسة إلى التركيز في التأثير في توازنات الصراعات حالياً في دول المنطقة وتحديداً في السودان⁽⁴⁹⁾.

لقد أدى الانقلاب العسكري الأخير في النيجر إلى خسارة فرنسا لنفوذها السياسي والعسكري والاقتصادي في دول أفريقيا الناطقة بالفرنسية، وخاصة بعد نجاح انقلابات مشابهة في بلدان أخرى كمالي وبوركينا فاسو وغينيا وتشاد، حيث تولت السلطة في هذه الدول أنظمة حكم غير موالية لفرنسا كما كان سائداً في السابق⁽⁵⁰⁾.

إضافة إلى ذلك، أدى انقلاب النيجر إلى زيادة حالة عدم الاستقرار في القارة الأفريقية، لاسيما منطقة الساحل الأفريقي، حيث من المتوقع أن يؤدي هذا الانقلاب إلى سلسلة من

(44) هاشم على حامد محمد، الواقع الإقليمي و "البُعد القبلي" في انقلاب النيجر، INDEPENDENT عربي، 4 أغسطس 2023، في: www.independentarabia.com

(45) المرجع السابق.

(46) محمد صالح عمر، انقلاب النيجر.. مفاتيح لفهم ما يجري إثنياً واقتصادياً واستراتيجياً، الجزيرة نت، 2023/8/9، في: www.aljazeera-net.cdn.ampproject.org

(47) المرجع السابق.

(48) المرجع السابق.

(49) هاشم على حامد محمد، مرجع سبق ذكره.

(50) ندوة التداعيات الإقليمية والدولية لانقلاب النيجر تؤكد على حاجة أفريقيا لمقاربة حكم جديدة، سبتمبر 2023، مركز الجزيرة للدراسات، في: <https://studies.aljazeera.net>

الانقلابات المضادة، في محاولة من الدول التي تشعر بأنها تفقد نفوذها لاستعادة ذلك النفوذ، في إطار الصراع الدولي على موارد وثروات القارة الأفريقية، وبالتالي فإن انقلاب النيجر إذ كان يعكس صراعاً بين فاعلين دوليين، فلن يعود بالنفع على المواطن النيجيري من حيث الأمن والاستقرار والتنمية⁽⁵¹⁾.

أدى الانقلاب الأخير في النيجر إلى زعزعة الترتيبات الأمنية الإقليمية بشكل أكبر، مما قد يعزز العلاقات بين الجماعات الإسلامية المتطرفة في غرب البلاد. في الوقت نفسه، تعرضت بنين وتوغو لسلسلة من الهجمات المميتة التي استهدفت مواقع الجيش والقرى الحدودية المعزولة في الشمال. أصبح الجهاديون المتمركزون في غابات بوركينا فاسو الجنوبية يشكلون تهديداً للاستقرار الإقليمي⁽⁵²⁾.

تشير التقديرات الاستخباراتية إلى أن «داعش غرب أفريقيا» بدأ بنقل جزء من مقاتليه من النيجر إلى الحدود مع نيجيريا، خشية تدخل قوات (إيكواس) في النيجر وإغلاق حدود البلاد، هذا التحرك قد يشكل خطراً كبيراً على المنطقة بأسرها⁽⁵³⁾.

يمكن للانقلاب العسكري في النيجر أن يحولها إلى مسرح جديد للإرهاب، خاصة لقرتها من معاقل (بوكونغرام) و (داعش) في نيجيريا. على سبيل المثال، وقع أحدث هجوم لجماعة (نصرة الإسلام والمسلمين) في التاسع من أغسطس 2023، ومن المرجح أن تصبح النيجر هدفاً لعمليات مماثلة⁽⁵⁴⁾.

يزيد الوضع خطورة الاضطرابات في السودان ودول الساحل الأفريقي بشكل عام، مما يعزز من احتمالية انتشار التوتر والعنف في المنطقة⁽⁵⁵⁾.

وبشكل عام فإن الانقلاب الأخير أضعف قدرة النيجر على مواجهة التحديات الأمنية والاقتصادية والإنسانية التي تواجهها البلاد، مما يُثير المخاوف بشأن مستقبل البلاد.

كما أثر الانقلاب سلباً على الأمن الإقليمي إذ أنه قوّض قدرة النيجر على التعاون الأمني والإقليمي والمشاركة في مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف، مما أدى إلى مزيداً من زعزعة الاستقرار في المنطقة ويعرض المنطقة الحدودية للمزيد من التهديدات الأمنية كمنشآت الجماعات المتطرفة.

وعلى الصعيد الدولي فتح الانقلاب المجال للتنافس الغربي- الروسي في المنطقة مما زاد التوتر الجيوسياسي، كما أنه من الممكن التدخل المباشر من الدول الغربية تحت ذرائع حماية مصالحها الاقتصادية أو محاربة الإرهاب.

المطلب الخامس: سياقات التنافس الدولي لانقلابات الساحل:

(51) المرجع السابق.

(52) مكافحة الإرهاب- ما تداعيات الانقلاب العسكري في النيجر؟، 19 أغسطس، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، في:

www.europarabct.com

(53) أمن دولي- مخاطر الانقلابات العسكرية في الساحل الأفريقي، 28 أغسطس 2023، المركز الأوروبي لدراسات ومكافحة الإرهاب والاستخبارات- ألمانيا وهولندا، في:

www.europarabct.com

(54) المرجع السابق.

(55) المرجع السابق.

تشير بعض الأدبيات إلى اتهام القوى الدولية مثل فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، بالتورط في الانقلابات العسكرية في بعض دول أفريقيا خلال السنوات الأخيرة، الهدف المزعوم لذلك هو تقويض المصالح الاقتصادية المتنامية لقوى دولية أخرى، وبالأخص الصين وروسيا في القارة الأفريقية، على سبيل المثال، تتمتع الصين بنفوذ قوي في جمهورية غينيا، حيث تشارك نحو 14 شركة صينية خاصة وأخرى مملوكة للدولة في أعمال استخراج البوكسيت، كما أن غينيا تضم مشروع «سيماندو» الذي يحتوي على أكبر رواسب الحديد الخام في العالم، ويعمل به أكبر شركتين صينيتين، هما: (نجكيا وريوتينتو)، وتحصل الصين بصفقتها أكبر منتج ومستهلك للألومنيوم في العالم على نحو 50% من واردات البوكسيت في غينيا⁽⁵⁶⁾.

وفي المقابل، هناك ترجيحات بوجود ارتباطات قوية بين قائد الانقلاب الأخير في غينيا وكل من فرنسا والولايات المتحدة. ويُعتقد أن هاتين الدولتين قد توظفان ذلك لمساعدة القوى السياسية الجديدة في غينيا لتقليص الوجود الصيني لمصالحهما⁽⁵⁷⁾.

وعلى النقيض من الولايات المتحدة وفرنسا، اللتين كثيراً ما يربطان المساعدات العسكرية بشروط سياسية وأخلاقية، تبنت روسيا استراتيجية عدم التدخل في الشؤون الداخلية، فوفرت الغذاء والأمن والأسلحة من دون الشروط الغربية المسبقة المألوفة، وعلى نحو مماثل، تقدم الصين المستثمر الأجنبي الأكبر في المنطقة أموالاً نقدية سريعة ووعوداً بالبنية الأساسية في مقابل حقوق الموارد في المستقبل، وهو اقتراح مغرٍ للأنظمة غير المستقرة التي تسعى إلى مركزية السلطة⁽⁵⁸⁾.

إن عودة الانقلابات العسكرية إلى منطقة الساحل الأفريقي وانتشارها في مناطق أخرى من القارة تعكس المنافسة الدولية المتصاعدة بين القوى الغربية التقليدية كفرنسا والقوى الصاعدة كروسيا، فبعد أن كانت فرنسا الشريك الاستراتيجي الرئيسي في هذه المنطقة، أصبحت تواجه تحديات كبيرة في الحفاظ على نفوذها وضمان استقرار المنطقة⁽⁵⁹⁾.

لقد استغلت روسيا الانسحابات الغربية من مناطق النزاع، وقدمت دعماً دبلوماسياً وأمنياً لدول أفريقي مثل مالي وبوركينا فاسو والنيجر، هذه التحالفات الجديدة ساعدت روسيا في الوقت الذي تواجه فيها انتقادات بسبب غزوها لأوكرانيا في فبراير⁽⁶⁰⁾ 2022.

تسعى روسيا إلى إيجاد بدائل لها في المنطقة من خلال تقديم وعود بالشراكة والتنمية والازدهار، وتمثل النيجر نقطة استراتيجية مهمة لكل من الولايات المتحدة وعدد من الدول الأوروبية لاسيما فرنسا، بسبب وجود قواعد عسكرية على أراضيها، في حين أن موقعها الجغرافي بين الساحل وشمال أفريقيا يجعلها محوراً لتنافس القوى الخارجية لمواجهة الجماعات المتطرفة والنفوذ الروسي المتنامي في المنطقة⁽⁶¹⁾.

تتسم النيجر بأهمية استراتيجية لفرنسا كونها رابع منتج لليورانيوم في العالم، وتغطي حوالي 35% من احتياجات فرنسا من هذا المعدن النادر، بالإضافة إلى وجود قاعدة عسكرية

(56) بشرى جاسم محمد، مرجع سبق ذكره.

(57) المرجع السابق.

(58) Aja Melville, Russia Exploits Western Vacuum in Africa's Sahel Region, April 22, 2024, DEFENSE AND SECURITY MONITOR.

(59) محمد طيفوري، مرجع سبق ذكره، ص 7.

(60) Aja Melville, Op. Cot.

(61) محمد طيفوري، مرجع سبق ذكره، ص 7.

فرنسية في النيجر وتواجد نحو 1500 جندي فرنسي هناك، ما يجعلها مركزاً رئيسياً لعمليات فرنسا ضد الجماعات المسلحة في منطقة الساحل، كما أن موقع النيجر الاستراتيجي يجعلها مركزاً مهماً لمراقبة الحدود مع ليبيا ومكافحة الهجرة غير الشرعية. واستقرار النيجر مهم جداً بالنسبة لفرنسا لاعتبارات سياسية واقتصادية وأمنية في المنطقة⁽⁶²⁾.

يتضح من السياق السالف ذكره أن هناك تنافس دولي على النيجر بسبب أهميتها الاستراتيجية، لقد قام المجلس العسكري النيجيري بإلغاء اتفاقيات التعاون العسكري مع فرنسا وبث قناتين فرنسيتين، مما قد يفتح الباب لتدخل روسي في المنطقة وخطر امتداد سيناريو أوكرانيا إلى دول الساحل الأفريقي، هذا التنافس يأتي في ظل ضعف الجيش النيجيري أمام ضغوط فرنسا وانتشار عناصر من «فاغنر» في بلدان الجوار النيجيري⁽⁶³⁾.

كما اتخذت النيجر خطوة أخرى جديدة في مطالبة القوات الأمريكية في البلاد بالرحيل عن النيجر، بل وقامت بإدخال قوات روسية إلى القاعدة الأمريكية في البلاد، مما يجعل واشنطن تنضم لفرنسا في قائمة الراحلين من النيجر، وقبلها مالي وبوركينا فاسو، مما يثير التساؤلات حول مصير القوات الأمريكية والفرنسية بعد الخروج من تلك الدول⁽⁶⁴⁾.

في الوقت نفسه الذي أعربت فيه الحكومة العسكرية في النيجر عن رغبتها في انسحاب القوات الأمريكية من أرضها نهائياً، توجهت نيامي إلى موسكو للحصول على دعم أممي، وأعلنت عن وصول مدربين عسكريين روس وتوقيع اتفاق لتعزيز التعاون، وهذا الانسحاب الأمريكي من النيجر يُعد نصراً استراتيجياً لموسكو في منطقة الساحل الأفريقي. كما بدأت عدد الدول الأفريقية اتصالاتها مع الشركاء الغربيين وتعزيز التعاون مع روسيا. بشكل عام، هناك تحول ملحوظ في توجهات النيجر وبعض الدول الأفريقية نحو التقارب مع روسيا على حساب الشراكات الغربية⁽⁶⁵⁾.

وبعد الإعلان عن سحب القوات الأمريكية من النيجر، أكد المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية أو واشنطن تعتزم سحب قواتها من تشاد بشكل مؤقت، ووصف تقرير لصحيفة «نيويورك تايمز» هذه الخطوة بأنها ضربة كبيرة للأمن الأمريكي وسياسة مكافحة الإرهاب في منطقة الساحل وغرب ووسط أفريقيا. وكان الرئيس التشادي قد هدد بإلغاء اتفاقية وجود القوات الأمريكية في البلاد بعد أن شكك في شرعية هذه العمليات⁽⁶⁶⁾.

إن تزايد نفوذ روسيا والصين في منطقة الساحل الأفريقي يشير إلى فراغ جيوسياسي تركته القوى الغربية بالأخص فرنسا، وعلى الرغم من أن هذا الأمر أتاح لهما فرصة لتوسيع

(62) فاروق حسين أبو ضيف، انقلاب النيجر ومنطقة الساحل الأفريقي.. التداعيات وردود الأفعال، مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، 2023/8/9، في:

<https://pharostudies.com>

(63) انقلاب النيجر.. هل يتكرر سيناريو أوكرانيا في غرب أفريقيا، نيامي-سكاى نيوز عربية، 5 أغسطس 2023، في:

<https://www.skynewsarabia.com>

(64) سيد مصطفى، بعد طردها من النيجر.. ما مصير القوات الفرنسية والأمريكية في غرب أفريقيا؟، ANF NEWS، السبت 18 مايو 2024، في:

<https://anfarabic.com>

(65) سمية الكومي، كيف يؤثر انسحاب القوات الأمريكية في النيجر في تشكيل خريطة الساحل الأفريقي؟، TRT عربي، 24 مايو 2024، في:

<https://www.trtarabi.com>

(66) المرجع نفسه.

نفوذهما، إلا أن تدخلهما لم يعالج القضايا الأساسية للاستقرار على المدى الطويل، مثل انتشار الجماعات المسلحة والفساد الحكومي والفقر المستمر. وهذا يطرح تساؤلات حول مستقبل الأمن الإقليمي وإدارة الموارد المحلية في ظل هذا التحول في التحالفات. وقد يؤدي تراجع الغرب عن المنطقة إلى فترة من الاضطرابات المستمرة وإعادة التنظيم الاستراتيجي في المنطقة.

المطلب السادس: نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من خلالها أجابت على التساؤلات التي طرحتها الدراسة. وفي هذا السياق تنقسم نتائج الدراسة إلى عدة محاور تتمثل في الآتي:

أولاً: فيما يتعلق بالتحديات التي تواجه دول الساحل الأفريقي:

تواجه منطقة الساحل الأفريقي تحديات خطيرة متمثلة في انتشار الجماعات الإرهابية المتطرفة، بالإضافة إلى الضعف المؤسسي والحكومي، والفقر المدقع، والبطالة المرتفعة، والتحديات البيئية والمناخية الحادة، هذه التحديات المتداخلة والمتشابكة تشكل تهديداً كبيراً على استقرار وأمن دول المنطقة، وتتطلب جهوداً إقليمية ودولية متضافرة في المجالات الأمنية والتنمية والحوكمة للتصدي لها.

ولكن نستطيع الزعم بأن التحدي الأخطر الذي يواجه دول منطقة الساحل الأفريقي هو البروز القوي للخصوصيات الأثنية في المنطقة، والذي أدى إلى هيمنة إثنيات محددة على الثروة والسلطة، مما تسبب في تهيمش واستبعاد إثنيات أخرى رغم أهميتها التاريخية والسياسية والديموقرافية.

ولذلك برز الإحساس من قبل الإثنيات المهمشة بالإقصاء السياسي والثقافي والشعور بالظلم الاجتماعي والاقتصادي، وهو ما أدى إلى التمسك بالهويات والثقافات المحلية، ونظراً لتأخر الاعتراف بهذه الخصوصيات، شهدت معظم دول المنطقة مشكلات داخلية عديدة، سواء على شكل صراعات أهلية أو نزاعات إثنية⁽⁶⁷⁾، وانعكس ذلك سلباً على الشعور بالهوية الوطنية والاندماج الاجتماعي، مؤثراً بشكل كبير على البني الاجتماعية والنشاط الاقتصادي في تلك الدول.

وعليه يمكن القول إن الصراع الإثني والقبلي في دول منطقة الساحل الأفريقي له علاقة وطيدة بالتحديات التي تواجهها هذه الدول:

1. التهميش السياسي والاقتصادي لبعض الجماعات الإثنية: قد يؤدي إلى شعورهم بالظلم والتهميش مما يجعلهم عرضة لإغراءات الجماعات الإرهابية المتطرفة.
2. الصراعات والنزاعات الإثنية: تُعد نقطة ضعف يشتغلها الإرهابيون لإثارة الفتن والصراعات المجتمعية وزعزعة الاستقرار.
3. بعض القوى الكبرى تسعى إلى استغلال الخطوط الإثنية والقبلية لتعزيز نفوذها وتحقيق مصالحها في المنطقة.
4. الشعور بالتهميش والتمييز الأثني يقلل من ثقة المواطنين في المؤسسات الحكومية، مما يجعلهم أكثر قبولا للفساد كوسيلة للحصول على الخدمات والحقوق.

(67) أزمة دارفور في السودان ومشكلات الطوارق في مالي والنيجر.

لذلك معالجة قضايا التنوع الأثني بشكل عادل وتعزيز المواطنة المتساوية أمر حيوي لمكافحة الفساد في دول الساحل الأفريقي.

5. عدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية بين الجماعات الإثنية قد تدفع بعض الأفراد إلى الهجرة غير الشرعية أو النزوح.

لذلك، معالجة قضايا التنوع الإثني بطريقة عادلة وشاملة وتعزيز المواطنة المتساوية أمر أساسي لمعالجة التحديات المترابطة في دول الساحل الأفريقي.

ثانياً؛ فيما يتعلق بأسباب الانقلاب العسكري في النيجر؛

لقد تم الاستشهاد بالركود الاقتصادي، والهجمات الإرهابية العنيفة المستمرة، والفساد السياسي، وانعدام الثقة في القيادة المدنية كأسباب رئيسية لتدخل الجيش في الحياة السياسية. كما لعبت المشاعر المعادية لفرنسا (الاستعمار القديم) دوراً واضحاً في نجاح الانقلاب العسكري في النيجر، حيث تم تحريك مشاعر الناس لتبرير الانقلاب، بغض النظر عن النتائج التي تنتج بعدها.

بالإضافة إلى القضايا السابقة كمبررات للانقلاب في النيجر، هناك قضايا أخرى؛ قد نزع من خلال هذه الدراسة بأنها الأسباب الحقيقية التي ساعدت وأدت إلى انقلاب النيجر، وهي على النحو التالي:

1. الصراع على السلطة والموارد بين المكونات المدنية والعسكرية في النيجر، يبدو أن هذا الصراع تصاعد في الفترة الأخيرة، لاسيما بعد تولي «محمد بازوم» الرئاسة، ما دفع القادة العسكريين إلى التدخل والاستيلاء على السلطة عبر انقلاب.
2. قرارات الرئيس المعزول «محمد بازوم» بتغيير قيادات عسكرية بارزة، مثل عزل رئيس الأركان وتعيين قائد جديد، إضافة إلى النوايا المتداولة بإقالة رئيس الحرس الرئاسي، أدت إلى تسريع الانقلاب الذي قاده هذا الأخير بدعم من بعض مراكز القوى في الدولة.
3. الخلفية الإثنية لقائد الانقلاب «عبد الرحمن تيشاني»، حيث ينتمي إلى إثنية «الهوسا» والتي تشكل 50% من سكان النيجر، في المقابل الرئيس المعزول «محمد بازوم» ينتمي إلى الأقلية العربية في النيجر والتي تشكل 1% فقط من عدد السكان، هذا التباين الإثني يعتقد بأنه كان سبب مباشر في تشجيع العسكريين على الانقلاب، ودليل ذلك اعتمد الانقلابيون في خطابهم على الدعوة للتظاهر كدليل على السند الإثني.
4. الدعم الدولي المحتمل، والتي أشارت إليه بعض التقارير الإخبارية، لاسيما من قبل روسيا قد شجع على الانقلاب.
5. فشل المنظمات الإقليمية مثل (الإيكواس) في التعامل بحزم مع الانقلابات العسكرية في منطقة الساحل (انقلابات غينيا وبوركينا فاسو ومالي) قد ساهم في تشجيع القادة العسكريين في النيجر على الانقلاب.

بشكل عام؛ يبدو أن الصراع على السلطة بين المكونات العسكرية والمدنية، والدعم الروسي المحتمل للجيش النيجيري، في مقابل الانسحاب الفرنسي- الغربي من المنطقة، والخلفية الإثنية للرئيس المعزول «بازوم» وقرارات بعزل شخصيات بارزة في الجيش النيجيري كانت الأسباب الرئيسية والحقيقية لانقلاب النيجر.

ثالثاً: فيما يتعلق بتداعيات الانقلاب في النيجر:

1. وفقاً للمرسوم الصادر عن المجلس العسكري الانتقالي في 25 نوفمبر 2023، تم إلغاء قانون مكافحة تهريب المهاجرين، وقد أكد رئيس المجلس العسكري الانتقالي «عبد الرحمن تشياني» أن الإدانات الصادرة بموجب هذا القانون وآثارها ستتم إزالتها، كما صرح الأمين العام لوزارة العدل «إبراهيم جان» بأن جميع المدانين بموجب هذا القانون سيتم إطلاق سراحهم من قبل وزارة العدل.

يعتبر هذا القرار خطوة في اتجاه إنهاء العلاقات مع الأوروبيين، لاسيما إذا قُرئ هذا مع إلغاء الشراكة العسكرية مع الاتحاد الأوروبي.

وفي ظل الصعوبات الاقتصادية التي تواجهها الدول الأفريقية نتيجة لتداعيات جائحة كوفيد-19، وحرب روسيا على أوكرانيا، والتغيرات المناخية الحادة، والأوضاع الأمنية المتردية في عدد من دول القارة الأفريقية، وبالأخص في غربها، فإن ذلك سيفتح الباب على مصراعيه أمام موجات جديدة من الهجرة جنوب القارة إلى الاتحاد الأوروبي، وسيؤثر ذلك بالطبع على دول العبور وهي دول شمال أفريقيا باعتبارها مواقع الانتظار والاستعداد للمهاجرين القادمين من جنوب القارة الأفريقية.

2. من المتوقع أن يتأثر الوضع الأمني سلباً، وقد تزداد حالات العنف وتفاقم الانقسامات الإثنية في البلاد. قد يواجه الأقليات الإثنية مثل (التبو والقرعان والطوارق) صعوبات في الحفاظ على نفوذهم، وذلك بعد أن كانوا يتشاركون السلطة مع الرئيس السابق «محمد بازوم»، أو يشعرون بالتهميش، هذا الوضع قد يقلل فرص الحوار والتوافق بين مختلف مكونات السكان، بما في ذلك (الهوسا) الذين يشكلون الغالبية في النيجر، والذي ينتمي لهم الجنرال «عبد الرحمن تشياني» قائد الانقلاب الأخير.

3. قد يؤدي اصطاف المجلس العسكري مع روسيا إلى زيادة النفوذ الروسي في المنطقة، وقد يجعل النيجر نقطة محورية في التنافس الجيوسياسي بين الغرب وروسيا.

ومن غير المستبعد أن يحدث تعاون وتنسيق بين روسيا والصين في منطقة الساحل الأفريقي، وأن يتم تقاسم الأدوار بينهما في هذه المنطقة، وبالطبع سيكون هذا التنسيق على حساب المصالح الغربية في المنطقة.

إن تعاون روسيا والصين في منطقة الساحل الأفريقي قد يكون له تداعيات كبيرة على استقرار المنطقة، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى:

أ. زيادة الصراعات الجيوسياسية، مما قد يزيد من حدة الصراعات السياسية والأمنية.

ب. تقويض جهود الاستقرار الإقليمي، حيث يستغل الروس والصينيون الانقسامات والنزاعات الداخلية في دول الساحل الأفريقي لتعزيز نفوذهم، مما يقوض الجهود الرامية إلى تحقيق الاستقرار السياسي والأمني في المنطقة.

ج. تعزيز الإرهاب والجريمة المنظمة، فمن المحتمل أن يساعد هذا التحالف الجماعات الإرهابية والجماعات المسلحة في الحصول على الدعم اللوجستي والمالي، مما يؤدي إلى تفاقم التهديدات الأمنية في الساحل.

د. زيادة موجات الهجرة غير النظامية، حيث قد تؤدي التدخلات الخارجية والصراعات

المحلية إلى تفاقم أزمة اللاجئين والهجرة غير النظامية في المنطقة نحو أوروبا مروراً بدول شمال أفريقيا، والتي ستتأثر سلباً بموجات الهجرة هذه، سواء على الصعيد الاقتصادي أو السياسي أو الأمني بما في ذلك التأثيرات الديمغرافية.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة، يتضح أن الانقلاب العسكري الذي شهدته النيجر في عام 2023 يعكس تداخلاً معقداً من العوامل السياسية والاجتماعية، بما في ذلك العامل الإثني الذي لعب دوراً رئيسياً في تشكيل الديناميات الداخلية للبلاد. إن التوترات الإثنية التي تتأصل في تاريخ طويل من الصراعات والتناقضات، قد ساهمت في الاستياء العام وفقدان الثقة في الحكومة مما أدى إلى بيئة مواتية للانقلاب.

تتجاوز تداعيات هذا الانقلاب حدود النيجر، حيث تتعلق بمسائل الهجرة والإرهاب. فقد يؤدي عدم الاستقرار إلى تفاقم الأزمات الإنسانية، مما يدفع بمزيد من الناس إلى مغادرة البلاد بحثاً عن الأمان. كما أن تصاعد النشاط الإرهابي في المنطقة قد يجد فرصة للتوسع في ظل الفراغ الأمني الناتج عن الانقلاب، مما يهدد الأمن الإقليمي بشكل أوسع.

علاوة على ذلك، فإن الانقلاب قد يثير موجة من الانقلابات المضادة، خاصة في ظل التنافس الدولي المتصاعد بين القوى الكبرى، بما في ذلك روسيا والغرب، لاسيما فرنسا. هذا التنافس قد يؤدي إلى تدخلات غير مرغوبة في الشؤون الداخلية للدول، مما يزيد من تعقيد المشهد السياسي ويؤثر سلباً على جهود الاستقرار.

إن فهم هذه الديناميات المعقدة يعد أمراً ضرورياً لصياغة سياسات فعالة تعزز الأمن والاستقرار في النيجر ومنطقة الساحل. يجب أن تركز الجهود على معالجة القضايا المتعلقة بالتنوع الإثني، وتعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى التعاون الدولي لمواجهة التحديات الإرهابية والهجرية.

في النهاية، يتطلب بناء مستقبل أكثر استقراراً وأماناً للنيجر ودول الساحل الأفريقي تفهما عميقاً لتلك العوامل وتأثيراتها المتبادلة، مما يساهم في تحقيق تنمية شاملة ومستدامة.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

1. د. أحمد حمودة حامد، العلاقات المدنية- العسكرية «طبيعة المهنية العسكرية»، 24 مارس 2012، أخبار السودان لحظة بلحظة: في:

<https://www.alrakoba.net/190042>

2. أسامة السعيد، انقلابات أفريقيا ... تحولات داخلية يؤججها التنافس الدولي، 30 أغسطس 2023، صحيفة الشرق الأوسط، في:

<https://aawsat.com>

3. أمن دولي- مخاطر الانقلابات العسكرية في الساحل الأفريقي، 28 أغسطس 2023، المركز الأوروبي لدراسات ومكافحة الإرهاب والاستخبارات- ألمانيا وهولندا، في:

www.europarabct.com

www.aljazeera-net.cdn.ampproject.org

17. محمد طيفوري، صهيب محمود، انقلابات الساحل: الأسباب الداخلية وتأثيرات التنافس الدولي، سلسلة تحليل سياسات، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، قطر، سبتمبر 2023.
18. أ. مراد بن قيطة، أ. فاطمة الزاهراء بويده، التنافس الدولي على منطقة الساحل الأفريقي، انعكاساته على المصالح الاستراتيجية الفرنسية، مجلة دفاتر المتوسط، العدد الخامس، جامعة عنابة.
19. مكافحة الإرهاب- ما تداعيات الانقلاب العسكري في النيجر؟، 19 أغسطس، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، في:

www.europarabct.com

20. ندوة التداعيات الإقليمية والدولية لانقلاب النيجر تؤكد على حاجة أفريقيا لمقاربة حكم جديدة، سبتمبر 2023، مركز الجزيرة للدراسات، في:

<https://studies.aljazeera.net>

21. د. نور الدين دخان، نوري الدين حفيظي، المؤسسة العسكرية والعملية السياسية- دراسة في المنطلقات النظرية، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد (9)، العدد (3)، ديسمبر 2018.
22. هاشم على حامد محمد، الواقع الإقليمي و«البعد القبلي» في انقلاب النيجر، INDEPENDENT عربي، 4 أغسطس 2023، في:

www.independentarabia.com

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Adama Dieng, the sahel: challenges and opportunities, IRRC No. 918, May 2022.
<http://international-review.icrc.org>.
2. Aja Melville, Russia Exploits Western Vacuum in Africa's Sahel Region, April 22, 2024, DEFENSE AND SECURITY MONITOR.
3. Niger: Containing the fallout from the coup, OCTOBER 2023.
<https://www.crisisgroup.org/africa/sahel/niger-containing-fall-out-coup>.
4. Olayinka Ajala, what caused the coup in Niger? An expert outlines three driving factors, July31, 2023.
<https://theconversation.com>.
5. The Sahel faces 3 Issues: Climate, conflict& overpopulation
<https://www.visionofhumanity.org>

الالتزام بنشر قواعد القانون الدولي الإنساني

د. منصور حمدي مصطفى

أستاذ مشارك بقسم القانون الدولي العام

كلية القانون / جامعة طبرق

القبول: 11.9.2024

الاستلام: 10.8.2024

المستخلص:

إن نشر القانون الدولي الإنساني هو التزام قانوني وألية وطنية وقائية لضمان تطبيقه واحترامه، لذلك يجب على جميع الدول الأطراف المتعاقدة نشره زمني السلم والنزاع المسلح، وحتى بعد انتهاء النزاع المسلح، وأن تشمل عملية النشر جميع الأوساط العسكرية والمدنية، مع ضرورة اتخاذ كافة الأساليب الكفيلة بالنشر، كما يمكن للدول الاستعانة ببعض الأشخاص والجهات النشطة في مجال نشر القانون الدولي الإنساني لما لها من فاعلية كبيرة في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: نشر القانون الدولي الإنساني، النزاع المسلح، السكان المدنيين، القادة العسكريون، الأوساط العسكرية.

Summary:

The dissemination of international humanitarian law is a legal obligation and a national preventive mechanism to ensure its application and respect. Therefore, all contracting states must disseminate it in times of peace and armed conflict, and even after the end of the armed conflict. The dissemination process must include all military and civilian circles, with the necessity of taking all methods to ensure dissemination. This enables countries to seek assistance from some individuals and entities active in the field of disseminating international humanitarian law because of their great effectiveness in this field

Keywords: Dissemination of international humanitarian law, armed conflict, civilian population, military commanders, military circles.

مقدمة:

من المعلوم أن نشر القانون الدولي الإنساني والتعريف به يعتبر من الأليات الهامة لتطبيق هذا القانون وتنفيذه على الصعيد الوطني، ذلك أن النشر يترتب عليه إعلام الكافة بمبادئه والتوعية به، فالجهل بالقانون الدولي الإنساني وعدم مراعاته هو على درجة أكبر من الخطورة من الجهل بظروف القانون الأخرى، لأن انتهاكات هذا القانون هي أكبر فداحة من انتهاكات أي قانون آخر، حيث تؤدي هذه الانتهاكات إلى معاناة إنسانية وخسائر في الأرواح البشرية والممتلكات كان بالإمكان تفاديها لو علم مرتكبوها بالقانون الذي يحظرها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يمكن لضحايا النزاعات المسلحة التمسك بحقوقهم والدود عنها ما لم

يكونوا على علم بها، وهذا ما يجعل النشر يحظى بأهمية قصوى في مجال القانون الدولي الإنساني.

ولذلك فقد نص القانون الدولي الإنساني على ضرورة التزام الأطراف المتعاقدة بنشر أحكامه على أوسع نطاق، ليشمل العسكريين والمدنيين على السواء، في زمن السلم والحرب. أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في بيان الدور الهام والفعال للنشر في الحد أو التقليل من الانتهاكات الجسيمة لقواعد القانون الدولي الإنساني، خاصة إذا علم كل فرد سواء كان عسكرياً أو مدنياً أنه إذا ارتكب أي خرق لأحكام هذا القانون ستتم متابعته قضائياً ويعاقب على أفعاله سواء أمام القضاء الوطني أو الدولي، بمعنى أنه لن يفلت من العقاب.

أهداف البحث:

نرمي من وراء هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. التعريف بنشر القانون الدولي الإنساني، وبيان أساسه القانوني.
2. بيان النطاق الزمني لنشر القانون الدولي الإنساني.
3. بيان الأوساط المستهدفة من نشر القانون الدولي الإنساني.
4. بيان الأساليب والطرق الكفيلة بنشر القانون الدولي الإنساني.
5. بيان الأشخاص والجهات المساهمة في نشر أحكام القانون الدولي الإنساني.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث من خلال طرح السؤال الرئيسي التالي:

- ما مدى مساهمة نشر المعرفة بقواعد القانون الدولي الإنساني بين جميع الأوساط في الحد من الانتهاكات الجسيمة التي تقع أثناء النزاعات المسلحة؟
- ويتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة التالية:
- ماذا نعني بنشر قواعد القانون الدولي الإنساني؟
- ما الأساس القانوني للالتزام بنشر القانون الدولي الإنساني؟
- ما النطاق الزمني لنشر القانون الدولي الإنساني؟
- ما الأوساط المستهدفة من عملية نشر قواعد القانون الدولي الإنساني؟
- ما الأساليب الواجب اتباعها لنشر قواعد القانون الدولي الإنساني؟
- ما الجهات التي تساهم في نشر قواعد القانون الدولي الإنساني؟ وهل لها دور فعال أم لا؟

منهج البحث:

لمعالجة هذا الموضوع، والإجابة على الإشكالية السابقة، فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي والتحليلي، وذلك من خلال وصف وعرض ما هو موجود من النصوص القانونية الدولية المتعلقة بنشر قواعد القانون الدولي الإنساني، وتحليل مضمون تلك النصوص من خلال الملاحظة والتعليق، وذلك لبيان مدى كفايتها أو قصورها من أجل الوصول إلى الحل المناسب

لمعالجة كل عنصر من العناصر التي سنتطرق إليها.

خطة البحث:

للإجابة على الإشكالية الرئيسية السابقة والأسئلة المتفرعة عنها، وما يثيره هذا الموضوع من نقاط قانونية هامة تستوجب البحث والدراسة، فقد رأينا أن نتناوله عن طريق تقسيمه إلى أربعة مباحث رئيسية، وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: ماهية نشر القانون الدولي الإنساني وأساسه القانوني.

المبحث الثاني: الأوساط المستهدفة من نشر القانون الدولي الإنساني.

المبحث الثالث: أساليب نشر القانون الدولي الإنساني.

المبحث الرابع: الأشخاص والجهات المساهمة في نشر قواعد القانون الدولي الإنساني.

وينتهي البحث بخاتمة نستعرض فيها أهم النتائج والتوصيات التي خلصنا إليها من هذا البحث.

المبحث الأول: ماهية نشر القانون الدولي الإنساني وأساسه القانوني:

سنقوم بتقسيم هذا المبحث إلى مطلبين: نتحدث في المطلب الأول عن مفهوم نشر القانون الدولي الإنساني وأساسه القانوني، وتتناول في المطلب الثاني النطاق الزمني لنشر القانون الدولي الإنساني.

المطلب الأول: مفهوم نشر القانون الدولي الإنساني وأساسه القانوني:

ليبيان المقصود بنشر القانون الدولي الإنساني وأساسه القانوني سنقسم هذا المطلب إلى فرعين: نتناول في الفرع الأول التعريف بنشر القانون الدولي الإنساني، ونتطرق في الثاني للأساس القانوني للالتزام بنشر القانون الدولي الإنساني، وذلك على النحو التالي:

الفرع الأول: التعرف بنشر القانون الدولي الإنساني:

طبقاً للقاعدة المعروفة في مختلف التشريعات الوطنية أنه: «لا عذر لأحد بجهل القانون» أي أنه لا يجوز لأي شخص انتهاك القانون أن يتحجج بجهله له من أجل عدم توقيع الجزاء عليه، لذا فإن الجهل بقواعد القانون الدولي الإنساني نتائجه حتماً ستكون وخيمة نظراً لما يترتب عنها من وقوع انتهاكات ومعاناة كان بالإمكان تفاديها لو كان هناك معرفة واسعة وعلم بقواعد هذا القانون، وعليه فمن الضروري أن يولي كل شخص اهتماماً كبيراً بالقانون الدولي الإنساني لمعرفة ما له من حقوق وما عليه من التزامات لضمان الحماية، وتجنب العقاب بسبب انتهاك هذا القانون، ولتحقيق كل هذا لا بد من القيام بنشر أحكام هذا القانون على أوسع نطاق ممكن.⁽¹⁾

ومن خلال هذا الفرع سنوضح التعريف الاتفاقي والتعريف الفقهي لمعنى نشر القانون الدولي الإنساني، وذلك على النحو التالي:

أولاً: التعريف الاتفاقي:

(1) أ. لعور حسان حمزة، أهمية نشر القانون الدولي الإنساني كآلية لتحقيق الإنسانية زمن النزاعات المسلحة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 29، ديسمبر 2013، ص 261.

لم يرد في مواثيق القانون الدولي الإنساني أي تعريف لمعنى نشر قواعد هذا القانون، وإنما نصت هذه المواثيق على ضرورة التزام الأطراف المتعاقدة على نشر أحكامها على أوسع نطاق. ومع ذلك فقد ورد تعريف للنشر في القرار رقم 21 الصادر عن المؤتمر الدبلوماسي لتأكيد وتطوير القانون الدولي الإنساني المطبق زمن النزاعات المسلحة الذي عقد في أربع دورات بجنيف في الفترة الممتدة من 1974 إلى 1977، عندما ذكر بأن النشر: « هو أسلوب أو تدبير من التدابير الوطنية التي تساهم في الترويج لنشر المثل الإنسانية العليا وإشاعة روح السلام بين الشعوب »⁽²⁾.

ثانياً: التعريف الفقهي:

يعرف الدكتور شريف عتلم النشر بأنه: « النشر يعني في قانون النزاعات المسلحة التزام الدول بتعريف قواتها المسلحة والسكان المدنيين بمبادئ القانون، وذلك من خلال تدريسها لهم ضمن برامج التدريب العسكري، وتشجيع السكان المدنيين على دراستها »⁽³⁾. كما تعرفه الدكتورة رقية عواشيرة: « النشر هو التزام قانوني اتفريقي يسعى إلى احترام هذا القانون والوصول إلى الضحايا الذين يحميهم، ويوجه إلى الأوساط المعنية بتطبيقه، ويسهر على إنجاز هذه العملية، بالإضافة إلى الدول الأطراف مؤسسات إنسانية، كاللجنة الدولية للصليب الأحمر والجمعيات الوطنية للصليب الأحمر والهلال الأحمر »⁽⁴⁾.

ويمكننا تعريف نشر القانون الدولي الإنساني بأنه آلية وطنية وقائية قانونية تلتزم الأطراف المتعاقدة، وكذلك أطراف النزاع القيام بها في زمن السلم والحرب، وحتى بعد هذه الأخيرة، وأن يشمل جميع الأوساط العسكرية والمدنية بالاستناد إلى جميع أساليب النشر الكفيلة بذلك، بهدف الحد من وقوع انتهاكات جسيمة أثناء النزاعات المسلحة وترسيخ المبادئ الإنسانية.

الفرع الثاني: الأساس القانوني للالتزام بنشر القانون الدولي الإنساني:

إن نشر القانون الدولي الإنساني هو التزام قانوني اتفريقي يستند إلى الاتفاقيات الدولية، والتي تعتبر من المصادر الرئيسية للقانون الدولي الإنساني.

ولقد ورد أول نص قانوني يلزم الدول بنشر القانون الدولي الإنساني في اتفاقية لاهاي الثانية 1899م، المتعلقة بقوانين وأعراف الحرب البرية، حيث نصت المادة الأولى منها على أنه يجب على الدول المتعاقدة أن تصدر تعليمات لجيوشها في الميدان تكون متفقة مع لائحة قوانين وأعراف الحرب البرية والملحقة بهذه الاتفاقية⁽⁵⁾، وهذا ما نصت عليه كذلك اتفاقية لاهاي الرابعة لعام 1907، المتعلقة باحترام قوانين وأعراف الحرب البرية في مادتها الأولى⁽⁶⁾.

ومن الملاحظ على هاتين الاتفاقيتين تركيزهما على نشر قواعد القانون الدولي الإنساني

(2) أ. لعور حسان حمزة، نشر القانون الدولي الإنساني، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الحاج لخضر، بانه، الجزائر، 2009، ص 13 وما بعدها.

(3) د. شريف عتلم، القانون الدولي الإنساني، دليل للأوساط الأكاديمية، الكتاب الثالث، إصدارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، جنيف، 1992، ص 269.

(4) د. رقية عواشيرة، حماية المدنيين والأعيان المدنية في النزاعات المسلحة غير الدولية، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، 2001، ص 345، 346.

(5) أ. لعور حسان حمزة، نشر القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 16، 17.

(6) تنص المادة الأولى من اتفاقية لاهاي الرابعة المتعلقة باحترام قوانين وأعراف الحرب البرية 1907 على أن: « على الدول المتعاقدة أن تصدر إلى قواتها المسلحة البرية تعليمات تكون مطابقة للائحة الملحقة بهذه الاتفاقية والخاصة باحترام قوانين وأعراف الحرب البرية »

في الأوساط العسكرية دون المدنية.

أما اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949، فقد أولت موضوع النشر أهمية أكبر مما كان عليه الوضع في اتفاقيات لاهاي⁽⁷⁾، حيث نصت هذه الاتفاقيات في موادها المشتركة (47، 48، 127، 144) على ضرورة التزام الأطراف المتعاقدة بنشر أحكامها على أوسع نطاق ليشمل العسكريين والمدنيين على حد سواء، في وقت السلم كما في وقت الحرب، فقد نصت هذه المواد على أن: « تتعهد الأطراف السامية المتعاقدة، بأن تنشر نص هذه الاتفاقية على أوسع نطاق ممكن في بلدانها، في وقت السلم كما في وقت الحرب، وتتعهد بصفة خاصة بأن تدرج دراستها ضمن برامج التعليم العسكري والمدني إذا أمكن، بحيث تصبح المبادئ التي تتضمنها معروفة لجميع السكان، وعلى الأخص للقوات المقاتلة المسلحة، وأفراد الخدمات الطبية والدينية ».

كما أكد البروتوكولين الإضافيين لعام 1977 الملحقين باتفاقيات جنيف الأربع على ذات الالتزام⁽⁸⁾، فقد نص البروتوكول الإضافي الأول المتعلق بحماية ضحايا المنازعات المسلحة الدولية في مادته (1/83) على أن: « تتعهد الأطراف السامية المتعاقدة بالقيام في زمن السلم وكذا أثناء النزاع المسلح بنشر نصوص الاتفاقيات ونص هذا البروتوكول على أوسع نطاق ممكن في بلادها، وبيادراج دراستها بصفة خاصة ضمن برامج التعليم العسكري، وتشجيع السكان المدنيين على دراستها، حتى تصبح هذه المواثيق معروفة للقوات المسلحة وللسكان المدنيين ». فيما ينص البروتوكول الإضافي الثاني المتعلق بحماية ضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية في مادته (19) على أن: « ينشر هذا البروتوكول على أوسع نطاق ممكن ».

وهكذا شكلت النصوص الاتفاقية وغيرها من الإعلانات والتوصيات الدولية الأساس القانوني لعملية النشر في النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية⁽⁹⁾، وفي الحقيقة كل هذه النصوص تبين أن القيام بالنشر عمل ملزم وليس اختياري لكل الدول، ومن الواضح بجلاء أن هذا الالتزام بالنشر على النطاق العام هو التزام أساسي، هذا إضافة إلى أن هناك التزام متبادل يقع على عاتق الدول في سبيل النشر، وذلك بتبادل التشريعات الوطنية التي سنتها لاحتواء القانون الدولي الإنساني في نظامها القانوني الوطني، وأيضاً عليها التزام بتبادل التراجم للاتفاقيات والبروتوكول الأول⁽¹⁰⁾.

المطلب الثاني: النطاق الزمني لنشر القانون الدولي الإنساني؛

عملاً بمقتضى النصوص القانونية الواردة في اتفاقيات لاهاي وجنيف وغيرها من القرارات والتوصيات المذكورة سابقاً في الفرع الثاني من المطلب الأول، فإن جميع الدول الأطراف

(7) د. فتحي محمد فتحي الحيايني، القانون الدولي الإنساني وتطبيقاته على النزاعات المسلحة في العراق، جمعية الأمل العراقية، بغداد، 2022، ص 174.

(8) د. محمد يوسف علوان، نشر القانون الدولي الإنساني، دراسات في القانون الدولي الإنساني، دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000، ص 487.

(9) من بين هذه القرارات والتوصيات القرار رقم (21) الصادر عن المؤتمر الدبلوماسي لتأكيد وتطوير القانون الدولي الإنساني (1974-1977) المتعلق بنشر القانون الدولي الإنساني وطنياً، وكذلك القرار رقم (10) الصادر عن المؤتمر الدولي الرابع والعشرين للصليب الأحمر والهلال الأحمر المنعقد بمانيلا سنة 1981، المتعلق بتأكيد الالتزام بنشر القانون الدولي الإنساني، وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة أرقام: 37/3032 في عام 1972، والقرار 37/3102 في عام 1973، والقرار 44/32 في عام 1977. أ. أحسن كمال، آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني في ضوء التغييرات الدولية للقانون الدولي المعاصر، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011، ص 22.

(10) راجع المواد المشتركة (48، 49، 128، 145) من اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949، والمادة (84) من البروتوكول الإضافي الأول لاتفاقيات جنيف لعام 1977.

المتعاقدة، وكذلك أطراف النزاع ملزمة بأن تعمل على نشر القانون الدولي الإنساني زمن السلم والنزاع المسلح، وقد تمتد هذه العملية إلى ما بعد انتهاء النزاع المسلح.⁽¹¹⁾ وعليه سنقسم هذا المطلب إلى ثلاثة فروع: نتناول في الفرع الأول النشر وقت السلم، ونتحدث في الفرع الثاني عن النشر وقت النزاع المسلح، ونتعرض في الفرع الثالث للنشر بعد انتهاء النزاع المسلح.

الفرع الأول: النشر وقت السلم:

يجب البدء في عملية نشر القانون الدولي الإنساني بمجرد الانضمام إلى موثيق هذا القانون كخطوة أولى وليس حجزها فقط لوقت النزاع المسلح، فوقت السلم هو أفضل وقت للقيام بالنشر، لأن في فترة السلم يكون هناك استقرار تام وقدرة على الاستيعاب وتلقي المعلومات، حتى أن الدول تكون لها القدرة على القابلية على اختيار أفضل السبل والإجراءات المناسبة للتعريف بهذا القانون بين مختلف الأوساط، وكذلك تحسيس المجتمع بخطورة الحرب، وما ينتج عنها من أثار وخيمة على حياة كل إنسان، ولذلك تسمى هذه المرحلة بمرحلة الوقاية.⁽¹²⁾

الفرع الثاني: النشر وقت النزاع المسلح:

يبدأ سريان تطبيق القانون الدولي الإنساني بمجرد نشوب نزاع مسلح، حيث تعتبر هذه المرحلة من أصعب المراحل وأخطرهما، لأنه تكاد تنعدم فيها القدرة والقابلية للفهم والاستيعاب. وعليه من أجل التخفيف من المعاناة والحد من ارتكاب الجرائم الجسيمة، يتعين على جميع الأطراف المتعاقدة وخاصة أطراف النزاع الإسراع في اتخاذ الاحتياطات والتدابير اللازمة، سواء بالنسبة للمدنيين بهدف توجيههم وإبعادهم قدر الإمكان عن مناطق التوتر وتعريفهم بأهم الالتزامات التي تضمن لهم الحماية، أي ما يجب فعله وما لا يجب فعله.

أما بالنسبة للقوات العسكرية فيكفي إصدار الأوامر والتعليمات وفقاً لما نصت عليه قواعد القانون الدولي الإنساني لضمان الالتزام بتطبيقه واحترام قواعده.⁽¹³⁾

الفرع الثالث: النشر بعد انتهاء النزاع المسلح:

لابد من مواصلة عملية النشر بعد انتهاء النزاع المسلح لأنه في الكثير من الحالات ما ينشب بعد انتهاء كل نزاع مسلح صراع داخلي حول سلطة الحكم من أجل القيادة، الأمر الذي قد يؤدي إلى نشوب نزاع مسلح غير دولي، وعليه فإن نشر القانون الدولي الإنساني في هذه المرحلة يعتبر آلية وقائية احتياطية تحسباً لأي طارئ مفاجئ قد يتسبب في اندلاع النزاع المسلح من جديد، زد على ذلك أنه بانتهاء النزاع المسلح كثيراً ما يبقى العديد من أسرى الحرب تحت الأسر، الأمر الذي يستدعي بالضرورة مواصلة نشر الأحكام المتعلقة بالأسرى في أوساطهم وأوساط العاملين على خدمتهم، أضف إلى ذلك البحث عن المفقودين والموتى وتبادل المعلومات بين طرفي النزاع حول هذه الفئات بعد انتهاء النزاع للنظر في مصيرهم ومحاولة

(11) أ. لعور حسان حمزة، نشر القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 39.

(12) أ. إيف ساندر، نحو إنقاذ القانون الدولي الإنساني، دراسات في القانون الدولي الإنساني (مؤلف جماعي)، تقديم د. مفيد شهاب، الطبعة الأولى، دار المستنقل العربي، القاهرة، مصر، 2000، ص 514، 515.

(13) أ. لعور حسان حمزة، نشر القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 43.

تسوية وضعيتهم وغيرها من الحالات.⁽¹⁴⁾

والخلاصة أن نشر القانون الدولي الإنساني يكون في كل الأوقات.

المبحث الثاني: الأوساط المستهدفة من نشر القانون الدولي الإنساني:

طبقاً لما نصت عليه قواعد القانون الدولي الإنساني، فإن الأوساط المستهدفة من النشر هي القوات العسكرية بالدرجة الأولى ثم المدنيين بالدرجة الثانية. وعليه سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين: نتناول في الأول النشر في الأوساط العسكرية، ونتعرض في الثاني للنشر في الأوساط المدنية.

المطلب الأول: النشر في الأوساط العسكرية:

أن كافة قواعد ومبادئ القانون الدولي الإنساني المتعلقة بالحماية، سواء للأشخاص أو الأعيان، تمثل في جوهرها التزامات قانونية يقع عبء تطبيقها الأكبر على القوات العسكرية، فعلى القوات العسكرية على سبيل المثال، أن توفر الحماية للأشخاص المدنيين أو الأشخاص الذين كضوا عن المشاركة في الأعمال العدائية كالجرحى والمرضى والأسرى والغرقى، وأفراد الخدمات الطبية والدينية والإغاثية، فضلاً عن توفير الحماية للأعيان المدنية والثقافية، وما يترتب على كل ذلك من احترام لمبدأ التمييز والتناسب وعدم اللجوء إلى استخدام وسائل وأساليب القتال المحظورة والهجمات العشوائية والأعمال الانتقامية وتلك التي تسبب آلاماً لا مبرر لها.

أن الوفاء بمثل هذه الالتزامات لا يمكن أن يتحقق ما لم يكن أفراد القوات المسلحة على علم بها قبل نشوب النزاعات المسلحة، أي زمن السلم.⁽¹⁵⁾

وعلى هذا الأساس فإن نشر قواعد القانون الدولي الإنساني في أوساط القوات العسكرية يختلف تبعاً لرتبة وتخصص وحالة كل فرد منها. وسنوضح كل ذلك في الفروع الآتية:

الفرع الأول: القادة العسكريون:

ويقصد بالقادة العسكريين ممثلي وزارة الدفاع كرؤساء الأركان والقادة العسكريين في الميدان الذين يتمتعون بسلطة إصدار الأوامر، إضافة إلى رؤساء الدول الذين غالباً ما يتولون سلطة إصدار الأوامر العليا، وعليه يجب أن يكون كل قائد على معرفة واسعة بكل قواعد القانون الدولي الإنساني⁽¹⁶⁾، من أجل أن يعمل كل حسب مستواه من المسؤولية على التأكيد من أن مرؤوسهم على علم كامل بالتزاماتهم، وذلك بهدف منع وقمع الانتهاكات.⁽¹⁷⁾

الفرع الثاني: المقاتلون العاديون (أو ما يطلق عليهم بالجنود أو ذوي الرتب الصغيرة):

تتواجد هذه الفئة بكثرة في ساحة القتال لمواجهة الخصم، والتي قد ترتكب انتهاكات، فضلاً عن ذلك فهم الأكثر عرضة للأسر والجرح والمرض والقتل، لذلك فمن الضروري أن يكون كل جندي على علم مسبق (وقت السلم) بكافة التزاماته وحقوقه المنصوص عليها في القانون

(14) د. رقية عواشيرة، حماية المدنيين والأعيان المدنية في النزاعات المسلحة غير الدولية، مرجع سابق، ص 331.

(15) د. فتحي محمد فتحي، القانون الدولي الإنساني وتطبيقاته على النزاعات المسلحة في العراق، مرجع سابق، ص 176، 177.

(16) د. طابري يوسف، و د. محمد علي حسون، نشر القانون الدولي الإنساني كآلية لحماية البيئة أثناء النزاعات المسلحة، مجلة حقوق الإنسان والحريات العامة، المجلد 7، العدد 2، سنة 2022، ص 779.

(17) المادة (87) من البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977.

الدولي الإنساني، لأنه هو الذي يتلقى الأوامر وتنفيذها في الميدان، وبالتالي فهو الطرف الأساسي والأول في النزاع المسلح.⁽¹⁸⁾

الفرع الثالث: أفراد الشرطة:

إن عملية نشر قواعد القانون الدولي الإنساني يجب أن تشمل أفراد الشرطة، وذلك طبقاً لما نصت عليه المادة (144) الفقرة الثانية من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949، لأنه في الكثير من الحالات ما تلجأ الدول إلى هؤلاء الأفراد خاصة في حالة النزاع المسلح غير الدولي من أجل العمل على الحفاظ على الأمن والسلم الداخلي، كما أنه يمكن اللجوء إليهم في حالة النزاع المسلح الدولي كون هدفهم وواجباتهم واحد وهو الحفاظ على سلامة وأمن التراب الوطني، لذا لا بد من تعريف الفئة بقواعد هذا القانون.⁽¹⁹⁾

الفرع الرابع: أسرى الحرب:

يجب أن يشمل نشر قواعد القانون الدولي الإنساني أسرى الحرب، لأنه في الكثير من الحالات ما تتعرض هذه الفئة لانتهاكات جسيمة داخل الأسر، لذلك فرض هذا القانون⁽²⁰⁾، على الجهات الأسيرة سواء كانت سلطات عسكرية أو مدنية أن تضطلع في وقت الحرب بمسؤولياتها تجاه أسرى الحرب، وأن تعمل على تعريفهم بالتزاماتهم وحقوقهم على أن يكون هذا النشر في أوساط العاملين في الأسر من قادة وموظفين وحراس من أجل تحمل المسؤولية وتوفير أكبر قدر من الحماية للأسرى.⁽²¹⁾

المطلب الثاني: النشر في الأوساط المدنية:

تكمن أهمية نشر القانون الدولي الإنساني في أوساط المدنيين في كون وجود العديد من النزاعات المسلحة، وخاصة النزاعات الداخلية وأعمال العنف ينخرط فيها المدنيون، فضلاً عن ذلك فإن أبرز ضحايا النزاعات المسلحة هم من المدنيين.

هذا ويعد القرار رقم (21) المتعلق بنشر القانون الدولي الإنساني الصادر عن المؤتمر الدبلوماسي لتأكيد وتطوير القانون الدولي الإنساني المطبق في النزاعات المسلحة (1974-1977) على قدر كبير من الأهمية، لأنه قام بذكر مجموعة من فئات المدنيين التي يجب أخذها في الاعتبار في إطار الجهود الرامية لنشر القانون الدولي الإنساني⁽²²⁾، وهذه الفئات سنقوم ببيانها في الفروع التالية:

الفرع الأول: النشر في أوساط موظفي الدولة:

المقصود هنا هم موظفو الدولة بمختلف مراتبهم ومسؤولياتهم داخل الدولة، بحيث تنقسم هذه الفئة إلى قسمين هما: أولاً: كبار الموظفين، وثانياً: الموظفون العاديون، وسنتناول دراستهما على النحو التالي:

- (18) د. رقية عواشيرة، حماية المدنيين والأعيان المدنية في النزاعات المسلحة غير الدولية، مرجع سابق، ص 334.
- (19) أ. لعور حسان حمزة، أهمية نشر القانون الدولي الإنساني كآلية لتحقيق الإنسانية زمن النزاعات المسلحة، مرجع سابق، ص 272.
- (20) انظر المواد (1/39، 41، 2/127) من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949، المتعلقة بمعاملة أسرى الحرب.
- (21) د. عبد الواحد محمد الفار، أسرى الحرب، دراسة فقهية وتطبيقية في نطاق القانون الدولي العام والشريعة الإسلامية، عالم الكتب، القاهرة، 1975، ص 407.
- (22) د. أمينة امحمدي بوزينة، آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر، 2014، ص 35، 36.

أولاً: كبار الموظفين في الدولة:

وهم الموظفون السامون في الحكومة، أي ذوو المراتب العليا في الدولة الذين لهم سلطة تقرير الإجراءات أو السياسات الواجب اتباعها باعتبارهم المسؤولين في المقام الأول على تنفيذ القانون الدولي الإنساني زمن السلم أو زمن النزاع المسلح، وهذه الأوساط هي: ممثلو الوزارات بمختلف تخصصاتها، سلك العدالة (القضاة ورجال النيابة العامة، القضاء العسكري، المحامون وغيرهم)، والدبلوماسيون والبرلمانيون، وعليه لا بد من إدراج قواعد هذا القانون ضمن برامج تكوين هذه الفئات بهدف تسهيل مهمة اعتماد واقتراح مشاريع من أجل وضع قوانين لتنفيذ أحكام هذا القانون على الصعيد الوطني.⁽²³⁾

ثانياً: الموظفون العاديون:

وهم موظفي الدولة الذين يمكن استدعائهم لتأدية بعض المهام في حالة قيام نزاع مسلح أو يمكن أن يقوموا بهذه المهام من تلقاء أنفسهم بحكم طبيعة عملهم.

1- النشر في الأوساط الصحفية:

المقصود بهم هم مجموعة من الصحافيين العاملين على تشكيل وتوجيه الرأي العام بما يحدث زمن النزاعات المسلحة، ونظراً لدورهم في مجال النشر وما يمكن أن يقدموه من معرفة بأحكام هذا القانون لجميع الناس، فإنه لا بد من تعريفهم بقواعد القانون الدولي الإنساني. كما أنه لما يتميز به طبيعة عمل هذه الفئة من مخاطر، فإنه يتعين أن يعلم كل صحفي بما له من حقوق وما عليه من واجبات بموجب قواعد القانون الدولي الإنساني، حتى يضمن الحماية المقررة له.⁽²⁴⁾

2- النشر في الأوساط الطبية والدينية:

طبقاً لما نصت عليه كل من المادتين (47 و 48) من اتفاقيتي جنيف الأولى والثانية لعام 1949، فإنه لا بد من أن تشمل عمليات نشر المعرفة بأحكام الاتفاقيتين أفراد الخدمات الطبية والدينية.

وعليه فإنه يجب أن يعلم أفراد الخدمات الطبية والدينية بالالتزامات والحقوق التي يقرها لهم القانون الدولي الإنساني من أجل ضمان سلامتهم وسلامة الذين هم تحت رعايتهم، وسواء كانوا من المدنيين أو من العسكريين.⁽²⁵⁾

3- النشر في أوساط الموظفين المكلفين بحماية الممتلكات الثقافية:

ألزمت المادة (25) من اتفاقية لاهاي لعام 1954 المتعلقة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح، جميع الدول الأطراف المتعاقدة بأن تعمل على نشر نصوص الاتفاقية ولأبحاثها التنفيذية في أوساط المكلفين بحماية الممتلكات الثقافية، كون هذه الفئة من المدنيين المنوعين من المشاركة في الأعمال الحربية، وعليه لا بد أن يكون هؤلاء الموظفين على معرفة كاملة بحقوقهم والتزاماتهم المقررة بموجب هذا القانون.⁽²⁶⁾

(23) أ. لعور حسان حمزة، نشر القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 59.

(24) د. محمد يوسف علوان، نشر القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 496.

(25) أ. لعور حسان حمزة، نشر القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 60، 61.

(26) انظر المواد (1/8، 4) و (15) و (25) من اتفاقية لاهاي لعام 1954 والمتعلقة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح.

الفرع الثاني: النشر في الأوساط التعليمية:

لقد نصت الفقرة الثانية (ج، د) من القرار رقم (21) الصادر عن المؤتمر الدبلوماسي لتأكيد وتطوير القانون الدولي الإنساني المطبق في المنازعات المسلحة (1974-1977)، أنه على جميع الدول الموقعة اتخاذ جميع التدابير اللازمة لضمان نشر فعال للقانون الدولي الإنساني في الأوساط الجامعية، وفي المدارس الثانوية أو ما يماثلها. وهو ما سنتناوله وفقاً لآتي:

أولاً: النشر في الأوساط الجامعية:

تعتبر هذه الفئة من خيرة أبناء كل دولة، والذين يمكن أن يصبحوا في المستقبل من كبار المسؤولين، ولعل من أهم الأوساط الجامعية التي يجب أن تناط علماً بقواعد القانون الدولي الإنساني طلبة القانون، وذلك باعتبار أن القانون الدولي الإنساني يُعد فرعاً من فروع القانون الدولي العام، كما أنه سيكون من بينهم في المستقبل محامون وقضاة ودبلوماسيون وغيرها من الوظائف العليا، كذلك طلبة العلوم السياسية والعلوم الاجتماعية والطبية والإعلام، وذلك بالنظر لحاجاتهم لقواعد هذا القانون في مستقبلهم العملي.⁽²⁷⁾

ثانياً: النشر في أوساط المدارس الابتدائية والثانوية:

يتم النشر لهؤلاء في إطار الحدود التي يمكن من خلالها جعلهم يستوعبون المبادئ الأساسية للقانون الدولي الإنساني، وتبدو أهمية ذلك، خاصة في ظل انتشار ظاهرة تجنيد الأطفال واستغلال ضعفهم وعدم وعيهم بخطورة ما يقدمون عليه، كما أنه يمكن أن يصبح هؤلاء جنود المستقبل لهذا يستحسن توعيتهم بأحكام هذا القانون.⁽²⁸⁾

الفرع الثالث: النشر في أوساط اللاجئين:

تضمنت كل من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949، وكذلك البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977، جملة من النصوص القانونية التي قررت حماية خاصة للاجئين وعديمي الجنسية زمن النزاعات المسلحة، وعلى هذا الأساس فمن الضروري نشر هذه النصوص في أوساط اللاجئين وعديمي الجنسية بهدف تعريفهم بالحقوق والالتزامات المقررة لهم لضمان الحماية، وتقع مسؤولية النشر هنا في المقام الأول على الأطراف المتعاقدة، وتقع في المقام الثاني على أطراف النزاع وعلى الدولة الحائزة كونها ملزمة بتوفير الحماية الخاصة لهذه الفئة، الأمر الذي يستدعي بالضرورة نشر الأحكام التي تضمنها القانون الدولي للاجئين كون هذا الأخير يوفر لها أيضاً الحماية.

وخلاصة القول فإنه لا بد من بذل جهود جبارة من أجل تعريف كل الأوساط المدنية بقواعد القانون الدولي الإنساني، وباختيار الأساليب المناسبة وللأزمة للقيام بهذه العملية، لأن هذه الفئة تتميز بالاختلاف والتنوع في العادات والتقاليد والثقافات والدين والأخلاق والجنس واللغات وغيرها.⁽²⁹⁾

(27) د. وسيلة مرزوقي، الآليات المتخذة داخلياً لتنفيذ قواعد القانون الدولي الإنساني، (الجزائر نموذجاً)، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، العدد 19، 2016، ص 65.

(28) د. أمينة امحمدي بوزينة، آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 37.

(29) أ. لعور حسان حمزة، نشر القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 66، 67.

المبحث الثالث: أساليب نشر القانون الدولي الإنساني:

وفقاً لنصوص القانون الدولي الإنساني هناك من الأساليب ما تم النص عليها صراحة، وأخرى ضمناً، بالإضافة إلى أساليب أخرى لم يتضمنها هذا القانون، ومع ذلك تكتسي أهمية كبيرة في عملية النشر.

عليه سنقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب: نتحدث في الأول عن أساليب النشر المنصوص عليها صراحة، وفي الثاني نتناول أساليب النشر المنصوص عليها ضمناً، وفي الثالث نتعرض لأساليب أخرى لنشر القانون الدولي الإنساني.

المطلب الأول: أساليب النشر المنصوص عليها صراحة:

طبقاً لنصوص اتفاقيات لاهاي وجنيف هناك أساليب مشتركة بينهما تلزم الدول الأطراف في الاتفاقيات وأطراف النزاع اتباعها لنشر المعرفة بقواعد القانون الدولي الإنساني لضمان تنفيذها واحترامها، وهذه الأساليب عديدة ومتنوعة، سيتم التطرق إليها في الفروع التالية:

الفرع الأول: نشر قواعد القانون الدولي الإنساني عن طريق التعليمات والأوامر العسكرية:

وهو ما نصت عليه المادة الأولى من اتفاقيتي لاهاي الثانية لعام 1899، واتفاقية لاهاي الرابعة لعام 1907 المتعلقة باحترام قوانين وأعراف الحرب البرية، وكذلك المادة 7 فقرة 1 من اتفاقية لاهاي لعام 1954 المتعلقة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح، بالإضافة إلى ما نصت عليه المادة 8 فقرة 2 من البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977 المتعلق بحماية ضحايا النزاعات المسلحة.

الفرع الثاني: الإعلانات والتبليغات المتعلقة بالمعتقلين وأسرى الحرب:

وهو ما نصت عليه المادة 84 من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1929 المتعلقة بمعاملة أسرى الحرب، والمادتين 41 و 99 من اتفاقيتي جنيف الثالثة والرابعة لعام 1949، فطبقاً لهذه النصوص فإن الأساليب التي من الواجب على أطراف النزاع اعتمادها لنشر المعرفة بأحكام هذه الاتفاقيات في أوساط أسرى الحرب والمعتقلين هي:

1. أن يعلن نص الاتفاقية داخل الأسر أو المعتقل في أماكن يستطيع فيها جميع الأسرى أو المعتقلين قراءتها وبلغة يفهمها الجميع.
2. أن تسلم نسخة منها لكل أسير تعذر عليه الوصول إلى النسخة المعلنة بناءً على طلبه.
3. تبليغ كل الأسرى والمعتقلين بجميع اللوائح والأوامر والإعلانات والنشرات والبلاغات والتنبيهات الموجهة لهذه الفئة بشرط ألا تكون مخالفة لهذه الاتفاقيات وأن يكون بلغة يفهمها الجميع.⁽³⁰⁾

الفرع الثالث: تدريس القانون الدولي الإنساني في الأوساط العسكرية والمدنية:

أن أغلب النصوص المتعلقة بنشر القانون الدولي الإنساني تدعو صراحة الأطراف المتعاقدة على ضرورة العمل على تعليم هذه الأوساط أحكام القانون الدولي الإنساني، وأن تتبع في ذلك كل الأساليب الكفيلة لتحقيق المعرفة الشاملة كالكتب والمجلات والدلائل العسكرية والدورات

(30) أ. لعور حسان حمزة، نشر القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 72، 73.

التدريبية بالنسبة للقوات المسلحة، والرسوم الكاريكاتورية والمسرحيات والحكايات والقصص بالنسبة للأطفال لتعليمهم القيم الإنسانية، وإدراج دراسة هذا القانون في المحاور الدراسية لمختلف المستويات والتخصصات (العسكرية والمدنية)، وتخصيص الدورات التكوينية لبعض الفئات من المجتمع كالأطباء والمحامون والقضاة ورجال الدفاع المدني والصحفيون وغيرهم.⁽³¹⁾

المطلب الثاني: أساليب النشر المنصوص عليها ضمناً؛

هناك أساليب لنشر القانون الدولي الإنساني لم ينص عليها صراحةً، ولكن تم ذكرها بشكل ضمني كإجراءات يجب على الدول الأخذ بها لتفادي وقوع انتهاكات وتسهيل عملية التنفيذ والتعريف بقواعد القانون الدولي الإنساني.

وعليه فإن الأساليب المنصوص عليها ضمناً هي الترجمة والمواءمة، والتي سيتم التطرق إليها في الفروع الآتية:

الفرع الأول: أسلوب الترجمة؛

أن ترجمة نصوص القانون الدولي الإنساني إلى اللغات واللهجات الوطنية يعتبر من الأساليب الأولية الرامية إلى نشر المعرفة بهذا القانون، وهذا ما تؤكدته المواد (48، 49، 128، 145) المشتركة بين اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949، وكذلك المادة 84 من البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977.⁽³²⁾

الفرع الثاني: أسلوب المواءمة بين القانون الدولي الإنساني والقانون الوطني (الداخلي)؛

المقصود بأسلوب المواءمة هو أن تعمل جميع الدول الأطراف المتعاقدة على إدخال أو تعديل قوانينها الوطنية مع ما يتوافق وقواعد القانون الدولي الإنساني، وذلك بهدف نشر المعرفة بأحكامه لضمان تطبيقه واحترامه.

وهذا ما نصت عليه اتفاقيات جنيف الأربع في موادها المشتركة (48، 49، 128، 145)، حيث نصت على أن: « تتناول الأطراف السامية المتعاقدة ... القوانين واللوائح التي قد تعتمدها لكفالة تطبيقها »، وهذا ما أكدته أيضاً البروتوكول الإضافي الأول في مادته (84).

وعليه فإن الدول الأطراف ملزمة في المقام الأول بأن تعمل على مواءمة قوانينها الوطنية وفق ما جاءت به مواثيق القانون الدولي الإنساني، ثم إقامة علاقات تعاون وتبادل مع غيرها من الدول من أجل تبادل الخبرات في هذا المجال، وإعانة بعضها البعض بهدف تسهيل تنفيذ قواعد هذا القانون، خاصة في مجال نشر المعرفة بأحكامه بين رجال القانون والبرلمانيين والقادة وغيرهم.

كما أُلزمت الفقرة الأولى من المواد (49، 50، 129، 146) المشتركة بين اتفاقيات جنيف الدول الأطراف بوضع التشريعات اللازمة لفرض عقوبات توقع على كل من يرتكب أو يأمر بارتكاب المخالفات الجسيمة المنصوص عليها في هذه الاتفاقيات.⁽³³⁾

(31) د. شريف عتلم، القانون الدولي الإنساني، دليل للأوساط الأكاديمية، الكتاب الأول، إصدارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، القاهرة، 2006، ص 11-29.

(32) د. بطاهر بوجلال، آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني، ورقة علمية مقدمة في الملتقى العلمي الأول لأجهزة الهلال الأحمر، المنعقد خلال الفترة من 9-11/1/2012، في مدينة الرياض، السعودية، ص 12.

(33) أ. لعور حسان حمزة، أهمية نشر القانون الدولي الإنساني كآلية لتحقيق الإنسانية زمن النزاعات المسلحة، مرجع سابق، ص 275، 276.

المطلب الثالث: أساليب أخرى لنشر القانون الدولي الإنساني:

هناك أساليب أخرى تعتبر ذات فاعلية كبيرة في نشر المعرفة بقواعد القانون الدولي الإنساني، خاصة في أوساط عامة الناس، ولكن لم يتم النص عليها لا صراحة ولا ضمناً في هذا القانون، ومع ذلك فقد أشارت بعض المؤتمرات الدولية لدورها في مجال التعريف بهذا القانون.

وهذه الأساليب هي وسائل الإعلام، ودور العبادة، والتي سيتم تناولها في الفروع الآتية:

الفرع الأول: دور وسائل الإعلام في نشر القانون الدولي الإنساني:

تلعب وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمطبوعة دوراً هاماً وحيوياً في توعية وتثقيف وتعليم جميع أفراد المجتمع، وعليه فإن وسائل الإعلام تعتبر من الأساليب الممتازة لنشر المعرفة بقواعد القانون الدولي الإنساني بين الجمهور العام، سواء في زمن السلم أو الحرب، كما تلعب أيضاً وسائل الإعلام دوراً كبيراً في توجيه الرأي العام الداخلي والخارجي ودفعه للمطالبة والضغط على أطراف النزاع لوقف الانتهاكات الجسيمة، وذلك من خلال كشف وقصص الجرائم المرتكبة في زمن النزاعات المسلحة، ولتحقيق هذه الأهداف لا بد من الحصول على وسائل إعلام شجاعة ومستقلة وقادرة على إيصال الصوت الإنساني.⁽³⁴⁾

الفرع الثاني: دور أماكن العبادة في نشر القانون الدولي الإنساني:

ويقصد بها الأماكن التي يلجأ إليها الناس بمختلف دياناتهم لأداء الفرائض والتي تلقى من خلالها الخطب والتبليغ والنصح والوعظ والإرشاد وغيرها، وعليه فإنه يمكن استغلالها لما لها من أهمية في حياة المجتمعات لنشر القيم الإنسانية ومبادئ السلم والأمن وأحكام القانون الدولي الإنساني مادامت أهدافها تحقيق أكبر قدر من الإنسانية.⁽³⁵⁾

المبحث الرابع: الأشخاص والجهات المساهمة بنشر قواعد القانون الدولي الإنساني:

أن إلزامية نشر قواعد القانون الدولي الإنساني في المقام الأول هي من مسؤولية الأطراف المتعاقدة في اتفاقيات لاهاي وجنيف، ومع ذلك فإنه يمكن لهذه الأطراف (الدول) الاستعانة ببعض الأشخاص والجهات النشطة في مجال نشر القانون الدولي الإنساني، لما لها من فاعلية كبيرة في هذا المجال.

وبناءً عليه سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين: نتناول في الأول الأشخاص المكلفون بنشر القانون الدولي الإنساني، ونتطرق في الثاني للجهات المساهمة في نشر القانون الدولي الإنساني.

المطلب الأول: الأشخاص المكلفون بنشر القانون الدولي الإنساني:

لقد نص البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977، لأول مرة على تكليف الدول المتعاقدة بأن تعمل على توفير وإعداد أشخاص من أجل تسهيل نشر القانون الدولي الإنساني لضمان احترامه وتنفيذه في جميع الأحوال.

وعليه فإن المقصود بالأشخاص المكلفين بنشر القانون الدولي الإنساني هم العاملون المؤهلون والمستشارون القانونيون والقادة العسكريين والذين سنتطرق إليهم في الفروع الآتية:

(34) د. بظاهر بوجلال، أليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 12.

(35) د. لعور حسان حمزة، أهمية نشر القانون الدولي الإنساني كآلية لتحقيق الإنسانية زمن النزاعات المسلحة، مرجع سابق، ص 278.

الفرع الأول: العاملون المؤهلون:

لقد دعت المادة (6) من البروتوكول الإضافي الأول الدول الأطراف في زمن السلم بمساعدة الجمعيات الوطنية للهلال الأحمر والصليب الأحمر في إعداد عاملين مؤهلين بغية تسهيل تطبيق القانون الدولي الإنساني، سواء في وقت السلم أو وقت الحرب، وهم عبارة عن مجموعة من المتطوعين لهم تأهيل علمي عال تتوافر فيهم الكفاءة والأخلاق، ويمكن لهؤلاء العاملين القيام بنشاطات نشر القانون الدولي الإنساني كوسيلة لتسهيل تطبيقه وبمساعدة الحكومات في عملية اقتراح التدابير اللازمة للتنفيذ والمواءمة التشريعية، إضافة إلى ترجمة نصوص الاتفاقية ولفت الانتباه للعمل الوقائي اللازم في حالات السلم خاصة.⁽³⁶⁾

الفرع الثاني: المستشارون القانونيون في القوات المسلحة:

نصت المادة (82) من البروتوكول الإضافي الأول لعام 1977 على أن تعمل الأطراف المتعاقدة وأطراف النزاع على تأمين توفير مستشارين قانونيين عند الاقتضاء ضمن قواتها المسلحة، حيث تتمثل مهام هؤلاء المستشارين في الآتي:

1. تقديم المشورة للقادة العسكريين على حسب الدرجة الملائمة بشأن تطبيق قواعد القانون الدولي الإنساني زمن السلم وزمن الحرب.
2. تدريس القانون الدولي الإنساني في كل المدارس والوحدات والأقسام بمختلف رتبها العسكرية.
3. تدريب القوات المسلحة على تطبيق قواعد القانون الدولي الإنساني أثناء التمرين على تنفيذ العمليات العسكرية.
4. تذكير القادة وتعريفهم بأهم الالتزامات التي يفرضها عليهم القانون الدولي الإنساني في حالة قيام النزاع المسلح.
5. تقديم النصح والإرشاد فيما يخص استخدام بعض الأسلحة.
6. المشاركة في وضع الأساليب والطرق اللازمة لتعليم القانون الدولي الإنساني للقوات المسلحة ونشره بينهم على أوسع نطاق ممكن.
7. المشاركة في وضع الخطط المناسبة لتنفيذ العمليات العسكرية وفقاً لقواعد هذا القانون.
8. إمكانية اللجوء إليهم لتقديم العون في تكوين مستشارين قانونيين آخرين.

والخلاصة أن للمستشارين القانونيين دور أساسي وفعال في مجال نشر أحكام القانون الدولي الإنساني بين الأوساط العسكرية بمختلف رتبهم وتخصصاتهم من أجل ضمان عدم ارتكاب انتهاكات جسيمة من طرف القوات المسلحة، والحد من إصدار أوامر وتعليمات مخالفة للقانون الدولي الإنساني، وكذلك مراقبة تنفيذ قواعده واحترامها.⁽³⁷⁾

الفرع الثالث: القادة العسكريون:

تنص المادة (87) من البروتوكول الإضافي الأول في فقرتها الثانية أنه: « يجب على الأطراف السامية المتعاقدة وأطراف النزاع أن يتطلبوا من القادة- كل حسب مستواه المسؤولية- التأكد من أن أفراد القوات المسلحة، الذين يعملون تحت أمرتهم على بينة من التزاماتهم كما تنص

(36) أ. أحسن كمال، تنفيذ القانون الدولي الإنساني في ضوء التغييرات الدولية للقانون الدولي المعاصر، مرجع سابق، ص 28، 29.

(37) أ. لعور حسان حمزة، نشر القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 101 وما بعدها.

عليها الاتفاقيات وهذا البروتوكول، وذلك بغية منع وقمع الانتهاكات «

بناءً على ما نصت عليه هذه الفقرة يتضح أن من الأشخاص الملزمون والذين يمكن الاعتماد عليهم لنشر قواعد القانون الدولي الإنساني هم القادة العسكريون بمختلف تخصصاتهم ورتبهم، وكما هو معروف عند جميع القوات العسكرية في مختلف البلدان أن القادة هم المسؤولون في المقام الأول عن إصدار التعليمات والأوامر التي يجب أن تتماشى مع قواعد هذا القانون، بالإضافة إلى كونهم هم المسؤولون عن تدريب وتعليم الجنود الخاضعين لسلطتهم وإشرافهم والعمل على مراقبة أفعالهم خاصة أثناء النزاعات المسلحة بهدف منعهم من التعدي أو انتهاك قواعد هذا القانون، وهذا يتطلب أن يكون هؤلاء القادة على معرفة واسعة بقواعد هذا القانون عن طريق تدريبهم وتكوينهم في مجال القانون الدولي الإنساني.⁽³⁸⁾

المطلب الثاني: الجهات المساهمة في نشر قواعد القانون الدولي الإنساني:

على الرغم من أن عملية نشر قواعد القانون الدولي الإنساني تقع كأصل عام على عاتق الدول، إلا أن بعض الهيئات الإنسانية حملت على عاتقها مسؤولية النشر، سواء بصفة مشتركة مع الدول أو بصفة منفردة.

وهذه الهيئات هي اللجنة الدولية للصليب الأحمر، والجمعيات الوطنية للهلال الأحمر والذبان الوطنية للقانون الدولي الإنساني، والتي سوف نتعرض لها في الفروع الآتية:

الفرع الأول: دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في مجال نشر القانون الدولي الإنساني:

اللجنة الدولية للصليب الأحمر هي منظمة إنسانية دولية غير حكومية محايدة ومستقلة أنشئت عام 1863، أسند إليها بموجب القانون الدولي الإنساني، وكذلك النظام الأساسي للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر مهام تقديم المساعدة لضحايا النزاعات المسلحة، وكذلك القيام ببعض الأنشطة الإنسانية، كما تعمل على تطوير ومراقبة تنفيذ هذا القانون ونشر المعرفة بأحكامه بين جميع الأوساط المدنية والعسكرية، وهو ما يضعه نظامها الأساسي على عاتقها كذلك.⁽³⁹⁾

أولاً: الأجهزة التي تعتمد عليها اللجنة الدولية للصليب الأحمر لنشر القانون الدولي الإنساني:

تعتمد اللجنة للقيام بالمهام الموكولة إليها بموجب مواثيق القانون الدولي الإنساني وخاصة منها نشر المعرفة بأحكامه على الأجهزة الآتية:

1- قسم الخدمات الاستشارية:

أنشأت اللجنة الدولية للصليب الأحمر هذا القسم عام 1996، حيث يتولى هذا القسم مهام تقديم المساعدة والمشورة للدول من أجل تنفيذ التزاماتها، خاصة ما تعلق منها بنشر القانون الدولي الإنساني.

(38) اللجنة الدولية للصليب الأحمر، دليل التنفيذ الوطني للقانون الدولي الإنساني، إصدارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، مصر، 2010، ص 35-37.

(39) د. محمد فهد الشالدة، القانون الدولي الإنساني، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2006، ص 333، 334.

2- البعثات الإقليمية؛

وهي التي شرعت اللجنة في إنشائها في بعض البلدان، والتي يعد النشر أحد أنشطتها الرئيسية.⁽⁴⁰⁾

ثانياً: الأساليب التي تعتمدها اللجنة الدولية للصليب الأحمر لنشر القانون الدولي الإنساني:

هناك مجموعة من الأساليب التي تنتهجها اللجنة للتعريف بأحكام القانون الدولي الإنساني بين جميع الأوساط، وهي كالتالي:

1. المساهمة في مواءمة التشريعات الوطنية وقواعد القانون الدولي الإنساني.
2. تقديم المساعدة لإدراج قواعد القانون الدولي الإنساني ضمن برنامج التعليم والتدريب المدنية والعسكرية.
3. عقد الدورات التكوينية والتدريبية.
4. عقد الملتقيات والحلقات الدراسية.
5. إصدارات ومنتشورات اللجنة.
6. المساهمة في عقد المؤتمرات.⁽⁴¹⁾

الفرع الثاني: دور الجمعيات الوطنية للهلال الأحمر والصليب الأحمر في مجال نشر القانون الدولي الإنساني:

لم تنص اتفاقيات جنيف على دور مباشر للجمعيات الوطنية للهلال الأحمر والصليب الأحمر في عملية نشر قواعد القانون الدولي الإنساني، لكنه التزام يقع على الجمعيات الوطنية باعتبارها آلية تنفيذ وطنية للقانون الدولي الإنساني، وهذا الالتزام نصت عليه العديد من قرارات المؤتمرات الدولية للهلال الأحمر والصليب الأحمر، كما نص النظام الأساسي للحركة الوطنية للصليب الأحمر والهلال الأحمر الذي اعتمده المؤتمر الدولي الخامس والعشرون للصليب الأحمر والهلال الأحمر في أكتوبر 1986 في الجملة الثالثة من الفقرة الثانية من المادة الثالثة أن الجمعيات الوطنية: «... تنشر القانون الدولي وتساعد حكوماتها في نشره، وتتخذ المبادرات في هذا المجال، وهي تنشر مبادئ الحركة ومثلها العليا وتساعد الحكومات التي تنشرها أيضاً، وهي تتعاون كذلك مع حكوماتها لضمان احترام القانون الدولي الإنساني وتأمين حماية شارتي الصليب والأحمر والهلال الأحمر»، ونفس الدور ترجمته كذلك الأنظمة الأساسية للجمعيات الوطنية التي يتصدر فيها النشر المهام الأساسية لها.⁽⁴²⁾

وتقوم الجمعيات الوطنية بدورها في بلدانها في برنامج النشر الوطني وذلك بالتعاون مع السلطات الوطنية من خلال الخطوات التالية:

1. تذكير السلطات الوطنية بواجباتها الخاصة بنشر القانون الدولي الإنساني، حيث تتولى

(40) د. طابري يوسف ود. محمد علي حسون، نشر القانون الدولي الإنساني كآلية لحماية البيئة أثناء النزاعات المسلحة، مرجع سابق، ص 775، 776.

(41) أ. لعور حسان حمزة، نشر القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 124 وما بعدها.

(42) أ. أحسن كمال، آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني في ضوء التغيرات الدولية للقانون الدولي المعاصر، مرجع سابق، ص 27، 16.

1. الجمعيات الوطنية حث حكومة بلادها من أجل نشر المعرفة بهذا القانون على أوسع نطاق ممكن بين العسكريين والمدنيين بعد مواءمته مع تشريعاتها الوطنية.
 2. المشاركة بفاعلية في برامج النشر التي تنفذها السلطات الوطنية، وذلك بالاشتراك في وضع هذه البرامج وتوفير المواد اللازمة للنشر والخبرات المؤهلة لتنفيذ هذه البرامج.
 3. العمل على تولي برامج وطنية خاصة بها لنشر القانون الدولي الإنساني.
 4. تقديم المشورة إلى السلطات الوطنية وإمدادها بالمواد اللازمة للنشر.
 5. مراقبة تواتر برامج النشر الوطنية وما تحتويه من مواد (43).
 6. توعية السلطات الوطنية بضرورة توفير مستشارين قانونيين داخل القوات المسلحة للقيام بعملية النشر، وأن تساهم هذه الجمعيات الوطنية في إعدادهم وتدريبهم، وهو الأمر نفسه بالنسبة للعاملين المؤهلين من المدنيين السالف ذكرهم.
 7. توعية السلطات الوطنية بأهمية اللجان الوطنية في مجال تنفيذ ونشر القانون الدولي الإنساني، والمساهمة في إعدادها والمشاركة في مهام هذه اللجان الوطنية، وكذلك عمل هذه اللجان، ومساعدتها على عقد اجتماعات منتظمة وتقديم المشورة والاقتراحات (44).
- الفرع الثالث: دور اللجان الوطنية للقانون الدولي الإنساني في مجال نشر هذا القانون:**

على الرغم من عدم النص في موثيق القانون الدولي الإنساني على إنشاء لجان وطنية للقانون الدولي الإنساني، إلا أن الدول استحدثت هذه اللجان كآلية وطنية لتنفيذ ونشر القانون الدولي الإنساني، حيث يعود تاريخ أول ظهور لفكرة إنشاء هذه اللجان إلى المؤتمر الدولي الرابع والعشرين للصليب الأحمر المنعقد بمدينة مانيلا عام 1981م، والذي تم فيه دعوة الجمعيات الوطنية وتحميلها مسؤولية تقديم المساعدة لحكومات بلادها من أجل إنشاء هذه اللجان، كما أُعيد التأكيد على ضرورة إنشاء اللجان الوطنية في المؤتمر الدولي الخامس والعشرين للصليب الأحمر المنعقد بمدينة جنيف 1986م (45).

ومن ذلك الحين بدأ يتبلور تنظيم اللجان الوطنية للقانون الدولي الإنساني لكي تتولى نشاطات النشر والتنفيذ، ووصل عدد البلدان التي أقيمت على تشكيل اللجان الوطنية المعنية بنشر القانون الدولي الإنساني إلى (86) دولة عام 2008 (46). ومن بينها ليبيا.

كما قامت ليبيا أيضاً بتأسيس مركز القانون الدولي الإنساني في عام 2016 ومقره الرئيسي في طرابلس، للإسهام في تعليم ونشر الوعي بالقانون الدولي الإنساني ومواجهة التحديات في تنفيذه.

ولذلك سنقوم ببيان تعريف وتشكيل ومهام اللجان الوطنية للقانون الدولي الإنساني وذلك على النحو التالي:

(43) د. محمد حمد العسيلي، دور الجمعيات الوطنية للهلال الأحمر والصليب الأحمر في تنفيذ القانون الدولي الإنساني، بحث منشور في كتاب القانون الدولي الإنساني، تقديم د. أحمد فتحي سرور، دار المستقبل العربي، القاهرة، 2003، ص 352، 353.

(44) أ. لعور حسان حمزة، نشر القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 142، 143.

(45) أ. أحسن كمال، آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني في ضوء التغييرات الدولية للقانون الدولي المعاصر، مرجع سابق، ص 27.

(46) أ. عبد الله زرباني وأ. جميلة أغا، إنفاذ القانون الدولي الإنساني بين جهود الدول والمنظمات الدولية، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة الجبلية اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، المجلد 14، العدد3، 2021، ص 469.

أولاً: تعريف اللجان الوطنية للقانون الدولي الإنساني:

اللجان الوطنية هي آلية من الآليات الوطنية العاملة على تقديم المساعدة والمشورة للحكومات من أجل تنفيذ ونشر القانون الدولي الإنساني على الصعيد الوطني (المحلي) وهي لجنة وطنية مشتركة بين مختلف الوزارات المعنية.

ثانياً: تشكيل اللجان الوطنية للقانون الدولي الإنساني:

تشكل هذه اللجان من ممثلين من مختلف الوزارات المعنية داخل الدولة، كما تضم ممثلين عن الجمعيات الوطنية للهلال الأحمر والصليب الأحمر، كما تضم خبراء في مجال القانون الدولي الإنساني أو خبراء في المجال القانوني أو الطبي، كما يمكن أن تضم أساتذة جامعيين من المتخصصين في القانون الدولي العام والقانون الدولي الإنساني بصفة خاصة، وكذلك عسكريين وممثلين عن المجتمع المدني كالاتحادات المهنية والمنظمات غير الحكومية.⁽⁴⁷⁾

ثالثاً: مهام اللجان الوطنية للقانون الدولي الإنساني:

أن المهام الرئيسية للجان الوطنية هي التنفيذ والنشر، وعليه فهي جهاز يعمل لمساعدة السلطات الحكومية على تنفيذ التزاماتها، حيث ينبثق عن هذه المهام الرئيسية بناءً على ما جاء في التقرير العربي الثالث لعام 2004 ما يلي:

1. تقديم المساعدة للسلطات العامة من أجل التصديق على الاتفاقيات والمواثيق الإنسانية والانضمام إليها.
2. العمل على مواءمة التشريعات الوطنية مع قواعد القانون الدولي الإنساني والعمل على وضعها موضع التنفيذ.
3. العمل على ضمان تطبيق هذا القانون، وأن تكون لها صفة المراقب على ذلك.
4. مساعدة حكوماتها على اتخاذ التدابير اللازمة والملائمة لتنفيذ ونشر أحكام القانون الدولي الإنساني.
5. المشاركة في تعليم القانون الدولي الإنساني للقوات المسلحة والمدنيين بمختلف مستوياتهم التعليمية.
6. العمل على ترجمة الاتفاقيات الدولية إلى اللغات الوطنية الرسمية.
7. إعداد كل التدابير التشريعية أو التنظيمية أو الإدارية التي يتطلبها تطبيق قواعد القانون الدولي الإنساني.
8. العمل على وضع قانون خاص باستخدام الشارة المميزة للصليب الأحمر أو الهلال الأحمر، وغيرها من الشارات المميزة كتلك المتعلقة بالأعيان المدنية والثقافية.
9. العمل على تحديد المناطق والأعيان المحمية بموجب هذا القانون.
10. العمل على تدريب عاملين مؤهلين ومستشارين قانونيين في القوات المسلحة .
11. العمل على وضع نظم ووائح تُحدد الأشخاص المتمتعين بحماية خاصة بموجب أحكام هذا القانون كالأطفال والنساء وغيرهم.

(47) د. محمد رضوان بن خضراء ود. شريف عثلم، التقرير السنوي الثالث عن تطبيق القانون الدولي الإنساني على الصعيد العربي، إصدار الأمانة العامة لجامعة الدول العربية واللجنة الدولية للصليب الأحمر، 2004، ص 79، 80.

12. العمل على نشر أحكام القانون الدولي الإنساني واتخاذ كل التدابير اللازمة لذلك والاستعانة بكل خبير أو مختص في مجال هذا القانون وإعداد برامج تعليمية وتدريبية موجهة للقوات العسكرية والمدنية وإقامة دورات تدريبية.

13. أن تعمل بصفة مستمرة ومنتظمة على تأدية هذا المهام الموكلة لها وأن تعمل على تقديم تقرير سنوي لحكوماتها عن الأنشطة التي تقوم بها.⁽⁴⁸⁾

والجدير بالذكر هو أنه حتى تقوم اللجان الوطنية للقانون الدولي الإنساني بدورها على أكمل وجه في التوعية بقواعد القانون الدولي الإنساني ونشره على أوسع نطاق ممكن، لا بد من إقامة علاقات تعاون بينها وبين اللجنة الدولية للصليب الأحمر من أجل تبادل الخبرات في مجال التنفيذ والنشر والاستفادة من المساعدات والمشورة التي تقدمها اللجنة في هذا المجال.⁽⁴⁹⁾

الخاتمة:

من خلال بحثنا الذي يعالج موضوع الالتزام بنشر قواعد القانون الدولي الإنساني، وكإجابة على الإشكالية الرئيسية المطروحة في المقدمة وهي مدى مساهمة نشر المعرفة بقواعد القانون الدولي الإنساني بين جميع الأوساط في الحد من الانتهاكات الجسيمة التي تقع أثناء النزاعات المسلحة؟ توصلنا إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج:

1. أن نشر القانون الدولي الإنساني له دور فعال في الحد من الانتهاكات الجسيمة أثناء النزاعات المسلحة، وذلك إذا توافرت الإرادة السياسية لدى الدول الأطراف المتعاقدة وأطراف النزاع في الالتزام بتعهداتها عملاً بمبدأ «الوفاء بالعهد»، وأن تجسد ذلك على أرض الواقع من خلال اتخاذها لكافة الإجراءات الكفيلة للتعريف بأحكام هذا القانون.
2. أن نشر القانون الدولي الإنساني هو التزام تعاقدي يقع على عاتق الدول الأطراف المتعاقدة، وحتى على الطرف المنشق (المتنرد) في حالة النزاعات المسلحة غير الدولية.
3. أن عملية النشر هي التزام قانوني يقع على الدول بالدرجة الأولى، كما تساهم جهات أخرى في عملية النشر بشكل غير إلزامي مثل اللجنة الدولية للصليب الأحمر والجمعيات الوطنية.
4. أن عملية النشر هي عملية واسعة لا تقتصر على فئة دون أخرى، غير أن أهم فئتين هما: القوات المسلحة باعتبارها المعنى الأول بالنزاع المسلح، بالإضافة إلى السكان المدنيين على اختلافهم.
5. يُعد أسلوب الترجمة والمواءمة من بين أهم الأساليب التي يتعين على الدول البدء بها من أجل تسهيل عملية النشر.
6. تلعب أماكن العبادة ووسائل الإعلام دوراً كبيراً في التوعية ونشر قواعد القانون الدولي الإنساني، وذلك نظراً للمكانة والاحترام الذي يكنه لها كافة أفراد المجتمع، وكذلك سرعة اتصالها بهم وتأثيرها في سلوكهم وآرائهم وتوجهاتهم.

(48) أ. لغور حسان حمزة، نشر القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 147، 148 .
(49) د. وسيلة مرزوقي، الآليات المتخذة داخلياً لتنفيذ قواعد القانون الدولي الإنساني، مرجع سابق، ص 67.

7. أن نظام إعداد وتكوين عاملين مؤهلين وكذلك مستشارين قانونيين وقادة عسكريين كأشخاص مكلفين بنشر القانون الدولي الإنساني يعتبر في غاية الأهمية لما لهم من دور فعال في هذا المجال وخاصة زمن النزاعات المسلحة.
8. تقوم اللجنة الدولية للصليب الأحمر بدور رائد وفعال في مجال نشر القانون الدولي الإنساني.
9. تسهر الدول على إنشاء لجان وطنية من أجل تنفيذ ونشر القانون الدولي الإنساني، وأن كان إنشاء مثل هذه اللجان ليس إلزامياً.

ثانياً: التوصيات:

- من خلال النتائج التي تم التوصل إليها، يمكن أن نخرج بمجموعة من التوصيات التي نرى أنها ضرورية لتدعيم نشر القانون الدولي الإنساني وهي:
1. ضرورة العمل على نشر قواعد القانون الدولي الإنساني والتعريف به على نطاق واسع في زمن السلم والحرب، وذلك من خلال تعريفه لجميع الأوساط المدنية والعسكرية بمختلف تخصصاتهم ومستوياتهم ودون أي استثناء أو تمييز.
 2. ضرورة العمل على إدراج القانون الدولي الإنساني كمادة أساسية تدرس في كافة المعاهد العسكرية وكليات القانون والشرطة والمعاهد القضائية.
 3. على الدول تشجيع عقد المؤتمرات والندوات والدورات التدريبية والتكوينية والحلقات الدراسية الرامية إلى نشر الوعي بقواعد القانون الدولي الإنساني بين مختلف فئات المجتمع، وتبادل الخبرات والمعونة الفنية فيما بينها وبين المنظمات الإنسانية ذات الصلة.
 4. يجب على المراكز الثقافية الوطنية نشر الوعي بأحكام القانون الدولي الإنساني من خلال تنظيم أيام دراسية توعوية وتحسيسية حول أهمية هذا القانون في ظل العالم المعاصر وما يجري فيه من أحداث.
 5. مناشدة الدول العربية للعمل على إنشاء معهد متخصص لتدريس القانون الدولي الإنساني.
 6. دعوة الدول لاتخاذ جميع الأساليب والوسائل المتاحة للقيام بعمليات نشر القانون الدولي الإنساني.
 7. من الضروري أن تعمل جميع الدول بمجرد انضمامها إلى ميثاق القانون الدولي الإنساني على مواءمة تشريعاتها الوطنية مع هذه الميثاق، بهدف نشر المعرفة بهذه الميثاق لضمان تطبيقها واحترامها.
 8. حث وسائل الإعلام على المشاركة الفعالة في خطط التوعية بالقانون الدولي الإنساني وإصدار النشرات المتخصصة والمبسطة التي تساعد على الوقوف على مضمون ذلك القانون ومراميه.
 9. الاستعانة بأمكن العبادة لنشر القانون الدولي الإنساني في أوساط عامة الناس لما لها من أهمية في حياة المجتمعات لنشر القيم الإنسانية ومبادئ السلم والأمن وأحكام القانون الدولي الإنساني.

10. لا بد للدول من الإسراع في زمن السلم لإعداد وتكوين عاملين مؤهلين ومستشارين قانونيين وقادة عسكريين متخصصين في مجال نشر وتنفيذ قواعد القانون الدولي الإنساني. ||||
11. ضرورة قيام الدول بتشجيع اللجنة الدولية للصليب الأحمر لمواصلة الجهد في نشر مفهوم ومبادئ القانون الدولي الإنساني، وذلك من خلال البحوث العلمية والندوات والمؤتمرات والورش حتى تستطيع توصيل مهمتها المعلنة في نشر ثقافة هذا القانون كونها الرائدة في هذا المجال.
12. دعم جهود الجمعيات الوطنية للهلال الأحمر والصليب الأحمر العربية نظراً للدور الريادي الذي تقوم به هذه الجمعيات في مجال نشر القانون الدولي الإنساني بين مختلف فئات المجتمع وفقاً للنظام الأساسي للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر.
13. دعوة الدول إلى إنشاء لجان وطنية للقانون الدولي الإنساني تتكون من ممثلي الوزارات والمؤسسات المعنية وأساتذة متخصصين في القانون وعلم النفس والاجتماع وغيرهم، على أن يتلقوا تكويناً عالي المستوى في القانون الدولي الإنساني، بحيث تكون هذه اللجان مرجعاً استشارياً للسلطات الوطنية فيما يتعلق بتطبيق هذا القانون على المستوى الوطني ونشره.

قائمة المراجع:

أولاً: الكتب:

1. د. أمنة امحمدي بوزينة، آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر، 2014.
2. د. شريف عتلم، القانون الدولي الإنساني، دليل للأوساط الأكاديمية، الكتاب الأول، إصدارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، القاهرة، 2006.
3. د. شريف عتلم، القانون الدولي الإنساني، دليل للأوساط الأكاديمية، الكتاب الثالث، إصدارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، جنيف، 1992.
4. د. عبد الواحد محمد الفار، أسرى الحرب، دراسة فقهية وتطبيقية في نطاق القانون الدولي العام والشريعة الإسلامية، عالم الكتب، القاهرة، 1975.
5. د. فتحي محمد فتحي الحياتي، القانون الدولي الإنساني وتطبيقاته على النزاعات المسلحة في العراق، جمعية الأمل العراقية، بغداد، 2022.
6. د. محمد فهاد الشلالدة، القانون الدولي الإنساني، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2006.

ثانياً الرسائل العلمية:

1. أ. أحسن كمال، آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني في ضوء التغيرات الدولية للقانون الدولي المعاصر، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011.
2. د. رقية عواشيرية، حماية المدنيين والأعيان المدنية في النزاعات المسلحة غير الدولية، رسالة دكتوراة، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، 2001.
3. أ. لعور حسان حمزة، نشر القانون الدولي الإنساني، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة

الحاج لخضر، بائنة، الجزائر، 2009.

ثالثاً: البحوث والمقالات:

1. أ. إيف ساندو، نحو إنقاذ القانون الدولي الإنساني، دراسات في القانون الدولي الإنساني (مؤلف جماعي)، تقديم د. مفيد شهاب، الطبعة الأولى، دار المستقبل العربي، القاهرة، مصر، 2000.
2. د. بطاهر بوجلال، آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني، ورقة علمية مقدمة في الملتقى العلمي الأول لأجهزة الهلال الأحمر، المنعقد خلال الفترة من 9-11/1/2012، في مدينة الرياض، السعودية.
3. د. طايري يوسف، و د. محمد علي حسون، نشر القانون الدولي الإنساني كآلية لحماية البيئة أثناء النزاعات المسلحة، مجلة حقوق الإنسان والحريات العامة، المجلد 7، العدد 2، سنة 2022.
4. أ. عبد الله زرباني وأ. جميلة أغا، إنفاذ القانون الدولي الإنساني بين جهود الدول والمنظمات الدولية، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة الجيلالي اليباس، سيدي بلعباس، الجزائر، المجلد 14، العدد 3، 2021.
5. أ. لعور حسان حمزة، أهمية نشر القانون الدولي الإنساني كآلية لتحقيق الإنسانية زمن النزاعات المسلحة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 29، ديسمبر 2013.
6. د. محمد حمد العسيلي، دور الجمعيات الوطنية للهلال الأحمر والصليب الأحمر في تنفيذ القانون الدولي الإنساني، بحث منشور في كتاب القانون الدولي الإنساني، تقديم د. أحمد فتحي سرور، دار المستقبل العربي، القاهرة، 2003.
7. د. محمد يوسف علوان، نشر القانون الدولي الإنساني، دراسات في القانون الدولي الإنساني، دار المستقبل العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000.
8. د. وسيلة مرزوقي، الآليات المتخذة داخلياً لتنفيذ قواعد القانون الدولي الإنساني، (الجزائر نموذجاً)، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، العدد 19، 2016.

رابعاً: التقرير:

- د. محمد رضوان بن خضراء ود. شريف عتلم، التقرير السنوي الثالث عن تطبيق القانون الدولي الإنساني على الصعيد العربي، إصدار الأمانة العامة لجامعة الدول العربية واللجنة الدولية للصليب الأحمر، 2004.

خامساً: منشورات اللجنة الدولية للصليب الأحمر:

- دليل التنفيذ الوطني للقانون الدولي الإنساني، إصدارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، مصر، 2010.